تفسير القرآن العزيز

لابن أبي زمنين

الإمام القدوة الزاهد شيخ قرطبة

أبي عبد الله محمد بن عبد الله بن أبي زمنين

(٣٢٤ - ٣٩٩هـ)

تحقيق

أبي عبد الله حسين بن عكاشة

محمد بن مصطفى الكنز

المجلد الثاني

المائدة - النحل

الناشر

الفاروق الحديثة للطباعة والنشر

الناشر : الفاروق الحديثة للطباعة والنشر

خلف ٦٠ ش راتب باشا - حدائق شبرا

ت: ٤٣٠٧٥٢٦ - ٢٠٥٥٦٨٨ القاهرة

اسم الكتاب : **تفسير القرآن العزيز**

تأليف : أبى عبد الله محمد بن عبد الله بن أبى زَمَنِين

تحقيق : حسين بن عكاشه و محمد مصطفى الكنز

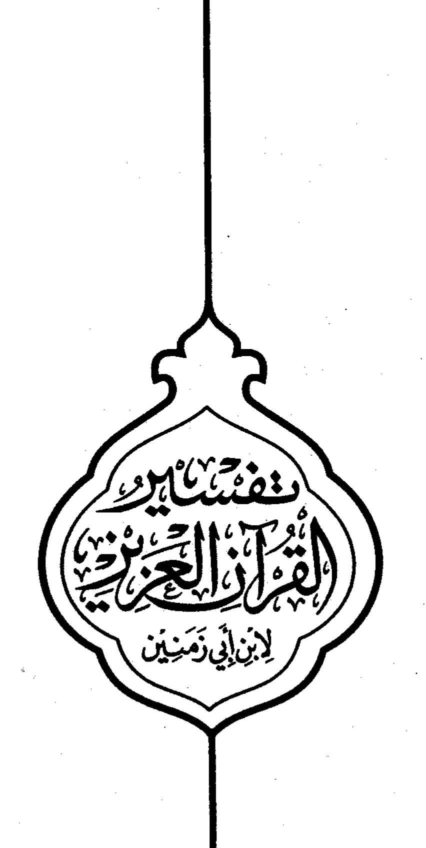
رقم الإيداع: ١٧٧٧٥/ ٢٠٠١

الترقيم الدولي: 977-5704-68-5

الطبعة : الأولى

سنة النشر: ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م

طباعة : الفاروق الحديثة للطباعة والنشر



تفسير
القرآن العزيز
لابن أبي زمنين



تفسير سورة المائدة
وهي مدنية كلها

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ ۚ أُحِلَّتْ لَكُم بَهِيمَةُ الْأَنْعَامِ إِلَّا مَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ غَيْرَ مُحِلِّي الصَّيْدِ وَأَنتُمْ حُرُمٌ ۗ إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ مَا يُرِيدُ (١) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُحِلُّوا شَعَائِرَ اللَّهِ وَلَا الشَّهْرَ الْحَرَامَ وَلَا الْهَدْيَ وَلَا الْقَلَائِدَ وَلَا آمِّينَ الْبَيْتَ الْحَرَامَ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّن رَّبِّهِمْ وَرِضْوَانًا ۚ وَإِذَا حَلَلْتُمْ فَاصْطَادُوا ۚ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ أَن صَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ أَن تَعْتَدُوا ۘ وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ ۖ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ ۚ وَاتَّقُوا اللَّهَ ۖ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ (٢) حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالدَّمُ وَلَحْمُ الْخِنزِيرِ وَمَا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ وَالْمُنْخَنِقَةُ وَالْمَوْقُوذَةُ وَالْمُتَرَدِّيَةُ وَالنَّطِيحَةُ وَمَا أَكَلَ السَّبُعُ إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ وَمَا ذُبِحَ عَلَى النُّصُبِ وَأَن تَسْتَقْسِمُوا بِالْأَزْلَامِ ۚ ذَٰلِكُمْ فِسْقٌ ۗ الْيَوْمَ يَئِسَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن دِينِكُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِ ۚ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا ۚ فَمَنِ اضْطُرَّ فِي مَخْمَصَةٍ غَيْرَ مُتَجَانِفٍ لِّإِثْمٍ ۙ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ (٣)﴾

قوله: ﴿يا أيها الذين آمنوا أوفوا بالعقود﴾ قال الكلبي: يعني: العهود التي أخذ اللّه على العباد فيما أحل لهم وحرم عليهم ﴿أحلت لكم بهيمة الأنعام﴾ والأنعام: الإبل والبقر والغنم[1] ﴿إلا ما يتلى عليكم﴾ يقول: مما حرم عليكم من الميتة والدم ولحم الخنزير وغير ذلك مما نهى عنه.

---

(١) والأنعام واحدها: نَعَم. ينظر لسان العرب (نعم).

﴿غير محلي الصيد﴾ من غير أن تحلوا الصيد ﴿وأنتم حرم﴾.

﴿يا أيها الذين آمنوا لا تحلوا شعائر اللَّه ولا الشهر الحرام ولا الهدي ولا القلائد ولا آمِّين البيت الحرام﴾ وكان هذا قبل أن يؤمروا بقتال المشركين كافَّة.

قوله: ﴿ولا القلائد﴾ يعني: أصحاب القلائد(١)، وكانت القلائد أن الرجل إذا خرج من أهله حاجًّا أو معتمرًا، وليس معه هدي جعل في عنقه قلائد من شعر أو [وَبَرٍ، فأمن](٢) بها إلى مكة وإذا (ل٧٨) خرج من مكة تعلق من لحاء(٣) شجر مكة، فيأمن به إلى أرضه.

وقوله: ﴿ولا آمِّين البيت الحرام﴾ يعني: حجاج المشركين، والفضل والرضوان الذي كانوا يبتغونه أن يصلح اللَّه لهم معايشهم في الدنيا، وألا يعاقبهم فيها.

قال محمد: واحد ﴿آمِّين﴾ آمّ؛ وهم القاصدون(٤)، وشعائر اللَّه: ما جعله اللَّه علمًا لطاعته، واحدها: شعيرة(٥)، والشهر الحرام (محرم)(٦)؛ يقول: لا تقاتلوا فيه.

﴿وإذا حللتم فاصطادوا﴾ أي: إذا خرجتم من إحرامكم وهي إباحة؛ إن

---

(١) ويجوز أن يكون المراد: القلائد حقيقة. ينظر الدر المصون (٢/ ٤٨١) والقلائد: واحدها قلادة: وهي ما يعلَّق في العنق، يكون ذلك للإنسان والفرس والكلب والبدنة التي تهدى. ينظر لسان العرب، مختار الصحاح (قلد).

(٢) بياض بالأصل، والمثبت من «ر».

(٣) المراد: قِشْر الشجر، والجمع: أَلْحِيَةٌ ولُحِيٌّ. ينظر لسان العرب (لحو).

(٤) لسان العرب، القاموس المحيط، المختار (أمم).

(٥) لسان العرب، القاموس المحيط، المختار (شعر).

(٦) سقط من «ر».

شاء صاد، وإن شاء ترك.

﴿ولا يجرمنكم شنآن قوم﴾ لا يحملنكم بغض قوم.

﴿أن صدوكم عن المسجد الحرام أن تعتدوا﴾.

قال الكلبي: يعني بالقوم: أهل مكة؛ يقول: لا تعتدوا عليهم؛ لأن صدوكم عن المسجد الحرام.

وقال الحسن: كان هذا حين صدوه يوم الحديبية عن المسجد الحرام.

قال محمد: ﴿يجرمنكم﴾ حقيقته في اللغة: يُكْسِبنكم؛ يقال: فلان جارم أهله [وجرمة أهله][(١)] أي: كاسبهم، وتقول: جرمني كذا؛ أي: كسبني كذا. وفيه لغة أخرى: أجرمني[(٢)].

﴿حرمت عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير وما أهل لغير الله به﴾ يعني: ما ذبح لغير اسم الله.

قال محمد: أصل الإهلال: رفع الصوت[(٣)]؛ فكأن المعنى: ما ذُكر عند ذبحه غير اسم الله.

﴿والمنخنقة﴾ قال الحسن: هي التي تختنق في حبلها فتموت، وكانوا يأكلونها ﴿والموقوذة﴾ كانوا يضربونها بالخشبة حتى تموت، ثم يأكلونها.

قال محمد: الوقذة: الضربة؛ يقال: وَقَذْتها أقذُها وَقْذًا، وفيه لغة أخرى: أوقذتها أُوقِذها إيقاذًا[(٤)].

---

(١) سقط من الأصل، والمثبت من «ر».
(٢) ينظر: لسان العرب، القاموس المحيط، مختار الصحاح (جرم).
(٣) ينظر: المصادر السابقة (هلل).
(٤) ينظر: المصادر السابقة (وقذ).

﴿والمتردية﴾ التي تردَّى في بئر فتموت ﴿والنطيحة﴾ يعني: الكبشين [يتناطحان][1] فيموت أحدهما.

﴿وما أكل السبع إلا ما ذكيتم﴾ يعني: ما أدركتم ذكاته من هذا كله ما خلا الخنزير ﴿وما ذبح على النصب﴾ حجارة كانت [يعبدها][2] أهل الجاهلية، ويذبحون لها ﴿وأن تستقسموا بالأزلام﴾ قال قتادة: هي القداح كانوا يستقسمون بها في الأمور، فكان الرجل إذا أراد سَفَرًا أخذ قدحًا؛ فقال: هذا يأمرني بالخروج، ويأخذ قدحًا آخر فيقول: هذا يأمرني بالمكوث.

قال محمد: أُخذ الاستقسام من القسم، وهو النصيب؛ فكأن الاستقسام طلب النصيب[3].

﴿اليوم يئس الذين كفروا من دينكم﴾ قال الحسن: يئسوا [أن][4] يستحلوا فيه ما استحلوا في دينهم.

﴿فلا تخشوهم واخشون اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي﴾ قال قتادة: ذكر لنا أنها نزلت على نبي اللَّه ﷺ يوم جمعة، يوم عرفة حين [نهى][5] اللَّه المشركين عن المسجد الحرام، وأخلص للمسلمين حَجَّهُمْ.

يحيى: عن حماد بن سلمة، عن عمار مولى بني هاشم، عن ابن عباس «أنه قرأ هذه الآية: ﴿اليوم أكملت لكم دينكم...﴾ وعنده رجل من اليهود؛ فقال اليهودي: لو نزلت هذه الآية علينا لاتخذنا ذلك اليوم عيدًا. فقال ابن

---

(١) في الأصل: ينتطحان. والمثبت من «ر».
(٢) في الأصل: يعبدونها. والمثبت من «ر».
(٣) لسان العرب، القاموس المحيط، مختار الصحاح (قسم).
(٤) في الأصل: أي. والمثبت من «ر».
(٥) في الأصل: نفى.

عباس: فإنها نزلت في يوم عِيدَيْن اثنين: يوم جمعة، ويوم عرفة»[١].

﴿فمن اضطر في مخمصة﴾ قال قتادة: أي: في مجاعة[٢]؛ رجع إلى الكلام الأول من قوله: ﴿حرمت عليكم الميتة والدم...﴾ إلى آخر الآية ﴿غير متجانف لإثم﴾ أي: يتعمَّده[٣].

﴿يَسْـَٔلُونَكَ مَاذَآ أُحِلَّ لَهُمْ ۖ قُلْ أُحِلَّ لَكُمُ ٱلطَّيِّبَٰتُ ۙ وَمَا عَلَّمْتُم مِّنَ ٱلْجَوَارِحِ مُكَلِّبِينَ تُعَلِّمُونَهُنَّ مِمَّا عَلَّمَكُمُ ٱللَّهُ ۖ فَكُلُوا۟ مِمَّآ أَمْسَكْنَ عَلَيْكُمْ وَٱذْكُرُوا۟ ٱسْمَ ٱللَّهِ عَلَيْهِ ۖ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴿٤﴾ ٱلْيَوْمَ أُحِلَّ لَكُمُ ٱلطَّيِّبَٰتُ ۖ وَطَعَامُ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ حِلٌّ لَّكُمْ وَطَعَامُكُمْ حِلٌّ لَّهُمْ ۖ وَٱلْمُحْصَنَٰتُ مِنَ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَٱلْمُحْصَنَٰتُ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ إِذَآ ءَاتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَٰفِحِينَ وَلَا مُتَّخِذِىٓ أَخْدَانٍ ۗ وَمَن يَكْفُرْ بِٱلْإِيمَٰنِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُۥ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٥﴾﴾

﴿يسألونك ماذا أُحل لهم قل أحل لكم الطيبات﴾ يعني: الحلال من الذبائح.

﴿وما علَّمتم من الجوارح مكلبين﴾ أي: مضرين[٤] ﴿تعلمونهن مما

---

(١) رواه الطيالسي (٣٥٣ رقم ٢٧٠٩) والترمذي (٥/ ٢٢٣ رقم ٣٠٤٤) والطبري في تفسيره (٦/ ٨٢) والطبراني في المعجم الكبير (١٢/ ١٨٤-١٨٥ رقم ١٢٨٣٥) والواحدي في أسباب النزول (ص١٤٠) وغيرهم من طرق عن حماد بن سلمة به.
وقال الترمذي: هذا حديث حسن غريب من حديث ابن عباس، وهو صحيح.
قلت: وهو ثابت عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه رواه البخاري (٨/ ١١٩ رقم ٤٦٠٦) ومسلم (٤/ ٢٣١٢- ٢٣١٣ رقم ٣٠١٧).

(٢) في «ر»: جماعة. وهو تصحيف عن الصواب.

(٣) في «ر»: متعمِّد.

(٤) الضَّاري من الجوارح: المدرَّب على الصيد. لسان العرب (ضرى).

علمكم اللَّه﴾ قال مجاهد: الجوارح هي من الطير والكلاب.

قال محمد: ﴿مكلِّبين﴾ نصب على الحال[١]؛ يقال: رجل مُكَلِّب وكَلَّاب؛ إذا كان صاحب صيد بالكلاب[٢]؛ المعنى: وأحل لكم صيد ما علمتم؛ وهذا من الاختصار [إذ كان في الكلام ما][٣] يدل عليه.

﴿واتقوا اللَّه إن اللَّه سريع الحساب﴾ قال السدي: (ل٧٩) يعني: كأنه قد جاء الحساب.

﴿اليوم أُحلَّ لكم الطيبات وطعام الذين أوتوا الكتاب حِلٌّ لكم﴾ يعني: ذبائحهم ﴿وطعامكم حلٌّ لهم والمحصنات من المؤمنات والمحصنات من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم﴾ المحصنات ها هنا: الحرائر، ولا يحل نكاح إماء أهل الكتاب ﴿إذا آتيتموهن أجورهن﴾ يعني: الصداق إذا [سمى][٤] لها، ولا بأس أن يدخل عليها قبل أن يعطيها إياه.

﴿محصنين غير مسافحين﴾ يعني: ناكحين غير زانين ﴿ولا متخذي أخدان﴾ يعني: الخليل والخليلة في السِّرِّ.

﴿ومن يكفر بالإيمان فقد حبط عمله﴾ قال قتادة: لما نزل تحليل نساء أهل الكتاب؛ ذكر لنا أن رجالًا قالوا: كيف نتزوَّج نساءً على غير ديننا؟ فأنزل اللَّه: ﴿ومن يكفر بالإيمان...﴾ الآية.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا قُمۡتُمۡ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ فَٱغۡسِلُواْ وُجُوهَكُمۡ وَأَيۡدِيَكُمۡ إِلَى

---

(١) وفيه تفصيل نحوي ينظر من: البحر المحيط (٣/ ٤٢٩)، الدر المصون (٢/ ٤٨٩).
(٢) قال الزجاج: (رجل مُكَلِّب -يعني بالتشديد- ومُكْلِب- يعني من: أكلب، وكلَّاب- يعني: بتضعيف اللام- أي: صاحب كلاب. الدر المصون (٢/ ٤٨٩)، لسان العرب (كلب).
(٣) بياض في الأصل. والمثبت من «ر».
(٤) طمس في الأصل، والمثبت من «ر».

ٱلْمَرَافِقِ وَٱمْسَحُوا۟ بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى ٱلْكَعْبَيْنِ ۚ وَإِن كُنتُمْ جُنُبًا فَٱطَّهَّرُوا۟ ۚ وَإِن كُنتُم مَّرْضَىٰٓ أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوْ جَآءَ أَحَدٌ مِّنكُم مِّنَ ٱلْغَآئِطِ أَوْ لَٰمَسْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَلَمْ تَجِدُوا۟ مَآءً فَتَيَمَّمُوا۟ صَعِيدًا طَيِّبًا فَٱمْسَحُوا۟ بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُم مِّنْهُ ۚ مَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُم مِّنْ حَرَجٍ وَلَٰكِن يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٦﴾ ﴾

﴿يا أيها الذين آمنوا إذا قمتم إلى الصلاة...﴾ الآية.

يحيى: عن إبراهيم بن محمد، عن عبد اللَّه بن محمد بن عقيل، عن الربيع بنت معوذ بن عفراء: «أن رسول اللَّه ﷺ دخل عليها فدعا بوضوء. قالت: فأتيته بإناء [فيه ماء][1] قدر مُدٍّ وثلث (أو مُدٍّ وربع)[2] فغسل يديه ثلاثًا قبل أن يدخلهما في الإناء، ثم مضمض ثلاثًا، واستنشق ثلاثًا، وغسل وَجْهه ثلاثًا، وغسل ذراعيه ثلاثًا ثلاثًا، ثم مسح برأسه ما أقبل منه وما أدبر، ومسح أذنيه ظاهرهما وباطنهما، وغسل رجليه [ثلاثًا][3] قالت: فأتاني غلامٌ من بني عبد المطلب -يعني: ابن عباس- فحدثته هذا الحديث، فقال: أبى الناس إلا الغسل، ولا أجد في كتاب اللَّه إلا المسح»[4].

---

(١) في الأصل: بها ماء.

(٢) سقط من «ر».

(٣) سقط من الأصل.

(٤) رواه الإمام أحمد (٦/ ٣٥٨) والحميدي (١/ ١٦٣-١٦٤ رقم ٣٤٢) والدارقطني (١/ ٩٦ رقم ٥) والبيهقي (١/ ٧٢) من طريق سفيان عن عبد اللَّه بن محمد بن عقيل به.

وقال البيهقي: فهذا - إن صح - فيحتمل أن ابن عباس كان يرى القراءة بالخفض، وأنها تقتضي المسح، ثم لما بلغه أن النبي ﷺ توعد على ترك غسلهما أو ترك شيء منهما ذهب إلى وجوب غسلهما، وقرأها نصبًا، وقد روينا عنه أنه قرأها نصبًا.

وقد روى حديث عبد اللَّه بن محمد بن عقيل عن الربيع دون قول ابن عباس، جماعة كثيرة.

وقد رُوي نحو قول ابن عباس هذا عن أنس وغيره، ذكرها ابن كثير في تفسيره (٢/ ٢٥) =

﴿وإن كنتم جنبًا فاطهروا﴾.

يحيى: عن سعيد، عن قتادة (عن الحسن)[١]، عن أبي هريرة قال: «تحت كل شعرة جنابة؛ فاغسلوا الشعر، وأَنْقُوا البَشَرَ»[٢].

= ثم قال: فهذه آثار غريبة جدًا، وهي محمولة على أن المراد بالمسح هو الغسل الخفيف لما سنذكره من السنة الثابتة في وجوب غسل الرجلين، وإنما جاءت هذه القراءة بالخفض- يعني: قراءة من قرأ ﴿وأرجلكم﴾ -بالجر- إما على المجاورة وتناسب الكلام كما في قول العرب: جحر ضب خرب، وكقوله تعالى: ﴿عاليهم ثياب سندس خضر وإستبرق﴾ وهذا سائغ ذائع في لغة العرب شائع، ومنهم من قال هي محمولة على مسح القدمين إذا كان عليهما الخفان، قاله أبو عبد الله الشافعي رَحِمَهُ اللَّهُ ومنهم من قال: هي دالة على مسح الرجلين، ولكن المراد بذلك الغسل الخفيف كما وردت به السنة، وعلى كل تقدير فالواجب غسل الرجلين فرضًا لابد منه للآية والأحاديث التي نوردها . ثم ذكر ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ الأحاديث الواردة في غسل الرجلين وأنه لابد منه.

(١) سقط من «ر».

(٢) ورواه الحارث بن وجيه عن مالك بن دينار، عن محمد بن سيرين، عن أبي هريرة مرفوعًا. خرجه أبو داود (١/ ٢٧١ رقم ٢٥٢) والترمذي (١/ ١٧٨ رقم١٠٦) وابن ماجه (١/ ١٩٦ رقم ٥٩٧) والعقيلي في الضعفاء (١/ ٢١٦) وابن عدي والبيهقي في السنن (١/ ١٧٥، ١٧٩) وغيرهم.
وقال أبو داود : الحارث حديثه منكر، وهو ضعيف. وقال أبوحاتم نحوه، علل الحديث (١/ ٢٩ رقم ٥٣).
وقال الترمذي: حديث الحارث بن وجيه حديث غريب، لا نعرفه إلا من حديثه، وهو شيخ ليس بذاك، وقد روى عنه غير واحد من الأئمة، وقد تفرد بهذا الحديث، عن مالك بن دينار.
وقال العقيلي: لا يُتابع عليه، وله غير حديث منكر.
وقال البيهقي: تفرد به موصولاً الحارث بن وجيه، والحارث بن وجيه تكلموا فيه.
وقال الشافعي : ليس بثابت. قال البيهقي: وأنكره غيره أيضًا من أهل العلم بالحديث: البخاري وأبو داود السجستاني وغيرهما، وإنما يروى عن الحسن عن النبي ﷺ مرسلًا، وعن الحسن عن أبي هريرة موقوفًا. اهـ.
وقال الدارقطني في العلل (٨/ ١٠٤): ورواه أبان العطار، عن قتادة عن الحسن عن أبي هريرة ولا يصح مسندًا، والحارث بن وجيه من أهل البصرة ضعيف.

قال محمد: يقال: رجل جنبٌ، وامرأة جنبٌ، وكذلك في التثنية والجمع؛ هذا أفصح اللغات[١].

﴿وإن كنتم مرضى أو على سفر...﴾ إلى قوله: ﴿فامسحوا بوجوهكم وأيديكم منه﴾ قد مضى تفسيره في سورة النساء[٢].

﴿ما يريد الله ليجعل عليكم من حرج﴾ أي: من ضيق.

﴿ولكن يريد ليطهركم﴾ من الذنوب ﴿وليتم نعمته عليكم لعلكم تشكرون﴾ لكي تشكروا؛ فتدخلوا الجنة.

﴿وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمِيثَاقَهُ الَّذِي وَاثَقَكُم بِهِ إِذْ قُلْتُمْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿٧﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿٨﴾ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿٩﴾ وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ ﴿١٠﴾﴾

﴿واذكروا نعمة الله عليكم وميثاقه الذي واثقكم به﴾ وهو الميثاق الذي أخذ عليهم في صُلب آدم؛ وتفسيره في سورة الأعراف[٣].

﴿يا أيها الذين آمنوا كونوا قوَّامين لله شهداء بالقسط﴾ بالعدل؛ وهي

---

(١) وقيل: ورد له جمع، وهو: أجناب وجُنُبون. ينظر لسان العرب مختار الصحاح (جنب).

(٢) أي: عند تفسير قوله تعالى: ﴿وإن كنتم مرضى أو على سفر أو جاء أحد منكم من الغائط أو لامستم النساء فلم تجدوا ماء فتيمموا....﴾ (النساء: ٤٣).

(٣) أي: قوله تعالى: ﴿وإذ أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذريتهم...﴾ الآية. (الأعراف: ١٧٢).

الشهادة تكون عند الرجل ﴿اعدلوا هو أقرب للتقوى﴾ أي: فإنه من التقوى.

﴿وعد اللَّه الذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم مغفرة﴾ أي: وفى الوعد لهم مغفرة لذنوبهم. ﴿وأجر عظيم﴾ الجنة.

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ هَمَّ قَوْمٌ أَن يَبْسُطُوٓا۟ إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ فَكَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنكُمْ ۖ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿١١﴾ وَلَقَدْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَـٰقَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَبَعَثْنَا مِنْهُمُ ٱثْنَىْ عَشَرَ نَقِيبًا ۖ وَقَالَ ٱللَّهُ إِنِّى مَعَكُمْ ۖ لَئِنْ أَقَمْتُمُ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَيْتُمُ ٱلزَّكَوٰةَ وَءَامَنتُم بِرُسُلِى وَعَزَّرْتُمُوهُمْ وَأَقْرَضْتُمُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا لَّأُكَفِّرَنَّ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَلَأُدْخِلَنَّكُمْ جَنَّـٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ ۚ فَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ مِنكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ ﴿١٢﴾ فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَـٰقَهُمْ لَعَنَّـٰهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَـٰسِيَةً ۖ يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ ۙ وَنَسُوا۟ حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦ ۚ وَلَا تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَىٰ خَآئِنَةٍ مِّنْهُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ ۖ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱصْفَحْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٣﴾﴾

﴿يا أيها الذين آمنوا اذكروا نعمة اللَّه عليكم إذ هم قومٌ أن يبسطوا إليكم أيديهم فكف أيديهم عنكم﴾ قال الحسن: «كان رسول اللَّه عليه السلام ببطن نَخل مُحاصِرًا غطفان، وهو متقلِّد سيفه، فجاءه رجل كانت قريش قد بعثته ليفتك برسول اللَّه؛ فقال: يا محمد، أرني سيفك هذا أنظر إليه، فقال: هاك. فأخذه؛ فجعل ينظر إلى السيف مرة، وإلى رسول اللَّه مرة؛ فقال: أما تخافني يا محمد؟ قال: لا. فغمد سيفه، وأمر رسول اللَّه ﷺ أصحابه بالرحيل»[1].

---

(١) روى البخاري (٧/ ٤٩٠-٤٩١ رقم ٤١٣٥، ٤١٣٦، ٧/ ٤٩٤ رقم ٤١٣٩)، ومسلم (٤/ ١٧٨٦-١٧٨٧ رقم ٨٤٣) عن جابر نحو هذه القصة.

﴿ولقد أخذ اللَّه ميثاق بني إسرائيل وبعثنا منهم اثني عشر نقيبًا﴾ قال الحسن: فما ضمنوا عنهم من شيء قبلوه وفعلوه.

قال محمد: النقيب في اللغة هو كالأمين وكالكفيل؛ يقال: نَقُبَ الرجل على القوم يَنْقُب[١]. قال مجاهد: فأرسلهم موسى إلى الجبَّارين.

﴿وقال اللَّه إني معكم﴾ على الشرط ﴿لئن أقمتم الصلاة وآتيتم الزكاة وآمنتم برسلي وعزرتموهم﴾ أي: نصرتموهم ﴿وأقرضتم اللَّه قرضًا حسنًا﴾ يعني: الصدقة والنفقة في الحق ﴿لأكفرنَّ عنكم سيئاتكم﴾.

(ل٨٠) قال محمد: العزر في اللغة معناه: الرد[٢] فتأويل: ﴿وعزَّرتموهم﴾: نصرتموهم؛ بأن رددتم عنهم أعداءهم. وتقول أيضًا: عزرت فلانًا؛ إذا أدَّبْتَهُ، ومعناه: فعلت به ما يردعه عن القبيح[٣].

قال مجاهد: فلما أرسل موسى من كل سبط نقيبًا إلى الجبارين وجدوهم يدخل في كم أحدهم اثنان منهم، ثم يلقيهم إلقاء، فرجع النقباء كلهم ينهى سبطه عن قتالهم، إلا يوشع بن نون وكالوب؛ فإنهما أمرا الأسباط بقتال الجبارين ومجاهدتهم؛ فعصوهما.

﴿فمن كفر بعد ذلك منكم فقد ضلَّ سواء السبيل﴾ يعني: قصد الطريق ﴿فبما نقضهم ميثاقهم﴾ (أي: فبنقضهم ميثاقهم)[٤] ﴿لعناهم﴾ يعني باللعن: المسخ؛

---

(١) نَقَابةً، فهو نقيبٌ، والجمع: نُقَبَاء. لسان العرب (نقب).

(٢) يقال: عَزِرَهُ يَعْزِره عَزْرًا؛ أي: ردَّه ومنعه. لسان العرب (عزر).

(٣) ومنه أخذ التعزير، الذي هو تأديب لا يبلغ الحد الشرعي. لسان العرب، المعجم الوسيط (عزر).

(٤) سقط من «ر».

فجعل منهم قردة وخنازير مسخوا في زمان داود قردة، وفي زمان عيسى خنازير ﴿وجعلنا قلوبهم قاسية يحرفون الكلم عن مواضعه﴾ وهو ما حرفوا من كتاب الله.

﴿ونسوا حظًّا مما ذكروا به﴾ أي: نسوا كتاب الله، وضيعوا فرائضه، وعطلوا حدوده.

﴿ولا تزال تطلع على خائنة منهم إلا قليلًا منهم﴾ يعني: من آمن منهم.

قال محمد: الخائنة والخيانة واحدة، وقد يجوز أن تكون الخائنة صفة للرجل؛ كما يقال: رجل طاغية، وراوية للحديث(١).

﴿فاعف عنهم واصفح﴾ وهذا منسوخ(٢).

﴿وَمِنَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّا نَصَٰرَىٰٓ أَخَذْنَا مِيثَٰقَهُمْ فَنَسُواْ حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُواْ بِهِۦ فَأَغْرَيْنَا بَيْنَهُمُ ٱلْعَدَاوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ وَسَوْفَ يُنَبِّئُهُمُ ٱللَّهُ بِمَا كَانُواْ يَصْنَعُونَ ﴿١٤﴾ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ قَدْ جَآءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِّمَّا كُنتُمْ تُخْفُونَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَيَعْفُواْ عَن كَثِيرٍ ۚ قَدْ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٌ وَكِتَٰبٌ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾ يَهْدِى بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذْنِهِۦ وَيَهْدِيهِمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿١٦﴾ لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ ۚ قُلْ فَمَن

---

(١) وفيه أقوال نحوية أخرى غير المذكورة، ينظر: إعراب القرآن (١/ ٤٨٧) مجمع البيان (٢/ ١٧٢) الدر المصون (٢/ ٥٠١-٥٠٢).

(٢) قيل: نسخ بقوله: ﴿قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر...﴾ إلى قوله: ﴿وهم صاغرون﴾ (التوبة: ٢٩) وانظر الناسخ والمنسوخ (٤١).

يَمْلِكُ مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا إِنْ أَرَادَ أَن يُهْلِكَ ٱلْمَسِيحَ ٱبْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُۥ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا ۗ وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ۚ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٧﴾﴾

﴿ومن الذين قالوا إنا نصارى أخذنا ميثاقهم﴾ أي: كما أخذنا ميثاق اليهود ﴿فنسوا حظًا مما ذكروا به﴾ هي مثل الأولى.

﴿فأغرينا بينهم العداوة﴾ أي: ألقينا بينهم العداوة ﴿والبغضاء﴾ قال الحسن: يعني به: عامَّتهم.

قال محمد: ﴿أغرينا﴾ حقيقته في اللغة: ألصقنا[1]، وتأويل العداوة والبغضاء؛ أي: صاروا فرقًا؛ يكفر بعضهم بعضًا.

﴿ يا أهل الكتاب قد جاءكم رسولنا﴾ قال قتادة: هو محمد.

﴿يبين لكم كثيرًا مما كنتم تخفون من الكتاب﴾ يعني: ما حرفوه منه (وأَخْفَوا الحقَّ فيه)[2].

﴿ويعفو عن كثير﴾ مما كان حُرم عليهم؛ أي: يحله لهم.

﴿قد جاءكم من اللَّه نورٌ وكتابٌ مبين﴾ يعني: القرآن ﴿يهدي به اللَّه من اتبع رضوانه سبل السلام﴾ والسلام هو اللَّه؛ كقولهم: ﴿لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا﴾[3].

﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ وَٱلنَّصَٰرَىٰ نَحْنُ أَبْنَٰٓؤُا۟ ٱللَّهِ وَأَحِبَّٰٓؤُهُۥ ۚ قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُم بِذُنُوبِكُم ۖ بَلْ

---

(١) وهو مأخوذ من الغِراء؛ يقال: غَرِي به يَغْرَى غَرَي وغَرَاةً أي: تعلَّق به ولزمه؛ كأنه أُلصق به بالغراء. لسان العرب، مختار الصحاح، المعجم الوسيط (غرى).

(٢) في «ر»: وأخبر اللَّه نبيه.

(٣) العنكبوت: ٦٩ .

أَنتُم بَشَرٌ مِّمَّنْ خَلَقَ يَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَإِلَيْهِ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٨﴾ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ قَدْ جَآءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ عَلَىٰ فَتْرَةٍ مِّنَ ٱلرُّسُلِ أَن تَقُولُوا۟ مَا جَآءَنَا مِنۢ بَشِيرٍ وَلَا نَذِيرٍ فَقَدْ جَآءَكُم بَشِيرٌ وَنَذِيرٌ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٩﴾﴾

﴿وقالت اليهود والنصارى نحن أبناء اللّه وأحباؤه﴾ قالت اليهود لأنفسها، وقالت النصارى لأنفسها.

قال الحسن: يقولون: قُرْبُنا من اللّه وحُبُّه إيانا كقُرْب الولد من والده، وكحب الوالد ولده؛ ليس على حد ما قالت النصارى لعيسى قال اللّه للنبي: ﴿قل فلم يعذبكم بذنوبكم﴾ فجعل منكم القردة والخنازير، لو كان لكم هذا القرب، وهذه المحبة ما عذَّبكم!

﴿بل أنتم بشر ممن خلق يغفر لمن يشاء﴾ للمؤمنين ﴿ويعذب من يشاء﴾ الكافرين.

﴿يا أهل الكتاب قد جاءكم رسولنا﴾ وهو محمد ﴿يبين لكم على فترة من الرسل أن تقولوا﴾ لئلا تقولوا ﴿يوم القيامة ما جاءنا من بشير ولا نذير فقد جاءكم بشير﴾ (يبشر)[1] بالجنة ﴿ونذير﴾ ينذر من النار.

قال قتادة: ذكر لنا أن الفترة التي كانت ما بين عيسى ومحمد ستمائة سنة، أو ما شاء اللّه من ذلك.

﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ يَٰقَوْمِ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنۢبِيَآءَ

---

(١) سقط من «ر».

وَجَعَلَكُم مُّلُوكًا وَءَاتَىٰكُم مَّا لَمْ يُؤْتِ أَحَدًا مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٠﴾ يَٰقَوْمِ ٱدْخُلُوا۟ ٱلْأَرْضَ ٱلْمُقَدَّسَةَ ٱلَّتِى كَتَبَ ٱللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَرْتَدُّوا۟ عَلَىٰٓ أَدْبَارِكُمْ فَتَنقَلِبُوا۟ خَٰسِرِينَ ﴿٢١﴾ قَالُوا۟ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ وَإِنَّا لَن نَّدْخُلَهَا حَتَّىٰ يَخْرُجُوا۟ مِنْهَا فَإِن يَخْرُجُوا۟ مِنْهَا فَإِنَّا دَٰخِلُونَ ﴿٢٢﴾ قَالَ رَجُلَانِ مِنَ ٱلَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمَا ٱدْخُلُوا۟ عَلَيْهِمُ ٱلْبَابَ فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ فَإِنَّكُمْ غَٰلِبُونَ وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓا۟ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٢٣﴾﴾

﴿وإذ قال موسى لقومه يا قوم اذكروا نعمة اللَّه عليكم إذ جعل فيكم أنبياء وجعلكم ملوكًا﴾ تفسير مجاهد: جعل لكم أزواجًا وخدمًا [وبيوتًا](١) . قال الكلبي: وكان منهم في حياة موسى عليه السلام اثنان وسبعون نبيًا.

قوله: ﴿وآتاكم ما لم يؤت أحدًا من العالمين﴾ يعني: ما ظلل عليهم من الغمام، وأنزل عليهم من المنِّ والسلوى (وأشباه ذلك)(٢) مما أوتوا.

﴿يا قوم ادخلوا الأرض المقدسة﴾ يعني: التي بورك فيها، وهي [الشام](٣) ﴿التي كتب اللَّه لكم﴾ أن تدخلوها.

﴿ولا ترتدوا على أدباركم فتنقلبوا﴾ (ل٨١) إلى الآخرة ﴿خاسرين﴾ ﴿قالوا يا موسى إن فيها قومًا جبارين. . .﴾ إلى قوله: ﴿فلا تأس على القوم الفاسقين﴾ قال الكلبي: كانوا بجبال أريحا من الأردن فَجَبُن القوم أن يدخلوها؛ فأرسلوا جواسيس من كل سبط رجلًا؛ ليأتوهم بخبر الأرض المقدسة، فدخل الاثنا عشر؛ فمكثوا بها أربعين ليلة ثم خرجوا، فصدق اثنان

---

(١) بياض بالأصل. والمثبت من «ر».
(٢) سقط من «ر».
(٣) سقط من الأصل، والمثبت من «ر».

وكذب عشرة، فقالت العشرة: رأينا أرضًا تأكل أهلها، ورأينا بها حصونًا منيعة، ورأينا رجالًا جبابرة، ينبغي للرجل منهم مائة منا، فجبنت بنو إسرائيل فقالوا: والله لن ندخلها حتى يخرجوا منها؛ فإن يخرجوا منهـا فإنـا داخلــون.

قال رجلان أحدهما: يوشع بن نون، والآخر: كالوب؛ وهما اللذان قال الله: ﴿قال رجلان من الذين يخافون أنعم الله عليهما﴾ بمخافتهما الله: نحن أعلم بالقوم من هؤلاء؛ إن القوم قد مُلِئوا منا رُعبًا.

﴿ادخلوا عليهم الباب فإذا دخلتموه فإنكم غالبون وعلى الله فتوكلوا إن كنتم مؤمنين﴾.

﴿قَالُواْ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّا لَن نَّدۡخُلَهَآ أَبَدٗا مَّا دَامُواْ فِيهَا فَٱذۡهَبۡ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَٰتِلَآ إِنَّا هَٰهُنَا قَٰعِدُونَ ﴿٢٤﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّي لَآ أَمۡلِكُ إِلَّا نَفۡسِي وَأَخِيۖ فَٱفۡرُقۡ بَيۡنَنَا وَبَيۡنَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡفَٰسِقِينَ ﴿٢٥﴾ قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيۡهِمۡۛ أَرۡبَعِينَ سَنَةٗۛ يَتِيهُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِۚ فَلَا تَأۡسَ عَلَى ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡفَٰسِقِينَ ﴿٢٦﴾﴾

﴿قالوا يا موسى﴾ أيُكذَّب منا عشرة ويصدق اثنان؟! ﴿إنا لن ندخلها أبدًا ما داموا فيها...﴾ الآية، وكان موسى ﷺ (حديدًا)[1] فقال: ﴿رب إني لا أملك إلا نفسي وأخي﴾ أي: وأخي لا يملك إلا نفسه ﴿فافرق بيننا وبين القوم الفاسقين﴾ يعني: قومه.

قال الله لموسى إذ سميتهم فاسقين: ﴿فإنها محرمة عليهم أربعين سنة يتيهون في الأرض فلا تأس﴾ فلا تحزن ﴿على القوم الفاسقـين﴾ فتاهوا

(١) في «ر»: حزينًا.

أربعين سنة.

قال الكلبي: لما قالوا: إنا لن ندخلها أبدًا، قال الله: فإنها محرمة عليهم أبدًا، وهم مع ذلك يتيهون في الأرض أربعين سنة. قال: فلم يدخلها أحدٌ ممن كان مع موسى، هلكوا (أجمعون)[١] في التِّيه إلا رجلين: يوشع بن نون، وكالوب، وأنزل عليهم في تلك الأربعين سنة المنَّ والسلوى، وثيابًا لا تخرَّق ولا تدنَّس تشبُّ[٢] مع الصغير، وخِفَافًا[٣] لا تخرَّق، فكان لهم ذلك في تيههم؛ حتى دخلوا أريحا.

قال يحيى: دخلها أبناؤهم، ويوشع بن نون وكالوب.

قال مجاهد: ومعنى ﴿يتيهون في الأرض﴾ كانوا يصبحون حيث يُمْسُون، ويمسون حيث يصبحون، وفي تيههم ذلك ضرب لهم موسى الحَجَر.

﴿وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ٱبْنَىْ ءَادَمَ بِٱلْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ ٱلْءَاخَرِ قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٢٧﴾ لَئِنۢ بَسَطتَ إِلَىَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِى مَآ أَنَا۠ بِبَاسِطٍ يَدِىَ إِلَيْكَ لِأَقْتُلَكَ إِنِّىٓ أَخَافُ ٱللَّهَ رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٨﴾ إِنِّىٓ أُرِيدُ أَن تَبُوٓأَ بِإِثْمِى وَإِثْمِكَ فَتَكُونَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلنَّارِ وَذَٰلِكَ جَزَٰٓؤُا۟ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٩﴾ فَطَوَّعَتْ لَهُۥ نَفْسُهُۥ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُۥ فَأَصْبَحَ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٣٠﴾ فَبَعَثَ ٱللَّهُ غُرَابًا يَبْحَثُ فِى ٱلْأَرْضِ لِيُرِيَهُۥ كَيْفَ يُوَٰرِى سَوْءَةَ أَخِيهِ قَالَ يَٰوَيْلَتَىٰٓ أَعَجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَٰذَا ٱلْغُرَابِ فَأُوَٰرِىَ سَوْءَةَ أَخِى فَأَصْبَحَ مِنَ ٱلنَّٰدِمِينَ ﴿٣١﴾﴾

(١) في «ر»: أجمعين.
(٢) أي: تكبر وتطول.
(٣) واحدها: خُفّ.

﴿واتل عليهم﴾ اقرأ عليهم ﴿نبأ ابني آدم﴾ أي: خبرهما ﴿إذ قربا قربانًا...﴾ الآية.

قال الكلبي: كانت حواء تلد في [كل][١] بطن اثنين: غلامًا وجارية؛ فولدت في أول بطن قابيل وأخته، وفي البطن الثاني هابيل وأخته؛ فلما أدركوا[٢]، أُمر آدم أن ينكح قابيل أخت هابيل، وهابيل أخت قابيل؛ فقال آدم لامرأته الذي أمر به، فذكرته لابنيها فرضي هابيل بالذي أمر به وسخط قابيل لأن أخته كانت أحْسَنَهما؛ فقال: ما أمر اللَّه بهذا قط، ولكن هذا عن أمرك يا آدم! قال آدم: فقربا قربانكما؛ فأيكما كان أحق بها، أنزل اللَّه نارًا من السماء فأكلت القربان. فرضيا بـذلك؛ فعمد هابيل، وكان صاحب ماشية إلى خير غذاء غنمه وزبد ولبن، وكان قابيل زرَّاعًا فأخذ من ثمر زرعه، ثم صعدا الجبل وآدم معهما، فوضعا القربان على الجبل فدعا آدم ربه، وقال قابيل في نفسه: ما أدري أيقبل مني أم لا؟ لا ينكح هابيل أختي أبدًا، فنزلت النار فأكلت قربان هابيل، وتجنَّبت قربان قابيل؛ لأنه لم يكن زاكي القلب، فنزلوا من الجبل [فانطلق قابيل إلى هابيل وهو في غنمه فقال: لأقتلنك][٣] قال: لِمَ؟! قال: لأن اللَّه تقبل منك، وردَّ علي قرباني، [وتنكح أختي الحسنى، وأنكح أختك القبيحة][٣] ويتحدث الناس بعد اليوم أنك خير مني. فقال له هابيل: ﴿لئن بسطت إلي يدك لتقتلني ما أنا بباسط يدي إليك لأقتلك﴾ (ل٨٢) ﴿إني أريد أن تبوء﴾ ترجع ﴿بإثمي وإثمك﴾ قال قتادة: يعني: بإثمي: قتلي، وإثمك: الذي مضى؛ يعني: من قبل قتلي.

---

(١) سقط من الأصل والمثبت من «ر».

(٢) أي: بلغوا سن الزواج.

(٣) بياض بالأصل. والمثبت من «ر».

﴿فطوعت له نفسه قتل أخيه﴾ قال مجاهد: يعني: فشجَّعته نفسه فقتله ﴿فأصبح من الخاسرين﴾ الذين خسروا الجنة.

يحيى: عن خالد، عن الحسن أن رسول الله ﷺ قال: «إن الله ضرب لكم ابني آدم مثلًا؛ فخذوا بخيرهما، ودعوا شرهما»[1].

﴿فبعث الله غرابًا يبحث في الأرض...﴾ الآية.

قال الكلبي: وكان قتله عشية، وغدا إليه غدوة لينظر ما فعل؛ فإذا هو بغراب حي يحثي التراب على غراب ميت، فقال: ﴿يا ويلتا أعجزت أن أكون مثل هذا الغراب فأواري سوءة أخي﴾ كما يواري هذا الغراب سوءة أخيه!! فدعا بالويل، وأصبح من النادمين.

﴿مِنْ أَجْلِ ذَٰلِكَ كَتَبْنَا عَلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنَّهُ مَن قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا ۚ وَلَقَدْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُنَا بِالْبَيِّنَاتِ ثُمَّ إِنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم بَعْدَ ذَٰلِكَ فِي الْأَرْضِ لَمُسْرِفُونَ (٣٢)﴾

﴿من أجل ذلك كتبنا على بني إسرائيل أنه من قتل نفسًا بغير نفس أو فسادٍ في الأرض﴾ يعني: ما تستوجب به القتل ﴿فكأنما قتل الناس جميعًا ومن أحياها فكأنما أحيا الناس جميعًا﴾ قال الحسن: من إحيائها أن ينجيها من

(١) رواه عبد الرزاق في تفسيره (١/ ١٨٧) -ومن طريقه الطبري في تفسيره (٦/ ١٩٩) - عن معمر عن الحسن به.
ورواه الطبري (٦/ ١٩٩) من طريق ابن المبارك عن عاصم الأحول عن الحسن.
وروى الطبري في تفسيره (٦/ ١٩٩) عن سليمان التيمي قال: قلت لبكر بن عبد الله: أما بلغك أن نبي الله ﷺ قال: «إن الله- جل وعز - ضرب لكم ابني آدم مثلاً، فخذوا خيرهما، ودعوا شرهما»؟ قال: بلى.

القَوَد[1]، فيعفو عنها، أو يُفَاديها من العدوان، وينجّيها من الغرق، ومن الحرق، ومن السَّبُع، وأفضل إحيائها أن ينجيها من كفرها وضلالتها.

قال محمد: ذكر بعض المفسرين في قوله: ﴿فكأنما قتل الناس جميعًا﴾ أي: يعذب كما يعذب قاتل الناس جميعًا. ومن أحياها أُجِرَ في إحيائها؛ كما يؤجر من أحيا الناس جميعًا.

يحيى: عن المُعَلَّى، عن سماك بن حرب، عن قابوس بن المخارق، عن أبيه قال: «جاء رجل إلى النبي عليه السلام فقال: يا رسول اللَّه؛ أرأيت إن عرض لي رجل يريد نفسي ومالي، فكيف أصنع به؟ قال: تناشده باللَّه. قال: نشدته باللَّه فلم ينته. قال: اسْتَعْدِ[2] عليه السلطان. قال: ليس بحضرتنا سلطان. قال: استعنْ عليه بالمسلمين. قال: نحن بِفَلَاةٍ من الأرض ليس قربنا أحدٌ. قال: فجاهده دون مالك حتى تمنعه، أو تكتب في شهداء الآخرة»[3].

---

(١) أي: من القصاص. لسان العرب (قود).

(٢) في «ر»: اسْتَعِنْ.

(٣) رواه الإمام أحمد (٥/ ٢٩٤-٢٩٥) وابن أبي شيبة في مسنده (٢/ ٩ رقم ٥٢٤) ومسدد في مسنده كما في إتحاف الخيرة (٤/ ٢١١ رقم٤٣٣٢/ ١)- وإسحاق بن راهويه في مسنده وإبراهيم الحربي في غريب الحديث- كما في نصب الراية (٤/ ٣٤٩)- والنسائي (٧/ ١٢٩ رقم ٤٠٩٢) والطبراني في المعجم الكبير (٢٠/ ٣١٣-٣١٥ رقم ٧٤٦ - ٧٤٩) وابن قانع في معجم الصحابة (٣/ ١٣٣) وأبو نعيم في معرفة الصحابة (٥/ ٢٦٣٥ رقم٦٣٢٩) والبيهقي في سننه (٨/ ٣٣٦)، والمزي في تهذيبه (٢٣/ ٣٣١-٣٣٢) من طرق عن سماك بن حرب به.

ورواه الحربي في غريب الحديث -كما في نصب الراية (٤/ ٣٤٩)- من طريق سفيان الثوري عن سماك، عن قابوس «أن رجلاً أتى النبي...» الحديث، لم يقل فيه: «عن أبيه».

قال الدارقطني في العلل: هذا حديث يرويه سماك بن حرب، واختلف عليه، فرواه عمار بن زريق وأبوالأحوص وأيوب بن جابر والوليد بن أبي ثور عن سماك عن قابوس عن أبيه، ورواه الثوري وحماد بن سلمة عن سماك عن قابوس مرسلاً لم يقولا عن أبيه، والمسند أصح. اهـ. نقلته من نصب الراية (٤/ ٣٤٩).

﴿ولقد جاءتهم رسلنا بالبينات﴾ يعني: أهل الكتاب ﴿ثم إن كثيرًا منهم بعد ذلك في الأرض لَمُسْرفون﴾ لمشركون؛ يعني: من لم يؤمن منهم.

﴿إِنَّمَا جَزَٰٓؤُاْ ٱلَّذِينَ يُحَارِبُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَسْعَوْنَ فِي ٱلْأَرْضِ فَسَادًا أَن يُقَتَّلُوٓاْ أَوْ يُصَلَّبُوٓاْ أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم مِّنْ خِلَٰفٍ أَوْ يُنفَوْاْ مِنَ ٱلْأَرْضِ ۚ ذَٰلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِي ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَهُمْ فِي ٱلْءَاخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٣٣﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُواْ مِن قَبْلِ أَن تَقْدِرُواْ عَلَيْهِمْ ۖ فَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣٤﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱبْتَغُوٓاْ إِلَيْهِ ٱلْوَسِيلَةَ وَجَٰهِدُواْ فِي سَبِيلِهِۦ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٣٥﴾﴾

﴿إنما جزاء الذين يحاربون اللَّه ورسوله...﴾ الآية.

يحيى: عن سعيد، عن قتادة، عن أنس بن مالك: «أن ناسًا من عُكْل وعرينة قدموا على النبي المدينة وأسلموا، واستوخموا المدينة[١]، فأمرهم رسول اللَّه أن يخرجوا في إبل من إبل الصدقة؛ فيشربوا من ألبانها وأبوالها، ففعلوا حتى صحوا؛ فقتلوا راعي رسول اللَّه، واستاقوا الإبل، وكفروا بعد إسلامهم، فبعث رسول اللَّه في طلبهم، فأُتي بهم فقطع أيديهم وأرجلهم، وسمل أعينهم[٢]، وتركهم في الحرَّة[٣] حتى ماتوا»[٤].

---

(١) أي: استثقلوها ولم يوافق هواؤها طبائعهم. لسان العرب، القاموس (وخم).

(٢) أي: فقأها بمسمار أو حديدة مُحْماة. لسان العرب (سمل).

(٣) الحرة هي كل أرض ذات حجارة سود كأنها أحرقت. والمراد هنا: موضع بظاهر المدينة تحت واقم، وبها كانت وقعة الحرة أيام يزيد بن معاوية. ينظر لسان العرب، المختار، المعجم الوسيط (حرر).

(٤) رواه البخاري (٧/ ٥٢٤ رقم ٤١٩٢، ١٠/ ١٨٨ - ١٨٩ رقم ٥٧٢٧)، ومسلم (٣/ ١٢٩٨ رقم ١٦٧١/ ١٣) من طريق سعيد- وهو ابن أبي عروبة- به.
ولهذا الحديث طرق عن قتادة، وله طرق كثيرة عن أنس أيضًا. =

قال قتادة: وكان هذا من قبل أن تنزل الحدود.

يحيى: عن إبراهيم بن محمد، عن صالح مولى التوءمة، عن أبي هريرة؛ «أنه لما جيء بهم؛ فقطع أيديهم وأرجلهم، وسمل أعينهم، نزلت هذه الآية: ﴿إنما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله...﴾ الآية»[١].

قال يحيى: سألت الجهم بن ورَّاد الكوفي عن قوله: ﴿من خلاف﴾ فقال: يده اليمنى ورجله اليسرى.

وقال ابن عباس: ومعنى ﴿أو ينفوا من الأرض﴾ (أن يعجزوا فلا يقدر عليهم)[٢].

﴿إلا الذين تابوا من قبل أن تقدروا عليهم...﴾الآية.

قال قتادة: نزلت في أهل الشرك خاصَّة.

﴿يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وابتغوا إليه الوسيلة﴾ قال قتادة: يعني: تقربوا إليه بطاعته والعمل بما يرضيه.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوْ أَنَّ لَهُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُۥ مَعَهُۥ لِيَفْتَدُواْ بِهِۦ مِنْ عَذَابِ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ مَا تُقُبِّلَ مِنْهُمْ ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٣٦﴾ يُرِيدُونَ أَن يَخْرُجُواْ مِنَ ٱلنَّارِ وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ مِنْهَا ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ﴿٣٧﴾ وَٱلسَّارِقُ وَٱلسَّارِقَةُ فَٱقْطَعُوٓاْ أَيْدِيَهُمَا جَزَآءًۢ بِمَا كَسَبَا نَكَٰلًا مِّنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٣٨﴾ فَمَن تَابَ مِنۢ بَعْدِ ظُلْمِهِۦ وَأَصْلَحَ فَإِنَّ

= قال ابن كثير في تفسيره (٢/ ٥): وقد روى قصة العرنيين من حديث جماعة من الصحابة منهم: جابر، وعائشة، وغير واحد، وقد اعتنى الحافظ الجليل أبو بكر بن مردويه بتطريق هذا الحديث من وجوه كثيرة جدًا، فرحمه الله وأثابه.

(١) رواه عبد الرزاق -كما في تفسير ابن كثير (٢/ ٤٩)- عن إبراهيم بن محمد الأسلمي به.

(٢) هكذا في الأصل، «ر».

ٱللَّهَ يَتُوبُ عَلَيْهِۗ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣٩﴾ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ يُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ وَيَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٤٠﴾﴾

﴿يريدون أن يخرجوا من النار وما هم بخارجين منها﴾ قال الحسن: كلما رفعتهم بمسها حتى يصيروا إلى أعلاها أعيدوا فيها.

﴿والسارق والسارقة فاقطعوا أيديهما﴾ هي في قراءة ابن مسعود: «فاقطعوا أيمانهما» ﴿جزاءً بما كسبا﴾ (ل٨٣) بما عملا ﴿نكالًا من اللَّه﴾ يعني: عقوبةً.

يحيى: عن المُعَلَّى، عن عبد الرحمن بن آدم، عن محمد بن المنكدر قال: «قطع رسولُ اللَّه يد سارق من الكوع وحَسَمَهَا[1]».

يحيى: عن النضر بن مَعْبد[2]، عن أبي قلابة قال: «مُرَّ على أبي الدرداء برجل قد أُخذ في حدٍّ فسبوه، فقال: لا تسبوه! ولكن احمدوا اللَّه الذي نجاكم»[3].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ لَا يَحْزُنكَ ٱلَّذِينَ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْكُفْرِ مِنَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا بِأَفْوَٰهِهِمْ وَلَمْ تُؤْمِن قُلُوبُهُمْۛ وَمِنَ ٱلَّذِينَ هَادُوا۟ۛ سَمَّٰعُونَ لِلْكَذِبِ سَمَّٰعُونَ لِقَوْمٍ ءَاخَرِينَ لَمْ يَأْتُوكَۖ يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ مِنۢ بَعْدِ مَوَاضِعِهِۦۖ يَقُولُونَ إِنْ أُوتِيتُمْ هَٰذَا فَخُذُوهُ وَإِن لَّمْ تُؤْتَوْهُ فَٱحْذَرُوا۟ۚ وَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ فِتْنَتَهُۥ فَلَن تَمْلِكَ لَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔاۚ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَمْ يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يُطَهِّرَ قُلُوبَهُمْۚ لَهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا خِزْىٌۖ وَلَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ

---

(١) أي: كواها؛ لئلا يسيل منها الدم. لسان العرب (حسم).

(٢) في «ر»: النضر بن سعيد.

(٣) رواه عبد الرزاق في جامع معمر (١١/ ١٨٠ رقم ٢٠٢٦٧) وأبو نعيم في الحلية (١/ ٢٢٥) والبيهقي في الشعب (٥/ ٢٩٠-٢٩١ رقم ٦٦٩١) من طريق أبي قلابة.

عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٤١﴾﴾

﴿يا أيها الرسول لا يحزنك الذين يسارعون في الكفر من الذين قالوا آمنا بأفواههم ولم تؤمن قلوبهم﴾ وهم المنافقون يقول: لا يحزنك كفرهم، فإن ذلك لا يضرك، إنما ضره عليهم.

ثم قال: ﴿ومن الذين هادوا سمَّاعون للكذب سمَّاعون لقوم آخرين لم يأتوك يحرفون الكلم من بعد مواضعه يقولون﴾ أي: يقول الذين لم يأتوك ﴿إن أوتيتم هذا فخذوه وإن لم تؤتوه فاحذورا ومن يرد اللَّه فتنته﴾ يعني: ضلالته. إلى قوله: ﴿لهم في الدنيا خزي﴾ يعني: الجزية.

قال قتادة: وكان هذا في قتيل من بني قريظة، قتلته النضير، وكان قتيل عمد، وكان النضير إذا قتلت من قريظة قتيلًا لم يعطوهم القود[1] ويعطوهم الدية، وإذا قتلت قريظة من النضير قتيلًا لم يرضوا دون القود؛ فكانوا على ذلك حتى قدم نبي اللَّه المدينة بأثر قتيلهم؛ فأرادوا أن يرفعوا ذلك إليه ليحكم بينهم، فقال لهم رجل من المنافقين: إن قتيلكم قتيل عمد، وإنكم متى ترفعوه إلى محمدٍ أخشى عليكم القود؛ فإن قبل منكم الدية وإلا فكونوا منه على حذَر، فأنزل اللَّه هذه الآية.

﴿سَمَّٰعُونَ لِلْكَذِبِ أَكَّٰلُونَ لِلسُّحْتِۚ فَإِن جَآءُوكَ فَٱحْكُم بَيْنَهُمْ أَوْ أَعْرِضْ عَنْهُمْۖ وَإِن تُعْرِضْ عَنْهُمْ فَلَن يَضُرُّوكَ شَيْـًٔاۖ وَإِنْ حَكَمْتَ فَٱحْكُم بَيْنَهُم بِٱلْقِسْطِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ﴿٤٢﴾ وَكَيْفَ يُحَكِّمُونَكَ وَعِندَهُمُ ٱلتَّوْرَىٰةُ فِيهَا حُكْمُ ٱللَّهِ ثُمَّ يَتَوَلَّوْنَ مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَۚ وَمَآ أُو۟لَـٰٓئِكَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٣﴾﴾

(١) القود: القصاص. لسان العرب (قود).

ثم قال: ﴿سماعون للكذب أكَّالون للسحت﴾ يعني: [اليهود][١] والسحت الرُّشا[٢].

﴿فإن جاءوك فاحكم بينهم...﴾ الآية. قال قتادة: رُخص له في هذه الآية أن يحكم بينهم، أو يعرض عنهم، ثم نسخ ذلك بعد؛ فقال: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ ۖ فَٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ﴾[٣] فنسخت هذه الآية الآية الأولى[٤].

قال محمد: معنى قوله: ﴿سمَّاعون للكذب﴾ أي: قائلون له، ومعنى ﴿من بعد مواضعه﴾ من بعد أن وضعه الله موضعه؛ فأحلَّ حلاله، وحرَّم حرامه.

﴿وكيف يحكِّمونك وعندهم التوراة فيها حكم الله...﴾ الآية. قال قتادة: يعني: عندهم بيان ما تشاجروا[٥] فيه من شأن قتيلهم؛ أي: إن في التوراة أن النفس بالنفس.

﴿إِنَّآ أَنزَلْنَا ٱلتَّوْرَىٰةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ ۚ يَحْكُمُ بِهَا ٱلنَّبِيُّونَ ٱلَّذِينَ أَسْلَمُوا۟ لِلَّذِينَ هَادُوا۟ وَٱلرَّبَّٰنِيُّونَ وَٱلْأَحْبَارُ بِمَا ٱسْتُحْفِظُوا۟ مِن كِتَٰبِ ٱللَّهِ وَكَانُوا۟ عَلَيْهِ شُهَدَآءَ ۚ فَلَا

---

(١) بياض بالأصل، والمثبت من «ر».

(٢) الرشا: جمع رشوة، وهي ما يعطى لقضاء حاجة أو مصلحة، أو ما يعطى لإحقاق باطل وإبطال حق. لسان العرب، المعجم الوسيط (رشو).

(٣) المائدة: ٤٨ .

(٤) ينظر: الناسخ والمنسوخ (٤١، ٤٢).
وذهب جماعة من العلماء إلى أن هذه الآية محكمة غير منسوخة؛ وهو مروي عن عطاء وسعيد بن جبير والزهري وغيرهم، قال الطبري في تفسيره (٦/ ٢٤٦): وأولى القولين في ذلك عندي بالصواب قول من قال إن حكم هذه الآية ثابت لم ينسخ. اهـ. وقال ابن الجوزي في نواسخ القرآن (٣٧٨): وهو الصحيح.

(٥) تشاجروا: اختلفوا وتنازعوا . لسان العرب (شجر).

تَخْشَوُا النَّاسَ وَاخْشَوْنِ وَلَا تَشْتَرُوا بِآيَاتِي ثَمَنًا قَلِيلًا وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ ﴿٤٤﴾ وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَا أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ وَالْعَيْنَ بِالْعَيْنِ وَالْأَنفَ بِالْأَنفِ وَالْأُذُنَ بِالْأُذُنِ وَالسِّنَّ بِالسِّنِّ وَالْجُرُوحَ قِصَاصٌ فَمَن تَصَدَّقَ بِهِ فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَّهُ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴿٤٥﴾﴾

﴿إنا أنزلنا التوراة فيها هدى ونور يحكم بها النبيون الذين أسلموا﴾ أي: يحكم بها النبيون المسلمون ﴿للذين هادوا والربانيون والأحبار﴾ قال قتادة: الربانيون: فقهاء اليهود، والأحبار: علماؤهم.

قال محمد: وقيل: الربانيون: العُبَّادُ.

﴿فلا تخشوا الناس﴾ في إقامة الحدود على أهلها مَنْ كانوا ﴿واخشون﴾ في ترك إقامتها.

﴿ولا تشتروا بآياتي ثمنًا قليلًا ومن لم يحكم بما أنزل الله﴾ قال الحسن: يقول: من لم يتخذ ما أنزل الله دينًا ويقر به ﴿فأولئك هم الكافرون﴾.

﴿وكتبنا عليهم فيها﴾ يريد: التوراة ﴿أن النفس بالنفس...﴾ إلى قوله: ﴿والجروح قصاص﴾ وهذه الآية مفروضة على هذه الأمة، وكل ما ذكر الله في القرآن؛ أنه أنزله في الكتاب الأول، ثم لم ينسخه بالقرآن فهو ثابت يُعْمَلُ به(١).

﴿فمن تصدّق به فهو كفّارةٌ له﴾ قال قتادة: يعني: كفارة لِذَنْبِهِ.

يحيى: عن المعَلَّى، عن أبان، عن الشعبي، عن رجل من الأنصار قال: «سئل رسول الله ﷺ عن قوله عز وجل: ﴿فمن تصدق به فهو كفارة له﴾

---

(١) مسألة متى يكون شرع من كان قبلنا شرعًا لنا مبسوطة في كتب الأصول، تراجع في محلها.

قال: هو الرجل تُكسَر سِنُّه، أو يجرح في جسده؛ فيعفو فيُحط عنه من خطاياه بقدر ما عفا عنه؛ إن كان نصف الدية فنصف خطاياه، وإن كان ربع الدية فربع خطاياه، وإن كان ثلث (ل٨٤) الدية فثلث خطاياه، وإن كانت الدية كلها فخطاياه كلها»[١].

﴿وَقَفَّيْنَا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم بِعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ ۖ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْإِنجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٤٦﴾ وَلْيَحْكُمْ أَهْلُ ٱلْإِنجِيلِ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فِيهِ ۚ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٤٧﴾﴾

﴿وقفَّينا على آثارهم بعيسى ابن مريم...﴾ إلى قوله: ﴿فأولئك هم الفاسقون﴾ الفِسْقُ ها هنا: الشرك.

قال محمد: ومعنى ﴿قفَّينا﴾: أتبعنا، والمصدر منه: تقفية[٢].

﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ ۖ فَٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ عَمَّا جَآءَكَ مِنَ ٱلْحَقِّ ۚ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا ۚ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَلَٰكِن لِّيَبْلُوَكُمْ فِى مَآ ءَاتَىٰكُمْ ۖ فَٱسْتَبِقُوا۟ ٱلْخَيْرَٰتِ ۚ إِلَى ٱللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿٤٨﴾ وَأَنِ ٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ وَٱحْذَرْهُمْ أَن يَفْتِنُوكَ عَنۢ بَعْضِ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ ۖ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَٱعْلَمْ أَنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُصِيبَهُم بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ ۗ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ لَفَٰسِقُونَ ﴿٤٩﴾ أَفَحُكْمَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ يَبْغُونَ ۚ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿٥٠﴾﴾

---

(١) رواه ابن مردويه في تفسيره -كما في تفسير ابن كثير (٢/ ٦٣-٦٤)- من طريق المعلى- وهو ابن هلال- به.

(٢) ينظر: لسان العرب، القاموس المحيط، مختار الصحاح (قفو).

﴿وأنزلنا إليك الكتاب بالحق مصدقًا لما بين يديه من الكتاب﴾ يعني: التوراة والإنجيل ﴿ومهيمنًا عليه﴾ قال عبد اللَّه بن الزُّبَيْر: المُهَيْمِنُ: القاضي على ما قَبْلَه من الكُتُب.

﴿لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجًا﴾ قال قتادة: للتوراة شريعة، وللإنجيل شريعة، وللقرآن شريعة؛ أحل اللَّه فيها ما شاء، وحرَّم ما شاء ﴿ولو شاء اللَّه لجعلكم أمة واحدة﴾ يعني: ملَّة واحدة ﴿ولكن ليبلوكم﴾ ليختبركم ﴿فيما آتاكم﴾ فيما أعطاكم من الكتاب والسُّنَّة .

﴿واحذرهم أن يفتنوك﴾ أي: يصدوك ﴿عن بعض ما أنزل اللَّه إليك فإن تولوا﴾ يعني: اليهود، عن بعض ما أنزل اللَّه إليك ﴿فاعلم أنما يريد اللَّه أن يصيبهم ببعض ذنوبهم﴾ فيقتلوهم ويجليهم وتؤخذُ منهم الجزية بالصَّغَار[1] والذل.

﴿وإن كثيرًا من الناس لفاسقون﴾ يعني: اليهود وغيرهم من الكفار. ثم قال عز وجل: ﴿أفحكم الجاهلية يبغون﴾ وهو ما خالف كتاب اللَّه وحُكْمَهُ.

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلْيَهُودَ وَٱلنَّصَـٰرَىٰٓ أَوْلِيَآءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُۥ مِنْهُمْ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿٥١﴾ فَتَرَى ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ يُسَـٰرِعُونَ فِيهِمْ يَقُولُونَ نَخْشَىٰٓ أَن تُصِيبَنَا دَآئِرَةٌ فَعَسَى ٱللَّهُ أَن يَأْتِىَ بِٱلْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِّنْ عِندِهِۦ فَيُصْبِحُواْ عَلَىٰ مَآ أَسَرُّواْ فِىٓ أَنفُسِهِمْ نَـٰدِمِينَ ﴿٥٢﴾ وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَهَـٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ أَقْسَمُواْ بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَـٰنِهِمْ إِنَّهُمْ لَمَعَكُمْ حَبِطَتْ أَعْمَـٰلُهُمْ فَأَصْبَحُواْ خَـٰسِرِينَ ﴿٥٣﴾﴾

﴿يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء﴾ أي: في الدين ﴿ومن يتولهم منكم﴾ في الدين ﴿فإنه منهم﴾ .

---

(١) أي: الذِّلَّة والمهانة. لسان العرب (صغر).

﴿فترى الذين في قلوبهم مرض﴾ يعني: المنافقين ﴿يسارعون فيهم﴾ في أهل الكتاب؛ أي: يوافقونهم في السر ﴿يقولون نخشى أن تصيبنا دائرة﴾ فينصروا علينا؛ فنكون قد (أخذنا)[١] بيننا وبينهم مودة. قال اللَّه: ﴿فعسى اللَّه أن يأتي بالفتح أو أمر من عنده...﴾ الآية.

قال الكلبي: فجاء اللَّه بالفتح؛ فنصر نبيَّه، وجاء أمر اللَّه من عنده بإجلاء بني النضير، وقتل بني قريظة، وسَبْي ذراريهم[٢]؛ فندم المنافقون حتى ظهر نفاقهم، وأُجْلِيَ أهلُ وُدِّهم عن أرضهم، فعند ذلك قال الذين آمنوا بعضهم لبعض: ﴿أهؤلاء الذين أقسموا باللَّه جهد أيمانهم إنهم لمعكم...﴾الآية.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَسَوْفَ يَأْتِى ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ يُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَآئِمٍ ۚ ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٥٤﴾ إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُمْ رَٰكِعُونَ ﴿٥٥﴾ وَمَن يَتَوَلَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فَإِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ ﴿٥٦﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ دِينَكُمْ هُزُوًا وَلَعِبًا مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ وَٱلْكُفَّارَ أَوْلِيَآءَ ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٥٧﴾﴾

﴿أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين﴾ هو كقوله: ﴿أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ﴾[٣].

﴿إنما وليكم اللَّه ورسوله والذين آمنوا...﴾ الآية. قال الكلبي: بلغنا «أنَّ

---

(١) في «ر»: اتخذنا.
(٢) أي: سبي نسائهم وصغارهم. لسان العرب (ذرر).
(٣) سورة الفتح: ٢٩ .

عبد اللَّه بن سلام ورهطًا[١] من مسلمي أهل الكتاب أتوا النبي عند صلاة الظهر، فقالوا: يا رسول اللَّه، بيوتنا قاصية[٢]، ولا نجد متحدَّثًا دون المسجد، وإن قومنا لما رأونا أننا قد صدقنا اللَّه ورسوله وتركناهم ودينَهُمْ أظهروا لنا العداوة، وأقسموا ألا يخالطونا ولا يجالسونا، فشق ذلك علينا. فبينما هم [كذلك][٣] يشكون ذلك إلى النبي؛ إذ نزلت هذه الآية على النبي عليه السلام فلما اقترأها رسول اللَّه، قالوا: رضينا باللَّه وبرسوله والمؤمنين أولياء، وأذن بلال بالصلاة فخرج رسول اللَّه عليه السلام والناس يصلون بين قائم وراكع وساجد، وإذا هو بمسكين يسأل، فدعاه رسول اللَّه؛ فقال له: هل أعطاك أحدٌ شيئًا؟ قال: نعم. قال: ماذا؟ قال: خاتمٌ من فضة. قال: من أعطاكه؟ قال: ذلك الرجل القائم، فإذا هو عليٌّ. قال: على أي حال أعطاكه؟ قال: أعطانيه وهو راكع [فزعموا أن][٤] رسول اللَّه كبَّر عند ذلك»[٥] .

﴿وَإِذَا نَادَيْتُمْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ ٱتَّخَذُوهَا هُزُوًا وَلَعِبًا ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْقِلُونَ (٥٨) قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ هَلْ تَنقِمُونَ مِنَّآ إِلَّآ أَنْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلُ وَأَنَّ أَكْثَرَكُمْ فَٰسِقُونَ (٥٩) قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُم بِشَرٍّ مِّن ذَٰلِكَ مَثُوبَةً عِندَ ٱللَّهِ مَن لَّعَنَهُ ٱللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمُ ٱلْقِرَدَةَ وَٱلْخَنَازِيرَ وَعَبَدَ ٱلطَّٰغُوتَ أُوْلَٰٓئِكَ شَرٌّ مَّكَانًا وَأَضَلُّ عَن سَوَآءِ ٱلسَّبِيلِ (٦٠)﴾

﴿وإذا ناديتم إلى الصلاة اتخذوها هزوًا ولعبًا﴾ قال [الكلبي][٤]: كان إذا

---

(١) أي: الجماعة من ثلاثة أو سبعة إلى عشرة، أو ما دون العشرة والجمع: أرهط وأرهاط. لسان العرب (رهط).

(٢) أي: بعيدة. لسان العرب (قصو).

(٣) سقط من الأصل. والمثبت من «ر».

(٤) بياض بالأصل، والمثبت من «ر».

(٥) عزاه السيوطي في الدر المنثور (٢/ ٣٢٢-٣٢٣) لابن مردويه.

نادى منادي رسول اللَّه للصلاة، قالت اليهود والمشركون: قد قاموا لا قاموا. وإذا ركعوا وسجدوا (استهزءوا)[١] بهم وضحكوا؛ فقال اللَّه لنبيه: ﴿قل يا أهل الكتاب هل تنقمون منا إلا أن آمنا باللَّه وما أنزل إلينا وما أنزل من قبل وأن أكثركم فاسقون﴾، أي: بفسقكم نقمتم ذلك علينا، ثم قال: ﴿هل أنبئكم بشر من ذلك مثوبة﴾ [يعني: ثوابًا][٢] ﴿عند اللَّه من لعنه اللَّه وغضب عليه وجعل منهم القردة والخنازير وعبد الطاغوت﴾ قال الحسن: يقول: جعل اللَّه ذلك منهم (ل٨٥) بما عبدوا الطاغوت؛ يعني: الشيطان.

﴿أولئك شرٌّ مكانًا﴾ في الآخرة ﴿وأضل عن سواء السبيل﴾ يعني: عن قَصْد طريق الهدى.

قال محمد: وقيل: إن ﴿عبد الطاغوت﴾ نسقٌ[٣] على قوله: ﴿لعنه اللَّه وغضب عليه﴾[٤].

﴿وَإِذَا جَآءُوكُمْ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا وَقَد دَّخَلُواْ بِٱلْكُفْرِ وَهُمْ قَدْ خَرَجُواْ بِهِۦ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا كَانُواْ يَكْتُمُونَ ﴿٦١﴾ وَتَرَىٰ كَثِيرًا مِّنْهُمْ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ وَأَكْلِهِمُ ٱلسُّحْتَ لَبِئْسَ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿٦٢﴾ لَوْلَا يَنْهَىٰهُمُ ٱلرَّبَّٰنِيُّونَ وَٱلْأَحْبَارُ عَن قَوْلِهِمُ ٱلْإِثْمَ وَأَكْلِهِمُ ٱلسُّحْتَ لَبِئْسَ مَا كَانُواْ يَصْنَعُونَ ﴿٦٣﴾ وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ يَدُ ٱللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُواْ بِمَا قَالُواْ بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَآءُ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم مَّآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ طُغْيَٰنًا وَكُفْرًا وَأَلْقَيْنَا بَيْنَهُمُ ٱلْعَدَٰوَةَ

(١) في «ر»: استهزاء.
(٢) سقط من الأصل. والمثبت من «ر».
(٣) أي: عَطْفٌ.
(٤) وفيه أقوال نحوية أخرى: ينظر إعراب القرآن (١/ ٥٠٧)، مجمع البيان (٢/ ٢١٥)، البحر المحيط (٣/ ٥١٩-٥٢٠).

وَٱلْبَغْضَآءَ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ كُلَّمَآ أَوْقَدُواْ نَارًا لِّلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا ٱللَّهُ وَيَسْعَوْنَ فِى ٱلْأَرْضِ فَسَادًا وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٦٤﴾﴾

﴿وإذا جاءوكم قالوا آمنا وقد دخلوا بالكفر وهم قد خرجوا به﴾ قال الكلبي: هؤلاء منافقو أهل الكتاب، كانوا إذا دخلوا على رسول اللَّه، قالوا: آمنا، وقد دخلوا حين دخلوا على النبي كفَّارًا، وخرجوا من عنده وهم كفَّارٌ ولم ينتفعوا بما سمعوا منه بشيء؛ وهم من اليهود.

قال: ﴿واللَّه أعلم بما كانوا يكتمون﴾ كانوا يكتمون دين اليهودية ﴿وترى كثيرًا منهم﴾ يعني: اليهود ﴿يسارعون في الإثم والعدوان﴾ يعني: المعصية والظلم ﴿وأكلهم السحت﴾ قال الحسن: [هو][١] أخذ الرشوة على الحكم ﴿لبئس ما كانوا يعملون﴾ يعني: حُكَّامَهُم ﴿لولا ينهاهم الربانيون والأحبار...﴾ إلى قوله: ﴿لبئس ما كانوا يصنعون﴾ أي: حين يسارعون في الإثم والعدوان، وأكلهم السحت، وبئس ما صنع الربانيون والأحبار حين لم ينهوهم عن ذلك.

﴿وقالت اليهود يدُ اللَّه مغلولة﴾ قال الكلبي: كانوا من أخصب[٢] الناس وأكثرهم خيرًا، فلما عصوا اللَّه، وبدَّلوا نعمة اللَّه كفرًا -كفَّ اللَّه عنهم بعض الذي كان بسط لهم؛ فعند ذلك قالت اليهود: كفَّ اللَّه يده عنا، فهي مغلولةٌ؛ أي: لا يبسطها علينا.

قال اللَّه: ﴿غُلَّتْ أيديهم ولُعِنوا بما قالوا بل يداه مبسوطتان ينفق كيف يشاء وليزيدنَّ كثيرًا منهم ما أنزل إليك من ربك طغيانًا وكفرًا﴾ وهم اليهود.

---

(١) في الأصل: فهو. والمثبت من «ر».

(٢) أي: من أكثرهم نماءً وبركةً ورغد عيش. لسان العرب (خصب).

قال قتادة: حملهم حسَدُ محمدٍ والعرب على أن كفروا به، وهم يجدونه مكتوبًا عندهم.

﴿كلما أوقدوا نارًا للحرب﴾ لحرب رسول اللَّه ﴿أطفأها اللَّه﴾ يعني: أذلَّهم اللَّه، ونَصَرَه عليهم.

﴿ويسعون في الأرض فسادًا﴾ أي: يدعون فيها إلى خِلاف دين اللَّه، وهم يعلمون ذلك .

﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّقَوْا۟ لَكَفَّرْنَا عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ وَلَأَدْخَلْنَٰهُمْ جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ﴿٦٥﴾ وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا۟ ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِم مِّن رَّبِّهِمْ لَأَكَلُوا۟ مِن فَوْقِهِمْ وَمِن تَحْتِ أَرْجُلِهِم ۚ مِّنْهُمْ أُمَّةٌ مُّقْتَصِدَةٌ ۖ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ سَآءَ مَا يَعْمَلُونَ ﴿٦٦﴾﴾

﴿ولو أنَّ أهل الكتاب آمنوا واتقوا﴾ قال قتادة: يقول: لو آمنوا بما أنزل اللَّه واتقوا ما حرَّم عليهم ﴿لكفرنا عنهم سيئاتهم...﴾ الآية.

﴿ولو أنهم أقاموا التوراة والإنجيل وما أنزل إليهم من ربهم لأكلوا من فوقهم ومن تحت أرجلهم﴾.

قال قتادة: يعني: لأعطتهم السماء مطرها[1]، والأرض نباتها. وإقامتهم التوارة والإنجيل: أن يؤمنوا بمحمد؛ لأنهم قد أمروا بذلك.

قوله: ﴿منهم أمة مقتصدة﴾ أي: متَّبِعة؛ يعني: من آمن من أهل الكتاب برسول اللَّه، وبما جاء به ﴿وكثير منهم ساء ما﴾ بئس ما ﴿يعملون﴾ يعني: من ثبت منهم على اليهودية والنصرانية.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ۖ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُۥ ۚ وَٱللَّهُ

---

(١) في «ر»: قطرها.

يَعۡصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴿٦٧﴾ قُلۡ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لَسۡتُمۡ عَلَىٰ شَيۡءٍ حَتَّىٰ تُقِيمُواْ ٱلتَّوۡرَىٰةَ وَٱلۡإِنجِيلَ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡكُم مِّن رَّبِّكُمۡۗ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرٗا مِّنۡهُم مَّآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَ طُغۡيَٰنٗا وَكُفۡرٗاۖ فَلَا تَأۡسَ عَلَى ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴿٦٨﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلصَّٰبِـُٔونَ وَٱلنَّصَٰرَىٰ مَنۡ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَعَمِلَ صَٰلِحٗا فَلَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ﴿٦٩﴾ ﴾

﴿يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك...﴾ الآية.

يحيى: عن أبي أمية، عن الحسن «أن رسول اللَّه عليه السلام شكا إلى ربه من قومه؛ فقال: يا رب، إن قومي قد خوَّفوني، فأعطني من قبلك آيةً أعلم أن لا مخافة عليَّ. فأوحى اللَّه إليه أن يأتي وادي كذا فيه شجرة كذا، [فليدع][1] غصنًا منها يأته، فانطلق إلى الوادي، فدعا غصنًا منها فجاء يخط في الأرض خطًّا[2] حتى انتصب بين يديه فحبسه ما شاء اللَّه أن يحبسه، ثم قال: ارجع كما جئت. فرجع؛ فقال رسول اللَّه: علمت يا رب أن لا مخافة عليَّ»[3].

﴿إن الذين آمنوا والذين هادوا والصابئون والنصارى من آمن منهم باللَّه واليوم الآخر﴾ يعني: من آمن منهم بمحمدٍ، ودخل في دينه وشريعته.

قال محمد: اختلف القول في رفع ﴿الصابئون﴾ والأجود أنه محمول على التأخير، ومرفوع بالابتداء، المعنى: إن الذين آمنوا والذين هادوا من آمن باللَّه واليوم الآخر وعمل صالحًا -فلا خوف عليهم، (ل٨٦) والصابئون والنصارى

(١) في الأصل: فيدع. والمثبت من «ر» وهو الصواب.
(٢) أي: يحفر الأرض ويشقها. ينظر لسان العرب (خطط).
(٣) لم أقف عليه بهذا السياق.

كذلك أيضًا(١).

﴿لَقَدْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَأَرْسَلْنَآ إِلَيْهِمْ رُسُلًاۖ كُلَّمَا جَآءَهُمْ رَسُولُۢ بِمَا لَا تَهْوَىٰٓ أَنفُسُهُمْ فَرِيقًا كَذَّبُوا۟ وَفَرِيقًا يَقْتُلُونَ ﴿٧٠﴾ وَحَسِبُوٓا۟ أَلَّا تَكُونَ فِتْنَةٌ فَعَمُوا۟ وَصَمُّوا۟ ثُمَّ تَابَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ ثُمَّ عَمُوا۟ وَصَمُّوا۟ كَثِيرٌ مِّنْهُمْۚ وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِمَا يَعْمَلُونَ ﴿٧١﴾﴾

﴿لقد أخذنا ميثاق بني إسرائيل﴾ قد مضى تفسير أخذ الميثاق عليهم في سورة آل عمران(٢).

﴿وأرسلنا إليهم رسلًا كلما جاءهم رسول بما لا تهوى أنفسهم فريقًا كذبوا وفريقًا يقتلون﴾ يعني به: أوائلهم.

﴿وحسبوا ألا تكون فتنة﴾ تفسير الحسن: وحسبوا ألا يبتلوا في الدين يجاهدون فيه، وتفرض عليهم الطاعة بمحمد.

﴿فعموا وصمُّوا﴾ يعني: عن الهدى ﴿ثم تاب اللَّه عليهم﴾ أي: جعل لهم متابًا، فاستنقذهم بمحمد ﴿ثم عموا وصمُّوا كثير منهم﴾ يعني: من كفر منهم.

﴿لَقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَۖ وَقَالَ ٱلْمَسِيحُ يَٰبَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبَّكُمْۖ إِنَّهُۥ مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ وَمَأْوَىٰهُ ٱلنَّارُۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ ﴿٧٢﴾ لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ ثَالِثُ ثَلَٰثَةٍ

(١) وفيه أقوال نحوية أخرى تنظر من إعراب القرآن (١/ ٥٠٩-٥١٠)، مجمع البيان (٢/ ٢٢٤-٢٢٥)، البحر المحيط (٣/ ٥٣١).

(٢) انظر الكلام عليه في تفسير الآية (٨٣) سورة البقرة، والآيتين (٨١، ١٨٧) من سورة آل عمران.

وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّآ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ وَإِن لَّمْ يَنتَهُوا۟ عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٧٣﴾ أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى ٱللَّهِ وَيَسْتَغْفِرُونَهُۥ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٧٤﴾ مَّا ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ وَأُمُّهُۥ صِدِّيقَةٌ كَانَا يَأْكُلَانِ ٱلطَّعَامَ ٱنظُرْ كَيْفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ ٱلْءَايَٰتِ ثُمَّ ٱنظُرْ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٧٥﴾ قُلْ أَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا وَٱللَّهُ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٧٦﴾﴾

﴿لقد كفر الذين قالوا إن اللَّه ثالث ثلاثة﴾ قال قتادة: قالوا: عيسى إله، وأمه إله، واللَّه إله. قال اللَّه: ﴿وما من إله إلا إله واحدٌ﴾.

قوله: ﴿ما المسيح ابن مريم إلا رسول قد خلت من قبله الرسل وأمه صديقة، كانا يأكلان الطعام﴾ أي: فكيف يكونان إلهين، وهما مخلوقان يأكلان الطعام؟!

﴿انظر كيف نبين لهم الآيات ثم انظر أنى يؤفكون﴾ كيف يصرفون عنها؟ يعني: عن الآيات.

قال محمد: فِعِّيل من أبنية المبالغة[١]، وقوله: ﴿صديقة﴾ أي: مبالغة في الصدق.

وقوله: ﴿كانا يأكلان الطعام﴾ قيل: إنه من الاختصار[٢] والكناية، ونبَّه بأكل الطعام على عاقبته؛ وهو الحَدَث[٣]، واللَّه أعلم.

---

(١) أي: من أوزان صيغ المبالغة، وهي أبنية معروفة يقاس عليها ومن صيغها: فَعُول، فَعَّال، فَعِيل، مِفْعال، فعِل، فِعِّيل . . .إلخ.

(٢) أي: اختصر ما يحدث بعد الأكل من إخراج الفضلات في صورة براز أو بول.

(٣) وهو البول أو البراز.

﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَا تَغْلُوا۟ فِى دِينِكُمْ غَيْرَ ٱلْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُوٓا۟ أَهْوَآءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا۟ مِن قَبْلُ وَأَضَلُّوا۟ كَثِيرًا وَضَلُّوا۟ عَن سَوَآءِ ٱلسَّبِيلِ ﴿٧٧﴾ لُعِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُۥدَ وَعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ ۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا۟ وَّكَانُوا۟ يَعْتَدُونَ ﴿٧٨﴾ كَانُوا۟ لَا يَتَنَاهَوْنَ عَن مُّنكَرٍ فَعَلُوهُ ۚ لَبِئْسَ مَا كَانُوا۟ يَفْعَلُونَ ﴿٧٩﴾ تَرَىٰ كَثِيرًا مِّنْهُمْ يَتَوَلَّوْنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۚ لَبِئْسَ مَا قَدَّمَتْ لَهُمْ أَنفُسُهُمْ أَن سَخِطَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ وَفِى ٱلْعَذَابِ هُمْ خَٰلِدُونَ ﴿٨٠﴾ وَلَوْ كَانُوا۟ يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلنَّبِىِّ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مَا ٱتَّخَذُوهُمْ أَوْلِيَآءَ وَلَٰكِنَّ كَثِيرًا مِّنْهُمْ فَٰسِقُونَ ﴿٨١﴾﴾

﴿يا أهل الكتاب لا تغلوا في دينكم﴾ والغُلوّ: مجاوزة الحق.

﴿ولا تتبعوا أهواء قوم قد ضلوا من قبل﴾ يعني: اليهود.

﴿وأضلوا كثيرًا﴾ يعني: من اتبعَهُمْ ﴿وضلوا عن سواء السبيل﴾ يعني: عن قصد طريق الهدى.

﴿لُعن الذين كفروا من بني إسرائيل على لسان داود وعيسى ابن مريم﴾

قال قتادة: يعني: في زمان داود وعيسى ابن مريم؛ مسخوا في زمان داود قردةً حين أكلوا الحيتان، ومُسِخُوا في زمان عيسى خنازير ﴿ترى كثيرًا منهم﴾ يعني: من لم يؤمن ﴿يتولون الذين كفروا﴾ يتولَّون مشركي العرب، [وهم الذين كذبوا][1] ﴿لبئس ما قدمت لهم أنفسهم أن سخط اللَّه عليهم﴾ لأنّ سخط اللَّه عليهم.

﴿لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ ٱلنَّاسِ عَدَٰوَةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱلْيَهُودَ وَٱلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟ ۖ وَلَتَجِدَنَّ

(١) سقط من الأصل. والمثبت من «ر».

أَقْرَبَهُم مَّوَدَّةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّا نَصَٰرَىٰ ذَٰلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٨٢﴾﴾

﴿لتجدن أشدَّ الناس عداوة للذين آمنوا اليهود والذين أشركوا﴾ يعني: مشركي العرب؛ وهم الذين كانوا بحضرة النبي من المشركين يومئذ ﴿ولتجدن أقربهم مودة للذين آمنوا الذين قالوا إنَّا نصارى﴾ يعني: من آمن منهم.

﴿ذلك بأن منهم قسّيسين ورهبانًا﴾ يعني: الذين آمنوا منهم ﴿وأنهم لا يستكبرون﴾ عن عبادة الله، والإيمان بالله.

﴿وَإِذَا سَمِعُوا۟ مَآ أُنزِلَ إِلَى ٱلرَّسُولِ تَرَىٰٓ أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا۟ مِنَ ٱلْحَقِّ يَقُولُونَ رَبَّنَآ ءَامَنَّا فَٱكْتُبْنَا مَعَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٨٣﴾ وَمَا لَنَا لَا نُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَمَا جَآءَنَا مِنَ ٱلْحَقِّ وَنَطْمَعُ أَن يُدْخِلَنَا رَبُّنَا مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٨٤﴾ فَأَثَٰبَهُمُ ٱللَّهُ بِمَا قَالُوا۟ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٨٥﴾ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَكَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَآ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَحِيمِ ﴿٨٦﴾﴾

﴿وإذا سمعوا ما أُنزل إلى الرسول﴾ محمد ﴿ترى أعينهم تفيض من الدمع...﴾ إلى قوله: ﴿مع الشاهدين﴾ أي: مع من شهد بما جاء به محمد أنه حق.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُحَرِّمُوا۟ طَيِّبَٰتِ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ ﴿٨٧﴾ وَكُلُوا۟ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ حَلَٰلًا طَيِّبًا وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِىٓ أَنتُم بِهِۦ مُؤْمِنُونَ ﴿٨٨﴾﴾

﴿يا أيها الذين آمنوا لا تحرموا طيبات ما أحل الله لكم...﴾ إلى قوله:

﴿الذي أنتم به مؤمنون﴾ تفسير الحسن: «أن ثلاثة نفر من أصحاب النبي جعل أحدهم على نفسه ألا يغشى النساء[١] أبدًا، وجعل أحدهم على نفسه لا يفطر نهارًا أبدًا، وجعل أحدهم على نفسه لا ينام ليلًا أبدًا! فكان عثمان بن مظعون ممن جعل على نفسه ألا يغشى النساء؛ وكانت أمراته تأتي أزواج النبي في شارة[٢] حَسَنة وريح طيبة؛ فلما جعل عثمان على نفسه ما جعل، أتتهن في غير تلك الشَّارة؛ فأنكرن عليها؛ فقالت: إنما تصنع المرأة لزوجها؛ وإن فلانًا وفلانًا وفلانًا جعلوا على أنفسهم كذا وكذا! فلما جاء رسول اللَّه ذكرن ذلك له، فغضب وبعث إليهم، فقال: ألم أُحدثْ عنكم بكذا وكذا؟ قالوا: بلى. قال: لكني أنا أصوم وأفطر، وأقوم وأنام، وأغشى النساء وأدع؛ فمن رغب عن سنتي فليس مني (ل٨٧) فاستغفر القوم من ذلك، وراجعوا أمرهم الأول»[٣].

﴿لَا يُؤَاخِذُكُمُ ٱللَّهُ بِٱللَّغْوِ فِىٓ أَيْمَٰنِكُمْ وَلَٰكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا عَقَّدتُّمُ ٱلْأَيْمَٰنَ فَكَفَّٰرَتُهُۥٓ إِطْعَامُ عَشَرَةِ مَسَٰكِينَ مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعِمُونَ أَهْلِيكُمْ أَوْ كِسْوَتُهُمْ أَوْ تَحْرِيرُ رَقَبَةٍ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَٰثَةِ أَيَّامٍ ذَٰلِكَ كَفَّٰرَةُ أَيْمَٰنِكُمْ إِذَا حَلَفْتُمْ وَٱحْفَظُوٓاْ أَيْمَٰنَكُمْ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٨٩﴾﴾

﴿لا يؤاخذكم اللَّه باللغو في أيمانكم﴾ تفسير الحسن وقتادة: قالا: هو الخطأ غير العمد؛ وذلك أن تحلف على الشيء وأنت ترى أنه كذلك، فلا

---

(١) أي: الوطء والجماع. لسان العرب (غشى).

(٢) أي: علامة وهيئة. لسان العرب (شير).

(٣) روى البخاري (٩/ ٥-٦ رقم ٥٠٦٣) ومسلم (٢/ ١٠٢٠ رقم ١٤٠١) عن أنس نحو هذه القصة، دون تسمية عثمان بن مظعون.

وورد تسمية عثمان بن مظعون في عدة روايات، انظر الدر المنثور (٢/ ٣٣٧-٣٤٠).

يكون كما حلفت عليه ﴿ولكن يؤاخذكم بما عقدتم الأيمان﴾ أي: ما حلفتم فيه متعمدين.

﴿فكفارته إطعام عشرة مساكين من أوسط ما تطعمون أهليكم﴾ قال مجاهد: أوسط ما تطعم أهلك: أشْبَعُه ﴿أو كسوتهم أو تحرير رقبة﴾ فإن شاء أعتق رقبةً كبيرة، وإن شاء صغيرة. وكل شيء في القرآن (أو) فهو فيه مخيَّرٌ؛ يفعل أيَّ ذلك شاء ﴿فمن لم يجد﴾ أي: فمن لم يجد من هذه الثلاثة الأشياء من: الطعام، أو الكسوة، أو العتق ﴿فصيام ثلاثة أيام﴾ قال قتادة: وهي في قراءة ابن مسعود (فصيام ثلاثة أيام متتابعات)[1].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلۡخَمۡرُ وَٱلۡمَيۡسِرُ وَٱلۡأَنصَابُ وَٱلۡأَزۡلَٰمُ رِجۡسٞ مِّنۡ عَمَلِ ٱلشَّيۡطَٰنِ فَٱجۡتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ﴿٩٠﴾ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱلشَّيۡطَٰنُ أَن يُوقِعَ بَيۡنَكُمُ ٱلۡعَدَٰوَةَ وَٱلۡبَغۡضَآءَ فِي ٱلۡخَمۡرِ وَٱلۡمَيۡسِرِ وَيَصُدَّكُمۡ عَن ذِكۡرِ ٱللَّهِ وَعَنِ ٱلصَّلَوٰةِۖ فَهَلۡ أَنتُم مُّنتَهُونَ ﴿٩١﴾﴾

﴿يا أيها الذين آمنوا إنما الخمر والميسر﴾ يعني: القمار كله ﴿والأنصاب﴾ وهي أصنامهم التي كانوا يعبدون من دون الله ﴿والأزلام﴾ القِدَاح[2] وهي السهام. قال قتادة: كان الرجل إذا أراد سفرًا أخذ قِدْحَيْن؛ فقال: هذا يأمره بالخروج وهو مصيبٌ في سفره خيرًا، ويأخذ قِدْحًا آخر، فيقول: هذا يأمره بالمكوث، وليس بمصيب في سفره خيرًا، مكتوبٌ عليهما هذا، والمنيحُ[3] بينهما، فأيهما خرج عمل به، فَنَهى عن ذلك.

---

(١) وهي قراءة أبيّ، والنخعي. ينظر: البحر المحيط (٤/ ١٢) معاني القرآن للفراء (١/ ٣١٨).

(٢) مفردها: قِدْح، وهو قطعة من الخشب تُعرَّض قليلًا وتسوَّى، وتخطّ فيها حزوز بعدد معين. ينظر لسان العرب، المعجم الوسيط (قدح).

(٣) هو اسم سهم من سهام الأزلام لا يأمره بالخروج، ولا بالمكوث. ينظر: لسان العرب (منح).

قال محمد: المنيح: سهم ليس عليه كتاب؛ فإذا خرج أعاد الضرب.

يقال: يسرت، إذا ضربت بالقداح، والضارب بها: ياسر[١] [والجميع: يُسُر وأَيْسَار][٢].

قوله: ﴿رجسٌ من عمل الشيطان...﴾ إلى قوله: ﴿فهل أنتم منتهون﴾ فجاء تحريم الخمر في هذه الآية قليلها وكثيرها، ما أسكر منها وما لم يُسْكِرْ.

قال محمد: الرِّجس في اللغة: اسمٌ لكل ما استقذر[٣]، ويقال: رجس الرجل يرجس[٤]؛ إذا عمل عملًا قبيحًا.

يحيى: عن محمد بن أبي حميد، عن محمد بن المُنْكَدر قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «من شرب الخمر، ثم لم يسكَرْ أعرض اللَّه عنه أربعين ليلةً، ومن شرب الخمر ثم سكر لم يقبل اللَّه منه صَرْفًا ولا عَدْلًا[٥] أربعين ليلة؛ فإن مات فيها مات كعابد الأوثان، وكان حقًّا على اللَّه أن يسقيه يوم القيامة من طينة الخَبَالِ. قيل: يا رسول اللَّه، وما طينة الخبال؟ قال: عصارة أهل النار في النار: القيح والدم»[٦].

---

(١) ينظر: لسان العرب، القاموس المحيط، مختار الصحاح (يسر).
(٢) سقط من الأصل. والمثبت من «ر».
(٣) ينظر: لسان العرب، القاموس المحيط ، المصباح المنير (رجس).
(٤) يقال منه: رَجِسَ يَرْجَسُ رَجَسًا ورَجَاسَة فهو رَجِسٌ، وهي رَجِسَةٌ، ويقال: رَجُسَ يَرْجُسُ رَجَاسةً. لسان العرب (رجس).
(٥) الصرف: التوبة، وقيل: النافلة. والعدل: الفدية، وقيل: الفريضة.
ينظر لسان العرب (صرف، عدل) النهاية في غريب الحديث (٣/ ٢٤).
(٦) لم أجده من هذا الطريق المرسل، ورواه مسلم (٣/ ١٥٨٧رقم٢٠٠٢) عن جابر مختصرًا.
ورواه الإمام أحمد (٢/ ١٧٦، ١٨٩) والنسائي (٨/ ٧٢٠ رقم ٥٦٨٦) وابن ماجه (٢/ ١١٢٠-١١٢١ رقم ٣٣٧٧) وابن حبان (١٢/ ١٨٠ رقم ٥٣٥٧) والحاكم (٤/ ١٤٥-١٤٦) عن عبد اللَّه بن عمرو بنحوه . وقال الحاكم : صحيح الإسناد ولم يخرجاه.

﴿وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَٱحۡذَرُواْۚ فَإِن تَوَلَّيۡتُمۡ فَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّمَا عَلَىٰ رَسُولِنَا ٱلۡبَلَٰغُ ٱلۡمُبِينُ ﴿٩٢﴾ لَيۡسَ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جُنَاحٞ فِيمَا طَعِمُوٓاْ إِذَا مَا ٱتَّقَواْ وَّءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ ثُمَّ ٱتَّقَواْ وَّءَامَنُواْ ثُمَّ ٱتَّقَواْ وَّأَحۡسَنُواْۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴿٩٣﴾﴾

﴿ليس على الذين آمنوا وعملوا الصالحات جناح فيما طعموا إذا ما اتقوا﴾ يعني: شربوا من الخمر قبل أن تُحَرَّم.

قال الحسن: لما نزل تحريم الخمر، قالوا: كيف بإخواننا الذين ماتوا وهي في بطونهم وقد أخبر اللَّه أنها رجسٌ؟ فأنزل اللَّه: ﴿ليس على الذين آمنوا وعملوا الصالحات جناحٌ﴾ [إثم][1] ﴿فيما طعموا إذا ما اتقوا﴾ شربها ﴿وآمنوا﴾ (من غير أن يعلموا)[2] بتحريمها ﴿وعملوا الصالحات ثم اتقوا﴾ شربها ﴿وأحسنوا﴾ العمل بعد تحريمها فلم يشربوها؛ فمن فعل ذلك فهو محسنٌ ﴿والله يحب المحسنين﴾ الذين يأخذون بالسُّنَّة.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَيَبۡلُوَنَّكُمُ ٱللَّهُ بِشَيۡءٖ مِّنَ ٱلصَّيۡدِ تَنَالُهُۥٓ أَيۡدِيكُمۡ وَرِمَاحُكُمۡ لِيَعۡلَمَ ٱللَّهُ مَن يَخَافُهُۥ بِٱلۡغَيۡبِۚ فَمَنِ ٱعۡتَدَىٰ بَعۡدَ ذَٰلِكَ فَلَهُۥ عَذَابٌ أَلِيمٞ ﴿٩٤﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَقۡتُلُواْ ٱلصَّيۡدَ وَأَنتُمۡ حُرُمٞۚ وَمَن قَتَلَهُۥ مِنكُم مُّتَعَمِّدٗا فَجَزَآءٞ مِّثۡلُ مَا قَتَلَ مِنَ ٱلنَّعَمِ يَحۡكُمُ بِهِۦ ذَوَا عَدۡلٖ مِّنكُمۡ هَدۡيَۢا بَٰلِغَ ٱلۡكَعۡبَةِ أَوۡ كَفَّٰرَةٞ طَعَامُ مَسَٰكِينَ أَوۡ عَدۡلُ ذَٰلِكَ صِيَامٗا لِّيَذُوقَ وَبَالَ أَمۡرِهِۦۗ عَفَا ٱللَّهُ عَمَّا سَلَفَۚ وَمَنۡ عَادَ فَيَنتَقِمُ ٱللَّهُ مِنۡهُۚ وَٱللَّهُ عَزِيزٞ ذُو ٱنتِقَامٍ ﴿٩٥﴾﴾

﴿يا أيها الذين آمنوا ليبلونكم اللَّه﴾ ليختبرنكم اللَّه ﴿بشيء من الصيد تناله أيديكم ورماحكم﴾ تفسير مجاهد قال: رماحكم أوْ نبالكم؛ تنال كبير الصيد

(١) سقط من الأصل. والمثبت من «ر».
(٢) في «ر»: أي صدقوا.

وصغيره، تناله أيديكم أخذًا ﴿ليعلم اللَّه من يخافه بالغيب﴾.

﴿فمن اعتدى بعد ذلك﴾ قال الحسن: يقول: فمن اعتدى بعد التحريم وصاد وهو محرم فله عذابٌ أليم. قال مجاهد: إن قتله ناسيًا لإحرامه غير متعمِّد لقتله فعليه الجزاء، وإن قتله متعمِّدًا وهو ذاكر لإحرامه فله عذابٌ أليم، وليس عليه جزاء.

﴿يا أيها الذين آمنوا لا تقتلوا الصَّيْد وأنتم حرم ومن قتله منكم متعمِّدًا فجزاء مثل ما قتل من النعم يحكم به ذوا عدل منكم...﴾ الآية، كان الحسن يقول: حكم (ل٨٨) الحَكَمَيْن ماضٍ أبدًا، وقد يحكم الحَكَمَان بما حكم به رسول اللَّه، ولكن لابد من أن يحكما. قال قتادة: وإذا كان صيدًا لا يبلغ النعم، حَكَما طعامًا أو صومًا، ويحكمان عليه في الخطأ والعمد.

﴿ليذوق وبال أمره﴾ أي: عقوبة فِعْله ﴿عفا اللَّه عما سلف﴾ قبل التحريم ﴿ومن عاد فينتقم اللَّه منه واللَّه عزيز ذو انتقام﴾ قال مجاهد: إن عاد لم يحكم عليه، اللَّه ينتقم منه. وقال سعيد بن جبير: بل يحكم عليه أبدًا.

﴿أُحِلَّ لَكُمْ صَيْدُ ٱلْبَحْرِ وَطَعَامُهُۥ مَتَٰعًا لَّكُمْ وَلِلسَّيَّارَةِ ۖ وَحُرِّمَ عَلَيْكُمْ صَيْدُ ٱلْبَرِّ مَا دُمْتُمْ حُرُمًا ۗ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِىٓ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٩٦﴾ جَعَلَ ٱللَّهُ ٱلْكَعْبَةَ ٱلْبَيْتَ ٱلْحَرَامَ قِيَٰمًا لِّلنَّاسِ وَٱلشَّهْرَ ٱلْحَرَامَ وَٱلْهَدْىَ وَٱلْقَلَٰٓئِدَ ۚ ذَٰلِكَ لِتَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَأَنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٩٧﴾﴾

قوله: ﴿أحلَّ لكم صيد البحر﴾ قال الحسن: لا بأس أن يصيد المحرم الحيتان ﴿وطعامه﴾ قال أبو سلمة بن عبد الرحمن: ما ألقى البحر من حوت ميت فهو طعامه ﴿متاعًا لكم﴾ بلاغًا لكم ﴿وللسَّيَّارة﴾ يعني: المسافرين،

وهو ما يتزوَّدُه الناس من صالح السمك في أسفارهم.

قال محمد: ﴿متاعًا لكم﴾ مصدر؛ أي: متعتكم به متاعًا[١].

﴿وحرم عليكم صيدُ البر ما دمتم حرمًا واتقوا اللَّه الذي إليه تحشرون﴾.

﴿جعل اللَّه الكعبة البيت الحرام قيامًا للناس والشهر الحرام والهدي والقلائد﴾ قال قتادة: كانت هذه في الجاهلية حواجز[٢]، كان الرجل لو جرَّ كل جريرة[٣]، ثم لجأ إلى الحرم لم يُتَنَاوَلْ، وكان الرجل لو لقي قاتل أبيه في الشهر الحرام لم يمسه، وكان الرجل لو لقي الهَدْيَ مقلَّدًا وهو يأكل [القضب][٤] من الجوع لم يمسَّه، وكان الرجل إذا أراد البيت الحرام تقلّد قلادة من شَعَر[٥]، حتى يبلغ مكة، وإذا أراد أن يصدر[٦] من مكَّة تقلَّد قلادة من لحاء السمر[٧] أو من الإذخر[٨]، فمنعته حتى يأتي أهله.

﴿ٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ وَأَنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴿٩٨﴾ مَّا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلۡبَلَٰغُۗ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ مَا تُبۡدُونَ وَمَا تَكۡتُمُونَ ﴿٩٩﴾ قُل لَّا يَسۡتَوِي ٱلۡخَبِيثُ وَٱلطَّيِّبُ وَلَوۡ أَعۡجَبَكَ كَثۡرَةُ

---

(١) ينظر: إعراب القرآن للنحاس (٢/ ٤٢)، البيان في غريب القرآن لابن الأنباري (١/ ٣٠٥).
(٢) حواجز: أي: موانع. لسان العرب (حجز).
(٣) أي: كل ذنب وإثم. لسان العرب (جرر).
(٤) في الأصل: (العصب) والقَضْب هو شجر ترعاه الإبل، فإذا شبعت منه هجرته حينًا، لأنه يضرسها ويورثها السعال. ينظر لسان العرب، المعجم الوسيط (قضب).
(٥) أي: مصنوعة من شَعَر.
(٦) يرجع ويخرج . لسان العرب (صدر).
(٧) اللحاء هو قشر الشجر، والسَّمُر: ضرب من شجر الطَّلح، واحدته: سَمُرة. ينظر لسان العرب، المعجم الوسيط (لحو) و(سمر).
(٨) الإذخر: هو حشيشة طيبة الرائحة تُسَقَّف بها البيوت فوق الخشب. ينظر: النهاية في غريب الحديث (١/ ٣٣).

﴿ٱلْخَبِيثِ ۚ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ يَـٰٓأُو۟لِى ٱلْأَلْبَـٰبِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿١٠٠﴾ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَسْـَٔلُوا۟ عَنْ أَشْيَآءَ إِن تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ وَإِن تَسْـَٔلُوا۟ عَنْهَا حِينَ يُنَزَّلُ ٱلْقُرْءَانُ تُبْدَ لَكُمْ عَفَا ٱللَّهُ عَنْهَا ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴿١٠١﴾ قَدْ سَأَلَهَا قَوْمٌ مِّن قَبْلِكُمْ ثُمَّ أَصْبَحُوا۟ بِهَا كَـٰفِرِينَ ﴿١٠٢﴾ مَا جَعَلَ ٱللَّهُ مِنۢ بَحِيرَةٍ وَلَا سَآئِبَةٍ وَلَا وَصِيلَةٍ وَلَا حَامٍ ۙ وَلَـٰكِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ ۖ وَأَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴿١٠٣﴾﴾

﴿اعلموا أن اللَّه شديد العقاب﴾ لمن أراد أن ينتقم منه. ﴿وأن اللَّه غفور رحيم﴾.

﴿قل لا يستوي الخبيث والطيب﴾ يعني: الحلال والحرام ﴿ولو أعجبك كثرة الخبيث﴾ كثرة الحرام.

﴿يا أيها الذين آمنوا لا تسألوا عن أشياء إن تبد لكم تسؤكم وإن تسألوا عنها حين ينزل القرآن تبْد لكم عفا اللَّه عنها﴾ قال الحسن: «سألوا رسول اللَّه ﷺ عن أمور الجاهلية التي قد عَفَا اللَّه عنها فأكثروا؛ حتى غضب رسول اللَّه غضبًا شديدًا، فقال: سلوني فوالذي نفسي بيده لا تسألوني عن شيءٍ إلا أنبأتكم به إلى يوم القيامة»(١).

﴿قد سألها قومٌ من قبلكم﴾ فبيِّنت لهم ﴿ثم أصبحوا بها كافرين﴾ يعني: أهل الكتاب. [حدثنا يحيى](٢)، وبلغني أنها في قراءة أبي بن كعب: قد سألها قوم من قبلكم [فبينته لهم](٢) فأصبحوا بها [كافرين](٢).

قوله: ﴿ما جعل اللَّه من بحيرة ولا سائبة ولا وصيلة ولا حام. . .﴾ إلى

---

(١) رواه مسلم (٣/ ١٨٣٤ رقم ٢٣٥٩/ ١٣٧) عن أنس بنحوه.

(٢) طمس من الأصل، والمثبت من «ر».

قوله: ﴿لا يعقلون﴾ يعني: لا يعقلون تحريم الشيطان الذي يحرم عليهم.

قال قتادة: كانت البحيرة من الإبل؛ كانت الناقة إذا نتجت خمسة أبطن، نظر إلى البطن الخامس؛ فإن كان ذكرًا أكله الرجال دون النساء، وإن كانت ميتة اشترك فيها الرجال والنساء، وإن كانت أنثى نحروا أذنها؛ أي: شقوها، وتركت فلا يشرب لها لبن، ولا يُجزُّ لها وَبَرٌ، ولا يُرْكب لها ظَهْر.

والسائبة: كانوا يسيبون ما بدا لهم من أموالهم، فلا يمنع من ماء ولا مرعى.

والوصيلة من الغنم: كانوا إذا نتجت الشاة سبعة أبطن، نظروا إلى البطن السابع، فإن كان ذكرًا ذُبح، فكان للرجال دون النساء، وإن كانت ميتة اشترك فيها الرجال والنساء، وإن كانت أنثى تركت، وإن جاءت بذكر وأنثى قيل: وصلت أخاها فمنعته الذبح.

وكان الحام إذا ركب [من ولده عشرة قيل](١) حمى ظهره فلا (يُزَمّ)(٢) ولا يخطم ولا يركب.

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَىٰ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَإِلَى ٱلرَّسُولِ قَالُوا حَسْبُنَا مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَآ أَوَلَوْ كَانَ ءَابَآؤُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ شَيْـًٔا وَلَا يَهْتَدُونَ ﴿١٠٤﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا ٱهْتَدَيْتُمْ إِلَى ٱللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٠٥﴾﴾

﴿يا أيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم﴾ يعني: إذا لم يقبل منكم.

---

(١) طمس بالأصل، والمثبت من «ر». ينظر: مختار الصحاح، لسان العرب (حمى).

(٢) أي: لا يوضع له زمام يزمّه.

﴿لا يضركم من ضلَّ إذا اهتديتم﴾ ليس هذا في ضلال الكفر (ل٨٩) ولكن في الضلال عن الحق في الإسلام.

يحيى: عن أبي الأشهب، عن الحسن: «أن هذه الآية قُرئت عند عبد الله ابن مسعود، فقال: ليس هذا بزمانها، قولوها ما قُبلت منكم فإذا رُدّت عليكم فعليكم أنفسكم»(١).

قال محمد: المعنى: إنما ألزمكم الله أمر أنفسكم، وإذا قلت: عليك فلانًا، فالمعنى: الزم فلانًا.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ شَهَٰدَةُ بَيۡنِكُمۡ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ ٱلۡمَوۡتُ حِينَ ٱلۡوَصِيَّةِ ٱثۡنَانِ ذَوَا عَدۡلٖ مِّنكُمۡ أَوۡ ءَاخَرَانِ مِنۡ غَيۡرِكُمۡ إِنۡ أَنتُمۡ ضَرَبۡتُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَأَصَٰبَتۡكُم مُّصِيبَةُ ٱلۡمَوۡتِۚ تَحۡبِسُونَهُمَا مِنۢ بَعۡدِ ٱلصَّلَوٰةِ فَيُقۡسِمَانِ بِٱللَّهِ إِنِ ٱرۡتَبۡتُمۡ لَا نَشۡتَرِي بِهِۦ ثَمَنٗا وَلَوۡ كَانَ ذَا قُرۡبَىٰ وَلَا نَكۡتُمُ شَهَٰدَةَ ٱللَّهِ إِنَّآ إِذٗا لَّمِنَ ٱلۡأٓثِمِينَ ﴿١٠٦﴾ فَإِنۡ عُثِرَ عَلَىٰٓ أَنَّهُمَا ٱسۡتَحَقَّآ إِثۡمٗا فَـَٔاخَرَانِ يَقُومَانِ مَقَامَهُمَا مِنَ ٱلَّذِينَ ٱسۡتَحَقَّ عَلَيۡهِمُ ٱلۡأَوۡلَيَٰنِ فَيُقۡسِمَانِ بِٱللَّهِ لَشَهَٰدَتُنَآ أَحَقُّ مِن شَهَٰدَتِهِمَا وَمَا ٱعۡتَدَيۡنَآ إِنَّآ إِذٗا لَّمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٠٧﴾ ذَٰلِكَ أَدۡنَىٰٓ أَن يَأۡتُواْ بِٱلشَّهَٰدَةِ عَلَىٰ وَجۡهِهَآ أَوۡ يَخَافُوٓاْ أَن تُرَدَّ أَيۡمَٰنُۢ بَعۡدَ أَيۡمَٰنِهِمۡۗ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱسۡمَعُواْۗ وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡفَٰسِقِينَ ﴿١٠٨﴾﴾

﴿يا أيها الذين آمنوا شهادة بينكم...﴾ إلى قوله: ﴿وآخران من غيركم﴾.

قال يحيى: فيها تقديم؛ يقول: يا أيها الذين آمنوا إذا حضر أحدكم الموت

---

(١) رواه ابن أبي حاتم في تفسيره (٤/ ١٢٢٧ رقم ٦٩٢٢) والطبري في تفسيره (٧/ ٩٦) من طريق أبي العالية عن ابن مسعود.
وزاد السيوطي في الدر المنثور (٢/ ٣٧٢) نسبته إلى عبد بن حميد ونعيم بن حماد في الفتن وأبي الشيخ وابن مردويه والبيهقي في الشعب.

فأشهدوا ذوي عدلٍ منكم.

قال محمد: ﴿شهادة بينكم﴾ رفع بالابتداء والخبر ﴿اثنان﴾ المعنى: شهادة هذه الحال شهادة اثنين[١].

قال الحسن: يعني: من المسلمين من العشيرة، لأن العشيرة أعلم بالرجل وبولده وماله، وأجْدر ألا ينسوا ما يشهدون عليه، فإن لم يكن من العشيرة أحدٌ فآخران من غير العشيرة ﴿إن أنتم ضربتم في الأرض فأصابتكم مصيبة الموت﴾ فإن شهدا وهما عَدلان مضت شهادتهما وإن ارتيب[٢] في شهادتهما حُبسا بعد صلاة العصر، وفيها تقديم ﴿تحبسونهما من بعد الصلاة﴾ [صلاة العصر][٣] إن ارتبتم. قال الحسن: ولو كانا من غير أهل [الصلاة][٤] ما حلفا دبر الصلاة ﴿فيقسمان بالله إن ارتبتم لا نشتري به ثمنًا ولو كان ذا قربى ولا نكتم شهادة الله إنا إذًا لمن الآثمين﴾.

فتمضي شهادتهما ﴿فإن عثر﴾ يعني: اطُّلع ﴿على أنهما استحقا إثمًا﴾ أي: شهدا بزور ﴿فآخران يقومان مقامهما من الذين استحق عليهم﴾ يعني: الورثة ﴿الأوْلَيَان فيقسمان بالله...﴾ الآية.

قال محمد: المعنى: فليقم الأوليان من الذين استحق عليهم الوصية[٥].

---

(١) وفيها أقوال نحوية أخرى تنظر في : إعراب القرآن (١/ ٥٢٥)، مجمع البيان (٢/ ٢٥٥) البحر المحيط (٤/ ٣٩).

(٢) أي: شُك. لسان العرب (ريب) وفي «ر» : ارتبتم.

(٣) سقط من الأصل. والمثبت من «ر».

(٤) في الأصل: الكتاب. والمثبت من «ر».

(٥) وفيها توجيهات نحوية أخرى تنظر من إعراب القرآن (١/ ٥٢٦- ٥٢٧)، مجمع البيان (٢/ ٢٥٧-٢٥٨)، البحر المحيط (٤/ ٤٥- ٤٦).

﴿ذلك أدنى﴾ أجدر ﴿أن يأتوا بالشهادة على وجهها أو يخافوا أن تُرَدَّ أيمان بعد أيمانهم﴾ قال الحسن: فأراد اللَّه أن ينكل الشهود بعضهم ببعض.

قال يحيى: ولم تكن عند الحسن منسوخة، وبعضهم يقول: هي منسوخة(١) ولا يحلف الشاهدان اليوم؛ إن كانا عدلين جازت شهادتهما، وإن لم يكونا عدلين لم تجز شهادتهما؛ قال اللَّه: ﴿وَاسْتَشْهِدُوا شَهِيدَيْنِ مِن رِّجَالِكُمْ فَإِن لَّمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَامْرَأَتَانِ مِمَّن تَرْضَوْنَ مِنَ﴾(٢). وقال في سورة الطلاق: ﴿وَأَشْهِدُوا ذَوَيْ عَدْلٍ مِّنكُمْ﴾(٣) ولم يجعل على الشاهد أن يحلف.

قوله: ﴿واتقوا اللَّه واسمعوا واللَّه لا يهدي القوم الفاسقين﴾ يعني: الذين يموتون على شركهم.

﴿يَوْمَ يَجْمَعُ اللَّهُ الرُّسُلَ فَيَقُولُ مَاذَا أُجِبْتُمْ قَالُوا لَا عِلْمَ لَنَا إِنَّكَ أَنتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ ﴿١٠٩﴾ إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ اذْكُرْ نِعْمَتِي عَلَيْكَ وَعَلَىٰ وَالِدَتِكَ إِذْ أَيَّدتُّكَ بِرُوحِ الْقُدُسِ تُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلًا وَإِذْ عَلَّمْتُكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَاةَ وَالْإِنجِيلَ وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ بِإِذْنِي فَتَنفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِي وَتُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ بِإِذْنِي وَإِذْ تُخْرِجُ الْمَوْتَىٰ بِإِذْنِي وَإِذْ كَفَفْتُ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَنكَ إِذْ جِئْتَهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ إِنْ هَٰذَا إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿١١٠﴾ وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى الْحَوَارِيِّينَ أَنْ آمِنُوا بِي وَبِرَسُولِي قَالُوا آمَنَّا وَاشْهَدْ بِأَنَّنَا مُسْلِمُونَ ﴿١١١﴾ إِذْ

---

(١) ينظر الناسخ والمنسوخ (٤٤)، نواسخ القرآن (٣٨٣ - ٣٨٥).
(٢) البقرة: ٢٨٢ .
(٣) الطلاق: ٢ .

قَالَ ٱلْحَوَارِيُّونَ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَن يُنَزِّلَ عَلَيْنَا مَآئِدَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ قَالَ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١١٢﴾ قَالُوا۟ نُرِيدُ أَن نَّأْكُلَ مِنْهَا وَتَطْمَئِنَّ قُلُوبُنَا وَنَعْلَمَ أَن قَدْ صَدَقْتَنَا وَنَكُونَ عَلَيْهَا مِنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿١١٣﴾﴾

﴿يوم يجمع اللَّه الرسل فيقول ماذا أُجبتم قالوا لا علم لنا﴾ قال مجاهد: تنزع أفئدتهم فلا يعلمون، ثم تَرَدُّ إليهم فيعلمون.

﴿إذ قال اللَّه يا عيسى ابن مريم﴾ أي: يقوله يوم القيامة.

﴿اذكر نعمتي عليك وعلى والدتك إذ أيَّدتك﴾ أَعَنْتُكَ.

﴿بروح القدس﴾ يعني: جبريل ﴿تكلم الناس في المهد﴾ يعني: حجر أمه ﴿وكهلًا﴾ أي: كبيرًا ﴿وإذ تخلق من الطين كهيئة الطير﴾ يعني: كشبه الطير ﴿وتبرئ الأكمه﴾ يعني: الأعمى [الذي تلده](1) أمه وهو مضموم العينين(2).

﴿وإذ كففت بني إسرائيل عنك...﴾ إلى قوله: ﴿وإذ أوحيت إلى الحواريين أن آمنوا بي وبرسولي﴾ يعني: وحْيَه إلى عيسى يأمرهم أن يتبعوه ﴿هل يستطيع ربك أن ينزل علينا مائدة من السماء﴾ قال الحسن: يقولون: هل ربك فاعلٌ، وهو كلام العرب: ما أستطيع ذلك؛ أي: ما أنا بفاعل ذلك(3).

يحيى: عن عثمان، عن أبي الأشهب، عن القاسم بن محمد، عن عائشة قالت: «هم كانوا أعلم باللَّه من أن يقولوا: هل يستطيع ربك، ولكن قالوا:

---

(١) في الأصل: لا يرى إذ تلده. والمثبت من «ر».

(٢) لسان العرب (كمه).

(٣) وقيل: استطاع بمعنى أطاع، والمراد: هل يطيع ربك أن ينزل علينا مائدة من السماء؟ أي: هل يطيعك ربك إن سألته؟ وإليه ذهب السدي. ينظر تفسير الطبري (٧/١٢٩-١٣١).

هل تستطيع ربك، أي: هل تقدر على هذا منه؟»[١]

﴿قال اتقوا الله إن كنتم مؤمنين﴾ (ل٩٠) قاله عيسى ﴿قالوا نريد أن نأكل منها وتطمئن قلوبنا﴾ أي: تسكن؛ إذا نظرنا إلى المائدة.

﴿ونعلم أن قد صدقتنا ونكون عليها من الشاهدين﴾ أنها نزلت من عند الله.

﴿قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ ٱللَّهُمَّ رَبَّنَآ أَنزِلْ عَلَيْنَا مَآئِدَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ تَكُونُ لَنَا عِيدًا لِّأَوَّلِنَا وَءَاخِرِنَا وَءَايَةً مِّنكَ وَٱرْزُقْنَا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ﴿١١٤﴾ قَالَ ٱللَّهُ إِنِّى مُنَزِّلُهَا عَلَيْكُمْ فَمَن يَكْفُرْ بَعْدُ مِنكُمْ فَإِنِّىٓ أُعَذِّبُهُۥ عَذَابًا لَّآ أُعَذِّبُهُۥٓ أَحَدًا مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١١٥﴾﴾

﴿قال عيسى ابن مريم اللَّهم ربنا أنزل علينا مائدة من السماء تكون لنا عيدًا لأولنا وآخرنا﴾ قال قتادة: أرادوا أن تكون لعقبهم[٢] من بعدهم.

قال محمد: ومعنى ﴿عيدًا﴾: مَجْمعًا[٣]، و﴿مائدة﴾ الأصل فيها من قولك: مادني؛ أي: أعطاني؛ فكأنها تميد الآكلين؛ أي: تعطيهم[٤].

﴿قال الله إني منزلها عليكم﴾ على شرط ﴿فمن يكفر بعد منكم فإني أعذبه﴾ في الدنيا... الآية، قال ابن عباس: أنزل على المائدة كل شيء غير اللَّحْم.

---

(١) رواه ابن أبي حاتم في تفسيره (٤/ ١٢٤٣ رقم ٧٠١٤) من طريق القاسم بن محمد به.
ورواه الطبري في تفسيره (٧/ ١٢٩) من طريق ابن أبي مليكة عن عائشة
وزاد السيوطي في الدر المنثور (٢/ ٣٧٩) نسبته إلى: ابن أبي شيبة وابن المنذر وأبي الشيخ وابن مردويه.

(٢) أي: لأولادهم وأولاد أولادهم. لسان العرب (عقب).

(٣) ولها معان أخرى تنظر من تفسير الطبري (٧/ ١٣٢-١٣٣).

(٤) ينظر: لسان العرب، القاموس المحيط (ميد).

قال قتادة: وذُكر لنا أنهم لما صنعوا في المائدة ما صنعوا من الخيانة وغيرها، حُوِّلُوا خنازير، وكانوا أمروا ألا يخونوا فيه، ولا يخبئوا، ولا يدخروا لغدٍ، فخانوا وخبَّئوا وادَّخروا.

﴿وَإِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِى وَأُمِّىَ إِلَٰهَيْنِ مِن دُونِ ٱللَّهِ قَالَ سُبْحَٰنَكَ مَا يَكُونُ لِىٓ أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِى بِحَقٍّ إِن كُنتُ قُلْتُهُۥ فَقَدْ عَلِمْتَهُۥ تَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِى وَلَآ أَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ ﴿١١٦﴾ مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَآ أَمَرْتَنِى بِهِۦٓ أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبَّكُمْ وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِى كُنتَ أَنتَ ٱلرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنتَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴿١١٧﴾ إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١١٨﴾ قَالَ ٱللَّهُ هَٰذَا يَوْمُ يَنفَعُ ٱلصَّٰدِقِينَ صِدْقُهُمْ لَهُمْ جَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١١٩﴾ لِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا فِيهِنَّ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌۢ ﴿١٢٠﴾﴾

﴿وإذ قال اللَّه يا عيسى ابن مريم أأنت قلت للناس﴾ يعني: لبني إسرائيل خاصة ﴿اتخذوني وأمي إلهين من دون اللَّه﴾ يقوله يوم القيامة.

﴿قال سبحانك﴾ ينزه اللَّه أن يكون قاله ﴿ما يكون لي أن أقول ما ليس لي بحق إن كنت قلته فقد علمته تعلم ما في نفسي ولا أعلم ما في نفسك إنك أنت علام الغيوب﴾ وقد علم اللَّه أنه لم يقله.

﴿ما قلت لهم إلا ما أمرتني به أن اعبدوا اللَّه ربي وربكم وكنت عليهم شهيدًا مادمت فيهم فلما توفيتني﴾ (وفاة الرفع إلى السماء)[1].

---

(١) سقط من «ر».

﴿كنت أنت الرقيب﴾ الحفيظ ﴿عليهم...﴾ ﴿إن تعذبهم فإنهم عبادك﴾ أي: فبإقامتهم على كفرهم ﴿وإن تغفر لهم﴾ فبتوبة كانت منهم.

﴿قال اللَّه هذا يوم ينفع الصادقين صدقهم﴾ وهي تقرأ على وجه آخر ﴿يومٌ﴾ منوَّنة[١].

﴿لهم جناتٌ تجري من تحتها الأنهار... ذلك الفوز العظيم﴾ النجاة العظيمة ﴿للَّه ملك السمٰوات والأرض وما فيهن﴾ أي: وملك ما فيهن ﴿وهو على كل شيء قدير﴾.

* * *

(١) قرأها الحسن بن عيَّاش الشامي والأعمش منونة على الرفع، وروي عن الأعمش أنه قرأها منونة على النصب، وقرأ الجمهور برفعه من غير تنوين، ونافع على نصبه من غير تنوين. ينظر: البحر المحيط (٤/ ٦٣)، الإعراب للنحاس (٢/ ٥٣)، الكشاف (٢/ ٣٧٥)، الدر المصون (٢/ ٦٥٩)، السبعة (٢٥٠)، النشر (٢/ ٢٥٦).

تَفْسِيرُ سورة الأَنْعَامِ

وَهِي مكِّيَةٌ كُلُّهَا. في قول قتادة وقال الكلبي: إلا ثلاث آيات مدنيات في آخرها قوله تعالى: ﴿قل تعالوا أتل ما حرم ربكم عليكم...﴾ إلى قوله: ﴿لعلكم تتقون﴾[1].

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَجَعَلَ ٱلظُّلُمَٰتِ وَٱلنُّورَ ۖ ثُمَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ ﴿١﴾ هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن طِينٍ ثُمَّ قَضَىٰٓ أَجَلًا ۖ وَأَجَلٌ مُّسَمًّى عِندَهُۥ ۖ ثُمَّ أَنتُمْ تَمْتَرُونَ ﴿٢﴾ وَهُوَ ٱللَّهُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَفِى ٱلْأَرْضِ ۖ يَعْلَمُ سِرَّكُمْ وَجَهْرَكُمْ وَيَعْلَمُ مَا تَكْسِبُونَ ﴿٣﴾ وَمَا تَأْتِيهِم مِّنْ ءَايَةٍ مِّنْ ءَايَٰتِ رَبِّهِمْ إِلَّا كَانُوا۟ عَنْهَا مُعْرِضِينَ ﴿٤﴾ فَقَدْ كَذَّبُوا۟ بِٱلْحَقِّ لَمَّا جَآءَهُمْ ۖ فَسَوْفَ يَأْتِيهِمْ أَنۢبَٰٓؤُا۟ مَا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٥﴾﴾

قوله: ﴿الحمد للَّه﴾ حمد نفسه ﴿الذي خلق السمٰوات والأرض وجعل الظلمات والنور﴾ الظلمات: الليل، والنور: ضوء النهار.

﴿ثم الذين كفروا بربهم يعدلون﴾ عدلوا به أصنامهم التي عبدوها من دون اللَّه.

﴿هو الذي خلقكم من طين﴾ يعني: آدم، ثم جعل نسله بعد من سلالة من ماء مهين ضعيف؛ يعني: النطفة ﴿ثم قضى أجلًا وأجلٌ مسمى عنده﴾ قال قتادة: ﴿ثم قضى أجلًا﴾ يعني: الموت ﴿وأجل مسمى عنده﴾ ما بين الموت إلى البعث ﴿ثم أنتم تمترون﴾ تشكون في الساعة.

---

(١) وهي الآيات: (١٥١، ١٥٢، ١٥٣).

﴿وما تأتيهم من آية من آيات ربهم﴾ يعني: القرآن، ﴿إلا كانوا عنها معرضين﴾ يعني به: مشركي العرب.

﴿فقد كذّبوا بالحق﴾ يعني: بالقرآن ﴿لما جاءهم فسوف يأتيهم أنباء ما كانوا به يستهزئون﴾ يأتيهم علمه في الأرض، فيأخذهم اللّه فيدخلهم النار.

﴿أَلَمْ يَرَوْا كَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِم مِّن قَرْنٍ مَّكَّنَّٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مَا لَمْ نُمَكِّن لَّكُمْ وَأَرْسَلْنَا ٱلسَّمَآءَ عَلَيْهِم مِّدْرَارًا وَجَعَلْنَا ٱلْأَنْهَٰرَ تَجْرِى مِن تَحْتِهِمْ فَأَهْلَكْنَٰهُم بِذُنُوبِهِمْ وَأَنشَأْنَا مِنۢ بَعْدِهِمْ قَرْنًا ءَاخَرِينَ ﴿٦﴾ وَلَوْ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ كِتَٰبًا فِى قِرْطَاسٍ فَلَمَسُوهُ بِأَيْدِيهِمْ لَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿٧﴾﴾

﴿كم أهلكنا﴾ عذبنا ﴿من قبلهم﴾ يعني: كفار مكة. إلى قوله: ﴿فأهلكناهم بذنوبهم﴾ يحذر مشركي العرب، ويخوفهم ما أهلك به الأمم حين كذّبوا رسلهم ﴿وأنشأنا﴾ خلقنا ﴿من بعدهم قرنًا آخرين﴾.

قال محمد: يقال: القرن: ثمانون سنة(١).

﴿ولو نزلنا عليك كتابًا في قرطاس...﴾ الآية، قال الحسن: وذلك أنهم سألوا رسول اللّه ﷺ أن يأتيهم بآية: بكتاب يقرءونه وقالوا: لن نؤمن لك حتى تنزل علينا كتابًا نقرؤه من اللّه (ل٩١) إلى كل رجل باسمه؛ أن آمن بمحمد؛ فإنه رسولي.

﴿وَقَالُوا۟ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ مَلَكٌ ۖ وَلَوْ أَنزَلْنَا مَلَكًا لَّقُضِىَ ٱلْأَمْرُ ثُمَّ لَا يُنظَرُونَ ﴿٨﴾ وَلَوْ جَعَلْنَٰهُ مَلَكًا لَّجَعَلْنَٰهُ رَجُلًا وَلَلَبَسْنَا عَلَيْهِم مَّا يَلْبِسُونَ ﴿٩﴾ وَلَقَدِ ٱسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ

(١) ويقال: القرن مائة سنة، وهو المعروف، ويقال: ثلاثون سنة. وقيل غير ذلك. ينظر لسان العرب، مختار الصحاح، المعجم الوسيط (قرن).

فَحَاقَ بِٱلَّذِينَ سَخِرُواْ مِنْهُم مَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿١٠﴾﴾

﴿وقالوا لولا﴾ هلا ﴿أنزل عليه ملك﴾ أي: يأمرنا باتباعه.

قال اللَّه: ﴿ولو أنزلنا ملكًا لقضي الأمر﴾ بعذابهم ﴿ثم لا ينظرون﴾ لا يؤخرون بعد نزول الملك؛ لأن القوم إذا سألوا نبيهم الآية فجاءتهم فلم يؤمنوا، أهلكهم اللَّه .

﴿ولو جعلناه ملكًا لجعلناه رجلًا﴾ أي: لجعلنا ذلك الملك في صورة آدمي ﴿وللبسنا عليهم ما يلبسون﴾ أي: ولخلطنا عليهم ما يخلطون؛ لأنهم طلبوا أن يكون ملك مع آدمي.

قال محمد: وقيل: المعنى: لأضللناهم بما ضلوا به قبل أن يبعث الملك.

﴿ولقد استُهزِئ برسل من قبلك فحاق بالذين سخروا منهم ما كانوا به يستهزئون﴾ يعني: نزل بهم عقوبة استهزائهم.

﴿قُلْ سِيرُواْ فِى ٱلْأَرْضِ ثُمَّ ٱنظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُكَذِّبِينَ ﴿١١﴾ قُل لِّمَن مَّا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ قُل لِّلَّهِ ۚ كَتَبَ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ ۚ لَيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ ۚ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٢﴾ وَلَهُۥ مَا سَكَنَ فِى ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ ۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿١٣﴾ قُلْ أَغَيْرَ ٱللَّهِ أَتَّخِذُ وَلِيًّا فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَهُوَ يُطْعِمُ وَلَا يُطْعَمُ ۗ قُلْ إِنِّىٓ أُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَسْلَمَ ۖ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٤﴾ قُلْ إِنِّىٓ أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّى عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٥﴾ مَّن يُصْرَفْ عَنْهُ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمَهُۥ ۚ وَذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْمُبِينُ ﴿١٦﴾ وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ ۖ وَإِن يَمْسَسْكَ بِخَيْرٍ فَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٧﴾﴾

﴿قل سيروا في الأرض ثم انظروا كيف كان عاقبة المكذبين﴾ كان عاقبتهم أن دمَّر اللَّه عليهم، ثم صيرهم إلى النار.

﴿كتب على نفسه الرحمة﴾ أي: أوجبها.

﴿الذين خسروا أنفسهم﴾ أي: خسروها بمصيرهم إلى النار ﴿فهم لا يؤمنون﴾ يعني: من مات على كفره .

﴿قل أغير اللَّه أتخذ وليًا فاطر السمٰوات والأرض﴾ يعني: خالقهما.

﴿وهو يُطْعِمُ ولا يُطْعَم قل إني أمرت أن أكون أول من أسلم﴾ يعني: من أمته.

﴿من يصرف عنه يومئذ﴾ يعني: من يصرف عنه عذابه ﴿فقد رحمه﴾.

﴿وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦۚ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١٨﴾ قُلْ أَىُّ شَىْءٍ أَكْبَرُ شَهَٰدَةًۖ قُلِ ٱللَّهُۖ شَهِيدٌۢ بَيْنِى وَبَيْنَكُمْۚ وَأُوحِىَ إِلَىَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ لِأُنذِرَكُم بِهِۦ وَمَنۢ بَلَغَۚ أَئِنَّكُمْ لَتَشْهَدُونَ أَنَّ مَعَ ٱللَّهِ ءَالِهَةً أُخْرَىٰۚ قُل لَّآ أَشْهَدُۚ قُلْ إِنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ وَإِنَّنِى بَرِىٓءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ﴿١٩﴾ ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَعْرِفُونَهُۥ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَآءَهُمُ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٢٠﴾ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِـَٔايَٰتِهِۦٓۗ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٢١﴾﴾

﴿وهو القاهر فوق عباده﴾ قهرهم بالموت، وبما شاء من أمره ﴿وهو الحكيم﴾ في أمره ﴿الخبير﴾ بخلقه .

﴿قل أي شيء أكبر شهادة﴾ قال الكلبي: قال المشركون من أهل مكة للنبي: من يعلم أنك رسول اللَّه فيشهدُ لك؟ فأنزل اللَّه: ﴿قل أي شيء أكبر شهادة قل اللَّه شهيدٌ بيني وبينكم﴾ فهو شهيد أني رسوله.

﴿وأوحي إلي هذا القرآن لأنذركم به ومن بلغ﴾ أي: من بلغه القرآن.

قال مجاهد: يعني: من أسلم من العجم(١) وغيرهم.

﴿أئنكم لتشهدون أن مع الله آلهة آخرى﴾ وهذا على الاستفهام؛ أي: قد شهدتم أن مع الله آلهة أخرى؟

﴿ومن أظلم ممن افترى على الله كذبًا﴾ فيعبد معه الأوثان؛ أي: لا أحد أظلم منه ﴿إنه لا يفلح الظالمون﴾ المشركون.

﴿وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوٓاْ أَيْنَ شُرَكَآؤُكُمُ ٱلَّذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ ﴿٢٢﴾ ثُمَّ لَمْ تَكُن فِتْنَتُهُمْ إِلَّآ أَن قَالُواْ وَٱللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ ﴿٢٣﴾ ٱنظُرْ كَيْفَ كَذَبُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُواْ يَفْتَرُونَ ﴿٢٤﴾﴾

﴿ويوم نحشرهم جميعًا ثم نقول للذين أشركوا أين شركاؤكم﴾ يعني: أوثانهم.

﴿ثم لم تكن فتنتهم﴾ يعني: معذرتهم ﴿إلا أن قالوا والله ربنا ما كنا مشركين انظر كيف كذبوا على أنفسهم﴾ باعتذارهم بالكذب ﴿وضل عنهم ما كانوا يفترون﴾ يعني: الأوثان التي عبدوها ضلت عنهم؛ فلم تُغْن عنهم شيئًا.

قال محمد: من قرأ ﴿ربنا﴾ بالخفض، فهو على النّعت والثناء(٢)، ومن قرأ ﴿فتنتهم﴾ بالنصب، فهو خبر ﴿تكن﴾، والاسم ﴿إلا أن قالوا﴾(٣).

---

(١) العَجَم: هم خلاف العرب، الواحد: عَجَميٌّ نطق بالعربية أو لم ينطق. ويقال لهم أيضًا: العُجْم، والواحد: أعْجَم.
ينظر: لسان العرب، القاموس المحيط، مختار الصحاح (عجم).

(٢) قرأ بالخفض السبعة إلا حمزة والكسائي. وفي الآية أقوال نحوية أخرى ينظر: السبعة (٢٥٥)، التيسير (١٠٢)، النشر (٢/ ٢٥٧)، البحر المحيط (٤/ ٩٥).

(٣) قرأ ابن كثير وابن عامر وحفص ﴿فتنتُهم﴾ بالرفع، وقرأ الباقون بالنصب. وفي الآية أقوال نحوية أخرى.
ينظر: السبعة (٢٥٥)، التيسير (١٠٢)، النشر (٢/ ٢٥٧)، البحر المحيط (٤/ ٩٥).

﴿وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ وَجَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرًا وَإِن يَرَوْا كُلَّ ءَايَةٍ لَّا يُؤْمِنُوا بِهَا حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوكَ يُجَادِلُونَكَ يَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا إِنْ هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٢٥﴾ وَهُمْ يَنْهَوْنَ عَنْهُ وَيَنْـَٔوْنَ عَنْهُ وَإِن يُهْلِكُونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴿٢٦﴾﴾

﴿ومنهم من يستمع إليك وجعلنا على قلوبهم أكنة أن يفقهوه﴾ لئلا يفقهوه[1]. ﴿وفي آذانهم وقرًا﴾ يعني: صَمَمًا عن الهدى.

﴿وإن يروا كل آية﴾ يعني: ما سألوا النبي عليه السلام من الآيات.

﴿لا يؤمنوا بها حتى إذا جاءوك يجادلونك﴾ ومجادلتهم أن ﴿يقول الذين كفروا إن هذا إلا أساطير الأولين﴾ كذب الأولين وباطلهم؛ يعنون: القرآن.

﴿وهم ينهون عنه وينئون عنه﴾ قال الحسن: ينهون عن اتباع محمد، ويتباعدون عنه ﴿وإن يهلكون إلا أنفسهم﴾ بذلك ﴿وما يشعرون﴾ أنهم يهلكون أنفسهم.

﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ وُقِفُوا عَلَى ٱلنَّارِ فَقَالُوا يَٰلَيْتَنَا نُرَدُّ وَلَا نُكَذِّبَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّنَا وَنَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢٧﴾ بَلْ بَدَا لَهُم مَّا كَانُوا يُخْفُونَ مِن قَبْلُ وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ وَإِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ ﴿٢٨﴾ وَقَالُوٓا إِنْ هِىَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ ﴿٢٩﴾﴾

﴿ولو ترى إذ وقفوا على النار فقالوا يا ليتنا نُردُّ﴾ إلى الدنيا ﴿ولا نكذب بآيات ربنا ونكون من المؤمنين بل بدا لهم﴾ في الآخرة ﴿ما كانوا يخفون من قبل﴾ إذ كانوا في الدنيا، وكانوا يكذبون بالبعث. قال بعضهم: نزلت في المنافقين ﴿ولو ردوا﴾ إلى الدنيا ﴿لعادوا لما نُهوا عنه﴾ من التكذيب ﴿وإنهم

(١) أي: بحذف (لا) من الآية. ينظر: البحر المحيط (٤/ ٩٥).

لكاذبون﴾ (ل٩٢) أي: أنهم لم يكونوا ليؤمنوا؛ أخبر بعلمه فيهم.

﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ وُقِفُوا عَلَىٰ رَبِّهِمْ قَالَ أَلَيْسَ هَٰذَا بِالْحَقِّ قَالُوا بَلَىٰ وَرَبِّنَا قَالَ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿٣٠﴾ قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِلِقَاءِ اللَّهِ حَتَّىٰٓ إِذَا جَاءَتْهُمُ السَّاعَةُ بَغْتَةً قَالُوا يَٰحَسْرَتَنَا عَلَىٰ مَا فَرَّطْنَا فِيهَا وَهُمْ يَحْمِلُونَ أَوْزَارَهُمْ عَلَىٰ ظُهُورِهِمْ أَلَا سَاءَ مَا يَزِرُونَ ﴿٣١﴾﴾

﴿ولو ترى إذ وقفوا على ربهم قال أليس هذا بالحق﴾ الذي كنتم تكذبون به إذ أنتم في الدنيا ﴿قالوا بلى وربنا﴾ فآمنوا حين لم ينفعهم الإيمان.

﴿قد خسر الذين كذبوا بلقاء اللَّه حتى إذا جاءتهم الساعة بغتة قالوا يا حسرتنا﴾ والتحسُّر: التندم ﴿على ما فرطنا فيها﴾ (في)[1] الساعة، إذ لم يؤمنوا بها ﴿وهم يحملون أوزارهم على ظهورهم ألا ساء﴾ (بئس)[2] ﴿ما يزرون﴾ يحملون ذنوبهم.

يحيى: عن صاحب له، عن إسماعيل بن أبي رافع[3]، عن سعيد المقبري[4]، عن أبي هريرة قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «إن الكافر إذا خرج من قبره مثِّل[5] له عمله في أقبح صورة رآها قط، أقبحه وجهًا، وأنتنه ريحًا، وأسوأه لفظًا؛ فيقول: من أنت؟ أعوذ باللَّه منك؛ فما رأيت أقبح منك وجهًا،

---

(١) في «ر»: من.
(٢) سقط من «ر».
(٣) كذا في الأصل و«ر»: إسماعيل بن أبي رافع. وأظن الصواب إسماعيل بن رافع، وهو أبو رافع القاصُّ المدني، وهو ضعيف، يروي عن سعيد المقبري، ترجمته في التهذيب (٣/ ٨٥-٩٠) واللَّه أعلم.
(٤) في «ر»: عن أبي سعيد.
(٥) أي: صور.

ولا أنتن منك ريحًا، ولا أسوأ منك لفظًا. فيقول: أتعجب من قبحي؟ فيقول: نعم، فيقول: أنا واللَّه عملك الخبيث، وإنك كنت تركبني في الدنيا، وإني واللَّه لأركبنك اليوم؛ فيركبه فلا يرى شيئًا يهوله ولا يروعه إلا قال: أَبْشر[1] يا عدوَّ اللَّه، أنت الذي تراد وأنت الذي تُعْنى. وهو قوله: ﴿وهم يحملون أوزارهم على ظهورهم. . .﴾الآية»[2].

﴿وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَلَلدَّارُ ٱلْءَاخِرَةُ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يَتَّقُونَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ (٣٢) قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُۥ لَيَحْزُنُكَ ٱلَّذِى يَقُولُونَ فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَٰكِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ يَجْحَدُونَ (٣٣) وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ فَصَبَرُوا۟ عَلَىٰ مَا كُذِّبُوا۟ وَأُوذُوا۟ حَتَّىٰٓ أَتَىٰهُمْ نَصْرُنَا وَلَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِ ٱللَّهِ وَلَقَدْ جَآءَكَ مِن نَّبَإِى۟ ٱلْمُرْسَلِينَ (٣٤)﴾

﴿وما الحياة الدنيا إلا لعبٌ ولهوٌ﴾ أي: أنَّ أهل الدنيا أهل لعب ولهوٍ.

﴿قد نعلم إنه ليحزنك الذي يقولون﴾ إنك ساحرٌ، وإنك شاعرٌ، وإنك كاهن، وإنك مجنونٌ.

قال الكلبي: شق عليه وحزن، فأخبره اللَّه - عز وجل - أنهم لا يكذبونك، وقد عرفوا أنك صادق ﴿ولكن الظالمين بآيات اللَّه يجحدون﴾.

قال محمد: من قرأ ﴿لا يُكْذِبونك﴾ بالتخفيف، فالمعنى: لا يلفونك كاذبًا، ومن قرأ ﴿لا يُكَذِّبونك﴾ فالمعنى: لا ينسبونك إلى الكذب[3].

---

(١) تطلق البشري في اللغة على الأمر الحسن أو السيئ، فليست مقصورة على الحسن فحسب، ومن إطلاقها على السيئ قوله تعالى: ﴿فبشرهم بعذاب أليم﴾ (الانشقاق: ٢٤).

(٢) لم أقف عليه بهذا الإسناد، واللَّه أعلم.

(٣) قرأ بالتخفيف نافع والكسائي، وقرأ الباقون بالتشديد . ينظر: السبعة (٢٥٧)، النشر (٢/ ٢٥٧-٢٥٨).

وينظر في توجيه هاتين القراءتين : البحر (٤/ ١١١)، كشف المشكلات (١/ ٣٩٤).

﴿ولقد كذبت رسل من قبلك...﴾ إلى قوله: ﴿ولا مبدل لكلمات اللَّه﴾ أي: أنه سينصرك، ويظهر دينك، كما نصر الرسل الذين كُذبوا من قبلك ﴿ولقد جاءك من نبأ المرسلين﴾ من أخبار المرسلين أنهم قد نصروا بعد الأذى، وبعد الشدائد.

﴿وَإِن كَانَ كَبُرَ عَلَيْكَ إِعْرَاضُهُمْ فَإِنِ ٱسْتَطَعْتَ أَن تَبْتَغِيَ نَفَقًا فِي ٱلْأَرْضِ أَوْ سُلَّمًا فِي ٱلسَّمَآءِ فَتَأْتِيَهُم بِـَٔايَةٍ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَمَعَهُمْ عَلَى ٱلْهُدَىٰ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿٣٥﴾ إِنَّمَا يَسْتَجِيبُ ٱلَّذِينَ يَسْمَعُونَ وَٱلْمَوْتَىٰ يَبْعَثُهُمُ ٱللَّهُ ثُمَّ إِلَيْهِ يُرْجَعُونَ ﴿٣٦﴾﴾

﴿وإن كان كبر عليك إعراضهم﴾ عنك، وتكذيبهم إياك.

﴿فإن استطعت أن تبتغي نفقًا في الأرض﴾ أي: سربًا، فتدخل فيه ﴿أو سلمًا في السماء﴾ أي: إلى السماء[1]، فترقى إليها ﴿فتأتيهم بآية﴾ وهذا حين سألوا الآية.

قال محمد: المعنى: فإن استطعت أن تفعل هذا فافعل؛ اختصر (فافعل) إذ كان في الكلام ما يدل عليه.

﴿إنما يستجيب الذين يسمعون﴾ يعني: المؤمنين ﴿والموتى يبعثهم اللَّه﴾ قال الحسن: يعني بالموتى: المشركين.

وقوله: ﴿يبعثهم اللَّه﴾ يعني: من يَمُنُّ اللَّه عليهم بالإيمان؟ فيحييهم من شركهم ﴿ثم إليه يرجعون﴾ يوم القيامة.

﴿وَقَالُوا۟ لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ ءَايَةٌ مِّن رَّبِّهِۦ قُلْ إِنَّ ٱللَّهَ قَادِرٌ عَلَىٰٓ أَن يُنَزِّلَ ءَايَةً وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ

---

(١) أي: أن (في) في الآية بمعنى (إلى). وانظر في دلالة (في) على معنى (إلى) عمومًا . مغني اللبيب (١/ ١٩٢).

لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٧﴾ وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا طَٰٓئِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّآ أُمَمٌ أَمْثَالُكُم مَّا فَرَّطْنَا فِي ٱلْكِتَٰبِ مِن شَيْءٍ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ ﴿٣٨﴾ وَٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا صُمٌّ وَبُكْمٌ فِي ٱلظُّلُمَٰتِ مَن يَشَإِ ٱللَّهُ يُضْلِلْهُ وَمَن يَشَأْ يَجْعَلْهُ عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٣٩﴾﴾

﴿وقالوا لولا﴾ هلا ﴿نزل عليه﴾ على محمد ﴿آية﴾ ﴿قل إن اللَّه قادر على أن ينزل آية ولكن أكثرهم لا يعلمون﴾ وهم المشركون.

قوله: ﴿وما من دابة في الأرض ولا طائر يطير بجناحيه إلا أمم أمثالكم﴾ قال مجاهد: [أي: أصناف][1] مصنفة [تعرف][1] بأسمائها.

﴿ما فرطنا في الكتاب من شيء﴾ من آجالها وأعمالها وأرزاقها وآثارها؛ أي: أن ذلك كله مكتوبٌ عند اللَّه.

﴿والذين كذبوا بآياتنا صمٌّ﴾ عن الهدى؛ فلا يسمعونه ﴿وبكمٌ﴾ عنه؛ فلا ينطقون به ﴿في الظلمات﴾ يعني: الكفر.

﴿قُلْ أَرَءَيْتَكُمْ إِنْ أَتَىٰكُمْ عَذَابُ ٱللَّهِ أَوْ أَتَتْكُمُ ٱلسَّاعَةُ أَغَيْرَ ٱللَّهِ تَدْعُونَ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٤٠﴾ بَلْ إِيَّاهُ تَدْعُونَ فَيَكْشِفُ مَا تَدْعُونَ إِلَيْهِ إِن شَآءَ وَتَنسَوْنَ مَا تُشْرِكُونَ ﴿٤١﴾﴾

﴿قل أرأيتكم إن أتاكم عذاب اللَّه﴾ قال الحسن: يعني: في الدنيا بالاستئصال ﴿أو أتتكم الساعة﴾ بالعذاب ﴿أغير اللَّه تدعون إن كنتم صادقين﴾ أي: أنكم لا تدعون إلا اللَّه؛ فتؤمنوا حيث لا يقبل الإيمان (ل٩٣) منكم؛ وقد قضى اللَّه ألا يقبل الإيمان عند نزول العذاب.

﴿بل إياه تدعون فيكشف ما تدعون إليه إن شاء﴾ وهذه مشيئة القدرة، ولا

(١) طمس بالأصل. والمثبت من «ر» . وينظر: تفسير ابن كثير (٣/ ٢٤٨)، والطبري (٧/ ١٨٧).

يشاء أن يكشف عنهم عند نزول العذاب.

﴿وتنسون ما تشركون﴾ باللَّه من هذه الأوثان؛ فتعرضون عنها.

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَآ إِلَىٰٓ أُمَمٍ مِّن قَبْلِكَ فَأَخَذْنَٰهُم بِٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ لَعَلَّهُمْ يَتَضَرَّعُونَ ﴿٤٢﴾ فَلَوْلَآ إِذْ جَآءَهُم بَأْسُنَا تَضَرَّعُوا۟ وَلَٰكِن قَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٤٣﴾ فَلَمَّا نَسُوا۟ مَا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَٰبَ كُلِّ شَىْءٍ حَتَّىٰٓ إِذَا فَرِحُوا۟ بِمَآ أُوتُوٓا۟ أَخَذْنَٰهُم بَغْتَةً فَإِذَا هُم مُّبْلِسُونَ ﴿٤٤﴾ فَقُطِعَ دَابِرُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٤٥﴾﴾

﴿ولقد أرسلنا إلى أمم من قبلك فأخذناهم بالبأساء والضراء﴾ البأساء: البؤس؛ وهي الشدائد من الجدوبة، وشدة المعاش. والضراء يعني: الضرّ من الأمراض والأوجاع ﴿لعلهم يتضرعون فلولا﴾ يعني: فهلا ﴿إذ جاءهم بأسنا تضرعوا﴾ أي: أنهم لم يتضرعوا ﴿ولكن قست قلوبهم﴾ غلظت فلم يؤمنوا، وهذا الذي كان يصيب الأمم من البأساء والضراء إنما هو شيء يبتليهم اللَّه به قبل العذاب لعلهم يؤمنون؛ فإذا لم يؤمنوا أهلكهم اللَّه.

﴿فلما نسوا ما ذكروا به﴾ أي: (كذبوا)[1] ما جاءتهم به الرسل.

﴿فتحنا عليهم أبواب كل شيء﴾ من الرزق ﴿حتى إذا فرحوا بما أوتوا﴾ بما أعطوا ﴿أخذناهم بغتة﴾ يعني: بالعذاب فجأة ﴿فإذا هم مبلسون﴾ ييأسون ﴿فقطع دابر﴾ أصل ﴿القوم الذين ظلموا﴾ أشركوا.

﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِنْ أَخَذَ ٱللَّهُ سَمْعَكُمْ وَأَبْصَٰرَكُمْ وَخَتَمَ عَلَىٰ قُلُوبِكُم مَّنْ إِلَٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ يَأْتِيكُم بِهِ ٱنظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ ٱلْءَايَٰتِ ثُمَّ هُمْ يَصْدِفُونَ ﴿٤٦﴾ قُلْ أَرَءَيْتَكُمْ إِنْ أَتَىٰكُمْ عَذَابُ ٱللَّهِ

---

(١) في «ر»: تركوا.

بَغْتَةً أَوْ جَهْرَةً هَلْ يُهْلَكُ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٤٧﴾ وَمَا نُرْسِلُ ٱلْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ فَمَنْ ءَامَنَ وَأَصْلَحَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٤٨﴾ وَٱلَّذِينَ كَذَّبُوا بِـَٔايَٰتِنَا يَمَسُّهُمُ ٱلْعَذَابُ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ ﴿٤٩﴾﴾

﴿قل أرأيتم إن أخذ اللَّه سمعكم﴾ [فأصمها][1] ﴿وأبصاركم﴾ فأعماها.

﴿وختم على قلوبكم من إله غير اللَّه يأتيكم به﴾ أي: بما أذهَبَ؛ يقول: ليس يفعل ذلك؛ حتى يَرُدَّهُ عليكم إن شاء إلا هو ﴿انظر كيف نصرف الآيات﴾ نبينها ﴿ثم هم يصدفون﴾ أي: يعرضون عنها.

﴿قل أرأيتكم إن أتاكم عذاب اللَّه بغتة﴾ أي: ليلًا ﴿أو جهرة﴾ نهارًا ﴿هل يهلك إلا القوم الظالمون﴾ يخوفهم العذاب؛ إن لم يؤمنوا.

﴿وما نرسل المرسلين إلا مبشرين﴾ يعني: بالجنة ﴿ومنذرين﴾ من النار.

﴿قُل لَّآ أَقُولُ لَكُمْ عِندِى خَزَآئِنُ ٱللَّهِ وَلَآ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ وَلَآ أَقُولُ لَكُمْ إِنِّى مَلَكٌ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَىَّ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ أَفَلَا تَتَفَكَّرُونَ ﴿٥٠﴾ وَأَنذِرْ بِهِ ٱلَّذِينَ يَخَافُونَ أَن يُحْشَرُوٓا إِلَىٰ رَبِّهِمْ لَيْسَ لَهُم مِّن دُونِهِۦ وَلِىٌّ وَلَا شَفِيعٌ لَّعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿٥١﴾﴾

﴿قل لا أقول لكم عندي خزائن اللَّه﴾ أي: علم خزائن اللَّه الذي فيه العذاب؛ لقولهم: ﴿ائتنا بعذاب اللَّه﴾[2].

﴿ولا أعلم الغيب﴾ فيأتيكم العذاب. ﴿ولا أقول إني ملك﴾ إنما أنا بشر، ولكني رسولٌ يوحى إليّ. ﴿إن أتبع إلا ما يوحى إليَّ﴾ أي: إنما أبلغ عن اللَّه ما أمرني به.

---

(١) سقط من الأصل ، والمثبت من «ر».
(٢) سورة العنكبوت: ٢٩ .

﴿قل هل يستوي الأعمى﴾ يعني: الذي لا يبصر ﴿والبصير﴾ الذي يبصر؛ هذا مثل المؤمن والكافر ﴿أفلا تتفكرون﴾ أي: أنهما لا يستويان.

﴿وأنذر به﴾ يعني: بالقرآن ﴿الذين يخافون﴾ يعني: يعلمون ﴿[أن يحشروا](١) إلى ربهم﴾ يعني: المؤمنين؛ هذا مثل قوله: ﴿إنما تنذر به من اتبع الذكر﴾(٢) إنما يَقْبَلُ منك مَنْ آمَنَ.

﴿ليس لهم من دونه﴾ أي: من دون اللَّه ﴿ولي﴾ يمنعهم من عذابه ﴿ولا شفيع﴾ يشفع لهم؛ إن لم يكونوا مؤمنين.

﴿لعلهم﴾ لعل المشركين ﴿يتقون﴾ هذا فيؤمنوا .

﴿وَلَا تَطْرُدِ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِم مِّن شَىْءٍ وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِم مِّن شَىْءٍ فَتَطْرُدَهُمْ فَتَكُونَ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥٢﴾ وَكَذَٰلِكَ فَتَنَّا بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لِّيَقُولُوٓا۟ أَهَٰٓؤُلَآءِ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنۢ بَيْنِنَآ ۗ أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِأَعْلَمَ بِٱلشَّٰكِرِينَ ﴿٥٣﴾﴾

﴿ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي﴾ قال الحسن: يعني: صلاة مكة؛ حين كانت الصلاة ركعتين غدوة، وركعتين عشيَّة، قبل أن تفترض الصلوات الخمس.

قال قتادة: قال قائلون لرسول اللَّه: إن سرك أن نتبعك، فاطرد عنا فلانًا وفلانًا - لأناس كانوا دونهم [في الدنيا](٣) ازدراهم المشركون فأنزل

---

(١) في الأصل: أنهم يحشرون.
(٢) سورة يس: ١١ .
(٣) طمس في الأصل، والمثبت من «ر» وفي تفسير الطبري بدل ما بين القوسين: (من ضعفاء المسلمين) ينظر: تفسير الطبري (٧/ ٢٠١).

اللَّه هذه الآية، ومعنى قوله: ﴿يريدون وجهه﴾ يريدون اللَّه ورضاه.

﴿ما عليك من حسابهم من شيء وما من حسابك عليهم من شيء﴾ يعني: المؤمنين الذين قالت له قريش: اطردهم. قال: ﴿فتطردهم فتكون من الظالمين﴾ أي: إن طردتهم.

قال محمد: ﴿فتكون من الظالمين﴾ هو جواب ﴿ولا تطرد﴾ وقوله: ﴿فتطردهم﴾ هو جواب ﴿ما عليك من حسابهم من شيء وما من حسابك عليهم من شيء﴾(١).

﴿أليس اللَّه بأعلم بالشاكرين﴾ يعني: الموحِّدين.

﴿وَإِذَا جَآءَكَ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِـَٔايَٰتِنَا فَقُلْ سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ ۖ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ ۖ أَنَّهُۥ مَنْ عَمِلَ مِنكُمْ سُوٓءًۢا بِجَهَٰلَةٍ ثُمَّ تَابَ مِنۢ بَعْدِهِۦ وَأَصْلَحَ فَأَنَّهُۥ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٥٤﴾ وَكَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْـَٔايَٰتِ وَلِتَسْتَبِينَ سَبِيلُ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٥٥﴾﴾

﴿وإذا جاءك الذين يؤمنون بآياتنا...﴾ الآية، تفسير الكلبي: أن أبا طالب هو الذي قال للنَّبي: اطرد (ل٩٤) فلانًا وفلانًا وفلانًا، وأنَّ ناسًا من أصحاب النبي قالوا: يا رسول اللَّه، صدق عمك؛ فاطرد عنا سفلة الموالي، فعاتبهم اللَّه في الآية الأولى، فجاءوا يعتذرون إلى رسول اللَّه من سقطتهم، ويسألونه أن يعفوَ عنهم، فأنزل اللَّه: ﴿وإذا جاءك الذين يؤمنون بآياتنا فقل سلامٌ عليكم﴾ أمره اللَّه أن يسلم عليهم.

﴿كتب ربكم على نفسه الرحمة أنه من عمل منكم سوءًا بجهالة﴾ [قال قتادة: كل ذنب عمله عبد فهو بجهالة](٢).

---

(١) وفيها أقوال نحوية أخرى تنظر من: إعراب القرآن (١/ ٥٤٩)، البحر (٤/ ١٣٨).
(٢) طمس بالأصل. والمثبت من «ر».

قال محمد: ومن قرأ: ﴿كتب ربكم على نفسه الرحمة أنه﴾ بفتح الألف[١]، فالمعنى: وكتب أنه، ومن قرأ: ﴿فإنه غفور رحيم﴾ بكسر الألف[٢]؛ فإنه على الاستئناف.

قوله: ﴿وكذلك نفصل الآيات﴾ أي: نبيِّنها ﴿ولتستبين﴾ يا محمد ﴿سبيل المجرمين﴾ يعني: المشركين بالآيات التي بيَّن الله فيها سبيل الهدى من سبيل الضلالة.

﴿قُلْ إِنِّي نُهِيتُ أَنْ أَعْبُدَ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ قُل لَّآ أَتَّبِعُ أَهْوَآءَكُمْ قَدْ ضَلَلْتُ إِذًا وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُهْتَدِينَ ﴿٥٦﴾ قُلْ إِنِّي عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّي وَكَذَّبْتُم بِهِۦ مَا عِندِي مَا تَسْتَعْجِلُونَ بِهِۦٓ إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ يَقُصُّ ٱلْحَقَّ وَهُوَ خَيْرُ ٱلْفَٰصِلِينَ ﴿٥٧﴾ قُل لَّوْ أَنَّ عِندِي مَا تَسْتَعْجِلُونَ بِهِۦ لَقُضِيَ ٱلْأَمْرُ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥٨﴾﴾

﴿قل إني نهيت أن أعبد الذين تدعون من دون الله﴾ يعني: الأوثان.

﴿قل لا أتبع أهواءكم﴾ في عبادة الأوثان ﴿قد ضللت إذًا﴾ إن اتبعت أهواءكم ﴿وما أنا من المهتدين قل إني على بينة من ربي﴾ يعني: النبوة ﴿وكذبتم به﴾ بالقرآن.

﴿ما عندي ما تستعجلون به﴾ من العذاب؛ لقولهم: ﴿عجل لنا قطنا﴾[٣] يعني: عذابنا ﴿قبل يوم الحساب﴾[٣]، ولقولهم: ﴿اللَّهم إن كان هذا هو

---

(١) قرأ بفتح الهمزة عاصم وابن عامر . ينظر: التيسير (١٠٢)، النشر (٢/٢٥٨)، وينظر التوجيه النحوي في : البحر (٤/ ١٤٠-١٤١)، إعراب القرآن (١/ ٥٥٠-٥٥١).
(٢) وهي قراءة السبعة إلا عاصمًا وابن عامر ونافع. ينظر السبعة (٢٥٨)، النشر (٢/ ٢٥٨)، وينظر التوجيه النحوي في : مجمع البيان (٢/ ٣٠٧)، البحر (٤/ ١٤٠-١٤١).
(٣) سورة ص: ١٦ .

الحق من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء﴾[١] وأشباه ذلك.

﴿إن الحكم إلا لله﴾ إن القضاء إلا لله ﴿يقضي الحق﴾[٢] وتقرأ أيضًا ﴿يقص الحق﴾ من القصص ﴿وهو خير الفاصلين﴾ بالحكم.

﴿قل لو أن عندي ما تستعجلون به﴾ من عذاب الله ﴿لقضي الأمر بيني وبينكم﴾ يعني: الساعة، فأتيتكم بالعذاب ﴿والله أعلم بالظالمين﴾ المعنى: وهو يعلم أنكم ظالمون؛ أي: مشركون.

﴿وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ ۚ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۚ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴿٥٩﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى يَتَوَفَّىٰكُم بِٱلَّيْلِ وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُم بِٱلنَّهَارِ ثُمَّ يَبْعَثُكُمْ فِيهِ لِيُقْضَىٰٓ أَجَلٌ مُّسَمًّى ۖ ثُمَّ إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ ثُمَّ يُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٦٠﴾﴾

﴿وعنده مفاتح الغيب﴾ يعني: خزائن الغيب ﴿لا يعلمها إلا هو﴾ يعلم متى يأتيكم العذاب؛ هذا تفسير الحسن ﴿ويعلم ما في البر والبحر وما تسقط من ورقة إلا يعلمها ولا حبة في ظلمات الأرض﴾ [في جوف الأرض][٣] ﴿ولا رطب ولا يابس إلا في كتاب مبين﴾ بيّن ﴿وهو الذي يتوفاكم بالليل﴾ يعني: النوم ﴿ويعلم ما جرحتم بالنهار﴾ ما عملتم بالنهار ﴿ثم يبعثكم فيه﴾ قال مجاهد: يعني: في النهار. ﴿ليُقضى أجل مسمى﴾ يعني: الساعة باختلاف الليل والنهار.

---

(١) سورة الأنفال: ٣٢.

(٢) هكذا وردت القراءة بالأصل و«ر» (يقضي)، وهي قراءة السبعة إلا ابن كثير ونافعًا وعاصمًا، حيث قرءوا ﴿يقصّ﴾.
ينظر: النشر (٢/٢٥٨)، السبعة (٢٥٩)، التيسير (١٠٣).

(٣) سقطت من الأصل. والمثبت من «ر».

﴿ثم إليه مرجعكم﴾ يوم القيامة ﴿ثم ينبئكم بما كنتم تعملون﴾.

﴿وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ ۖ وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفَرِّطُونَ ﴿٦١﴾ ثُمَّ رُدُّوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ مَوْلَىٰهُمُ ٱلْحَقِّ ۚ أَلَا لَهُ ٱلْحُكْمُ وَهُوَ أَسْرَعُ ٱلْحَٰسِبِينَ ﴿٦٢﴾ قُلْ مَن يُنَجِّيكُم مِّن ظُلُمَٰتِ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ تَدْعُونَهُۥ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً لَّئِنْ أَنجَىٰنَا مِنْ هَٰذِهِۦ لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿٦٣﴾ قُلِ ٱللَّهُ يُنَجِّيكُم مِّنْهَا وَمِن كُلِّ كَرْبٍ ثُمَّ أَنتُمْ تُشْرِكُونَ ﴿٦٤﴾ قُلْ هُوَ ٱلْقَادِرُ عَلَىٰٓ أَن يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّن فَوْقِكُمْ أَوْ مِن تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعًا وَيُذِيقَ بَعْضَكُم بَأْسَ بَعْضٍ ۗ ٱنظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ ٱلْءَايَٰتِ لَعَلَّهُمْ يَفْقَهُونَ ﴿٦٥﴾ وَكَذَّبَ بِهِۦ قَوْمُكَ وَهُوَ ٱلْحَقُّ ۚ قُل لَّسْتُ عَلَيْكُم بِوَكِيلٍ ﴿٦٦﴾ لِّكُلِّ نَبَإٍ مُّسْتَقَرٌّ ۚ وَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿٦٧﴾﴾

﴿وهو القاهر فوق عباده﴾ قهرهم بالموت، وبما شاء من أمره. ﴿ويرسل عليكم حفظة﴾ من الملائكة؛ يحفظون أعمال بني آدم ويكتبونها، ويحفظونه مما لم يُقدَّرْ له؛ حتى يأتي القدر ﴿حتى إذا جاء أحدكم الموت توفته رسلنا وهم لا يفرطون﴾ في أمر اللَّه.

يحيى: وبلغنا أن لملك الموت أعوانًا من الملائكة هم الذين يسلون الروح من الجسد؛ حتى إذا [كانوا عند خروجهم جاء](١) ملك الموت، وهم لا يعلمون آجال العباد حتى يأتيهم علم ذلك من قبل اللَّه.

﴿ثم ردوا إلى اللَّه مولاهم الحق﴾ يعني: مالكهم، والحق: اسم من أسماء اللَّه ﴿ألا له الحكم وهو أسرع الحاسبين﴾.

قال يحيى: سمعت بعض الكوفيين يقول: يفرغ اللَّه من القضاء بين الخلق

---

(١) في الأصل: كان عند خروجه قبضه. والمثبت من «ر».

إذا أخذ في حسابهم في قدر نصف يوم من أيام الدنيا.

﴿قل من ينجيكم من ظلمات البر والبحر﴾ يعني: كروب البر والبحر.

﴿تدعونه تضرعًا وخفية﴾ أي: سرًّا بالتضرع ﴿لئن أنجيتنا من هذه﴾ الشدة ﴿لنكونن من الشاكرين﴾ يعني: المؤمنين.

﴿قل اللَّه ينجيكم منها ومن كل كرب﴾ أي: كل كرب نجوتُمْ منه فهو الذي أنجاكم منه ﴿ثم أنتم تشركون قل هو القادر على أن يبعث عليكم عذابًا من فوقكم أو من تحت أرجلكم أو يلبسكم شيعًا ويذيق بعضكم بأس بعض﴾ (ل٩٥) تفسير الحسن في قوله: ﴿عذابًا من فوقكم﴾ فيحصبكم[(١)] بالحجارة كما حصب قوم لوط، أو ببعض ما ينزل من العذاب ﴿أو من تحت أرجلكم﴾ أي: بِخَسْفٍ أو برَجْفَةٍ ﴿أو يلبسكم شيعًا﴾ يعني: اختلافًا.

﴿ويذيق بعضكم بأس بعض﴾ أي: فيقتل بعضكم بعضًا ﴿وكذّب به قومك وهو الحق﴾ يعني: القرآن ﴿قل لست عليكم بوكيل﴾ بحفيظ لأعمالكم حتى [أجازيكم][(٢)] بها إنما أنا منذر، واللَّه المجازي لكم بأعمالكم.

﴿ولكل نبإٍ مستقر﴾ تفسير الحسن: يقول: لكل نبإ مستقر عند اللَّه خيره وشره.

﴿وسوف تعلمون﴾ يوم القيامة؛ وهذا وعيدٌ من اللَّه للكفار؛ لأنهم كانوا لا يقرون بالبعث.

﴿وَإِذَا رَأَيْتَ ٱلَّذِينَ يَخُوضُونَ فِىٓ ءَايَٰتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا۟ فِى حَدِيثٍ غَيْرِهِۦ ۚ وَإِمَّا يُنسِيَنَّكَ ٱلشَّيْطَٰنُ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ ٱلذِّكْرَىٰ مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٦٨﴾ وَمَا عَلَى ٱلَّذِينَ يَتَّقُونَ مِنْ

---

(١) أي: يرميكم بالحصباء، وهي صغار الحجارة. لسان العرب (حصب).
(٢) في «الأصل»: يجازيكم. والمثبت من «ر».

حِسَابِهِم مِّن شَيْءٍ وَلَٰكِن ذِكْرَىٰ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿٦٩﴾﴾

﴿وإذا رأيت الذين يخوضون في آياتنا﴾ قال مجاهد: يعني: يستهزئون بها ﴿فأعرض عنهم حتى يخوضوا في حديث غيره﴾ كان هذا قبل أن يؤمر بقتالهم(١).

﴿وإما ينسينك الشيطان فلا تقعد بعد الذكرى مع القوم الظالمين﴾ نُهِي أن يقعد معهم، إلا أن ينسى فإذا ذكر فليقُمْ.

﴿وما على الذين يتقون﴾ يعني: المؤمنين ﴿من حسابهم من شيء﴾ يعني: المؤمنين ليس عليهم من حساب المشركين؛ أي: إن قعدوا معهم ﴿ولكن ذكرى لعلهم يتقون﴾ قال الكلبي: قال أصحاب رسول الله عليه السلام: إنا كنا كلما استهزأ المشركون بكتاب الله قمنا وتركناهم لم ندخل المسجد ولم نطُفْ بالبيت، فرخص الله للمؤمنين؛ فقال: ﴿وما على الذين يتقون من حسابهم من شيء ولكن ذكرى لعلهم يتقون﴾ فكان على المسلمين أن يذكروهم ما استطاعوا.

﴿وَذَرِ الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَهُمْ لَعِبًا وَلَهْوًا وَغَرَّتْهُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا ۚ وَذَكِّرْ بِهِ أَن تُبْسَلَ نَفْسٌ بِمَا كَسَبَتْ لَيْسَ لَهَا مِن دُونِ اللَّهِ وَلِيٌّ وَلَا شَفِيعٌ وَإِن تَعْدِلْ كُلَّ عَدْلٍ لَّا يُؤْخَذْ مِنْهَا ۗ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ أُبْسِلُوا بِمَا كَسَبُوا ۖ لَهُمْ شَرَابٌ مِّنْ حَمِيمٍ وَعَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ ﴿٧٠﴾﴾

﴿وذر الذين اتخذوا دينهم لعبًا ولهوًا وغرتهم الحياة الدنيا﴾ قال قتادة: وهذا مما نسخ (القتال)(٢).

(١) ينظر: الناسخ والمنسوخ (ص ٤٥).
(٢) ينظر الناسخ والمنسوخ (ص٤٥) ونواسخ القرآن (ص٣٩٠).

﴿وذكر به﴾ بالقرآن ﴿أن تبسل نفسٌ بما كسبت﴾ يعني: أن تُسْلَم ﴿بما كسبت﴾ عملت؛ أي: تُسْلم في النار ﴿ليس لها من دون اللَّه وليٌّ﴾ يمنعها منه ﴿ولا شفيع﴾ يشفع لها عنده؛ وهذا الكافر.

﴿وإن تعدل كل عدل﴾ أي: تفتدي بكل فدية ﴿لا يؤخذ منها﴾ لا يقبل منها ﴿أولئك الذين أبسلوا﴾ أُسْلموا في النار. ﴿بما كسبوا﴾ عملوا ﴿لهم شرابٌ من حميم﴾ والحميم: الحار الذي قد انتهى حَرُّه ﴿وعذاب أليم﴾ موجعٌ.

﴿قُلْ أَنَدْعُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُنَا وَلَا يَضُرُّنَا وَنُرَدُّ عَلَىٰٓ أَعْقَابِنَا بَعْدَ إِذْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ كَٱلَّذِى ٱسْتَهْوَتْهُ ٱلشَّيَـٰطِينُ فِى ٱلْأَرْضِ حَيْرَانَ لَهُۥٓ أَصْحَـٰبٌ يَدْعُونَهُۥٓ إِلَى ٱلْهُدَى ٱئْتِنَا ۗ قُلْ إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ هُوَ ٱلْهُدَىٰ ۖ وَأُمِرْنَا لِنُسْلِمَ لِرَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿٧١﴾﴾

﴿قل أندعوا من دون اللَّه﴾ يعني: نعبد ﴿من دون اللَّه ما لا ينفعنا ولا يضرنا﴾ وهي الأوثان.

﴿ونرد على أعقابنا﴾ أي: نرجع إلى الكفر ﴿بعد إذ هدانا اللَّه كالذي استهوته الشياطين في الأرض﴾ أي: غلبت عليه ﴿حيران له أصحاب يدعونه إلى الهدى ائتنا﴾ أي: كرجل ضل في أرض فلاة[1]، له أصحاب كلهم يدعونه إلى الطريق فهو متحير؛ هذا مثل من ضل بعد الهدى، قال اللَّه للنبي: ﴿قل إن هدى اللَّه هو الهدى﴾ وهو الذي أنت عليه .

﴿وَأَنْ أَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱتَّقُوهُ ۚ وَهُوَ ٱلَّذِىٓ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٧٢﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ ۖ وَيَوْمَ يَقُولُ كُن فَيَكُونُ ۚ قَوْلُهُ ٱلْحَقُّ ۚ وَلَهُ ٱلْمُلْكُ يَوْمَ

(١) أي : صحراء، والجمع. فَلَوَاتٌ، وفَلًا. لسان العرب (فلو).

يُنفَخُ فِي ٱلصُّورِۚ عَٰلِمُ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِۚ وَهُوَ ٱلۡحَكِيمُ ٱلۡخَبِيرُ ﴿٧٣﴾﴾

﴿وهو الذي خلق السمٰوات والأرض بالحق﴾ أي: للحق؛ يعني: الميعاد ﴿ويوم يقول كن فيكون﴾ يعني: يوم القيامة.

﴿يوم ينفخ في الصور﴾ ينفخ فيه مَلَكٌ يقوم بين السماء والأرض، قال قتادة: من الصخرة من بيت المقدس، والصُّور: قَرْنٌ فيه أرواح الخلق؟ فينفخ فيه فيذهب كل روح إلى جسده، فيدخل فيه، ثم ينطلقون سراعًا إلى المنادى صاحب الصُّور إلى بيت المقدس ﴿عالم الغيب والشهادة﴾ الغيب: السرُّ، والشهادة: العلانية ﴿وهو الحكيم﴾ في أمره ﴿الخبير﴾ بأعمال العباد.

﴿وَإِذۡ قَالَ إِبۡرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ ءَازَرَ أَتَتَّخِذُ أَصۡنَامًا ءَالِهَةً إِنِّيٓ أَرَىٰكَ وَقَوۡمَكَ فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ ﴿٧٤﴾ وَكَذَٰلِكَ نُرِيٓ إِبۡرَٰهِيمَ مَلَكُوتَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَلِيَكُونَ مِنَ ٱلۡمُوقِنِينَ ﴿٧٥﴾ فَلَمَّا جَنَّ عَلَيۡهِ ٱلَّيۡلُ رَءَا كَوۡكَبٗاۖ قَالَ هَٰذَا رَبِّيۖ فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَآ أُحِبُّ ٱلۡأٓفِلِينَ ﴿٧٦﴾ فَلَمَّا رَءَا ٱلۡقَمَرَ بَازِغٗا قَالَ هَٰذَا رَبِّيۖ فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَئِن لَّمۡ يَهۡدِنِي رَبِّي لَأَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلضَّآلِّينَ ﴿٧٧﴾ فَلَمَّا رَءَا ٱلشَّمۡسَ بَازِغَةٗ قَالَ هَٰذَا رَبِّي هَٰذَآ أَكۡبَرُۖ فَلَمَّآ أَفَلَتۡ قَالَ يَٰقَوۡمِ إِنِّي بَرِيٓءٞ مِّمَّا تُشۡرِكُونَ ﴿٧٨﴾ إِنِّي وَجَّهۡتُ وَجۡهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ حَنِيفٗاۖ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ﴿٧٩﴾﴾

﴿وإذ قال إبراهيم لأبيه آزر أتتخذ أصنامًا آلهة﴾ قال قتادة: أبو إبراهيم اسمه: تارح[1]

---

(١) وقيل: اسم أبيه آزر، وقيل: آزر هو تارح، وقيل غير ذلك. ينظر: تفسير الطبري (٧/ ٢٤٢-٢٤٤).

قال يحيى: والمقرأة[(١)] على هذا التفسير: ﴿آزرُ﴾ بالرفع، وكذلك كان الحسن (ل٩٦) يقرؤها بالرفع[(٢)] (آزرُ) يقوله إبراهيم لأبيه[(٣)].

قال محمدٌ: قال أبو عبيد[(٤)]: مَقْرأ الحسن بالرفع؛ هو بمعنى (يا آزر).

وقال الخليل[(٥)]: معنى (يا آزر) الشيْء يُعَيِّره به؛ كأنه قال: يا مُعْوَجُّ، يا ضال[(٦)].

قال يحيى: وكان بعضهم يقرؤها بالنصب[(٧)]، ويقول: اسم أبيه: (آزر).

﴿وكذلك نرى إبراهيم ملكوت﴾ يعني: ملك ﴿السمٰوات والأرض...﴾ الآية.

تفسير قتادة قال: ذكر لنا أن إبراهيم فُرَّ به من جبار مترفٍ؛ فجعل في سرْبٍ، وجُعل رزقُه في أطراف أصابعه، فجعل لا يمص إصْبَعًا إلا وجد فيها

---

(١) أي: القراءة، فهو مصدر ميمي على وزن مَفعَلَة.

(٢) وهي قراءة يعقوب، وعزيت إلى أبي وابن عباس والحسن ومجاهد وغيرهم. ينظر: النشر (٢/ ٢٥٩)، المحتسب (١/ ٢٢٣)، البحر المحيط (٤/ ١٦٤).

(٣) أي: على النداء، أي: يقول إبراهيم لأبيه: يا آزر.

(٤) أبو عبيد: هو أبو عبيد القاسم بن سلام؛ الإمام الجليل: توفي سنة ٢٢٤هـ. ينظر: سير أعلام النبلاء (١٠/ ٤٩٠ - ٥٠٩).
وفي «ر»: أبو عبيدة: وهو معمر بن المثنى البصري العلامة النحوي، ترجمته في تهذيب الكمال (٢٨/ ٣١٦ - ٣٢١).

(٥) هو الخليل بن أحمد أبو عبد الرحمن الفراهيدي (١٠٠ - ١٧٥هـ) علامة العرب، وهو أشهر اللغويين والنحاة واضع علمي المعاجم والعروض، وله المؤلفات السائرة ككتاب العين والعروض وغيرهما. ينظر الأعلام (٢/ ٣١٤).

(٦) ينظر: تفسير الطبري (٧/ ٢٤٣)، كشف المشكلات (١/ ٤٠٧).
وفي كتاب العين للخليل (٦/ ٣٨٢) آزر: اسم والد إبراهيم عليه السلام.

(٧) وهي قراءة الجمهور. ينظر: إتحاف الفضلاء (٢١١) البحر المحيط (٤/ ١٦٤)، النشر (٢/ ٢٥٩).

رزقًا، وإنه لما خرج من ذلك السِّرْب أراه اللَّهُ ملكوت السمٰوات؛ أراه شمسًا وقمرًا ونجومًا وعيونًا وخلقًا عظيمًا، وأراه ملكوت الأرض؛ فأراه جبالًا وبحارًا وأنهارًا وشجرًا، ومن كل الدواب وخلقًا عظيمًا.

﴿فلما جنَّ عليه الليل﴾ أي: [آواه][١].

قال محمد: يقال: جنَّ عليه الليل، وأجنَّهُ الليل؛ إذا أظلم حتى يستره بظلمته[٢].

﴿رأى كوكبًا قال هذا ربي فلما أفل﴾ ذهب ﴿قال لا أحب الآفلين﴾ وأهمه[٣] النظر[٤] فراعى الكوكب حتى ذهب وغاب، قال: واطَّلع القمر، وكان ليلةَ آخرِ الشهر ﴿ فلما رأى القمر بازغًا﴾ أي: طالعًا ﴿قال هذا ربي﴾ قال: فراعاه حتى غاب ﴿فلما أفل﴾ ذهب ﴿قال لئن لم يهدني ربي لأكونن من القوم الضالين﴾ قال: فازداد قربًا من معرفة اللَّه ﴿فلما رأى الشمس بازغَةً﴾ [أي: طالعة][٥] ﴿قال هذا ربي هذا أكبر﴾ أي: من القمر والكوكب. قال: فراعاها حتى غابت ﴿فلما أفلت﴾ ذهبت ﴿قال يا قوم إني بريءٌ مما تشركون﴾.

﴿وَحَآجَّهُۥ قَوْمُهُۥ قَالَ أَتُحَٰٓجُّوٓنِّي فِي ٱللَّهِ وَقَدْ هَدَىٰنِ وَلَآ أَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ بِهِۦٓ إِلَّآ أَن

---

(١) في الأصل: أتاه. والمثبت من «ر».
(٢) يقال: جَنَّ وأجَنَّ، واجْتَنَّ، واسْتَجَنَّ بمعنى واحد؛ أي: استتر، والمراد: استتر بظلمة الليل.
ينظر: لسان العرب، القاموس المحيط، مختار الصحاح (جنن).
(٣) أي: أتعبه. لسان العرب (همم).
(٤) اختلف المفسرون في هذا المقام هل هو مقام نظر أو مقام مناظرة، والصحيح أنه مقام مناظرة. انظر تفسير القرطبي (٧/ ٢٥ - ٢٧) وتفسير ابن كثير (٢/ ١٥١ - ١٥٢) وأضواء البيان (٢/ ١٨٠).
(٥) سقط من الأصل. والمثبت من «ر».

يَشَآءَ رَبِّي شَيْـًٔاۚ وَسِعَ رَبِّي كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًاۚ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ ﴿٨٠﴾ وَكَيْفَ أَخَافُ مَآ أَشْرَكْتُمْ وَلَا تَخَافُونَ أَنَّكُمْ أَشْرَكْتُم بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ عَلَيْكُمْ سُلْطَٰنًاۚ فَأَيُّ ٱلْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِٱلْأَمْنِۖ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨١﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمْ يَلْبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٨٢﴾ وَتِلْكَ حُجَّتُنَآ ءَاتَيْنَٰهَآ إِبْرَٰهِيمَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦۚ نَرْفَعُ دَرَجَٰتٍ مَّن نَّشَآءُۗ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿٨٣﴾﴾

﴿وحاجَّه قومه قال أتحاجوني في اللَّه وقد هدانِ ولا أخاف ما تشركون به﴾ يعني: أصنامهم التي كانوا يعبدون.

قال محمد: ذكر أبو عبيد[١]؛ أن نافعًا قرأ: ﴿أتحاجوني﴾ بتخفيف النون[٢]، ومثله: ﴿قل أفغير اللَّه تأمروني أعبد﴾[٣] قال: وقرأهما أهل العراق مثقَّلتين: (أتحاجونِّي، وتأمرونِّي)[٤].

قال أبو عبيد[١]: وكذلك القراءة عندنا بتثقيلهما[٥]؛ لأن الأصل أن يكون[٦] بنونين: نون الفعل[٧]، ونون اسم الفاعل[٨]: فلما كُتِبَتَا في المصحف على

---

(١) في «ر»: أبو عبيدة.

(٢) وقراءة التخفيف هي قراءة نافع، وابن عامر؛ بخلاف عن هشام عنه. ينظر: السبعة (٢٦١)، النشر (٢/ ٢٥٩ - ٢٦٠)، التيسير (١٠٤).

(٣) سورة الزمر: ٦٤ .

(٤) وقراء التشديد هي قراءة الباقين (أي: باستثناء نافع وابن عامر) ينظر: السبعة (٢٦١)، النشر (٢/ ٢٥٩ - ٢٦٠)، التيسير (١٠٤).

(٥) أي: أتحاجونِّي، وتأمرونِّي.

(٦) لعل الصواب (يكونا)، أو التقدير: يكون الفعل منهما.

(٧) أي: نون الرفع في الأمثلة الخمسة.

(٨) هذا اصطلاحه، ومصطلح النحاة (نون الوقاية) أو (نون العماد) ينظر: البحر (٤/ ١٦٩)، الدر المصون (٣/ ١٠٨).

نون واحدة، لم يكن إلى الزيادة سبيل؛ فثقلوا النون؛ لتكون المتروكة مدغمةً. قال: وإنما كره التثقيل من كرهه - فيما نرى - للجمع بين الساكنين؛ وهي الواو والنون المدغمة فحذفوها[١].

قوله: ﴿وسع ربي كل شيءٍ علمًا﴾ قال قتادة: يعني: ملأ ربي.

﴿وكيف أخاف ما أشركتم﴾ يعني: من هذه الأوثان ﴿ولا تخافون أنكم أشركتم باللَّه ما لم ينزل به عليكم سُلْطانًا﴾ يعني: حجة ﴿فأي الفريقين أحق بالأمن﴾ أي: من عبد اللَّه، و[من][٢] عبد الأوثان؟ ﴿ الذين آمنوا ولم يلبسوا﴾ يعني: يخلطوا ﴿إيمانهم بظلمٍ﴾ بشرك ﴿أولئك لهم الأمن﴾ يوم القيامة ﴿وهم مهتدون﴾ في الدنيا.

﴿وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ ۚ كُلًّا هَدَيْنَا ۚ وَنُوحًا هَدَيْنَا مِن قَبْلُ ۖ وَمِن ذُرِّيَّتِهِۦ دَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ (٨٤) وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَىٰ وَعِيسَىٰ وَإِلْيَاسَ ۖ كُلٌّ مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ (٨٥) وَإِسْمَٰعِيلَ وَٱلْيَسَعَ وَيُونُسَ وَلُوطًا ۚ وَكُلًّا فَضَّلْنَا عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ (٨٦) وَمِنْ ءَابَآئِهِمْ وَذُرِّيَّٰتِهِمْ وَإِخْوَٰنِهِمْ ۖ وَٱجْتَبَيْنَٰهُمْ وَهَدَيْنَٰهُمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ (٨٧) ذَٰلِكَ هُدَى ٱللَّهِ يَهْدِى بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ۚ وَلَوْ أَشْرَكُوا۟ لَحَبِطَ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ (٨٨) أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحُكْمَ وَٱلنُّبُوَّةَ ۚ فَإِن يَكْفُرْ بِهَا هَٰٓؤُلَآءِ فَقَدْ وَكَّلْنَا بِهَا قَوْمًا لَّيْسُوا۟ بِهَا بِكَٰفِرِينَ (٨٩) أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُ ۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقْتَدِهْ ۗ قُل لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا ۖ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرَىٰ لِلْعَٰلَمِينَ (٩٠)﴾

﴿ووهبنا له إسحاق ويعقوب﴾ إلى قوله: ﴿وكلًّا فضلنا على العالمين﴾

---

(١) ينظر: كشف المشكلات (١/ ٤١٠)، البحر (٤/ ١٦٩)، إعراب القرآن (١/ ٥٦٠).
(٢) ليست في الأصل و«ر».

يعني: عالمي زمانهم ﴿ واجتبيناهم﴾ (استخلصناهم)[١] للنبوة.

﴿أولئك الذين آتيناهم الكتاب والحكم﴾ يعني: الفهم والعقل ﴿والنبوة فإن يكفر بها هؤلاء﴾ قال الحسن: يعني: المشركين ﴿ فقد وكلنا بها﴾ بالنبوة ﴿قومًا ليسوا بها بكافرين﴾ يعني: النبيين الذين ذُكَر[٢]: داود وسليمان وغيرهم من الأنبياء المذكورين في الآية.

﴿أولئك الذين هدى اللَّه﴾ يعني: النبيين الذين قصَّ.

﴿فبهداهم اقتده﴾ يقوله لمحمد عليه السلام.

﴿وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ إِذْ قَالُوا۟ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَىٰ بَشَرٍ مِّن شَىْءٍ ۗ قُلْ مَنْ أَنزَلَ ٱلْكِتَـٰبَ ٱلَّذِى جَآءَ بِهِۦ مُوسَىٰ نُورًا وَهُدًى لِّلنَّاسِ ۖ تَجْعَلُونَهُۥ قَرَاطِيسَ تُبْدُونَهَا وَتُخْفُونَ كَثِيرًا ۖ وَعُلِّمْتُم مَّا لَمْ تَعْلَمُوٓا۟ أَنتُمْ وَلَآ ءَابَآؤُكُمْ ۖ قُلِ ٱللَّهُ ۖ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِى خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ ﴿٩١﴾ وَهَـٰذَا كِتَـٰبٌ أَنزَلْنَـٰهُ مُبَارَكٌ مُّصَدِّقُ ٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ وَلِتُنذِرَ أُمَّ ٱلْقُرَىٰ وَمَنْ حَوْلَهَا ۚ وَٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْـَٔاخِرَةِ يُؤْمِنُونَ بِهِۦ ۖ وَهُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴿٩٢﴾﴾

﴿وما قدروا اللَّه حق قدره﴾ أي: ما عظموه حق عظمته ﴿ إذ قالوا ما أنزل اللَّه على بشرٍ من شيء﴾ تفسير الحسن: هم اليهود [كانوا][٣] يقولون: هؤلاء قوم أميون؛ يعنون: النبي عليه السلام وأصحابه (ل ٩٧) فَألْبِسُوا[٤] عليهم؛ فقالوا: ﴿ ما أنزل اللَّه على بشرٍ من شيءٍ﴾ فقد كانت الأنبياء تجيء من عند اللَّه، فلم

---

(١) في «ر»: أخلصناهم.
(٢) في «ر»: ذُكِرُوا.
(٣) سقط من الأصل، والمثبت من «ر».
(٤) أي: أدخلوا عليهم الشك والبطلان بإثارة الشبهات. لسان العرب (لبس).

تكن تجيء بالكتب؛ فمن أين جاء محمد بهذا الكتاب؟! قال اللَّه لمحمد: قل لهم: ﴿من أنزل الكتاب الذي جاء به موسى نورًا وهدًى للناس﴾ يعني: لمن اهتدى به ﴿تجعلونه قراطيس تبدونها وتخفون كثيرًا﴾ والقراطيس: الكتب التي كتبوا بأيديهم بما حرفوا من التوراة.

﴿وعلمتم ما لم تعلموا أنتم ولا آباؤكم﴾ يقول: علمتم علمًا؛ فلم يصر لكم علمًا؛ لتضييعكم إياه، ولا لآبائكم ﴿قل اللَّه﴾ الذي أنزل الكتاب، الآية. وهذا قبل أن يؤمر بقتال أهل الكتاب.

﴿وهذا كتابٌ أنزلناه مبارك﴾ يعني: القرآن ﴿مصدق الذي بين يديه﴾ من التوراة والإنجيل.

﴿ ولتنذر أم القرى﴾ يعني: ولتنذر أهل مكة ﴿ ومن حولها﴾ يعني: سائر الأرض.

﴿ وهم على صلاتهم يحافظون﴾ قال قتادة: يحافظون على وضوئها ومواقيتها، وركوعها وسجودها.

﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوْ قَالَ أُوحِىَ إِلَىَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَىْءٌ وَمَن قَالَ سَأُنزِلُ مِثْلَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ ۗ وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلظَّٰلِمُونَ فِى غَمَرَٰتِ ٱلْمَوْتِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ بَاسِطُوٓا۟ أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوٓا۟ أَنفُسَكُمُ ۖ ٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ ٱلْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ غَيْرَ ٱلْحَقِّ وَكُنتُمْ عَنْ ءَايَٰتِهِۦ تَسْتَكْبِرُونَ ﴿٩٣﴾ وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَٰدَىٰ كَمَا خَلَقْنَٰكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَتَرَكْتُم مَّا خَوَّلْنَٰكُمْ وَرَآءَ ظُهُورِكُمْ ۖ وَمَا نَرَىٰ مَعَكُمْ شُفَعَآءَكُمُ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُمْ أَنَّهُمْ فِيكُمْ شُرَكَٰٓؤُا۟ ۚ لَقَد تَّقَطَّعَ بَيْنَكُمْ وَضَلَّ عَنكُم مَّا كُنتُمْ تَزْعُمُونَ ﴿٩٤﴾﴾

﴿ومن أظلم ممن افترى على اللَّه كذبًا﴾ يقول: لا أحد أظلم منه ﴿ أو قال

أوحي إليَّ ولم يوح إليه شيء ومن قال سأنزل مثل ما أنزل اللَّه﴾ قال الحسن وقتادة: نزلتْ في مسيلمة الكذَّاب .

﴿ ولو ترى إذ الظالمون في غمرات الموت. . . ﴾ الآية.

يحيى: أخبرني بعض الكوفيين عمَّن حدثه، عن أبي أمامة قال: «هذا عند الموت يقبضون [روح الكافر](١) (ويَعِدُونه)(٢) بالنار، ويُشَدَّدُ عليه، وإن رأيتم أنه يُهَوَّنُ عليْه، ويقبضون روح المؤمن، ويَعِدُونه بالجنة ويُهَوَّنُ عليه، وإن رأيتم أنه يُشَدَّدُ عليه».

﴿ولقد جئتمونا فرادى كما خلقناكم أول مرة﴾ يقول: خلقنا كل إنسان فرْدًا، ويأتينا يوم القيامة فردًا.

قال محمد: ﴿فرادى﴾ جمع فرْدٍ؛ وكأنه جمع (فَرْدَان)؛ كما قالوا: كَسْلان وكُسَالى(٣).

﴿وتركتم ما خولناكم﴾ أي: ما أعطيناكم ﴿ وراء ظهوركم﴾ يعني: في الدنيا.

﴿ وما نرى معكم شفعاءكم﴾ يعني: آلهتكم ﴿ الذين زعمتم أنهم فيكم شركاء﴾ أي: أنهم شركاء للَّه فيكم؛ فعبدتموهم من دون اللَّه ﴿ لقد تقطع بينكم﴾ أي: وَصْلُكم الذي كان يواصل به بعضكم بعضًا على عبادة الأوثان؛

---

(١) في الأصل: روحه. والمثبت من «ر».

(٢) في «ر»: ويعذبونه.

(٣) قال الفراء: فرادى جمع فَرْد، وفريد، وفَرِد، وفَرْدَان. وقال ابن قتيبة: هو جمع فَرْدَان، كسَكْران وسكارَى، وعَجْلان وعُجَالى. وقال قوم: هو جمع فريد كرديف ورُدَافي، وأسير وأُسَارى؛ قاله الراغب الأصفهاني. ينظر: لسان العرب، مختار الصحاح (فرد)، الدر المصون (٣/ ١٢٤).

هذا تفسير من قرأها بالرفع، ومن قرأها بالنصب فالمعنى: لقد تقطع ما بينكم من المواصلة(١).

﴿وضل عنكم ما كنتم تزعمون﴾ أنها تشفع لكم.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ فَالِقُ ٱلْحَبِّ وَٱلنَّوَىٰ يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَمُخْرِجُ ٱلْمَيِّتِ مِنَ ٱلْحَىِّ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ ﴿٩٥﴾ فَالِقُ ٱلْإِصْبَاحِ وَجَعَلَ ٱلَّيْلَ سَكَنًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ حُسْبَانًا ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ ﴿٩٦﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلنُّجُومَ لِتَهْتَدُوا۟ بِهَا فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ قَدْ فَصَّلْنَا ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٩٧﴾ وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنشَأَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ فَمُسْتَقَرٌّ وَمُسْتَوْدَعٌ قَدْ فَصَّلْنَا ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَفْقَهُونَ ﴿٩٨﴾﴾

قوله: ﴿إنَّ اللَّه فالقُ الحب والنوى﴾ قال الحسن: يعني: ينفلق عن النبات.

﴿يخرج الحيَّ من الميت ويخرج الميت من الحي﴾ تفسير الحسن: يخرج المؤمن من الكافر، ويخرج الكافر من المؤمن ﴿ذلكم اللَّه فأنى تؤفكون﴾ أي: فيكف تصرف عقولكم؟! ﴿فالق الإصباحِ﴾ خالق الإصباح؛ يعني: الصبح حين يضيء وكان الحسن يقرؤها: (الأَصْبَاح) جمع: صُبْح(٢).

﴿وجاعِلُ الليلِ(٣) سكنًا﴾ يسكن فيه الخلق ﴿والشمس والقمر حسبانًا﴾

---

(١) قرأ بنصب ﴿بينكم﴾ نافع والكسائي وحفص عن عاصم، وقرأ الباقون بالرفع. ينظر: السبعة (٢٦٣)، والتيسير (١٠٥)، والنشر (٢/ ٢٦٠). وينظر في توجيه هاتين القراءتين: ابن الشجري (١/ ٤٦)، (٢/ ٢٥٧ - ٢٥٩)، البحر (٤/ ١٨٢ - ١٨٣)، إعراب القرآن (١/ ٥٦٦)، الدر المصون (٣/ ١٢٦).

(٢) قرأ الحسن وأبو رجاء وعيسى بن عمر (الأَصْبَاح) جمع (صُبْح) وقرأ الجمهور ﴿الإصباح﴾، على كسر الهمزة، وهو المصدر. ينظر: البحر المحيط (٤/ ١٨٥)، الدر (٣/ ١٣٢).

(٣) قرأ الكوفيون ﴿جعل﴾ بفتح العين واللام من غير ألف وبنصب اللام من ﴿الليل﴾ وقرأ الباقون بالألف وكسر العين ورفع اللام وخفض ﴿الليلِ﴾. النشر (٢/ ٢٦٠) وإتحاف الفضلاء (٢٧٠).

قال الكلبي: يعني: حساب منازل الشمس والقمر، كل يوم بمنزل.

قال محمد: القراءة بالنصب: (والشمسَ والقمرَ)[١]؛ أي: وجعل الشمس والقمر، ومن كلامهم: حَدُّ كل شيءٍ بحُسْبانه؛ أي: بحسابه.

﴿ وهو الذي جعل لكم النجوم لتهتدوا بها﴾ يعني: التي يُهْتَدَى بها منها.

﴿وهو الذي أنشأكم من نفسٍ واحدةٍ﴾ يعني: آدم ﴿ فمستقر ومستودع﴾ تفسير ابن عباس: المستقر: الرحم، والمستودع: الصلب، وكان الحسن يقرؤها (فمستقِرٌّ) بكسر القاف[٢] (ومستودَعٌ) وتفسيرها: مستقر في [أجله][٣] ومستودَعٌ [في قبره][٤] (ل ٩٨) من يوم يوضع فيه إلى يوم يبعث.

﴿وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ نَبَاتَ كُلِّ شَىْءٍ فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ خَضِرًا نُّخْرِجُ مِنْهُ حَبًّا مُّتَرَاكِبًا وَمِنَ ٱلنَّخْلِ مِن طَلْعِهَا قِنْوَانٌ دَانِيَةٌ وَجَنَّٰتٍ مِّنْ أَعْنَابٍ وَٱلزَّيْتُونَ وَٱلرُّمَّانَ مُشْتَبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَٰبِهٍ ٱنظُرُوٓا۟ إِلَىٰ ثَمَرِهِۦٓ إِذَآ أَثْمَرَ وَيَنْعِهِۦٓ إِنَّ فِى ذَٰلِكُمْ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٩٩﴾﴾

﴿وهو الذي أنزل من السماء ماء فأخرجنا به نبات كل شيءٍ﴾ يعني: النبات الذي ينبت ﴿ فأخرجنا منه خضرًا نخرج منه حبًّا متراكبًا﴾ أي: يركب بعضه بعضًا.

---

(١) وهي قراءة الجمهور، وتأويل النصب على المفعولية بتقدير الفعل (جعل) ينظر: البحر (٧/ ١٥)، الدر المصون (٣/ ١٣٤).

(٢) وهي قراءة ابن كثير وأبي عمرو؛ أي بكسر القاف، والباقون قرءوا بفتحها. أما ﴿مستودع﴾ فالكل قرءوه مفتوح الدال. وقد روى الأعور عن أبي عمرو بن العلاء كسرها. ينظر: البحر (٤/ ١٨٨ - ١٨٩)، الدر المصون (٣/ ١٣٦).

(٣) طمس في الأصل، والمثبت من «ر»، وفي تفسير ابن كثير (٣/ ٢٩٩): مستقر في الأرحام.

(٤) سقط من الأصل، والمثبت من «ر».

قال محمدٌ: معنى (خضرًا) كمعنى أخضر .

﴿ومن النخل من طلعها قنوانٌ دانيةٌ وجناتٍ من أعناب﴾ قال محمدٌ: المعنى: أخرجنا من الماء خضرًا وجناتٍ.

﴿والزيتونَ والرمانَ﴾.

قال يحيى: يعني: وأخرجنا الزيتون والرمان ﴿مشتبهًا وغير متشابه﴾ أي: مشتبهًا في طعمه ولونه، وغير متشابه ﴿انظروا إلى ثمره إذا أثمر﴾ يعني: حين يكون غضًا ﴿وينعه﴾ أي: ونضجه ﴿ إن في ذلكم لآيات لقوم يؤمنون﴾ قال الحسن: يقول: الذي أخرج من هذا الماء هذا النبات وهذا الخضر وهذه الجنات - قادرٌ على أن يُحْيِيَ الموتى.

قال محمدٌ: القِنوان: الْعُذوقُ، واحدها: قِنوٌ، وجمع على لفظ تثنيته؛ غير أن الحركات تلزم نونه في الجمع، ومثله: صِنوٌ وصِنوانٌ[1].

﴿وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ الْجِنَّ وَخَلَقَهُمْ وَخَرَقُوا لَهُ بَنِينَ وَبَنَاتٍ بِغَيْرِ عِلْمٍ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يَصِفُونَ (١٠٠) بَدِيعُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَنَّى يَكُونُ لَهُ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُنْ لَهُ صَاحِبَةٌ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ (١٠١) ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ فَاعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ (١٠٢) لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ (١٠٣)﴾

---

(١) وفي (قنوان) لغات: قِنوان بكسر القاف، وقُنوان بضمها، وقَنوان بفتحها، وقُنيان، وقِنيان. وهو من الألفاظ التي يأتي جمعها على لفظ تثنيتها، وقد أورد السيوطي في المزهر هذه الألفاظ.

ينظر: لسان العرب (قنو)، المزهر (٢/ ٨٨)، البحر (٤/ ١٨٩ - ١٩٠)، الدر المصون (٣/ ١٣٩).

﴿وجعلوا للَّه شركاء الجن﴾ يعني: الشياطين؛ يقول: جعلوا الشياطين شركاء للَّهِ؛ لأن الشياطين هي التي دعَتْهم إلى عبادة الأوثان، ولم تدعهم الأوثان إلى عبادتها.

﴿وخلقهم﴾ أي: اللَّه خلقهم ﴿وخرقوا له﴾ أي: اختلقوا له ﴿ بنين وبنات﴾ قال محمد: المعنى: جعلوا للذي خلقهم شركاء لا يخلقون.

﴿ بديع السمٰوات والأرض﴾ يعني: ابتدعهما على غير مثال ﴿ أنَّى يكون له ولد﴾ من أين يكون له ولد؟! ﴿ولم تكن له صاحبة﴾

﴿وهو على كل شيءٍ وكيل﴾ أي: حفيظ لأعمال العباد ﴿ لا تدركه الأبصار﴾ يعني: في الدنيا.

﴿وهو يدرك الأبصار وهو اللطيف﴾ بخلقه فيما أعطاهم ﴿ الخبير﴾ بأعمالهم.

﴿قَدْ جَآءَكُم بَصَآئِرُ مِن رَّبِّكُمْۖ فَمَنْ أَبْصَرَ فَلِنَفْسِهِۦۖ وَمَنْ عَمِىَ فَعَلَيْهَاۚ وَمَآ أَنَا۠ عَلَيْكُم بِحَفِيظٍ ﴿١٠٤﴾ وَكَذَٰلِكَ نُصَرِّفُ ٱلْءَايَٰتِ وَلِيَقُولُوا۟ دَرَسْتَ وَلِنُبَيِّنَهُۥ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿١٠٥﴾ ٱتَّبِعْ مَآ أُوحِىَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٠٦﴾ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَآ أَشْرَكُوا۟ۗ وَمَا جَعَلْنَٰكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًاۖ وَمَآ أَنتَ عَلَيْهِم بِوَكِيلٍ ﴿١٠٧﴾ وَلَا تَسُبُّوا۟ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ فَيَسُبُّوا۟ ٱللَّهَ عَدْوًۢا بِغَيْرِ عِلْمٍۗ كَذَٰلِكَ زَيَّنَّا لِكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلَهُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِم مَّرْجِعُهُمْ فَيُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٠٨﴾﴾

﴿ قد جاءكم بصائر من ربكم﴾ يعني: القرآن ﴿ فمن أبصر﴾ [اهتدى][1]

---

(١) سقط من الأصل، والمثبت من «ر».

﴿فلنفسه ومن عمي﴾ عن الهدى ﴿فعليها﴾ فعلى نفسه ﴿وما أنا عليكم بحفيظ﴾ أحفظ أعمالكم حتى أجازيكم بها ﴿وكذلك نصرف الآيات وليقولوا درست﴾ أي: قرأت وتعلَّمت، وبعضهم يقرؤها (دارسْتَ)[1]؛ أي: قارأت أهل الكتابين.

﴿اتبع ما أوحي إليك من ربك﴾ (يقول: ادعهم إلى)[2] لا إله إلا اللَّه ﴿وأعرض عن المشركين﴾ وهي منسوخة، نسختها القتال[3] ﴿ولا تسبوا الذين يدعون من دون اللَّه فيسبوا اللَّه عَدْوًا بغيْرِ علم﴾.

قال يحيى: وهي تقرأ ﴿عَدْوًا﴾ و﴿عُدُوًّا﴾[4] وهو من العدوان، والعدوان: الظلم.

﴿كذلك زينا لكل أمَّةٍ﴾ أي: لأهل كل ملَّةٍ ﴿عملهم﴾.

قال الكلبي: قال المشركون: واللَّه لينتهينَّ محمدٌ عن سَبِّ آلهتنا، أو لنسُبَّنَّ رَبَّهُ؛ فنزلت هذه الآية.

﴿وَأَقْسَمُوا۟ بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَٰنِهِمْ لَئِن جَآءَتْهُمْ ءَايَةٌ لَّيُؤْمِنُنَّ بِهَا ۚ قُلْ إِنَّمَا ٱلْـَٔايَٰتُ عِندَ ٱللَّهِ ۖ وَمَا يُشْعِرُكُمْ أَنَّهَآ إِذَا جَآءَتْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٠٩﴾ وَنُقَلِّبُ أَفْـِٔدَتَهُمْ وَأَبْصَٰرَهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا۟ بِهِۦٓ أَوَّلَ مَرَّةٍ ۙ وَنَذَرُهُمْ فِى طُغْيَٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿١١٠﴾ وَلَوْ أَنَّنَا نَزَّلْنَآ إِلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ وَكَلَّمَهُمُ

---

(١) قرأ ابن عامر (دَرَسَتْ)، وقرأ ابن كثير وأبو عمرو (دارسْتَ)، وقرأ الباقون (دَرَسْتَ). ينظر: السبعة (٢٦٤)، التيسير (١٠٥)، النشر (٢/ ٢٦١).

(٢) سقط من «ر».

(٣) أي: ﴿قاتلوا الذين لا يؤمنون باللَّه ولا باليوم الآخر...﴾ التوبة: ٢٩ .

(٤) قرأ الحسن وأبو رجاء ويعقوب وقتادة (عُدُوًّا)، على أنه مصدر للفعل (عدا) وقرأ ابن كثير في رواية - وهي قراءة أهل مكة فيما نقله النحاس -: (عَدُوًّا) بمعنى (أعداء) والباقون (عَدْوًا) ينظر: الدر المصون (٣/ ١٥٣).

ٱلْمَوْتَىٰ وَحَشَرْنَا عَلَيْهِمْ كُلَّ شَيْءٍ قُبُلًا مَّا كَانُوا۟ لِيُؤْمِنُوٓا۟ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ يَجْهَلُونَ ﴿١١١﴾﴾

﴿وأقسموا بالله جهد أيمانهم﴾ [بمبلغ أيمانهم][(١)] ﴿لئن جاءتهم آية ليؤمننَّ بها﴾ قال الله لنبيه: ﴿قل إنما الآيات عند الله وما يشعركم﴾ أي: ما يدريكم ﴿أنها إذا جاءت لا يؤمنون﴾.

قال محمدٌ: تقرأ (إنَّها) بكسرِ الألف؛ على الابتداء، وتقرأ (أَنها) بالفتح[(٢)]؛ بمعنى: لعلهم، ذكره أبو عبيد[(٣)].

﴿ونقلب أفئدتهم وأبصارهم﴾ أي: نطبع عليها ﴿كما لم يؤمنوا به أوَّل مرة﴾ يقول: لو جاءتهم الآية لم يؤمنوا؛ كما لم يؤمنوا قبل أن يجيئهم العذاب ﴿ونذرهم في طغيانهم يعمهون﴾ أي: يترددون.

﴿ولو أننا نزلنا إليهم الملائكة وكلَّمهم الموتى وحشرنا عليهم كل شيءٍ قبلًا﴾ يعني: عيانًا ﴿ما كانوا ليؤمنوا﴾ قال الحسن: [هذا][(٤)] حين قالوا: ابْعَثْ لنا مَوْتَانا نسألهم أحقٌّ ما تقول أم باطل؟ ولقولهم: ﴿لولا أنزل علينا الملائكة﴾[(٥)] ولقولهم: ﴿أو تأتي بالله والملائكة قبيلًا﴾[(٦)] يقول: لو فعلنا هذا بهم [حين: يَرَوْنَهَ][(٧)] (ل٩٩) عيانًا ﴿ما كانوا ليؤمنوا إلا أن يشاء الله ولكن أكثرهم يجهلون﴾

---

(١) في الأصل: مع أيمانهم. والمثبت من «ر».

(٢) قرأ العامة (أنها) بفتح الهمزة، وقرأ ابن كثير وأبو عمرو بكسرها. ينظر: الدر المصون (٣/ ١٥٤).

(٣) مغني اللبيب (١/ ٥١).

(٤) في الأصل: هي. والمثبت من «ر».

(٥) سورة الفرقان: ٢١ .

(٦) سورة الإسراء: ٩٢ .

(٧) في الأصل: أي: يرون. والمثبت من «ر».

أي: لا يعلمون. وقوله: ﴿أكثرهم﴾ يعني: من ثبت على الكفر منهم.

﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَٰطِينَ ٱلْإِنسِ وَٱلْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ ٱلْقَوْلِ غُرُورًا ۚ وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ ۖ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ ﴿١١٢﴾ وَلِتَصْغَىٰٓ إِلَيْهِ أَفْـِٔدَةُ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْـَٔاخِرَةِ وَلِيَرْضَوْهُ وَلِيَقْتَرِفُوا۟ مَا هُم مُّقْتَرِفُونَ ﴿١١٣﴾﴾

﴿وكذلك جعلنا لكل نبي عدوًّا﴾ قال الحسن: جعل اللَّه أعداء الأنبياء ﴿شياطين الإنس﴾ وهم المشركون ﴿والجن﴾ أي: وشياطين الجن ﴿يوحي بعضهم إلى بعض زخرف القول غرورًا﴾.

وهو ما توسوس الشياطين إلى بني آدم مما يصدونَهُمْ به.

قال محمدٌ: زُخرف القول: ما زُيِّنَ منه ومُوِّهَ وحُسِّنَ، وأصل الزخرف: الذهب[1]، و(غرورًا) مصدرٌ؛ كأنه قال: يغرون غرورًا[2].

﴿ولو شاء ربك ما فعلوه﴾ أي: لو شاء اللَّه ما أوحى الشياطين إلى الإنس ﴿فذرهم وما يفترون﴾ ثم أُمِرَ بقتالهم بَعْدُ[3] ﴿ولتصغى إليه أفئدةُ الذين لا يؤمنون بالآخرة﴾ يعني: أفئدة المشركين تصغى إلى ما توحي إليها الشياطين ﴿وليرضَوْه وليقترفوا ما هم مقترفون﴾ يعني: وليكتسبوا ما هم مكتسبون.

قال محمدٌ: الاختيار عند القراءةِ: (وليرضوه) (ولْيقترفوا) بتسكين اللّام؛ على أن اللامَ لامُ الأَمْرِ؛ والمعنى: التهدد والوعيد[4].

---

(١) ينظر: لسان العرب، القاموس المحيط، مختار الصحاح (زخرف).

(٢) قيل: نصب على أنه حال، وقيل: على المفعول له. وفيه أقوال نحوية أخرى. ينظر الدر المصون (٣/ ١٦١).

(٣) ينظر: الناسخ والمنسوخ (ص٤٦).

(٤) ينظر في ذلك: البحر (٤/ ٢٠٨ - ٢٠٩)، الدر (٣/ ١٦٣).

﴿أَفَغَيْرَ ٱللَّهِ أَبْتَغِي حَكَمًا وَهُوَ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ إِلَيْكُمُ ٱلْكِتَٰبَ مُفَصَّلًا ۚ وَٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَعْلَمُونَ أَنَّهُۥ مُنَزَّلٌ مِّن رَّبِّكَ بِٱلْحَقِّ ۖ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُمْتَرِينَ ﴿١١٤﴾ وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا ۚ لَّا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿١١٥﴾ وَإِن تُطِعْ أَكْثَرَ مَن فِي ٱلْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ ﴿١١٦﴾ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ مَن يَضِلُّ عَن سَبِيلِهِۦ ۖ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴿١١٧﴾﴾

﴿أفغير اللَّه أبتغي حكمًا وهو الذي أنزل إليكم الكتابَ مفصَّلًا﴾ أي: مبينًا، بيَّن فيه الهدى والضلالة، والحلال والحرام.

﴿والذين آتيناهم الكتاب يعلمون أنه منزل من ربك بالحق﴾ يعني: أهل الدراسة من أهل الكتاب ﴿فلا تكونن من المُمْترين﴾ يعني: الشاكِّين أن هذا القرآن من عند اللَّه، وأنَّ أهل الدراسة من أهل الكتاب يعلمون أنه منزل من ربك بالحق.

﴿وتمت (كلمات)[1] ربك صدقًا وعدلًا﴾ قال قتادة: يعني: صدقًا [فيما وعد][2] وعَدلًا فيما حكم ﴿ لا مبدل لكلماته﴾ فيما وعد .

﴿وإن تطع أكثر من في الأرض يضلوك عن سبيل اللَّه﴾ لأن المشركين كانوا يدعونه إلى عبادة الأوثان ﴿إن يتبعون﴾ بعبادتهم الأوثان ﴿إلا الظنَّ﴾ يقول: ادَّعَوا أنهم آلهة بظن منهم ﴿وإن هم إلا يخرصون﴾ يعني: يكذبون.

قال محمدٌ: أصل (الخرص): الظن والْحزر، ومنه قيل للحازر:

---

(١) هكذا في الأصل ﴿كلمات﴾ على الجمع، وهي قراءة نافع وأبي عمرو وابن كثير وابن عامر، وقرأ الباقون ﴿كلمة﴾ على الإفراد. ينظر: البحر (٤/ ٢٠٩)، الدر (٣/ ١٦٥).

(٢) في الأصل: فيها. والمثبت من «ر».

(خارصٌ)[١].

﴿إنَّ ربك هو أعلم من يضل عن سبيله وهو أعلم بالمهتدين﴾ فهو يعلم أنَّ محمدًا على الهدى، وأنَّ المشركين ضلوا عن سبيله.

﴿فَكُلُواْ مِمَّا ذُكِرَ ٱسْمُ ٱللَّهِ عَلَيْهِ إِن كُنتُم بِـَٔايَٰتِهِۦ مُؤْمِنِينَ ﴿١١٨﴾ وَمَا لَكُمْ أَلَّا تَأْكُلُواْ مِمَّا ذُكِرَ ٱسْمُ ٱللَّهِ عَلَيْهِ وَقَدْ فَصَّلَ لَكُم مَّا حَرَّمَ عَلَيْكُمْ إِلَّا مَا ٱضْطُرِرْتُمْ إِلَيْهِ وَإِنَّ كَثِيرًا لَّيُضِلُّونَ بِأَهْوَآئِهِم بِغَيْرِ عِلْمٍ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُعْتَدِينَ ﴿١١٩﴾ وَذَرُواْ ظَٰهِرَ ٱلْإِثْمِ وَبَاطِنَهُۥٓ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْسِبُونَ ٱلْإِثْمَ سَيُجْزَوْنَ بِمَا كَانُواْ يَقْتَرِفُونَ ﴿١٢٠﴾ وَلَا تَأْكُلُواْ مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ ٱسْمُ ٱللَّهِ عَلَيْهِ وَإِنَّهُۥ لَفِسْقٌ وَإِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ لَيُوحُونَ إِلَىٰٓ أَوْلِيَآئِهِمْ لِيُجَٰدِلُوكُمْ وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ ﴿١٢١﴾﴾

﴿فكُلوا مما ذُكِرَ اسْمُ اللَّه عليه﴾ يعني: ما أُدْرِك ذَكَاتُه؛ وذلك أن مشركي العرب كانوا يأكلون الميْتة والدَّمَ والمنخنقة والموقوذة[٢] والمتردِّية والنطيحة وما أكل السبع؛ فحرَّم اللَّه ذلك كله، إلا ما أدرك ذكاته.

﴿وما لكم ألا تأكلوا مما ذُكِرَ اسْمُ اللَّه عليه﴾ أي: فكلوه، فهو لكم حلالٌ ﴿وقد فصَّل﴾ بيَّن لكم ﴿ ما حرَّم عليكم﴾ من الميتة والدم إلى آخر الآية ﴿إلا ما اضطررتم إليه﴾ من تلك الأشياء التي حرَّم اللَّه.

﴿وإن كثيرًا ليضلون بأهوائهم بغير علم﴾ أتاهم من اللَّه، ولا حجة؛ يعني: المشركين ﴿ إنَّ ربك هو أعلم بالمعتدين﴾ يعني: الذين يتعدون أمر اللَّه.

﴿وذروا ظاهر الإثم وباطنه﴾ قال الحسن: يعني: علانيتَه وسرَّه. ﴿إن الذين يكسبوَن الإثم سيجزون بما كانوا يقترفون﴾ يعني: يكتسبون.

---

(١) ينظر: لسان العرب، مختار الصحاح (خرص). وفي «ر»: خراص.
(٢) هي التي وُقِذَتْ بالعصا حتى ماتت. لسان العرب (وقذ).

﴿ولا تأكلوا مما لم يذكر اسْمُ اللَّه عليه وإنه لفسْقٌ﴾ لشركٌ؛ يقول: إنَّ أكل الميْتة على الاستحلال شركٌ.

﴿وإن الشياطين ليوحون إلى أوليائهم﴾ من المشركين ﴿ليجادلوكم﴾ تفسير مجاهد: قال: كان المشركون يجادلون المسلمين [في][1] الذبيحة؛ فيقولون: أما ما ذبحتم (وقتلتم)[2] فتأكلونه، وأما ما قتل (ل١٠٠) اللَّه فلا تأكلونه، وأنتم بزعمكم تتبعون أمر اللَّه؟! فأنزل اللَّه: ﴿وإن أطعتموهم﴾ فاستحللتم الميتة ﴿ إنكم لمشركون﴾.

﴿أَوَ مَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَٰهُ وَجَعَلْنَا لَهُۥ نُورًا يَمْشِى بِهِۦ فِى ٱلنَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُۥ فِى ٱلظُّلُمَٰتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا ۚ كَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِلْكَٰفِرِينَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٢٢﴾ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا فِى كُلِّ قَرْيَةٍ أَكَٰبِرَ مُجْرِمِيهَا لِيَمْكُرُوا۟ فِيهَا ۖ وَمَا يَمْكُرُونَ إِلَّا بِأَنفُسِهِمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴿١٢٣﴾ وَإِذَا جَآءَتْهُمْ ءَايَةٌ قَالُوا۟ لَن نُّؤْمِنَ حَتَّىٰ نُؤْتَىٰ مِثْلَ مَآ أُوتِىَ رُسُلُ ٱللَّهِ ۘ ٱللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُۥ ۗ سَيُصِيبُ ٱلَّذِينَ أَجْرَمُوا۟ صَغَارٌ عِندَ ٱللَّهِ وَعَذَابٌ شَدِيدٌۢ بِمَا كَانُوا۟ يَمْكُرُونَ ﴿١٢٤﴾﴾

قوله: ﴿أو من كان ميتًا فأحييناه﴾ قال الحسن: يعني: بالإسْلام ﴿وجعلنا له نورًا يمشي به في الناس كمن مثله في الظلمات﴾ يعني: ظلمات الكفر ﴿ليس بخارج منها﴾ أي: هو متحير فيها.

﴿هل يستويان مثلًا﴾[3] أي: أنهما لا يستويان.

---

(١) طمس في الأصل، والمثبت من «ر».
(٢) سقط من «ر».
(٣) هود: ٢٤ .

قال يحيى: بلغني أنها نزلت في عُمَرَ بن الخطاب، وأبي جهل بن هشام، ثم هي عامَّة بعد.

﴿وكذلك جعلنا في كل قريةٍ أكابرَ مجرميها﴾.

قال محمدٌ: المعني: جعلنا في كل قرية مجرميها أكابِرَ. قال قتادة: ومعنى (أكابر): جبابرة .

﴿ليمكروا فيها وما يمكرون إلا بأنفسهم وما يشعرون﴾ أنهم إنما يمكرون بأنفُسِهِمْ.

قال محمدٌ: المعنى: أنَّ جزاءَ مكرهم راجعٌ عليهم.

﴿سيصيب الذين أجرموا﴾ يعني: أشركوا ﴿صغارٌ عند اللَّه﴾ أي: ذلَّةٌ ﴿وعذابٌ شديدٌ﴾ في الآخرة ﴿بما كانوا يمكرون﴾ يعني: يشركون.

﴿فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهْدِيَهُۥ يَشْرَحْ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ ۖ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُۥ يَجْعَلْ صَدْرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِى ٱلسَّمَآءِ ۚ كَذَٰلِكَ يَجْعَلُ ٱللَّهُ ٱلرِّجْسَ عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٢٥﴾ وَهَٰذَا صِرَٰطُ رَبِّكَ مُسْتَقِيمًا ۗ قَدْ فَصَّلْنَا ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ ﴿١٢٦﴾﴾

﴿فمن يرد اللَّه أن يهدِيَه يشرح﴾ أي: يوسّع ﴿ صدره للإسلام﴾ ﴿ومن يرد أن يضله يجعل صدره ضيقًا حرجًا﴾ الحرج والضيق معناهما واحدٌ.

﴿كأنما يصَّعَّد في السماء﴾ أي: كأنما يُكَلَّف أن يصعدَ إلى السماء؛ يقول: يثقل عليه ما يُدْعَى إليه من الإيمان.

﴿كذلك يجعل اللَّه الرجْسَ﴾ يعني: رجاسة الكفر ﴿ على الذين لا يؤمنون﴾.

﴿وهذا صراط ربك مستقيمًا﴾ (يعني: دين ربك مستقيمًا)(١) ﴿قد فصلنا الآيات﴾ أي: بيناها ﴿لقوم يذكرون﴾ إنما يتذكر المؤمن.

﴿لَهُمْ دَارُ ٱلسَّلَٰمِ عِندَ رَبِّهِمْ ۖ وَهُوَ وَلِيُّهُم بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٢٧﴾ وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا يَٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ قَدِ ٱسْتَكْثَرْتُم مِّنَ ٱلْإِنسِ ۖ وَقَالَ أَوْلِيَآؤُهُم مِّنَ ٱلْإِنسِ رَبَّنَا ٱسْتَمْتَعَ بَعْضُنَا بِبَعْضٍ وَبَلَغْنَآ أَجَلَنَا ٱلَّذِىٓ أَجَّلْتَ لَنَا ۚ قَالَ ٱلنَّارُ مَثْوَىٰكُمْ خَٰلِدِينَ فِيهَآ إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ ۗ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿١٢٨﴾ وَكَذَٰلِكَ نُوَلِّى بَعْضَ ٱلظَّٰلِمِينَ بَعْضًۢا بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿١٢٩﴾﴾

﴿ لهم دار السلام عند ربهم﴾ السلام هو اللّه، وداره الجنة.

﴿ويوم نحشرهم(٢) جميعًا﴾ ثم نقول ﴿ يا معشر الجن قد استكثرتم من الإنس﴾ أي: كثر من أغويتم وأضللتم ﴿ وقال أولياؤهم من الإنس﴾ يعني: الذين أضلوا من الإنس ﴿ ربنا استمتع بعضنا ببعض وبلغنا أجلنا الذي أجلت لنا قال النار مثواكم﴾ منزلكم ﴿ خالدين فيها إلا ما شاء اللّه إن ربك حكيم عليم﴾ حكيمٌ في أمره، عليمٌ بخلقه.

قال محمدٌ: جاء عن ابن عباس أنه قال: هذا الاستثناء لأهل الإيمان .
﴿وكذلك نولي بعض الظالمين بعضًا﴾ قال الحسن: المشركون بعضهم أولياء بعض؛ كما أن المؤمنين بعضهم أولياء بعض.

﴿يَٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِى وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَآءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا ۚ قَالُوا۟ شَهِدْنَا عَلَىٰٓ أَنفُسِنَا ۖ وَغَرَّتْهُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا وَشَهِدُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَنَّهُمْ

---

(١) سقط من «ر».
(٢) قرأ حفص وروح ﴿يحشرهم﴾ بالياء، وقرأ الباقون ﴿نحشرهم﴾ بالنون. النشر (٢/ ٢٦٢) وإتحاف الفضلاء (٢٧٢).

كَانُوا۟ كَٰفِرِينَ ﴿١٣٠﴾ ذَٰلِكَ أَن لَّمْ يَكُن رَّبُّكَ مُهْلِكَ ٱلْقُرَىٰ بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا غَٰفِلُونَ ﴿١٣١﴾ وَلِكُلٍّ دَرَجَٰتٌ مِّمَّا عَمِلُوا۟ۚ وَمَا رَبُّكَ بِغَٰفِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ ﴿١٣٢﴾ وَرَبُّكَ ٱلْغَنِىُّ ذُو ٱلرَّحْمَةِۚ إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَسْتَخْلِفْ مِنۢ بَعْدِكُم مَّا يَشَآءُ كَمَآ أَنشَأَكُم مِّن ذُرِّيَّةِ قَوْمٍ ءَاخَرِينَ ﴿١٣٣﴾ إِنَّ مَا تُوعَدُونَ لَءَاتٍۖ وَمَآ أَنتُم بِمُعْجِزِينَ ﴿١٣٤﴾﴾

﴿يا معشر الجن والإنس﴾ يعني: من كفر منهم ﴿ألم يأتكم رسل منكم﴾ (يعني: من الإنس)[1] ولم يبعث الله نبيًا من الجن، ولا من النساء.

﴿ يقصون عليكم آياتي وينذرونكم لقاء يومكم هذا قالوا شهدنا على أنفسنا﴾ أنه قد جاءتنا الرسل في الدنيا.

قال الله: ﴿ وغرتهم الحياة الدنيا﴾ إذ كانوا فيها ﴿وشهدوا على أنفسهم﴾ في الآخرة ﴿ أنهم كانوا كافرين﴾ في الدنيا ﴿ ذلك أن لم يكن ربك مهلك القرى بظلم وأهلها غافلون﴾ يقول: لم يهلك الله قومًا من الأمم السالفة؛ حتى بعث إليهم رسولًا.

قال محمدٌ: ومعنى ﴿ذلك أن لم يكن﴾ ذلك لأنه لمْ يكن.

﴿ولكل درجات مما عملوا﴾ أي: على قدر أعمالهم.

يحيى: عن إسماعيل بن مسلم، عن أبي المتوكل الناجي[2] قال: قال رسول الله ﷺ: «الدرجة في الجنة فوق الدرجة كما بين السماء والأرض، وإن العبد من أهل الجنة ليرفع (بصره فيلمع له)[3] برقٌ يكاد يخطف بصره؛

---

(١) سقط من «ر».

(٢) أبو المتوكل الناجي هو علي بن داود، وقيل: ابن دؤاد، تابعي، مات سنة ١٠٢هـ، ترجمته في التهذيب (٢٠/ ٤٢٥ - ٤٢٦).

(٣) في «ر»: رأسه، فيرى نورًا لمع له.

فيقول: ما هذا؟ فيقال: هذا نور أخيك فلان. فيقول: أخي فلان كنَّا في الدنيا نعمل جميعًا، وقد فضل عليَّ هكذا! فيقال له: إنه كان أفضل منك عملًا، ثم يجعل في قلبه الرضا حتى يرضى»[1].

﴿إن يشأ يذهبكم﴾ بعذاب الاستئصال؛ يعني: المشركين ﴿ويستخلف من بعدكم ما يشاء كما أنشأكم﴾ خلقكم ﴿من ذرية قوم آخرين﴾ ﴿إنما توعدون لآتٍ﴾ (ل١٠١) يعني: الساعة ﴿وما أنتم بمعجزينَ﴾ بالذين تعجزون الله، فتسبقونه حتى لا يقدر عليكم.

﴿قُلْ يَٰقَوْمِ ٱعْمَلُوا۟ عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ إِنِّى عَامِلٌ ۖ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَن تَكُونُ لَهُۥ عَٰقِبَةُ ٱلدَّارِ ۗ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿١٣٥﴾ وَجَعَلُوا۟ لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ ٱلْحَرْثِ وَٱلْأَنْعَٰمِ نَصِيبًا فَقَالُوا۟ هَٰذَا لِلَّهِ بِزَعْمِهِمْ وَهَٰذَا لِشُرَكَآئِنَا ۖ فَمَا كَانَ لِشُرَكَآئِهِمْ فَلَا يَصِلُ إِلَى ٱللَّهِ ۖ وَمَا كَانَ لِلَّهِ فَهُوَ يَصِلُ إِلَىٰ شُرَكَآئِهِمْ ۗ سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴿١٣٦﴾ وَكَذَٰلِكَ زَيَّنَ لِكَثِيرٍ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ قَتْلَ أَوْلَٰدِهِمْ شُرَكَآؤُهُمْ لِيُرْدُوهُمْ وَلِيَلْبِسُوا۟ عَلَيْهِمْ دِينَهُمْ ۖ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا فَعَلُوهُ ۖ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ ﴿١٣٧﴾﴾

﴿قل يا قوم اعملوا على مكانتكم﴾ أي: على كفركم؛ وهذا وعيد.

﴿إني عامِلٌ فسوف تعلمون من تكون له عاقبة الدار﴾ دار الآخرة، وعاقبتها الجنة ﴿إنه لا يفلح الظالمون﴾ أي: المشركون.

﴿وجعلوا للَّه مما ذرأ﴾ مما خلق ﴿من الحرث والأنعام نصيبًا...﴾ الآية

---

(١) رواه ابن المبارك في الزهد (٣٣ رقم ١٠٠) عن إسماعيل بن مسلم العبدي، به.

تفسير قتادة: عمد ناسٌ من أهل الضلالة فجزَّءوا من حروثهم ومواشيهم (جزْءًا للَّه)[١]، وجُزْءًا لشركائهم - يعني: أوثانهُمْ - وكانوا إذا خالط شيْءٌ مما جزءوا للَّه شيئًا مما جزَّءوا لشركائهم - تركوه، وإذا خالط شيْءٌ مما جزءوا لشركائهم شيئًا مما جزءوا للَّه - ردوه إلى شركائهم، وإذا أصابتهم السَّنَةُ[٢] [استعانوا][٣] بما جزَّءوا للَّه، ووفروا ما جزَّءوا لشركائهم. قال اللَّه ﴿ساء ما﴾ بئس ما ﴿يحكمون﴾.

﴿وكذلك زين لكثير من المشركين قتل أولادهم شركاؤهم﴾ يعني: الشياطين أمروهم بقتل أولادِهم خِيفَة العَيْلةِ[٤] ﴿ليردوهم﴾ ليُهْلِكوهم ﴿وليلْبسوا عليهم﴾ وليخلطوا عليهم ﴿دينهم﴾ الذي أمرهم اللَّه به؛ وهو الإسلام.

﴿وَقَالُوا هَٰذِهِ أَنْعَامٌ وَحَرْثٌ حِجْرٌ لَا يَطْعَمُهَا إِلَّا مَن نَّشَاءُ بِزَعْمِهِمْ وَأَنْعَامٌ حُرِّمَتْ ظُهُورُهَا وَأَنْعَامٌ لَّا يَذْكُرُونَ اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهَا افْتِرَاءً عَلَيْهِ سَيَجْزِيهِم بِمَا كَانُوا يَفْتَرُونَ ﴿١٣٨﴾ وَقَالُوا مَا فِي بُطُونِ هَٰذِهِ الْأَنْعَامِ خَالِصَةٌ لِّذُكُورِنَا وَمُحَرَّمٌ عَلَىٰ أَزْوَاجِنَا وَإِن يَكُن مَّيْتَةً فَهُمْ فِيهِ شُرَكَاءُ سَيَجْزِيهِمْ وَصْفَهُمْ إِنَّهُ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿١٣٩﴾ قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ قَتَلُوا أَوْلَادَهُمْ سَفَهًا بِغَيْرِ عِلْمٍ وَحَرَّمُوا مَا رَزَقَهُمُ اللَّهُ افْتِرَاءً عَلَى اللَّهِ قَدْ ضَلُّوا وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ ﴿١٤٠﴾﴾

﴿وقالوا هذه أنعام وحرث حجْر﴾ حرام ﴿لا يطعمها إلا من نشاء بزعمهم﴾

---

(١) سقط من «ر».
(٢) أي: الجدب والقحط. ينظر: لسان العرب، مختار الصحاح (سنو)، (سنه).
(٣) في «الأصل»: استغاثوا. والمثبت من «ر».
(٤) أي: الفقر والعوز. لسان العرب (عيل).

وهذا ما كان يأكل الرجال دون النساء ﴿وأنعام حُرِّمتْ ظهورها﴾ وهو ما حرموا من البحيرة والسائبة والوصيلة والحام؛ وقد مضى تفسير هذا [١] ﴿وأنعام لا يذكرون اسْمَ اللَّه عليها﴾ هو ما استحلوا من أكل الميتة ﴿افتراءً عليه﴾ على اللَّه؛ فإنهم زعموا أن اللَّه أمرهم بهذا.

﴿وقالوا ما في بطون هذه الأنعام خالصة لذكورنا ومحرَّم على أزواجنا وإن يكن ميتة فهم فيه شركاء﴾ كان ما ولد من تلك الأنعام من ذَكَرٍ يأكله الرجال دون النساء، وإذا كانت أنثى تُرِكتْ محرَّمة على الرجال والنساء، وإن كانت ميتةً فهم فيه شركاء يأكلونها جميعًا.

قال محمد: من قرأ (خالصةٌ لذكورنا)[٢] فكأنَّهُمْ قالوا: جماعةُ ما في بطون هذه الأنعام من ذكور خالصةٌ لذكورنا، ويرد [محرَّم][٣] على لفظ (ما) لأن ما ذُكِرَ مذكَّر[٤].

﴿سيجزيهم وصفهم﴾ أي: بما زعَمُوا أن اللَّه أمرهم به ﴿قد خسر الذين قتلوا أولادهم سفهًا﴾ يعني: سفه الرأي.

﴿ بغير علمٍ﴾ أتاهم من اللَّه يأمرهم فيه بقتل أولادهم؛ وهي الموءودة؛ كانوا يدفنون بناتهم وهُنَّ أحياء خشية الفاقة[٥]، ويقولون: إن الملائكة بناتُ اللَّه، واللَّه صاحب بناتٍ؛ فألحقوا البنات به ﴿وحرَّموا ما رزقهم اللَّه﴾ يعني:

---

(١) أي: في قوله عز وجل: ﴿ما جعل اللَّه من بحيرة ولا سائبة ولا وصيلة ولا حام...﴾ المائدة: ١٠٣ .

(٢) وهي قراءة الجمهور. ينظر: الدر المصون (٣/ ١٩٦).

(٣) في الأصل: محرمًا. والمثبت من «ر».

(٤) وفي ذلك تفصيل واسع، ينظر الدر المصون (٣/ ١٩٦).

(٥) الفاقة: الفقر والحاجة . لسان العرب (فوق).

ما حرَّموا من الأنعام والحرث ﴿افتراءً على اللَّه﴾.

﴿وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنشَأَ جَنَّـٰتٍ مَّعْرُوشَـٰتٍ وَغَيْرَ مَعْرُوشَـٰتٍ وَٱلنَّخْلَ وَٱلزَّرْعَ مُخْتَلِفًا أُكُلُهُۥ وَٱلزَّيْتُونَ وَٱلرُّمَّانَ مُتَشَـٰبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَـٰبِهٍ ۚ كُلُوا۟ مِن ثَمَرِهِۦٓ إِذَآ أَثْمَرَ وَءَاتُوا۟ حَقَّهُۥ يَوْمَ حَصَادِهِۦ ۖ وَلَا تُسْرِفُوٓا۟ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْرِفِينَ ﴿١٤١﴾ وَمِنَ ٱلْأَنْعَـٰمِ حَمُولَةً وَفَرْشًا ۚ كُلُوا۟ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَـٰنِ ۚ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿١٤٢﴾﴾

﴿وهو الذي أنشأ﴾ أي: خلق ﴿جناتٍ معروشات وغير معروشات﴾ قال (مجاهد)[1]: العنب منه معروش وغير معروش ﴿والنخل والزرع مختلفًا أكله﴾ منه الجيد، ومنه الرديء ﴿والزيتون والرمان متشابهًا﴾ في المنظر ﴿وغير متشابه﴾ في المطعم ﴿كلوا من ثمره إذا أثمر وآتوا حقه يوم حصاده﴾ قال الحسن: يعني: الزكاة المفروضة [قال مجاهد: هو أن يأتوا منه عند حصاده، سوى الزكاة المفروضة][2].

﴿ولا تسرفوا﴾ لا تحرموا ما حرَّم أهل الجاهلية من الحرث والأنعام.

قوله: ﴿ومن الأنعام حمولة وفرشًا﴾ يقول: وأنشأ من الأنعام حمولة وفرشًا، تبعًا للكلام الأول: ﴿وهو الذي أنشأ جناتٍ﴾ والحمولة في تفسير الحسن وقتادة: الإبل والبقر، والفرش: الغنم.

﴿كلوا مما رزقكم اللَّه ولا تتبعوا خطوات الشيطان﴾ أمْرَ الشيطان فيما حرَّم عليهم من الأنعام والحرث.

﴿ثَمَـٰنِيَةَ أَزْوَٰجٍ ۖ مِّنَ ٱلضَّأْنِ ٱثْنَيْنِ وَمِنَ ٱلْمَعْزِ ٱثْنَيْنِ ۗ قُلْ ءَآلذَّكَرَيْنِ حَرَّمَ أَمِ

---

(١) في «ر»: محمد.

(٢) سقط من الأصل، والمثبت من «ر».

ٱلۡأُنثَيَيۡنِ أَمَّا ٱشۡتَمَلَتۡ عَلَيۡهِ أَرۡحَامُ ٱلۡأُنثَيَيۡنِۖ نَبِّـُٔونِي بِعِلۡمٍ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ﴿١٤٣﴾ وَمِنَ ٱلۡإِبِلِ ٱثۡنَيۡنِ وَمِنَ ٱلۡبَقَرِ ٱثۡنَيۡنِۗ قُلۡ ءَآلذَّكَرَيۡنِ حَرَّمَ أَمِ ٱلۡأُنثَيَيۡنِ أَمَّا ٱشۡتَمَلَتۡ عَلَيۡهِ أَرۡحَامُ ٱلۡأُنثَيَيۡنِۖ أَمۡ كُنتُمۡ شُهَدَآءَ إِذۡ وَصَّىٰكُمُ ٱللَّهُ بِهَٰذَاۚ فَمَنۡ أَظۡلَمُ مِمَّنِ ٱفۡتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبٗا لِّيُضِلَّ ٱلنَّاسَ بِغَيۡرِ عِلۡمٍۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٤٤﴾ قُل لَّآ أَجِدُ فِي مَآ أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا عَلَىٰ طَاعِمٖ يَطۡعَمُهُۥٓ إِلَّآ أَن يَكُونَ مَيۡتَةً أَوۡ دَمٗا مَّسۡفُوحًا أَوۡ لَحۡمَ خِنزِيرٖ فَإِنَّهُۥ رِجۡسٌ أَوۡ فِسۡقًا أُهِلَّ لِغَيۡرِ ٱللَّهِ بِهِۦۚ فَمَنِ ٱضۡطُرَّ غَيۡرَ بَاغٖ وَلَا عَادٖ فَإِنَّ رَبَّكَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴿١٤٥﴾ وَعَلَى ٱلَّذِينَ هَادُواْ حَرَّمۡنَا كُلَّ ذِي ظُفُرٖۖ وَمِنَ ٱلۡبَقَرِ وَٱلۡغَنَمِ حَرَّمۡنَا عَلَيۡهِمۡ شُحُومَهُمَآ إِلَّا مَا حَمَلَتۡ ظُهُورُهُمَآ أَوِ ٱلۡحَوَايَآ أَوۡ مَا ٱخۡتَلَطَ بِعَظۡمٖۚ ذَٰلِكَ جَزَيۡنَٰهُم بِبَغۡيِهِمۡۖ وَإِنَّا لَصَٰدِقُونَ ﴿١٤٦﴾﴾

﴿ثمانية أزواج﴾ أي: أصناف ﴿من الضأن اثنين ومن المعز اثنين﴾ ذكرًا وأنثى، والواحدُ: زوجٌ ﴿قل آلذكرين حرّم﴾ على الاستفهام.

(ل ١٠٢) ﴿أم الأنثيين أمّا اشتملت عليه أرحام الأنثيين﴾ من ذكر وأنثى؛ أي: أم كل ذلك حرَّم؟ فإنه لم يحرم منه شيئًا.

﴿نبئوني بعلمٍ إن كنتم صادقين﴾ أن اللَّه حرَّم هذا؛ وهو ما حرموا من الأنعام.

قال: ﴿ومن الإبل اثنين ومن البقر اثنين قل آلذكرين حرّم أم الأنثيين أمّا اشتملت عليه أرحام الأنثيين﴾ من ذكرٍ أو أنثى؛ أي: أم كل ذلك حرَّم؟ فإنه لم يحرم منه شيئًا.

﴿أم كنتم شهداء إذْ وصاكم اللَّه بهذا﴾ أي: أنكم لم تكونوا شهداء لهذا،

ولم يوصكم الله به؛ فسألهم النبي عليه السلام فسكتوا ولم يجيبوه. وقالوا: يا محمد، فيم هذا التحريم الذي حرَّمه آباؤنا وآباؤهم قبلهم؟ فقال الله للنبي: ﴿قل لا أجد فيما أوحي إليَّ محرمًا على طاعمٍ يطعمه إلا أن يكون ميتةً أو دمًا مسفوحًا﴾ يعني: سائلًا. فأما دمٌ في عرق أو مخالط لحمًا [فلا][1] ﴿أو لحم خنزير فإنه رجْسٌ أو فسقًا أهلّ لغير الله به﴾ وهو ما ذبحوا لأصنامهم؛ فيها تقديم ﴿أو فسقًا أهل لغير الله به﴾ فإنه رجْسٌ ﴿ فمن اضطر غير باغٍ ولا عادٍ﴾ فأكل من هذه الأشياء على الاضطرار منه ﴿فإن ربك غفورٌ رحيم﴾. قد مضى تفسير ﴿فمن اضطُر غير باغٍ ولا عادٍ﴾[2].

﴿وعلى الذين هادوا حرَّمنا كل ذي ظفر﴾ قال قتادة: يعني: البعير والنعامة ﴿ومن البقر والغنم حرّمنا عليهم شحومهما إلا ما حملت ظهورهما أو الحوايا﴾ وهو المَبْعَرُ.

قال محمدٌ: الحوايا: المباعر، واحدها: حاويا وحَوِيَّةٌ[3].

﴿فَإِن كَذَّبُوكَ فَقُل رَّبُّكُمْ ذُو رَحْمَةٍ وَاسِعَةٍ وَلَا يُرَدُّ بَأْسُهُ عَنِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ ﴿١٤٧﴾ سَيَقُولُ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكْنَا وَلَا آبَاؤُنَا وَلَا حَرَّمْنَا مِن شَيْءٍ كَذَٰلِكَ كَذَّبَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ حَتَّىٰ ذَاقُوا بَأْسَنَا قُلْ هَلْ عِندَكُم مِّنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَا إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ أَنتُمْ إِلَّا تَخْرُصُونَ ﴿١٤٨﴾ قُلْ فَلِلَّهِ الْحُجَّةُ الْبَالِغَةُ فَلَوْ شَاءَ لَهَدَاكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿١٤٩﴾ قُلْ هَلُمَّ شُهَدَاءَكُمُ الَّذِينَ يَشْهَدُونَ أَنَّ اللَّهَ حَرَّمَ هَٰذَا فَإِن

---

(١) طمس في الأصل، والمثبت من «ر»، وفي تفسير ابن كثير (٣/ ٣٤٦): فلا بأس به.
(٢) عند تفسير الآية (١٧٣) من سورة البقرة.
(٣) وقيل واحدها: حاوياء. ينظر تفصيل الكلام في ذلك من: تفسير ابن كثير (٣/ ٣٤٩)، الدر المصون (٣/ ٢٠٨)، لسان العرب (حوى).

شَهِدُواْ فَلَا تَشْهَدْ مَعَهُمْۚ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا وَٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ وَهُم بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ ﴿١٥٠﴾﴾

﴿فإن كذبوك فقل ربكم ذو رحمة واسعة﴾ لمن تاب من شركه، وقَبِلَ ما أنزل اللَّه ﴿ولا يُرَدُّ بأسُهُ﴾ أي: لا يصرف عذابه ﴿عن القوم المجرمين﴾ المشركين.

﴿سيقول الذين أشركوا لو شاء اللَّه ما أشركنا ولا آباؤنا ولا حرّمنا من شيء﴾ قال مشركو العرب: لو كره اللَّه ما نحن عليه لحوَّلنا عنه.

﴿هل عندكم من علم﴾ أن الذي أنتم عليه من الشرك أمرتكم به ﴿فتخرجوه لنا إن تتبعون إلا الظنَّ﴾ أي: هذا منكم ظن ﴿وإن أنتم إلا تخرصون﴾ تكذبون ﴿قل فللَّه الحجَّة البالغة﴾ فقد قامت عليكم ﴿قل هلم شهداءكم الذين يشهدون أن اللَّه حرَّم هذا﴾ يعني: ما حرَّموا من الأنعام والحرث ﴿فإن شهدوا فلا تشهد معهم﴾ وإنما [هو سفه][(١)] ولا يكون ذلك ﴿والذين لا يؤمنون بالآخرة وهم بربهم يعدلون﴾ عدلوا به الأصنام فعبدوها.

﴿قُلْ تَعَالَوْاْ أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْۖ أَلَّا تُشْرِكُواْ بِهِۦ شَيْـًٔاۖ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًاۖ وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَوْلَٰدَكُم مِّنْ إِمْلَٰقٍۖ نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْۖ وَلَا تَقْرَبُواْ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَۖ وَلَا تَقْتُلُواْ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١٥١﴾ وَلَا تَقْرَبُواْ مَالَ ٱلْيَتِيمِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُۥۖ وَأَوْفُواْ ٱلْكَيْلَ وَٱلْمِيزَانَ بِٱلْقِسْطِۖ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَاۖ وَإِذَا قُلْتُمْ فَٱعْدِلُواْ

---

(١) في الأصل: هذه صفة. والمثبت من «ر»

وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ وَبِعَهْدِ ٱللَّهِ أَوْفُوا۟ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿١٥٢﴾ وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٥٣﴾﴾

﴿قل تعالوا أتل ما حرَّم ربكم عليكم﴾ وهذا ما حرَّم عليكم: ﴿ألا تشركوا به شيئًا وبالوالدين إحسانًا﴾ قال محمد: أي: وأوصاكم بالوالدين حسنًا ﴿ولا تقتلوا أولادكم من إملاق﴾ أي: مخافة الفاقة ﴿نحن نرزقكم وإياهم ولا تقربوا الفواحش﴾ يعني: الزنا ﴿ما ظهر منها﴾ يعني: الزنا الظاهر ﴿وما بطن﴾ يعني: المُخَالَّة[1] في السِّر ﴿ولا تقتلوا النفس التي حرَّم اللَّه إلا بالحق ذلكم وصاكم به﴾ أمركم به.

﴿ولا تقربوا مال اليتيم إلا بالتي هي أحسن﴾ قد مضى تفسير هذا[2].

﴿وأوفوا الكيل والميزان بالقسط﴾ بالعدل ﴿لا نكلف نفسًا إلا وسْعَها﴾ طاقتها ﴿وإذا قلتم فاعدلوا﴾ يعني: الشهادة ﴿ولو كان ذا قربى وبعهد اللَّه أوفوا﴾ يعني: ما كان من الحق.

﴿وأن هذا صراطي مستقيمًا﴾ يريد: الإسلام ﴿فاتبعوه ولا تتبعوا السُّبُلَ﴾ اليهودية والنصرانية، وما كان من غير ملَّة الإسلام.

﴿ذلكم وصاكم به لعلكم تتقون﴾ لكي تتقوا ﴿ثم آتينا موسى الكتاب تمامًا على الذي أحسن﴾ قال قتادة: من أحسن في الدنيا تمت عليه النعمة في الآخرة ﴿وتفصيلًا﴾ يعني: تبيينًا ﴿لكل شيء﴾ من الحلال والحرام، والهدى والضلال.

---

(١) يقال: خالَّه مُخالَّةً وخِلالًا: أي: صادقه. لسان العرب (خلل).

(٢) في سورة النساء، الآيتان: ٢ ، ١٠ .

قال محمدٌ: قوله: ﴿تمامًا على الذي أحسن﴾ معناه: تمامًا من اللَّه على المحسنين؛ وهو الذي ذهب إليه قتادة (ل ١٠٣) (وتمامًا) منصوبٌ على معنى التمام[1]، وكذلك (تفصيلًا) أي: للتمام والتفصيل.

﴿ثُمَّ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَـٰبَ تَمَامًا عَلَى ٱلَّذِىٓ أَحْسَنَ وَتَفْصِيلًا لِّكُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لَّعَلَّهُم بِلِقَآءِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ ﴿١٥٤﴾ وَهَـٰذَا كِتَـٰبٌ أَنزَلْنَـٰهُ مُبَارَكٌ فَٱتَّبِعُوهُ وَٱتَّقُوا۟ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿١٥٥﴾ أَن تَقُولُوٓا۟ إِنَّمَآ أُنزِلَ ٱلْكِتَـٰبُ عَلَىٰ طَآئِفَتَيْنِ مِن قَبْلِنَا وَإِن كُنَّا عَن دِرَاسَتِهِمْ لَغَـٰفِلِينَ ﴿١٥٦﴾ أَوْ تَقُولُوا۟ لَوْ أَنَّآ أُنزِلَ عَلَيْنَا ٱلْكِتَـٰبُ لَكُنَّآ أَهْدَىٰ مِنْهُمْ ۚ فَقَدْ جَآءَكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ ۚ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَذَّبَ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ وَصَدَفَ عَنْهَا ۗ سَنَجْزِى ٱلَّذِينَ يَصْدِفُونَ عَنْ ءَايَـٰتِنَا سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ بِمَا كَانُوا۟ يَصْدِفُونَ ﴿١٥٧﴾ هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن تَأْتِيَهُمُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ أَوْ يَأْتِىَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِىَ بَعْضُ ءَايَـٰتِ رَبِّكَ ۗ يَوْمَ يَأْتِى بَعْضُ ءَايَـٰتِ رَبِّكَ لَا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَـٰنُهَا لَمْ تَكُنْ ءَامَنَتْ مِن قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِىٓ إِيمَـٰنِهَا خَيْرًا ۗ قُلِ ٱنتَظِرُوٓا۟ إِنَّا مُنتَظِرُونَ ﴿١٥٨﴾﴾

﴿وهذا كتابٌ أنزلناه مباركٌ﴾ يعني: القرآن ﴿أن تقولوا يوم القيامة﴾ لئلا تقولوا يوم القيامة: ﴿إنما أنزل الكتاب على طائفتين من قبلنا﴾ يعني: اليهود والنصارى ﴿وإن كنا عن دراستهم﴾ [قراءتهم][2] ﴿لغافلين﴾.

﴿سنجزي الذين يصدفون عن آياتنا﴾ أي: يصُدُّون ﴿سوء العذاب﴾ أشده.

﴿هل ينظرون﴾ أي: ما ينظرون؛ يعني: المشركين ﴿إلا أن تأتيهم الملائكة﴾ بالموت ﴿أو يأتي ربك﴾ وذلك يوم القيامة ﴿أو يأتي بعض آيات

---

(١) أي: منصوب على المصدر. وفيه أوجه إعرابية أخرى. ينظر: إعراب القرآن (١/ ٥٩٢ - ٥٩٣)، البحر المحيط (٤/ ٢٥٦ - ٢٥٧)، الدر المصون (٣/ ٢٢٠).

(٢) سقط من الأصل، والمثبت من «ر».

ربك﴾ يعني: طلوع الشمس من مغربها؛ في تفسير العامَّة ﴿يوم يأتي بعض آيات ربك﴾ طلوع الشمس من مغربها ﴿لا ينفع نفسًا إيمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت في إيمانها خيرًا﴾ قال الكلبي: لا تُقْبل التوبةُ يومئذٍ ممن لم يكن مؤمنًا، ولا ممن كان يدَّعي الإيمان؛ إذا لم يكن مخلصًا.

يحيى: عن عثمان، عن نُعَيم بن عبد اللَّه، عن أبي هريرة قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «لا تقوم الساعة حتى تطلع الشمس من مغربها؛ فإذا رآها الناس آمنوا، فذلك حين لا ينفع نفسًا إيمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت في إيمانها خيرًا»[1].

﴿قل انتظروا إنا منتظرون﴾ كان المشركون ينتظرون بالنبي الموت، وكان النبي ينتظر بهم العذاب.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ فَرَّقُواْ دِينَهُمْ وَكَانُواْ شِيَعًا لَّسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍۚ إِنَّمَآ أَمْرُهُمْ إِلَى ٱللَّهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُواْ يَفْعَلُونَ ﴿١٥٩﴾ مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ عَشْرُ أَمْثَالِهَاۖ وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَىٰٓ إِلَّا مِثْلَهَا وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿١٦٠﴾﴾

﴿إن الذين فرَّقوا دينهم وكانوا شيعًا﴾ أحْزابًا. قال قتادة: هم اليهود والنصاري والصابئون وغيْرُهُمْ.

﴿لست منهم في شيءٍ إنما أمرهم إلى اللَّه﴾ قال محمد[2]: قيل: إن هذه

---

(١) رواه ابن أبي زمنين في أصول السنة (ص٦٣٠ رقم ١٠٣) وعنه أبو عمرو الداني في السنن الواردة في الفتن (٦/١٢٦٣ - ١٢٦٤ رقم ٧٠٤) من طريق يحيى بن سلام به.
وروراه البخاري (٨/١٤٧ رقم ٤٦٣٦) ومسلم (١/١٣٧ - ١٣٨ رقم ١٥٧) من طرق عن أبي هريرة.

(٢) في «ر»: مجاهد.

الآية نزلت قبل أن يؤمَرَ بقتالهم.

﴿من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها﴾ هذه في المؤمنين، وكان هذا قبل أن تُنزَّل ﴿مثل الذين ينفقون أموالهم في سبيل اللَّه كمثل حبةٍ أنبتت سبع سنابل...﴾ الآية[(١)].

﴿ومن جاء بالسيئة﴾ (وهذه في المؤمنين أيضًا)[(٢)] السيئة ها هنا هي الأعمال السيئة ﴿فلا يجزى إلا مثلها﴾.

يحيى: عن أبي أمية، عن سعيد المقبري، عن أبي هريرة قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «قال ربكم: إذا عمل عبدي حسنةً فاكتبوها له بعشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف، وإن همَّ بها ولم يعملها فاكتبوها له واحدةً، وإن عمل سيئة فاكتبوها بواحدة، وإن همَّ بها فتركها من أجلي فاكتبوها بحسنة»[(٣)].

﴿قُلْ إِنَّنِي هَدَىٰنِي رَبِّيٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ دِينًا قِيَمًا مِّلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا ۚ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٦١﴾ قُلْ إِنَّ صَلَاتِى وَنُسُكِى وَمَحْيَاىَ وَمَمَاتِى لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُۥ ۖ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿١٦٣﴾ قُلْ أَغَيْرَ ٱللَّهِ أَبْغِى رَبًّا وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَىْءٍ ۚ وَلَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ إِلَّا عَلَيْهَا ۚ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ۚ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُم مَّرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿١٦٤﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَكُمْ خَلَٰٓئِفَ ٱلْأَرْضِ وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَٰتٍ لِّيَبْلُوَكُمْ فِى مَآ ءَاتَىٰكُمْ ۗ إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ ٱلْعِقَابِ وَإِنَّهُۥ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌۢ ﴿١٦٥﴾﴾

﴿قل إنني هداني ربي إلى صراطٍ مستقيم دينًا قيمًا﴾ قال محمد: (دينًا)

---

(١) سورة البقرة: ٢٦١.

(٢) سقط من «ر».

(٣) رواه البخاري (١٣/ ٤٧٣ رقم ٧٥٠١) ومسلم (١/ ١١٧ - ١١٨ رقم ١٢٨) من طرق عن أبي هريرة.

منصوبٌ على التفسير[(١)]، والقيم والمستقيم في معناهما واحدٌ[(٢)].

﴿قل إن صلاتي ونُسُكي﴾ قال قتادة: (نُسُكي) يَعْني: حجِّي وذبحي ﴿ومحياي ومماتي﴾ قال محمدٌ: الاختيار عند القراء في (مَحْيَايَ) بفتح الياء؛ لسكون الألف قبلها؛ لئلا يجتمع ساكنان، والأمر في الياء من (مماتي) [واسع][(٣)] في فتحها وتسكينها[(٤)].

﴿قل أغير اللَّه أبغي ربًا وهو ربُّ كل شيء﴾ وهذا جوابٌ من اللَّه للمشركين، حيث دعوُا النبي إلى أن يَعْبُدَ ما كان يعبُدُ آباؤه ﴿ ولا تزر وازرةٌ وزرَ أخرى﴾ الوزرُ: الذنبُ؛ يقول: لا يحمل أحدٌ ذنْبَ أحدٍ.

﴿وهو الذي جعلكم خلائف الأرض﴾ قال محمدٌ: المعنى: سكان الأرض؛ يخلف بعضكم بعضًا، واحدُهُم: خليفة.

﴿ورفع بعضكم فوق بعضٍ درجاتٍ﴾ فيما أعطاكم من الفضائل في [الدنيا][(٥)] ﴿ليبلوكم﴾ ليختبركم ﴿فيما آتاكم﴾ أعطاكم.

﴿إن ربك سريع العقاب﴾ إذا جاء الوقت الذي يريد أن يعذبهم فيه حين كذبوا رسله ﴿وإنه لغفور رحيم﴾ لمن تاب من شركه وآمن بربه.

* * *

---

(١) وفيه أوجه إعرابية أخرى، ينظر: إعراب القرآن (١/ ٥٩٥)، البحر المحيط (٤/ ٢٦٢)، الدر المصون (٣/ ٢٢٧).

(٢) ينظر: لسان العرب، المصباح المنير (قيم).

(٣) طمس في الأصل. والمثبت من «ر».

(٤) قرأ بذلك السَّبْعةُ إلا نافعًا؛ فقد قرأ بإسكان الياء؛ أي من (محياي). وروى عنه الرجوع عن ذلك، وروى عنه (محيايِ) بكسر الياء. ينظر: السبعة (٢٧٥ - ٢٧٦)، التيسير (١٠٨ - ١٠٩)، النشر (٢/ ٢٦٧) الدر المصون (٣/ ٢٢٧).

(٥) في الأصل: الدين. والمثبت من «ر».

تفسير سورة الأعراف وهي مكية كلها إلا (............)(١)

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿المص ۝١ كتب أنزل إليك فلا يكن في صدرك حرج منه لتنذر به وذكرى للمؤمنين ۝٢ اتبعوا ما أنزل إليكم من ربكم ولا تتبعوا من دونه أولياء قليلا ما تذكرون ۝٣ وكم من قرية أهلكنها فجاءها بأسنا بيتا أو هم قائلون ۝٤ فما كان دعوىهم إذ جاءهم بأسنا إلا أن قالوا إنا كنا ظالمين ۝٥﴾

(ل١٠٤) قوله: ﴿المص﴾ كان الحسن يقول: لا أدري ما تفسير ﴿المص﴾ وأشباه ذلك من حروف المعجم التي في أوائل السور، غير أن قومًا من السلف كانوا يقولون: أسماء السور وفواتحها.

﴿كتابٌ أنزل إليك﴾ يعني: القرآن.

﴿فلا يكن في صدرك حرجٌ منه﴾ أي: شك بأنه من عند الله.

قال محمدٌ: أصل الحرج: الضيق، والشاك في الأمر يضيق به صدرًا؛ فسمى الشك حرجًا ﴿لتنذر به﴾ من النار ﴿وذكرى للمؤمنين﴾ يذكرون به الآخرة.

﴿ولا تتبعوا من دونه أولياء﴾ يعني: الأوثان ﴿قليلًا ما تذكرون﴾ يعني:

---

(١) مطموس في الأصل، وسقط من «ر».
قال القرطبي في تفسيره (٧/ ٦٠): وهي مكية إلا ثمان آيات وهي قوله تعالى: ﴿واسألهم عن القرية التي كانت حاضرة البحر﴾ إلى قوله: ﴿وإذ نتقنا الجبل فوقهم﴾.

أقلكم المتذكر ﴿وكم من قرية أهلكناها﴾ يعني: ما أهلك من الأمم السَّالفة حين كذَّبوا رسلهم ﴿فجاءها بأسنا﴾ عذابنا ﴿بياتًا﴾ يعني: ليلًا ﴿أوهم قائلون﴾ يعني: عند القائلة بالنهار ﴿فما كان دعواهم﴾ قولهم ﴿إذ جاءهم بأسنا إلا أن قالوا إنا كنا ظالمين﴾.

﴿فَلَنَسْـَٔلَنَّ ٱلَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ وَلَنَسْـَٔلَنَّ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٦﴾ فَلَنَقُصَّنَّ عَلَيْهِم بِعِلْمٍ ۖ وَمَا كُنَّا غَآئِبِينَ ﴿٧﴾ وَٱلْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ ٱلْحَقُّ ۚ فَمَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٨﴾ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُم بِمَا كَانُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا يَظْلِمُونَ ﴿٩﴾ وَلَقَدْ مَكَّنَّـٰكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَـٰيِشَ ۗ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ﴿١٠﴾﴾

﴿فلنقصن عليهم﴾ أي: أعمالهم ﴿بعلمٍ﴾ بها ﴿وما كنا غائبين﴾ عن أعمالهم.

﴿والوزن يومئذٍ الحق﴾.

يحيى: عن حماد، عن ثابت البناني، عن أبي عثمان النهدي، عن سلمان الفارسي قال: «يوضع الميزان يوم القيامة، ولو وضع في كفته السمٰوات والأرض لوَسِعْتها؛ فتقول الملائكة: ربنا ما هذا؟ فيقول: أزن به لمن شئت من خلقي فتقول الملائكة: ربنا ما عبدناك حق عبادتك»[1].

---

(١) رواه المروزي في زوائد الزهد لابن المبارك (٤٧٨ رقم ١٣٥٧) - ومن طريقه الآجري في الشريعة (٢/٢٠٦ رقم ٩٥٠) - عن عبد الرحمن بن مهدي عن حماد به.
ورواه الآجري (٢/٢٠٦ رقم ٩٤٩) من طريق معاذ العنبري عن حماد به.
ورواه ابن أبي الدنيا - كما في النهاية في الفتن والملاحم لابن كثير (٢/ ٣٠) - عن أبي نصر التمار عن حماد به.
ورواه الحاكم (٤/٥٨٦) من طريق المسيب بن زهير، عن هدبة بن خالد، عن حماد بن سلمة، عن ثابت، عن أبي عثمان، عن سلمان مرفوعًا. =

﴿ولقد مكناكم في الأرض﴾ يعني: بعد الماضين ﴿قليلًا ما تشكرون﴾ أقلكم من يؤمن.

﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَٰكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَٰكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ لَمْ يَكُن مِّنَ ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿١١﴾ قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ قَالَ أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِى مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُۥ مِن طِينٍ ﴿١٢﴾ قَالَ فَٱهْبِطْ مِنْهَا فَمَا يَكُونُ لَكَ أَن تَتَكَبَّرَ فِيهَا فَٱخْرُجْ إِنَّكَ مِنَ ٱلصَّٰغِرِينَ ﴿١٣﴾ قَالَ أَنظِرْنِىٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿١٤﴾ قَالَ إِنَّكَ مِنَ ٱلْمُنظَرِينَ ﴿١٥﴾ قَالَ فَبِمَآ أَغْوَيْتَنِى لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَٰطَكَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴿١٦﴾ ثُمَّ لَءَاتِيَنَّهُم مِّنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَٰنِهِمْ وَعَن شَمَآئِلِهِمْ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَٰكِرِينَ ﴿١٧﴾ قَالَ ٱخْرُجْ مِنْهَا مَذْءُومًا مَّدْحُورًا لَّمَن تَبِعَكَ مِنْهُمْ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿١٨﴾﴾

﴿ولقد خلقناكم ثم صورناكم﴾ قال مجاهد: يعني: صورناكم في ظهر آدم.

﴿ثم قلنا للملائكة اسجدوا لآدم﴾ قال الحسن: إن إبليس لم يكن من الملائكة، وإنه خلق من نار السَّموم، وإن الملائكة خُلِقوا من النور، وإنَّ اللَّه أمر الملائكة بالسجود لآدم، وأمر إبليس أيضًا بالسجود له، فجمع المأمورين جميعًا.

﴿ما منعك ألا تسجد إذ أمرتك. . .﴾ الآية.

قال محمدٌ: (ألا تسْجُد) معناه: أن تسجد، و(لا) مؤكدة[1].

= وقال الحاكم: هذا حديث صحيح على شرط مسلم، ولم يخرجاه.
قال الحافظ ابن رجب الحنبلي في «جامع العلوم والحكم» (٢١٦ - ٢١٧): صح عن سلمان، وخرجه الحاكم مرفوعًا وصححه، ولكن الموقوف هو المشهور.
وقال في التخويف من النار (ص١٨٥): قلت: المعروف أنه موقوف على سلمان الفارسي من قوله.

(١) أي: زائدة للتوكيد. وفيها أقوال أخر. ينظر: إعراب القرآن (١/ ٦٠١)، البحر (٤/ ٢٧٢ - ٢٧٣)، أمالي ابن الشجري (٢/ ٢٣١).

﴿قال أنظرني﴾ أخِّرني ﴿إلى يوم يبعثون قال إنك من المنظرين﴾ فيها إضمار؛ أي: إلى يوم الوقت المعلوم ﴿ قال فبما أغويتني﴾ أضللتني ﴿لأقعدن لهم صراطك المستقيم﴾ أي: فأصدهم عنه ﴿ثم لآتينهم من بين أيديهم﴾ يعني: من قِبَلِ الآخرة؛ فأخبرهم أنَّه لا بعث بعد الموت، ولا جنة ولا نار. ﴿ومن خلفهم﴾ يعني: من قبل الدنيا؛ فأزينها في أعينهم، وأخبرهم أنه لا حساب عليهم في الآخرة، فيما صنعوا ﴿وعن أيمانهم﴾ أي: من قبل الخير؛ فأثبِّطهم[1] عنه. ﴿وعن شمائلهم﴾ من قِبَلِ المعاصي؛ فآمرهم بها، ﴿ ولا تجدُ أكثرهم شاكرين﴾ وكان ذلك ظنًّا منه، فكان الأمر على ما ظنَّ ﴿قال اخرج منها مذءومًا مدحورًا﴾ يعني: مذمومًا مُبعَدًا.

قال محمد: تقول: ذأمْتُ الرجل؛ إذا بالغْتَ في عيبه وذمِّه[2].

﴿ وَيَٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ فَكُلَا مِنْ حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٩﴾ فَوَسْوَسَ لَهُمَا ٱلشَّيْطَٰنُ لِيُبْدِىَ لَهُمَا مَا وُۥرِىَ عَنْهُمَا مِن سَوْءَٰتِهِمَا وَقَالَ مَا نَهَىٰكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةِ إِلَّآ أَن تَكُونَا مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ ٱلْخَٰلِدِينَ ﴿٢٠﴾ وَقَاسَمَهُمَآ إِنِّى لَكُمَا لَمِنَ ٱلنَّٰصِحِينَ ﴿٢١﴾ فَدَلَّىٰهُمَا بِغُرُورٍ فَلَمَّا ذَاقَا ٱلشَّجَرَةَ بَدَتْ لَهُمَا سَوْءَٰتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ ٱلْجَنَّةِ وَنَادَىٰهُمَا رَبُّهُمَآ أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَن تِلْكُمَا ٱلشَّجَرَةِ وَأَقُل لَّكُمَآ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٢٢﴾ قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٢٣﴾ قَالَ ٱهْبِطُوا۟ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَٰعٌ إِلَىٰ حِينٍ ﴿٢٤﴾ قَالَ فِيهَا تَحْيَوْنَ وَفِيهَا تَمُوتُونَ وَمِنْهَا تُخْرَجُونَ ﴿٢٥﴾ ﴾

---

(١) يقال: ثبَّطه عن الشيء: عوَّقه وبطَّأ به. ينظر: لسان العرب ، مختار الصحاح (ثبط).

(٢) لسان العرب (ذأم).

﴿ويا آدمُ اسكن أنت وزوجك الجنة...﴾ الآية، قال ابن عباسٍ: الشجرة: السنبلة. وقال قتادة: هي التين.

وقوله: ﴿فتكونا من الظالمين﴾ أي: لأنفسكما بخطيئتكما ﴿ فوسوس لهما الشيطان ليبدي لهما ما ووري عنهما من سوءاتهما﴾ وكانا كسيا الظُّفُر.

﴿وقال ما نهاكما ربكما عن هذه الشجرة إلا أن تكونا﴾ لئلا تكونا ﴿ملكين﴾ من الملائكة ﴿أو تكونا من الخالدين﴾ الذين لا يموتون ﴿وقاسمهما﴾ بالله.

قال قتادة: حلف لهما بالله، وقال لهما: خلقْتُ قبلكما، وأنا أعلم منكما؛ فاتبعاني أرشدْكُمَا.

﴿فدلاهما بغرور فلما ذاقا الشجرة بَدَتْ لهما سوءاتُهُمَا﴾ قال محمدٌ: قوله: ﴿فدلاهما بغرور﴾ المعني: دلاهما في المعصية؛ بأن غرهما، والسوءةُ: كنايةٌ عن الفرج ﴿وطفقا﴾ أي: جعلا ﴿يخصفان عليهما من ورق الجنة﴾ قال مجاهد: يعني: [يرقعانه][1] (ل ١٠٥) كهيئة الثوب ﴿وناداهما ربهما...﴾ الآية.

يحيى: عن سعيد، عن قتادة، عن الحسن، عن أبي بن [كعب][2] قال: قال رسول الله ﷺ: «كان آدم رجلًا طوالًا، كأنه نخلة سحوق كثير شعر الرأس؛ فلما وقع بما وقع به، بَدتْ له عورته، وكان لا يراها قبل ذلك؛ فانطلق هاربًا في الجنة؛ فأخذت شجرة من شجر الجنة برأسه؛ فقال لها:

---

(١) طمس في الأصل، والمثبت هو الأقرب إلى القراءة والمعنى. وينظر تفسير الطبري (٨/ ١٤٢).

(٢) طمس في الأصل، والحديث لأبي بن كعب سيد القراء، وفي إسناد هذا الحديث اختلاف يأتي بيانه.

أرسِليني، فقالت: لستَ بمرسلتك، فناداه ربه: يا آدم، أمني تفر؟ قال: يا رب إني أستحييك»(١).

---

(١) اختلف في إسناد هذا الحديث في رفعه ووقفه، وفي إثبات عُتي بن ضمرة بين الحسن وأبي ابن كعب:
فرواه ابن أبي حاتم في تفسيره (٦/ ١٤٥٣ رقم ٨٣٠٨) من طريق علي بن عاصم عن سعيد ابن أبي عروبة عن قتادة عن الحسن عن أبي بن كعب مرفوعًا.
ورواه ابن سعد (١/ ٣١) والحاكم (٢/ ٢٦٢) وابن عساكر في تاريخه (٧/ ٤٠٥) من طريق عبد الوهاب بن عطاء عن سعيد بن أبي عروبة عن قتادة عن الحسن عن عتي بن ضمرة عن أبي بن كعب مرفوعًا.
وقال الحاكم: هذا حديث صحيح الإسناد، ولم يخرجاه.
ورواه ابن سعد (١/ ٣١) والحاكم (٢/ ٥٤٣ - ٥٤٤) من طريق عباد بن العوام، عن سعيد بن أبي عروبة، عن قتادة، عن الحسن، عن عتي، عن أبي بن كعب موقوفًا.
وقال الحاكم: هذا حديث صحيح الإسناد، ولم يخرجاه.
ورواه الطبري في تفسيره (٨/ ١٤٣) من طريق يزيد عن سعيد عن قتادة عن الحسن عن أبي ابن كعب موقوفًا.
ورواه الطبري في تاريخه (١/ ١٦٠) وابن عساكر (٧/ ٤٠٤ - ٤٠٥) من طريق الحسن بن ذكوان عن الحسن عن أبي بن كعب مرفوعًا.
ورواه ابن سعد (١/ ١٣٢) من طريق إسحاق بن الربيع أبي حمزة العطار عن الحسن عن عتي عن أبي بن كعب موقوفًا.
ورواه الطبري في تفسيره (٨/ ١٤٢) من طريق حجاج عن أبي بكر عن الحسن عن أبي مرفوعًا.
وراه ابن عساكر (٧/ ٤٠٥) من طريق إبراهيم بن أبي يحيى عن الحسن عن أبي مرفوعًا.
ورواه الحاكم (١/ ٣٤٥) من طريق يزيد بن عبد الله بن الهاد عن الحسن عن أبي مرفوعًا.
قال ابن كثير في تفسيره (٢/ ٢٠٦): رواه ابن جرير وابن مردويه من طرق عن الحسن عن أبي ابن كعب عن النبي ﷺ مرفوعًا، والموقوف أصح إسنادًا.
ورواه الإمام أحمد في الزهد (ص٦٣) من طريق شيبان عن قتادة عن الحسن عن أبي مرفوعًا.
قلت: واختلف على شيبان في إسناده أيضًا، فرواه ابن عساكر (٧/ ٤٠٤) من طريق محمد بن عبد الوهاب أبي قرصافة عن آدم بن أبي إياس، عن شيبان عن قتادة عن أنس بن مالك.
ورواه ابن أبي الدنيا في الرقة والبكاء (٢١٥ رقم ٣٠٤) من طريق محمد بن إسحاق، عن محمد بن ذكوان، عن الحسن، عن أبي بن كعب مرفوعًا.

﴿ولكم في الأرض مستقرٌ﴾ تكونون فيها. ﴿ومتاعٌ﴾ يعني: متاع الدنيا تستمتعون به ﴿إلى حين﴾ إلى الموت.

﴿قال فيها﴾ يعني: الأرض ﴿تحيون﴾ أي: تولدون.

﴿وفيها تموتون ومنها تخرجون﴾ يوم القيامة.

﴿يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ قَدۡ أَنزَلۡنَا عَلَيۡكُمۡ لِبَاسٗا يُوَٰرِي سَوۡءَٰتِكُمۡ وَرِيشٗاۖ وَلِبَاسُ ٱلتَّقۡوَىٰ ذَٰلِكَ خَيۡرٞۚ ذَٰلِكَ مِنۡ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ لَعَلَّهُمۡ يَذَّكَّرُونَ ﴿٢٦﴾ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ لَا يَفۡتِنَنَّكُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ كَمَآ أَخۡرَجَ أَبَوَيۡكُم مِّنَ ٱلۡجَنَّةِ يَنزِعُ عَنۡهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوۡءَٰتِهِمَآۚ إِنَّهُۥ يَرَىٰكُمۡ هُوَ وَقَبِيلُهُۥ مِنۡ حَيۡثُ لَا تَرَوۡنَهُمۡۗ إِنَّا جَعَلۡنَا ٱلشَّيَٰطِينَ أَوۡلِيَآءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ ﴿٢٧﴾ وَإِذَا فَعَلُواْ فَٰحِشَةٗ قَالُواْ وَجَدۡنَا عَلَيۡهَآ ءَابَآءَنَا وَٱللَّهُ أَمَرَنَا بِهَاۗ قُلۡ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَأۡمُرُ بِٱلۡفَحۡشَآءِۖ أَتَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعۡلَمُونَ ﴿٢٨﴾﴾

﴿يا بني آدم قد أنزلنا عليكم لباسًا يواري سوءاتكم﴾ يعني: الثياب ﴿وريشًا﴾ يعني: المتاع والمال.

﴿ولباس التقوى﴾ والرفع على معنى كلامٍ مستقبل[1]، ولباس التقوى: العفافُ.

﴿يا بني آدم لا يفتننكم الشيطان﴾ أي: لا يضلَّنكم.

﴿إنه يراكم هو وقبيله﴾ قال مجاهد: قبيلُه: الجن والشياطين.

﴿وإذا فعلوا فاحشةً﴾ يعني: من الكفر والشرك ﴿قالوا وجدنا عليها آباءنا والله أمرنا بها﴾ .

---

(١) أي: الرفع على الاستئناف. وفيه تفصيل نحوي ينظر من: إعراب القرآن (١/ ٦٠٦ - ٦٠٧)، البحر (٤/ ٢٨٣)، الدر (٣/ ٢٥٣).

﴿قُلْ أَمَرَ رَبِّي بِالْقِسْطِ وَأَقِيمُوا وُجُوهَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ ﴿٢٩﴾ فَرِيقًا هَدَىٰ وَفَرِيقًا حَقَّ عَلَيْهِمُ الضَّلَالَةُ إِنَّهُمُ اتَّخَذُوا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ مِن دُونِ اللَّهِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٣٠﴾﴾

﴿قل أمر ربي بالقسط﴾ بالعدل ﴿وأقيموا وجوهكم عند كل مسجد﴾ قال مجاهد: يعني: وأقيموا وجوهكم إلى الكعبة حيث صلَّيتم ﴿كما بدأكم تعودون﴾.

يحيى: عن همَّام، عن القاسم بن عبد الواحد، عن عبد اللَّه بن محمد، عن جابر بن عبد اللَّه، عن عبد اللَّه بن أنيس قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «يحشر اللَّه العباد - أو قال: الناس - يوم القيامة حُفَاةً عراةً غُرْلًا بُهمًا. قال: قلت: ما بُهْمًا؟! قال: ليس معهم شيْء»[1].

---

(١) رواه الإمام أحمد (٣/ ٤٩٥) - ومن طريقه ابن حجر في تغليق التعليق (٥/ ٣٥٥) - والبخاري في الأدب المفرد (٣٤٨ - ٣٤٩ ورقم ٩٧٠) وابن أبي شيبة في مسنده (٢/ ٣٤٧ رقم ٨٥١) والحارث بن أبي أسامة في مسنده - زوائده (٣٢ رقم ٣٩) - وابن أبي عاصم في السنة (١/ ٢٢٥ رقم ٥١٤) وفي الآحاد والمثاني (٤/ ٧٩ - ٨٠ رقم ٢٠٣٤) والحاكم في المستدرك (٢/ ٤٣٧ - ٤٣٨، ٤/ ٥٧٤ - ٥٧٥) وابن عبد البر في جامع بيان العلم وفضله (١/ ٣٨٩ - ٣٩٢ رقم ٥٦٥، ٥٦٦) والبيهقي في الأسماء والصفات (١/ ١٩٦ - ١٩٧ رقم١٣١، ٢/ ٢٩ - ٣٠ رقم ٦٠٠) والضياء في المختارة (٩/ ٢٥ - ٢٦ رقم ١٠) وغيرهم من طرق عن همام به.
ورواه الطبراني في الأوسط (٨/ ٢٦٥ - ٢٦٦ رقم ٨٥٩٣) من طريق داود بن الوازع والخطيب في الرحلة (٣٢) من طريق عبد الوارث بن سعيد، كلاهما عن القاسم بن عبد الواحد بنحوه.
وقال الحاكم: صحيح الإسناد، ولم يخرجاه.
وقال المنذري في الترغيب (٤/ ٢٠٢) رواه أحمد بإسناد حسن.
وقال ابن حجر في الفتح (١/ ٢١٠): إسناد حسن وقد اعتضد. =

﴿يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ خُذُواْ زِينَتَكُمۡ عِندَ كُلِّ مَسۡجِدٖ وَكُلُواْ وَٱشۡرَبُواْ وَلَا تُسۡرِفُوٓاْۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُسۡرِفِينَ ﴿٣١﴾ قُلۡ مَنۡ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِيٓ أَخۡرَجَ لِعِبَادِهِۦ وَٱلطَّيِّبَٰتِ مِنَ ٱلرِّزۡقِۚ قُلۡ هِيَ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا خَالِصَةٗ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۗ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلۡأٓيَٰتِ لِقَوۡمٖ يَعۡلَمُونَ ﴿٣٢﴾ قُلۡ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ ٱلۡفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنۡهَا وَمَا بَطَنَ وَٱلۡإِثۡمَ وَٱلۡبَغۡيَ بِغَيۡرِ ٱلۡحَقِّ وَأَن تُشۡرِكُواْ بِٱللَّهِ مَا لَمۡ يُنَزِّلۡ بِهِۦ سُلۡطَٰنٗا وَأَن تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعۡلَمُونَ ﴿٣٣﴾﴾

﴿يا بني آدم خذوا زينتكم عند كل مسجدٍ﴾ قال الحسن: كان أهل الجاهلية يطوفون بالبيت عراةً؛ فأمر اللَّه المسلمين؛ فقال: ﴿خذوا زينتكم عند كل مسجد﴾ قال مجاهد: أمرهم أن يلبسوا الثياب ﴿وكلوا شربوا﴾ يعني: الحلال ﴿ولا تسرفوا﴾ فتُحرمُوا ما أحلَّ اللَّه لكم؛ كما حرَّم أهل الجاهلية من البحيرة والسائبة، وغير ذلك مما حرَّموا ﴿قل من حرَّم زينة اللَّه التي أخرج لعباده﴾ يعني: الثياب؛ لأنهم كانوا يطوفون بالبيت عراةً.

﴿والطيبات من الرزق﴾ ما حرَّموا من أنعامهم، وغير ذلك.

﴿قل هي للذين آمنوا في الحياة الدنيا﴾ وقد خالطهم المشركون فيها في الدنيا وهي للذين آمنوا ﴿خالصة يوم القيامة﴾ دون المشركين.

قال محمدٌ: من قرأ ﴿خالصةٌ﴾ بالرفع(1)، فهو على أنه خبرٌ بعد

= ورواه الطبراني في مسند الشاميين (١/ ١٠٤ - ١٠٥ رقم ١٥٦) وتمام الرازي في فوائده (١/ ٣٦٤ - ٣٦٥ رقم ٩٢٨) من طريق الحجاج بن دينار عن محمد بن المنكدر عن جابر بنحوه.

قال ابن حجر في الفتح (١/ ٢٠٩): وإسناده صالح، وله طريق ثالثة أخرجها الخطيب في الرحلة من طريق أبي الجارود العنسي - وهو بالنون الساكنة - عن جابر قال: بلغني حديث في القصاص ... فذكر الحديث نحوه، وفي إسناده ضعيف. اهـ

(1) وهي قراءة نافع من السبعة. ينظر السبعة (٢٠٨)، التيسير (١٠٩)، النشر (٢/ ٢٦٩).

خبر[١]؛ المعنى: قل هي ثابتةٌ للذين آمنوا في الحياة الدنيا خالصةٌ يوم القيامة. ومن قرأ بالنصب[٢]، فعلى الحال[٣].

﴿كذلك نفصل الآيات﴾ نبيِّنها بالأمر والنهي ﴿لقوم يعلمون﴾ وهم المؤمنون الذين قبلوا ذلك عن الله.

﴿قل إنما حرَّم ربي الفواحش ما ظهر منها وما بطن﴾ قال الحسن: يَعْني: الزنا سرَّه وعلانيته.

﴿والإثم﴾ يعني: المعاصي ﴿والبغي بغير الحق﴾ يعني: الظلم ﴿وأن تشركوا بالله ما لم ينزل به سلطانًا﴾ حُجَّة؛ يعني: أوثانهم التي عبدوا من دون الله.

﴿وأن تقولوا على الله ما لا تعلمون﴾ زعموا أن الله أمرهم بعبادتها بغير علمٍ جاءهم من الله.

﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ ﴿٣٤﴾ يَا بَنِي آدَمَ إِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِي فَمَنِ اتَّقَى وَأَصْلَحَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٣٥﴾ وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُوا عَنْهَا أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٣٦﴾ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ أُولَئِكَ يَنَالُهُمْ نَصِيبُهُمْ مِنَ الْكِتَابِ حَتَّى إِذَا جَاءَتْهُمْ رُسُلُنَا يَتَوَفَّوْنَهُمْ قَالُوا أَيْنَ مَا كُنْتُمْ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ قَالُوا ضَلُّوا عَنَّا

---

(١) ينظر: إعراب القرآن (١/ ٦٠٩)، الكتاب (١/ ٢٦٢).

(٢) وهي قراءة الباقين؛ أي السبعة إلا نافعًا. ينظر: السبعة (٢٠٨)، التيسير (١٠٩)، النشر (٢/ ٢٦٩).

(٣) ينظر: البحر المحيط (٤/ ٢٩١ - ٢٩٢)، الدر المصون (٣/ ٢٦٠).

وَشَهِدُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ أَنَّهُمۡ كَانُواْ كَٰفِرِينَ ﴿٣٧﴾﴾

﴿ولكلِ أمةٍ أجلٌ...﴾ الآية، يعني: أن القوم إذا كذَّبوا رسلهم، فجاء الوقت الذي يأتيهم فيه العذاب ﴿فإنهم لا يستأخرون﴾ عن العذاب ﴿ساعةً ولا يستقدمون﴾ عنه.

﴿أولئك ينالهم نصيبهم من الكتاب﴾ قال مجاهد: يعني: ينالهم ما كُتِبَ عليهم.

﴿حتى إذا جاءتهم رسلنا﴾ يعني: الملائكة ﴿يتوفَّوْنهم﴾ قال الحسن: هذه وفاةُ [أهل](1) النار ﴿قالوا أين ما كنتم تدعون من دون اللَّه﴾ (ل ١٠٦) يعني: شركاؤكم ﴿قالوا: ضلوا عنا وشهدوا على أنفسهم أنهم كانوا﴾ في الدنيا ﴿كافرين﴾.

﴿قَالَ ٱدۡخُلُواْ فِيٓ أُمَمٖ قَدۡ خَلَتۡ مِن قَبۡلِكُم مِّنَ ٱلۡجِنِّ وَٱلۡإِنسِ فِي ٱلنَّارِۖ كُلَّمَا دَخَلَتۡ أُمَّةٞ لَّعَنَتۡ أُخۡتَهَاۖ حَتَّىٰٓ إِذَا ٱدَّارَكُواْ فِيهَا جَمِيعٗا قَالَتۡ أُخۡرَىٰهُمۡ لِأُولَىٰهُمۡ رَبَّنَا هَٰٓؤُلَآءِ أَضَلُّونَا فَـَٔاتِهِمۡ عَذَابٗا ضِعۡفٗا مِّنَ ٱلنَّارِۖ قَالَ لِكُلّٖ ضِعۡفٞ وَلَٰكِن لَّا تَعۡلَمُونَ ﴿٣٨﴾ وَقَالَتۡ أُولَىٰهُمۡ لِأُخۡرَىٰهُمۡ فَمَا كَانَ لَكُمۡ عَلَيۡنَا مِن فَضۡلٖ فَذُوقُواْ ٱلۡعَذَابَ بِمَا كُنتُمۡ تَكۡسِبُونَ ﴿٣٩﴾﴾

﴿قال ادخلوا في أُممٍ﴾ أي: مع(2) أممٍ ﴿قد خلت من قبلكم من الجن والإنس في النار﴾ ﴿قالت أخراهم لأولاهم ربنا هؤلاء أضلونا﴾ كل أمةٍ تقوله أخراها لأولاها ﴿فآتهم عذابًا ضعفًا من النار...﴾ الآية.

قال محمد: أي: عذابًا مضاعفًا، والضعف في كلام العرب على ضربين:

---

(١) طمس في الأصل، والمثبت الأقرب إلى الصواب والمعنى.

(٢) أي: أن ﴿في﴾ في قوله تعالى: ﴿ادخلوا في أمم﴾ للمعية لا للظرفية. ينظر: الدر المصون (٣/ ٢٦٦). وانظر في دلالة (في) على المعية مغنى اللبيب (١/ ١٩١ - ١٩٢).

أحدهما: المِثْل، والآخر: أن يكون في معنى تضعيف الشيء(١).

وقوله: ﴿ولكن لا تعلمون﴾ أي: أيها المخاطَبُون ما لكل فريق منكم.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا وَٱسْتَكْبَرُوا۟ عَنْهَا لَا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَٰبُ ٱلسَّمَآءِ وَلَا يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ حَتَّىٰ يَلِجَ ٱلْجَمَلُ فِى سَمِّ ٱلْخِيَاطِ ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٤٠﴾ لَهُم مِّن جَهَنَّمَ مِهَادٌ وَمِن فَوْقِهِمْ غَوَاشٍ ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿٤١﴾ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَآ أُو۟لَـٰٓئِكَ أَصْحَـٰبُ ٱلْجَنَّةِ ۖ هُمْ فِيهَا خَـٰلِدُونَ ﴿٤٢﴾ وَنَزَعْنَا مَا فِى صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ تَجْرِى مِن تَحْتِهِمُ ٱلْأَنْهَـٰرُ ۖ وَقَالُوا۟ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى هَدَىٰنَا لِهَـٰذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِىَ لَوْلَآ أَنْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ ۖ لَقَدْ جَآءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِٱلْحَقِّ ۖ وَنُودُوٓا۟ أَن تِلْكُمُ ٱلْجَنَّةُ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٤٣﴾﴾

﴿إن الذين كذَّبوا بآياتنا واستكبروا عنها لا تُفَتَّح لهم﴾ يعني: لأعمالهم ولا لأرواحهم ﴿أبواب السماء﴾.

يحيى: عن حماد، عن عاصم بن بَهْدلة، عن أبي وائل، عن أبي موسى الأشعري قال: «تخرج روح المؤمن(٢) أطيب من ريح المسْكِ؛ فتصعد به الملائكة الذين توفَّوْه؛ فتلقاه ملائكة آخرون دون السماء؛ فيقولون: مَنْ هذا؟ فيقولون: هذا فلانٌ كان يعملُ كَيْتَ وكَيْتَ - لمحاسن عمله . فيقولون: مرحبًا بكم وبه؛ فيقبضونه فيصْعَدون به من بابه الذي كان يصْعَدُ منه عملهُ (فيشرق)(٣) في السمٰوات؛ حتى ينتهي إلى العرش، وله بُرْهانٌ كبُرْهان

(١) ينظر لسان العرب (ضعف).

(٢) زاد بعدها في الأصل: من

(٣) كذا في الأصل، وفي مصنف ابن أبي شيبة: فيشرق وجهه.

الشَّمسِ، وتخرج روح الكافر أنتن من الجيفة؛ فتصْعَدُ به الملائكة الذين توفَّوه، فتلقاهُمْ ملائكةٌ آخرون من دون السماء، فيقولون مَنْ هذا؟ فيقولون: هذا فلان بن فلان كان يعمل كَيْتَ وكَيْتَ - لمساوئِ عمله. فيقولون: لا مرحبًا به، ردوه»[١].

قال ابن عباسٍ: «فَيُرَدُّ إلى وادٍ يقال له: بَرَهُوت أسفل الثرى من الأرضين السَّبْعِ». من حديث يحيى بن محمد.

وقوله: ﴿ولا يدخلون الجنة حتى يلجَ الجمل في سم الخِيَاط﴾ يعني: ثقْب الإبرة[٢]. وسُئِل ابْنُ مسعود عن الجَمَل. فقال: هو زوج الناقة.

﴿وكذلك نجزي المجرمين﴾ يعني: المشركين ﴿لهم من جهنم مهادٌ﴾ أي: فراش ﴿ومن فوقهم غواش﴾ يعني: ما يغشاهم من النار.

﴿ونزعنا ما في صدورهم من غلٍ﴾ يعني: العداوةَ والحسَدَ.

﴿وقالوا الحمدُ للَّه الذي هدانا لهذا﴾ يعنون: الإيمان.

﴿لقد جاءت رسُلُ ربنا بالحق﴾ في الدنيا.

﴿وَنَادَىٰٓ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ أَصْحَٰبَ ٱلنَّارِ أَن قَدْ وَجَدْنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقًّا فَهَلْ وَجَدتُّم مَّا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقًّا ۖ قَالُوا۟ نَعَمْ ۚ فَأَذَّنَ مُؤَذِّنٌۢ بَيْنَهُمْ أَن لَّعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤٤﴾ ٱلَّذِينَ يَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ

(١) رواه أبو داود الطيالسي - كما في كتاب الروح (١٠٤) - عن حماد بن سلمة به.
ورواه ابن أبي شيبة في مصنفه (٣/٢٥٧ - ٢٥٨ رقم ٣، ٨/٢٠٣ رقم ٥) من طريق زائدة عن عاصم به.
ورواه اللالكائي في شرح أصول الاعتقاد (٦/١١٤٩ رقم ٢١٦٣) من طريق أبي عوانة عن عاصم.

(٢) ويجمع (سَمّ) على (سُمُوم)، وسينه مُثلَّثة. ينظر لسان العرب (سمم).

وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا وَهُم بِٱلْآخِرَةِ كَٰفِرُونَ ﴿٤٥﴾ وَبَيْنَهُمَا حِجَابٌ وَعَلَى ٱلْأَعْرَافِ رِجَالٌ يَعْرِفُونَ كُلًّا بِسِيمَٰهُمْ وَنَادَوْا۟ أَصْحَٰبَ ٱلْجَنَّةِ أَن سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ لَمْ يَدْخُلُوهَا وَهُمْ يَطْمَعُونَ ﴿٤٦﴾ وَإِذَا صُرِفَتْ أَبْصَٰرُهُمْ تِلْقَآءَ أَصْحَٰبِ ٱلنَّارِ قَالُوا۟ رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤٧﴾﴾

﴿ونادى أصحابُ الجنّةِ أصحابَ النارِ﴾ وهم مشرفون عليهم؛ لأن الجنّة في السماء، والنار في الأرض.

﴿فأذَّن مؤذنٌ بينهم...﴾ الآية. أي: نادى منادٍ.

﴿الذين يصدون عن سبيل اللَّه﴾ إذ كانوا في الدنيا ﴿ويبغونها عوجًا﴾ يبغون سبيل اللَّه عوجًا.

﴿وبينهما﴾ بين الجنّةِ والنار ﴿حجابٌ﴾ وهو الأعراف.

﴿وعلى الأعرافِ رجالٌ يعرفون كلًّا بسيماهم﴾ تفسير قتادة: يعرفون أهل الجنّة ببياض وجُوهِهِمْ، وأهل النار بسواد وجوهِهِمْ.

﴿ونادَوا أصحاب الجنّةِ أن سلامٌ عليكم﴾ قال اللَّه: ﴿لم يدخلوها﴾ يعني: أصحاب الأعراف ﴿وهم يطمعون﴾ في دخولها، وهذا طمع يقين.

قال قتادة: ذُكِرَ لنا أنَّ ابن عباسٍ قال: أصحاب الأعراف قومٌ استَوتْ حسناتهم وسيئاتهم؛ فلم تفضل حسناتُهم على سيئاتِهِمْ، ولا سيئاتهم على حسناتهم، فَحُبِسُوا هنالك.

يحيى: عن إبراهيم بن محمد، عن محمد بن المنكدر قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «أصحاب الأعراف هُمْ قوْمٌ غزوْا بغير إذن آبائهم فاسْتُشْهِدُوا، فحُبِسُوا عن الجنّةِ؛ لمعصيتهم آباءهم، وعن النار بشهادتهم»[1].

---

(١) إبراهيم بن محمد هو ابن أبي يحيى الأسلمي، متروك، وثقه الشافعي رحمه الله ولم أجد =

يحيى: عن أبي أميَّة، عن المتلمس السَّدُوسي، عن إسحاق بْن عبد اللَّه ابن الحارث قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «إنَّ أُحُدًا جبلٌ يحبُّنا ونُحِبُّه، وإنه يوم القيامَة يُمَثَّلُ بين الجنة والنار يُحْبَسُ عليه أقوامٌ يعرفون كلًّا بسيماهُمْ هُمْ - إن شاء اللَّه - من أهل الجنة»[1].

قال محمد: وكلٌّ مرتفعٍ عند العرب أعرافٌ[2].

﴿وَنَادَىٰٓ أَصْحَٰبُ ٱلْأَعْرَافِ رِجَالًا يَعْرِفُونَهُم بِسِيمَٰهُمْ قَالُوا۟ مَآ أَغْنَىٰ عَنكُمْ جَمْعُكُمْ وَمَا كُنتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ ﴿٤٨﴾ أَهَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ أَقْسَمْتُمْ لَا يَنَالُهُمُ ٱللَّهُ بِرَحْمَةٍ ۚ ٱدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمْ وَلَآ أَنتُمْ تَحْزَنُونَ ﴿٤٩﴾ وَنَادَىٰٓ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ أَصْحَٰبَ ٱلْجَنَّةِ أَنْ أَفِيضُوا۟ عَلَيْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ أَوْ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ ۚ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ حَرَّمَهُمَا عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٥٠﴾ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ دِينَهُمْ لَهْوًا وَلَعِبًا وَغَرَّتْهُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا ۚ فَٱلْيَوْمَ نَنسَىٰهُمْ كَمَا نَسُوا۟ لِقَآءَ يَوْمِهِمْ هَٰذَا وَمَا

= الحديث من هذا الوجه، وعزاه ابن كثير في تفسيره (٢/ ٢١٦) لابن مردويه من طريق سعيد ابن سلمة عن أبي الحسام عن محمد بن المنكدر عن رجل من مزينة.
وعزاه السيوطي في الدر (٣/ ٩٧) لأبي الشيخ وابن مردويه.
وفي الباب عن عدة من الصحابة مرفوعًا وعن بعض التابعين مرسلاً، ذكرها السيوطي في الدر المنثور (٣/ ٩٦ - ٩٧) وذكر بعضها ابن كثير في تفسيره (٢/ ٢١٦) ثم قال: واللَّه أعلم بصحة هذه الأخبار المرفوعة، وقصاراها أن تكون موقوفة.

(١) لم أقف عليه بهذا اللفظ، وإسحاق بن عبد اللَّه بن الحارث أظنه هو أبو يعقوب القرشي الهاشمي، روى عن النبي ﷺ مرسلًا، ترجمته في التهذيب (٢/ ٤٤٢ - ٤٤٤).
وروى البخاري (٦/ ٩٨ رقم ٢٨٨٩) ومسلم (٢/ ١٠١١ رقم ١٣٩٣) واللفظ له عن أنس قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «إن أحدًا جبل يحبنا ونحبه».
ورواه مسلم (٢/ ١٠١١ رقم ١٣٩٢) عن أبي حميد الساعدي.

(٢) وواحد (الأعراف): (عُرْفٌ)، وهو كل مرتفع من أرض وغيرها، استعارةً من عُرْف الديك، وعُرْف الفرس، كأنه عرف بارتفاعه دون الأشياء المنخفضة؛ فإنها مجهولة غالبًا. ينظر: لسان العرب (عرف)، الدر المصون (٣/ ٢٧٤).

كَانُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا يَجْحَدُونَ ﴿٥١﴾﴾

﴿ونادى أصحاب الأعراف﴾ وأصحاب الأعراف ها هنا ملائكة ﴿رجالًا يعرفونهم بسيماهم قالوا ما أغنى عنكم جمعكم﴾ في الدنيا ﴿وما كنتم تستكبرون﴾ (ل ١٠٧) عن عبادة اللَّه. ﴿أهؤلاء﴾ يعنون: أهل الجنة ﴿الذين أقسمتم لا ينالهم اللَّه برحمَةٍ﴾ ثم انقطع كلام الملائكة، وقال اللَّه لهم: ﴿ادخلوا الجنة...﴾ الآية.

﴿ونادى أصحابُ النارِ أصحابَ الجنةِ أن أفيضوا علينا من الماء أو مما رزقكم اللَّه﴾ يعنون: الطعام.

﴿فاليومَ ننساهم﴾ أي: نتركهم في النار؛ كما تركوا ﴿لقاء يومهم هذا﴾ فلم يؤمنوا به؛ أي: في الدنيا ﴿ وما كانوا بآياتنا يجحدون﴾.

﴿وَلَقَدْ جِئْنَـٰهُم بِكِتَـٰبٍ فَصَّلْنَـٰهُ عَلَىٰ عِلْمٍ هُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٢﴾ هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُۥ ۚ يَوْمَ يَأْتِى تَأْوِيلُهُۥ يَقُولُ ٱلَّذِينَ نَسُوهُ مِن قَبْلُ قَدْ جَآءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِٱلْحَقِّ فَهَل لَّنَا مِن شُفَعَآءَ فَيَشْفَعُوا۟ لَنَآ أَوْ نُرَدُّ فَنَعْمَلَ غَيْرَ ٱلَّذِى كُنَّا نَعْمَلُ ۚ قَدْ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ ﴿٥٣﴾﴾

﴿ولقد جئناهم بكتاب فصلناه على علم﴾ يعني: بيَّنا فيه الحلال والحرام، والأمر والنهيَ، والوعْدَ والوعيدَ والأحكام ﴿ هل ينظرون﴾ ينتظرون ﴿إلا تأويله﴾ قال قتادة: يعني: الجزاء به في الآخرة.

﴿يومَ يأتي تأويله يقول الذين نسوه﴾ تركوه ﴿من قبلُ﴾ في الدنيا ولم يؤمنوا به ﴿قد جاءت رسلُ ربنا بالحق﴾ إذ كنا في الدنيا، فآمنوا حيث لم ينفعهم الإيمان ﴿فهل لنا من شفعاء فيشفعوا لنا﴾ ألا نُعذَّبَ. ﴿أو نُرد﴾ إلى

الدنيا ﴿فنعمل غير الذي كنَّا نعملُ﴾.

﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ يَطْلُبُهُۥ حَثِيثًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ وَٱلنُّجُومَ مُسَخَّرَٰتٍۭ بِأَمْرِهِۦٓ ۗ أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ ۗ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٥٤﴾ ٱدْعُوا۟ رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ ﴿٥٥﴾ وَلَا تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَٰحِهَا وَٱدْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا ۚ إِنَّ رَحْمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٥٦﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى يُرْسِلُ ٱلرِّيَٰحَ بُشْرًۢا بَيْنَ يَدَىْ رَحْمَتِهِۦ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَقَلَّتْ سَحَابًا ثِقَالًا سُقْنَٰهُ لِبَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَنزَلْنَا بِهِ ٱلْمَآءَ فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ ۚ كَذَٰلِكَ نُخْرِجُ ٱلْمَوْتَىٰ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٥٧﴾ وَٱلْبَلَدُ ٱلطَّيِّبُ يَخْرُجُ نَبَاتُهُۥ بِإِذْنِ رَبِّهِۦ ۖ وَٱلَّذِى خَبُثَ لَا يَخْرُجُ إِلَّا نَكِدًا ۚ كَذَٰلِكَ نُصَرِّفُ ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَشْكُرُونَ ﴿٥٨﴾﴾

﴿يُغْشِي الليلَ النَّهارَ﴾ أي: بأن الليلَ يأتي على النهار، فيغطيه ويُذهبه ﴿والنجومَ مسخراتٍ﴾ أي: وخلق النجومَ جاريات مجاريهنَّ.

﴿ادعوا ربّكم تضرعًا وخُفْية﴾ أي: سرًا ﴿ولا تفسدوا في الأرض بعد إصلاحها﴾ يعني: بعد ما بُعِثَ النبي، واستجيب له ﴿إنّ رحمة اللّهِ قريبٌ من المحسنين﴾.

﴿وهو الذي يرسل الرياح نَشْرًا[1] بين يدى رحمته﴾ أي: يبسطها بين يدي المطر.

قال محمد: القراءة على هذا التفسير (نَشْرًا) بفتح النون، والمعنى: منتشرة

---

(١) هكذا وردت في الأصل: (نَشْرًا) وهي قراءة حمزة والكسائي، وقرأ عاصم ﴿بُشْرًا﴾ وروى عنه أنه قرأها (بَشْرًا) بفتح الباء وسكون الشين. ينظر: الدر المصون (٣/ ٢٨٥)، السبعة (٢٨٣)، التيسير (١١٠)، النشر (٢/ ٢٧٠).

نَشْرًا، ومن قرأ (نُشرًا)[(١)] بضم النون، فهو جمْعُ: (نُشور)[(٢)]؛ وهي التي تنشر السحاب.

﴿حتى إذا أقلَّت سحابًا ثقالًا﴾ الثقال: التي فيها الماء ﴿سقناه لِبلَدٍ ميتٍ﴾ يعني: ليس فيه نبات.

﴿والبلَدُ [الطيب][(٣)] يخرج نباته بإذن ربه...﴾ تفسير الكلبي: هذا مثل ضربه الله للمؤمن والمنافق؛ البلدُ الطيب مثَلُ المؤمن يعَمل ما عمل من شيء ابتغاءَ وجْهِ الله ﴿والذي خبثَ﴾ مثلُ المنافق لا يعطي شيئًا ولا يعْمَلهُ ﴿إلا نكدًا﴾ أي: ليست له فيه حِسْبَةٌ ﴿كذلك نُصَرفُ الآيات﴾ نبيِّنُها ﴿لقومٍ يشكرون﴾ يؤمنون.

﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ فَقَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿٥٩﴾ قَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِهِۦٓ إِنَّا لَنَرَىٰكَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٦٠﴾ قَالَ يَٰقَوْمِ لَيْسَ بِى ضَلَٰلَةٌ وَلَٰكِنِّى رَسُولٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦١﴾ أُبَلِّغُكُمْ رِسَٰلَٰتِ رَبِّى وَأَنصَحُ لَكُمْ وَأَعْلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٦٢﴾ أَوَعَجِبْتُمْ أَن جَآءَكُمْ ذِكْرٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنكُمْ لِيُنذِرَكُمْ وَلِتَتَّقُوا۟ وَلَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٦٣﴾ فَكَذَّبُوهُ فَأَنجَيْنَٰهُ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥ فِى ٱلْفُلْكِ وَأَغْرَقْنَا ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَآ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمًا عَمِينَ ﴿٦٤﴾﴾

﴿لقد أرسلنا نوحًا إلى قومه...﴾ إلى قوله: ﴿وأعلم من الله ما لا تعلمون﴾

---

(١) قرأ ﴿نُشُرًا﴾ بضمتين ابن كثير وأبو عمرو ونافع، وقرأ (نُشْرًا) بضم النون وإسكان الشين ابن عامر. ينظر: السبعة (٢٨٣)، التيسير (١١٠)، النشر (٢/ ٢٧٠).

(٢) وقيل: جمع (ناشر) كشاهد وشهد، ونازل ونُزُل. ورد ذلك عن أبي علي الفارسي. ينظر: لسان العرب (نشر)، كشف المشكلات (١/ ٤٥٩).

(٣) سقط من الأصل.

قال الحسن: يقول: أعْلَمُ من اللَّه أنهُ مُهلِككم ومُعَذبكم؛ إن لم تؤمنوا .

﴿أو عجبْتم أن جاءكم ذِكرٌ﴾ أي: وَحْيٌ ﴿من ربكم على رجُلٍ منكم﴾ على لسانِ رجُلٍ منكم ﴿لينذركم ولتتقوا ولعلكم تُرْحمون﴾ إن آمنتم، و(لعلّ) من اللَّه واجبَةٌ.

﴿إنهم كانوا قومًا عَمِين﴾ عَمُوا عَن الحق.

﴿وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا ۗ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ ۚ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٦٥﴾ قَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦٓ إِنَّا لَنَرَىٰكَ فِى سَفَاهَةٍ وَإِنَّا لَنَظُنُّكَ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٦٦﴾ قَالَ يَٰقَوْمِ لَيْسَ بِى سَفَاهَةٌ وَلَٰكِنِّى رَسُولٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦٧﴾ أُبَلِّغُكُمْ رِسَٰلَٰتِ رَبِّى وَأَنَا۠ لَكُمْ نَاصِحٌ أَمِينٌ ﴿٦٨﴾ أَوَعَجِبْتُمْ أَن جَآءَكُمْ ذِكْرٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنكُمْ لِيُنذِرَكُمْ ۚ وَٱذْكُرُوٓا۟ إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَآءَ مِنۢ بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ وَزَادَكُمْ فِى ٱلْخَلْقِ بَصْۜطَةً ۖ فَٱذْكُرُوٓا۟ ءَالَآءَ ٱللَّهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٦٩﴾ قَالُوٓا۟ أَجِئْتَنَا لِنَعْبُدَ ٱللَّهَ وَحْدَهُۥ وَنَذَرَ مَا كَانَ يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَا ۖ فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٧٠﴾ قَالَ قَدْ وَقَعَ عَلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ رِجْسٌ وَغَضَبٌ ۖ أَتُجَٰدِلُونَنِى فِىٓ أَسْمَآءٍ سَمَّيْتُمُوهَآ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُم مَّا نَزَّلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَٰنٍ ۚ فَٱنتَظِرُوٓا۟ إِنِّى مَعَكُم مِّنَ ٱلْمُنتَظِرِينَ ﴿٧١﴾ فَأَنجَيْنَٰهُ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا وَقَطَعْنَا دَابِرَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا ۖ وَمَا كَانُوا۟ مُؤْمِنِينَ ﴿٧٢﴾﴾

﴿وإلى عادٍ﴾ أي: وأرسلنا إلى عادٍ ﴿أخاهم هودًا﴾ أخوهم في النسب، وليس بأخيهم في الدين .

﴿قال الملأ [الذين كفروا][١] من قومه﴾ يعني: الرؤساء ﴿إنا لنراك في

(١) سقطت من الأصل.

سفاهةٍ﴾ أي: من الرأي ﴿وإنا لنظُنك من الكاذبين﴾ كان تكذيبُهم إيَّاه بالظَّن.

﴿وأنا لكم ناصحٌ﴾ أدعوكُمْ إلى ما ينفعُكم ﴿أمين﴾ على ما جئتُكم به من عند اللَّه.

﴿واذكروا إذ جعلكم خلفاء من بعد قوم نوحٍ﴾ يعني: استخلفكم في الأرض بعدهم ﴿وزادكم في الخلق بصطة﴾ يعني: الأجسامَ والقوةَ التي أعطاهم.

﴿قال قد وقع عليكم من ربكُمْ رجسٌ﴾ أي: عذاب.

﴿فانتظروا إني معكم من المنتظرين﴾ أي: أنَّ عذابَ اللَّهِ نازلٌ بكم.

﴿وقطعنا دابر الذين كذبوا﴾ أي: أصْلهم.

﴿وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَٰلِحًا قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ قَدْ جَآءَتْكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ هَٰذِهِۦ نَاقَةُ ٱللَّهِ لَكُمْ ءَايَةً فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِىٓ أَرْضِ ٱللَّهِ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوٓءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٧٣﴾ وَٱذْكُرُوٓا۟ إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَآءَ مِنۢ بَعْدِ عَادٍ وَبَوَّأَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ تَتَّخِذُونَ مِن سُهُولِهَا قُصُورًا وَتَنْحِتُونَ ٱلْجِبَالَ بُيُوتًا فَٱذْكُرُوٓا۟ ءَالَآءَ ٱللَّهِ وَلَا تَعْثَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿٧٤﴾ قَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦ لِلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا۟ لِمَنْ ءَامَنَ مِنْهُمْ أَتَعْلَمُونَ أَنَّ صَٰلِحًا مُّرْسَلٌ مِّن رَّبِّهِۦ قَالُوٓا۟ إِنَّا بِمَآ أُرْسِلَ بِهِۦ مُؤْمِنُونَ ﴿٧٥﴾ قَالَ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوٓا۟ إِنَّا بِٱلَّذِىٓ ءَامَنتُم بِهِۦ كَٰفِرُونَ ﴿٧٦﴾ فَعَقَرُوا۟ ٱلنَّاقَةَ وَعَتَوْا۟ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ وَقَالُوا۟ يَٰصَٰلِحُ ٱئْتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٧٧﴾ فَأَخَذَتْهُمُ ٱلرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا۟ فِى دَارِهِمْ جَٰثِمِينَ ﴿٧٨﴾ فَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ وَقَالَ يَٰقَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالَةَ رَبِّى وَنَصَحْتُ لَكُمْ وَلَٰكِن لَّا تُحِبُّونَ ٱلنَّٰصِحِينَ ﴿٧٩﴾﴾

﴿ولا تمسوها بسوءٍ﴾ أي: لا تعقروها .

﴿وبَوَّأكم في الأرض﴾ أسْكَنَكُمْ .

﴿ولا تعثوا﴾ قد مضى تفسيره في سورة البقرة[١] .

﴿فعقروا الناقة وعتوا عن أمر ربهم﴾ يعني: استكبروا .

﴿فأخذتهم الرجفةُ﴾ قال الحسن: تحرَّكت بهم الأرضُ ﴿فأصحبوا في دارهم جاثمين﴾ أي: قد هلكوا.

قال محمدٌ: الجثوم أصْلهُ في كلام العرب: البُروك على الرُّكَبِ[٢].

﴿وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦٓ أَتَأْتُونَ ٱلْفَٰحِشَةَ مَا سَبَقَكُم بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٨٠﴾ إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلرِّجَالَ شَهْوَةً مِّن دُونِ ٱلنِّسَآءِۚ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ ﴿٨١﴾ وَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُوٓا۟ أَخْرِجُوهُم مِّن قَرْيَتِكُمْۖ إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ ﴿٨٢﴾ فَأَنجَيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥٓ إِلَّا ٱمْرَأَتَهُۥ كَانَتْ مِنَ ٱلْغَٰبِرِينَ ﴿٨٣﴾ وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِم مَّطَرًاۖ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٨٤﴾﴾

﴿إنَّهم أُناسٌ يتطهَّرون﴾ أي: يتنزَّهون عن أعمالكم، فلا يعملون ما تعملون ﴿إلا أمرأته كانت من الغابرين﴾ يعني: من الباقين في عذاب اللّهِ.

(ل ١٠٨) ﴿وأمطرْنا عليهم مطرًا﴾ يعني: الحجارةَ التي رُمِيَ بها من كان خارجًا من المدينة في حوائجهم وأسفارهم.

---

(١) البقرة: ٦٠ .

(٢) قال أبو عبيد: الجثوم للناس والطير كالبروك للإبل. ينظر: لسان العرب (جثم)، الدر المصون (٣/ ٢٩٦).

﴿وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا ۗ قَالَ يَٰقَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ ۖ قَدْ جَاءَتْكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ ۖ فَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٨٥﴾ وَلَا تَقْعُدُوا بِكُلِّ صِرَاطٍ تُوعِدُونَ وَتَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ مَنْ آمَنَ بِهِ وَتَبْغُونَهَا عِوَجًا ۚ وَاذْكُرُوا إِذْ كُنتُمْ قَلِيلًا فَكَثَّرَكُمْ ۖ وَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ ﴿٨٦﴾ وَإِن كَانَ طَائِفَةٌ مِّنكُمْ آمَنُوا بِالَّذِي أُرْسِلْتُ بِهِ وَطَائِفَةٌ لَّمْ يُؤْمِنُوا فَاصْبِرُوا حَتَّىٰ يَحْكُمَ اللَّهُ بَيْنَنَا ۚ وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ ﴿٨٧﴾ قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِن قَوْمِهِ لَنُخْرِجَنَّكَ يَا شُعَيْبُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَكَ مِن قَرْيَتِنَا أَوْ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَا ۚ قَالَ أَوَلَوْ كُنَّا كَارِهِينَ ﴿٨٨﴾ قَدِ افْتَرَيْنَا عَلَى اللَّهِ كَذِبًا إِنْ عُدْنَا فِي مِلَّتِكُم بَعْدَ إِذْ نَجَّانَا اللَّهُ مِنْهَا ۚ وَمَا يَكُونُ لَنَا أَن نَّعُودَ فِيهَا إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّنَا ۚ وَسِعَ رَبُّنَا كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا ۚ عَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْنَا ۚ رَبَّنَا افْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِالْحَقِّ وَأَنتَ خَيْرُ الْفَاتِحِينَ ﴿٨٩﴾ وَقَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن قَوْمِهِ لَئِنِ اتَّبَعْتُمْ شُعَيْبًا إِنَّكُمْ إِذًا لَّخَاسِرُونَ ﴿٩٠﴾ فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جَاثِمِينَ ﴿٩١﴾ الَّذِينَ كَذَّبُوا شُعَيْبًا كَأَن لَّمْ يَغْنَوْا فِيهَا ۚ الَّذِينَ كَذَّبُوا شُعَيْبًا كَانُوا هُمُ الْخَاسِرِينَ ﴿٩٢﴾ فَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ وَقَالَ يَا قَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالَاتِ رَبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ ۖ فَكَيْفَ آسَىٰ عَلَىٰ قَوْمٍ كَافِرِينَ ﴿٩٣﴾﴾

﴿ولا تفسدوا في الأرض بعد إصلاحها﴾ يعني: بعد ما بعث إليكم النبي ﴿ولا تقعدوا بكل صراطٍ﴾ طريقٍ. ﴿توعدون﴾ تخوِّفون بالقتل ﴿وانظروا كيف كان عاقبة المفسدين﴾ يعني: من أُهلِكَ من الأمم السَّالفةِ حين كذَّبوا رسُلهُمْ.

﴿وسِعَ ربُّنَا﴾ أي: ملأَ ربنا ﴿كل شيءٍ علمًا﴾.

﴿ربنا افتح بيْننا وبين قومِنا﴾ أي: احْكُمْ.

قال قتادة: وإذا دعا النبي ربَّه أن يحكم بيْنه وبين قَوْمِهِ، جاءهم العذاب.

﴿كأن لم يغنوا فيها﴾ يعني: يقيموا.

﴿فكيف آسى﴾ أحزن؛ أي: لا أحزن عليهم.

﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ مِّن نَّبِيٍّ إِلَّآ أَخَذْنَآ أَهْلَهَا بِالْبَأْسَآءِ وَالضَّرَّآءِ لَعَلَّهُمْ يَضَّرَّعُونَ ﴿٩٤﴾ ثُمَّ بَدَّلْنَا مَكَانَ السَّيِّئَةِ الْحَسَنَةَ حَتَّىٰ عَفَوا وَّقَالُوا قَدْ مَسَّ ءَابَآءَنَا الضَّرَّآءُ وَالسَّرَّآءُ فَأَخَذْنَٰهُم بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٩٥﴾﴾

﴿أخذْنا أهلها بالبأساء﴾ يعني: الجوع والقحط ﴿والضراء﴾ يعني: الأمراضَ والشدائِدَ ﴿ثم بدَّلنا مكان السيئة﴾ أي: مكان البأساء والضراء ﴿الحسنة﴾ يعني: الرخاء والعافية. ﴿حتى عفَوْا﴾ أي: كثُروا ﴿وقالوا قد مَسَّ آباءنا الضراء والسراء﴾ فلم يكن شيء؛ يعنُون: ما كان يَعِدُ النبيُّ به قومَهُ من العذاب إن لم يؤمنوا.

﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰٓ ءَامَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَٰتٍ مِّنَ السَّمَآءِ وَالْأَرْضِ وَلَٰكِن كَذَّبُوا فَأَخَذْنَٰهُم بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿٩٦﴾ أَفَأَمِنَ أَهْلُ الْقُرَىٰٓ أَن يَأْتِيَهُم بَأْسُنَا بَيَٰتًا وَهُمْ نَآئِمُونَ ﴿٩٧﴾ أَوَ أَمِنَ أَهْلُ الْقُرَىٰٓ أَن يَأْتِيَهُم بَأْسُنَا ضُحًى وَهُمْ يَلْعَبُونَ ﴿٩٨﴾ أَفَأَمِنُوا مَكْرَ اللَّهِ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْخَٰسِرُونَ ﴿٩٩﴾ أَوَلَمْ يَهْدِ لِلَّذِينَ يَرِثُونَ الْأَرْضَ مِنۢ بَعْدِ أَهْلِهَآ أَن لَّوْ نَشَآءُ أَصَبْنَٰهُم بِذُنُوبِهِمْ وَنَطْبَعُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ ﴿١٠٠﴾ تِلْكَ الْقُرَىٰ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنۢبَآئِهَا وَلَقَدْ جَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَٰتِ فَمَا

كَانُوا۟ لِيُؤْمِنُوا۟ بِمَا كَذَّبُوا۟ مِن قَبْلُ ۚ كَذَٰلِكَ يَطْبَعُ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿١٠١﴾﴾

﴿لفتحنا عليهم بركاتٍ من السماء والأرض﴾ قال قتادة: يقول: لأعطتهم السماءُ قطْرها، والأرضُ نباتها.

﴿أفَأمِن أهل القرى أن يأتيَهُمْ بأسُنا﴾ عذابنا ﴿بياتًا﴾ يعني: ليْلًا.

وقوله: ﴿ضُحًى﴾ يعني: نهارًا ﴿وهم يلعبون﴾.

قال محمدٌ: يقال لكلّ منْ كان في عَمَلٍ لا يجدي وفي ضلال: إنما أنت لاعِبٌ؛ أي: في غير ما يجدي عليك.

﴿أفأمنوا مكر اللَّه﴾ يعني: عذابه.

﴿أو لم نهدِ﴾[1] أي: نبين، وتقرأ ﴿يهد﴾ يبين اللَّهُ.

﴿للذين يرثون الأرضَ من بعد أهلها﴾ يعني: الذين أُهلِكُوا من الأمم السَّالفة.

﴿وَمَا وَجَدْنَا لِأَكْثَرِهِم مِّنْ عَهْدٍ ۖ وَإِن وَجَدْنَآ أَكْثَرَهُمْ لَفَٰسِقِينَ ﴿١٠٢﴾ ثُمَّ بَعَثْنَا مِنۢ بَعْدِهِم مُّوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِي۟هِۦ فَظَلَمُوا۟ بِهَا ۖ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿١٠٣﴾ وَقَالَ مُوسَىٰ يَٰفِرْعَوْنُ إِنِّى رَسُولٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠٤﴾ حَقِيقٌ عَلَىٰٓ أَن لَّآ أَقُولَ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْحَقَّ ۚ قَدْ جِئْتُكُم بِبَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ فَأَرْسِلْ مَعِىَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿١٠٥﴾ قَالَ إِن كُنتَ جِئْتَ بِـَٔايَةٍ فَأْتِ بِهَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿١٠٦﴾ فَأَلْقَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِىَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ ﴿١٠٧﴾ وَنَزَعَ يَدَهُۥ فَإِذَا هِىَ بَيْضَآءُ لِلنَّٰظِرِينَ ﴿١٠٨﴾ قَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِ فِرْعَوْنَ إِنَّ

---

(١) هكذا في الأصل بنون العظمة وهي قراءة مجاهد، وقرأ الجمهور ﴿يهد﴾. ينظر: البحر المحيط (٤/ ٣٥٢)، الدر المصون (٣/ ٣١٠).

هَٰذَا لَسَٰحِرٌ عَلِيمٌ ﴿١٠٩﴾ يُرِيدُ أَن يُخْرِجَكُم مِّنْ أَرْضِكُمْ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ ﴿١١٠﴾ قَالُوٓا۟ أَرْجِهْ وَأَخَاهُ وَأَرْسِلْ فِى ٱلْمَدَآئِنِ حَٰشِرِينَ ﴿١١١﴾ يَأْتُوكَ بِكُلِّ سَٰحِرٍ عَلِيمٍ ﴿١١٢﴾﴾

﴿وما وَجدْنا لأكثرهم من عهْدٍ﴾ يعني: الميثاق الذي أُخِذَ عليهم في صُلْبِ آدَمَ.

﴿فظلموا بها﴾ أي: جحدوا أن تكون من عند اللَّه .

﴿فأرسل معي بني إسرائيل﴾ وكان بنو إسرائيل في أيديهم بمنزلة أهل الجزية فينا .

﴿ونزع يَدهُ﴾ أي: أخرجها من جَيْب قميصِه.

قال الكلبي: بلغنا أن موسى قال: يا فرعونُ، ما هذه بيدي؟ قال: هي عصى؛ فألقاها موسى، فإذا هي ثعبانٌ مبينٌ قد ملأَت الدار من عِظَمِهَا، ثُمَّ أهْوَتْ إلى فرعون لتبتلعه، فنادى: يا مُوسى، يا موسى، فأَخذ موسى بِذَنَبِهَا؛ فإذا هي عصًى بيده؛ فقال فرعونُ: يا موسى، هلْ من آيةٍ غيْر هذه؟ قال: نعَمْ. قال: ما هِيَ؟ قال: فأخرج موسى يَدهُ فقال: ما هذه يا فرعونُ؟ قال: هذه يدُكَ، فأدْخلها موسى في جَيْبه، ثُمَّ أَخرجها فإذا هي بيضاءٌ للناظرين، أي: تغشى البصر من بياضها.

﴿قالوا أرْجِه وأخاه﴾ أي: أَخِّرْه وأخاه ﴿وأرسل في المدائن حاشرين﴾ يَحْشُرون السَّحرة؛ فإنما هو ساحِرٌ، وليس سِحْره بالذي يغلب سَحَرَتَك.

﴿وَجَآءَ ٱلسَّحَرَةُ فِرْعَوْنَ قَالُوٓا۟ إِنَّ لَنَا لَأَجْرًا إِن كُنَّا نَحْنُ ٱلْغَٰلِبِينَ ﴿١١٣﴾ قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ لَمِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ﴿١١٤﴾ قَالُوا۟ يَٰمُوسَىٰٓ إِمَّآ أَن تُلْقِىَ وَإِمَّآ أَن نَّكُونَ نَحْنُ ٱلْمُلْقِينَ ﴿١١٥﴾ قَالَ أَلْقُوا۟ فَلَمَّآ أَلْقَوْا۟ سَحَرُوٓا۟ أَعْيُنَ ٱلنَّاسِ وَٱسْتَرْهَبُوهُمْ وَجَآءُو بِسِحْرٍ عَظِيمٍ ﴿١١٦﴾

وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنْ أَلْقِ عَصَاكَ فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ ﴿١١٧﴾ فَوَقَعَ الْحَقُّ وَبَطَلَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١١٨﴾ فَغُلِبُوا هُنَالِكَ وَانقَلَبُوا صَاغِرِينَ ﴿١١٩﴾ وَأُلْقِيَ السَّحَرَةُ سَاجِدِينَ ﴿١٢٠﴾ قَالُوٓا ءَامَنَّا بِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٢١﴾ رَبِّ مُوسَىٰ وَهَارُونَ ﴿١٢٢﴾ قَالَ فِرْعَوْنُ ءَامَنتُم بِهِ قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ لَكُمْ إِنَّ هَٰذَا لَمَكْرٌ مَّكَرْتُمُوهُ فِي الْمَدِينَةِ لِتُخْرِجُوا مِنْهَآ أَهْلَهَا فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿١٢٣﴾ لَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلَافٍ ثُمَّ لَأُصَلِّبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿١٢٤﴾ قَالُوٓا إِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا مُنقَلِبُونَ ﴿١٢٥﴾ وَمَا تَنقِمُ مِنَّآ إِلَّآ أَنْ ءَامَنَّا بِـَٔايَاتِ رَبِّنَا لَمَّا جَآءَتْنَا رَبَّنَآ أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَتَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ ﴿١٢٦﴾﴾

﴿قالوا إن لنا لأجرًا﴾ يعنون: العطيّة.

﴿قال نعَمْ وإنكم لمِنَ المقرَّبين﴾ يعْني: في المنزلة.

﴿واسْترهبوهُمْ﴾ أي: أخافوهم.

﴿وجاءوا بسحرٍ عظيم﴾ فخيل إلى موسى أنَّ حبالهم وعصيهم حياتٌ، فألقى موسى عصاه؛ فإذا هي أعظم من حياتِهم، ثم رقوا فازدادَتْ حبالُهُم وعِصيهم عِظَمًا في أعْيُنِ الناسِ، وجعلت عصا موسى تعظُم وهُمْ يرقون حتى أنفدوا سِحْرهمْ، فلم يبقَ منه شيْء، وعَظُمَتْ عصا موسى حتى سدَّتِ الأُفُق، ثم فتحت فاها، فابْتلعَتْ ما ألقوا، ثم أخذ موسى عصاه بيده، فإذا حبالهم وعصيهم قد ذهبت؛ وذلك قوله: ﴿فألقى موسى عصاه فإذا هي تلقف ما يأفكون﴾[1] أي: ما يكذبون. ﴿فوقع الحقُّ﴾ فظهر.

قال الكلبي: وقال السَّحرة بعضهم لبعض: لو كان هذا سِحْرًا لبقيت حبالُنا وعصينا.

---

(١) الشعراء: ٤٥.

﴿فألقي السحرةُ ساجدين﴾ أي: خروا؛ فَبُهِت فرعَوْنُ، وخلى سبيل موسى ولم يعرضْ له.

﴿إنَّ هذا لمكرٌ مكرتموه في المدينة﴾ (ل١٠٩) قلتم: يا موسى، اذهبْ فاصنع شيئًا؛ فإذا صنعت ذلك دعانا فرعون فصدَّقْنا مقالتك.

﴿لتخرجوا منها أهلها﴾ أي: لتخرجوني وقومي بسحركم وسحر موسى.

﴿لأُقطعَنَّ أيديَكُم من خلافٍ﴾ اليَد اليُمْنَى، والرجل اليُسْرَى.

﴿وَقَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِ فِرْعَوْنَ أَتَذَرُ مُوسَىٰ وَقَوْمَهُۥ لِيُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَيَذَرَكَ وَءَالِهَتَكَ ۚ قَالَ سَنُقَتِّلُ أَبْنَآءَهُمْ وَنَسْتَحْىِۦ نِسَآءَهُمْ وَإِنَّا فَوْقَهُمْ قَٰهِرُونَ ﴿١٢٧﴾ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ ٱسْتَعِينُوا۟ بِٱللَّهِ وَٱصْبِرُوٓا۟ ۖ إِنَّ ٱلْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ۖ وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٢٨﴾ قَالُوٓا۟ أُوذِينَا مِن قَبْلِ أَن تَأْتِيَنَا وَمِنۢ بَعْدِ مَا جِئْتَنَا ۚ قَالَ عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُهْلِكَ عَدُوَّكُمْ وَيَسْتَخْلِفَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ ﴿١٢٩﴾﴾

﴿ويذرك وآلِهَتَك﴾ قال الحسنُ: كان فرعونُ يعبُد الأوثانَ.

﴿إن الأرضَ للَّه يورثُها من يشاءُ من عباده﴾ وكان اللَّهُ قد أعلم موسى أنه مهلكٌ فرعَوْنَ وقومَهُ، وأنه سيورث بني إسرائيل الأرض بعدهم ﴿والعاقبه للمتقين﴾ يريدُ: الجنَّة.

﴿قالوا أوذينا من قبل أن تأتينا ومن بعد ما جئتنا﴾ يقوله بنو إسْرَائيل لموسى؛ يعنون: ما كان يصنع بهم فرعون وقوْمُه.

﴿وَلَقَدْ أَخَذْنَآ ءَالَ فِرْعَوْنَ بِٱلسِّنِينَ وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ ﴿١٣٠﴾ فَإِذَا جَآءَتْهُمُ ٱلْحَسَنَةُ قَالُوا۟ لَنَا هَٰذِهِۦ ۖ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَطَّيَّرُوا۟ بِمُوسَىٰ وَمَن مَّعَهُۥٓ ۗ أَلَآ إِنَّمَا

طَٰٓئِرُهُمْ عِندَ ٱللَّهِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٣١﴾ وَقَالُوا۟ مَهْمَا تَأْتِنَا بِهِۦ مِنْ ءَايَةٍ لِّتَسْحَرَنَا بِهَا فَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ ﴿١٣٢﴾ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ ٱلطُّوفَانَ وَٱلْجَرَادَ وَٱلْقُمَّلَ وَٱلضَّفَادِعَ وَٱلدَّمَ ءَايَٰتٍ مُّفَصَّلَٰتٍ فَٱسْتَكْبَرُوا۟ وَكَانُوا۟ قَوْمًا مُّجْرِمِينَ ﴿١٣٣﴾ وَلَمَّا وَقَعَ عَلَيْهِمُ ٱلرِّجْزُ قَالُوا۟ يَٰمُوسَى ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِندَكَ ۖ لَئِن كَشَفْتَ عَنَّا ٱلرِّجْزَ لَنُؤْمِنَنَّ لَكَ وَلَنُرْسِلَنَّ مَعَكَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿١٣٤﴾ فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمُ ٱلرِّجْزَ إِلَىٰٓ أَجَلٍ هُم بَٰلِغُوهُ إِذَا هُمْ يَنكُثُونَ ﴿١٣٥﴾ فَٱنتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَٰهُمْ فِى ٱلْيَمِّ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا وَكَانُوا۟ عَنْهَا غَٰفِلِينَ ﴿١٣٦﴾ وَأَوْرَثْنَا ٱلْقَوْمَ ٱلَّذِينَ كَانُوا۟ يُسْتَضْعَفُونَ مَشَٰرِقَ ٱلْأَرْضِ وَمَغَٰرِبَهَا ٱلَّتِى بَٰرَكْنَا فِيهَا ۖ وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ ٱلْحُسْنَىٰ عَلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ بِمَا صَبَرُوا۟ ۖ وَدَمَّرْنَا مَا كَانَ يَصْنَعُ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُۥ وَمَا كَانُوا۟ يَعْرِشُونَ ﴿١٣٧﴾﴾

﴿ولقد أخذنا آلَ فرعونَ بالسنين ونقصٍ من الثمرات﴾ فأجدبت أرضهم، وهلكت مواشيهم، ونقصتْ ثمارُهمْ؛ فقالوا: هذا مما سحرنا به هذا الرجل .

﴿فإذا جاءتهم الحسنة﴾ العافية والرخاء ﴿قالوا لنا هذه﴾ أي: لنا جاءت، ونحن أحق بها ﴿وإن تصبهم سيئة﴾ أي: شدة ﴿يطيروا بموسى ومَنْ معهُ﴾ قالوا: إنما أصابنا هذا من شؤم موسى ومن معه، قال اللَّه: ﴿ألا إنما طائرهُمْ عند اللَّه﴾ يعني: عملهم هو محفوظٌ عليهم؛ حتى يجازيهم به.

قال محمدٌ: المعنى: ألا إنما الشُّؤمُ الذي يلحقهم هو الذي وُعدوا به في الآخرة، لا ما ينالهم به في الدنيا؛ وهو معنى قول يحيى.

﴿وقالوا مهما تأتنا به﴾ أي: ما تأتنا به: مهما و(ما) بمعْنًى واحِدٍ[1] .

---

(١) ينظر: الكتاب (١/ ٤٣٣)، حروف المعاني (٢٠)، الجني الداني (٦٠٩ - ٦١٣).

﴿فأرسلنا عليهم الطوفان. . .﴾ الآية.

تفسير قتادة: الطوفان: الماء أرسله اللَّه عليهم؛ حتى قاموا فيه قيامًا، فدَعَوْا موسى، فدعا ربه فكشف عنهم، ثم عادوا لشر ما بحضرتهم، فأرسل اللَّه عليهم الجراد، فأكل عامَّة حروثهم وثمارهم، فدَعَوا موسى فدعا ربه، فكشف عنهم ثم عادوا لشر ما بحضرتهم، فأرسل اللَّه عليهم القُمَّلَ وهو الدّبي[1]؛ فأكل ما أبقى الجرادُ من حُرُوثِهِمْ ولحسته، فدَعَوْا موسى فدعا ربه، فكشف عنهم، ثم عادوا لشر ما بحضرتهم؛ فأرسل اللَّه عليهم الضفادع؛ حتى ملأ بها فرشَهُمْ وأفنيتهم فدعَوْا موسى؛ فدعا ربه فكشف عنهم، ثم عادوا لشر ما بحضرتهم؛ فأرسل اللَّه عليهم الدَّمَ فجعلوا لا يغترفون من مائهم إلا دمًا أحْمَر؛ حتى لقد ذُكرِ لنا أن فرعون جمع رجُلَين أحدهما إسْرائيلي والآخر قبْطي على إناءٍ واحد؛ فكان الذي يلي الإسرائيلي ماءً، والذي يلي القبطي دمًا، فدعوا موسى؛ فدعا ربه فكشف عنهم.

﴿آيات مفصلات﴾ كان العذاب يأتيهمْ، فيكونون ثمانية أيام بلياليهن بين كل عذابين شهرٌ.

﴿ولما وقع عليهم الرجْزُ﴾ يعني: العذاب.

﴿إلى أجلٍ هم بالغوه﴾ إلى يَوْم غرَّقهم اللَّه في اليمِّ ﴿إذا هم ينكثون﴾.

﴿وأورثنا القوم الذين كانوا يستضعفون﴾ يعني: أبناء بني إسرائيل ﴿مشارق الأرض ومغاربها التي باركنا فيها﴾ وهي أرض الشام؛ في تفسير الحسن.

﴿وتمت كلمةُ ربك الحسنى﴾ يعني: ظهور قوم موسى على فرعون؛ في

---

(١) والدّبي هو الجراد الصغار الذي لا أجنحة له. وبه قال مجاهد وعكرمة وقتادة. ينظر تفسير ابن كثير (٣/ ٤٦١).

تفسير مجاهد ﴿ودمرنا ما كان يصنع فرعونُ وقوْمه وما كانوا يعرشون﴾ يَبْنُون.

﴿وَجَٰوَزْنَا بِبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱلْبَحْرَ فَأَتَوْا۟ عَلَىٰ قَوْمٍ يَعْكُفُونَ عَلَىٰٓ أَصْنَامٍ لَّهُمْ ۚ قَالُوا۟ يَٰمُوسَى ٱجْعَل لَّنَآ إِلَٰهًا كَمَا لَهُمْ ءَالِهَةٌ ۚ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ ﴿١٣٨﴾ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ مُتَبَّرٌ مَّا هُمْ فِيهِ وَبَٰطِلٌ مَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٣٩﴾ قَالَ أَغَيْرَ ٱللَّهِ أَبْغِيكُمْ إِلَٰهًا وَهُوَ فَضَّلَكُمْ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٤٠﴾ وَإِذْ أَنجَيْنَٰكُم مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ ۖ يُقَتِّلُونَ أَبْنَآءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَآءَكُمْ ۚ وَفِى ذَٰلِكُم بَلَآءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ ﴿١٤١﴾﴾

﴿إنَّ هؤلاء مُتبَّرٌ ما هُمْ فيه﴾ أي: مُفْسَد.

﴿وَوَٰعَدْنَا مُوسَىٰ ثَلَٰثِينَ لَيْلَةً وَأَتْمَمْنَٰهَا بِعَشْرٍ فَتَمَّ مِيقَٰتُ رَبِّهِۦٓ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً ۚ وَقَالَ مُوسَىٰ لِأَخِيهِ هَٰرُونَ ٱخْلُفْنِى فِى قَوْمِى وَأَصْلِحْ وَلَا تَتَّبِعْ سَبِيلَ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿١٤٢﴾ وَلَمَّا جَآءَ مُوسَىٰ لِمِيقَٰتِنَا وَكَلَّمَهُۥ رَبُّهُۥ قَالَ رَبِّ أَرِنِىٓ أَنظُرْ إِلَيْكَ ۚ قَالَ لَن تَرَىٰنِى وَلَٰكِنِ ٱنظُرْ إِلَى ٱلْجَبَلِ فَإِنِ ٱسْتَقَرَّ مَكَانَهُۥ فَسَوْفَ تَرَىٰنِى ۚ فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُۥ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقًا ۚ فَلَمَّآ أَفَاقَ قَالَ سُبْحَٰنَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٤٣﴾﴾

﴿وواعدنا موسى ثلاثين ليلةً وأتممناها بعشر﴾ وهي: ذو القعْدة وعشرُ ذي الحجة.

قال الكلبي: إن موسى لما قطع البحر ببني إسرائيل، وغرّق اللّه آل فرعونَ - قالت بنو إسرائيل لموسى: يا موسى، ائتنا بكتابٍ من ربنا كما وعدتنا، وزعمت أنك تأتينا به إلى شهر، فاختار موسى من قومه سبعين رجلًا لينطلقوا معه، فلما تجهَّزوا قال اللّه: يا موسى، أخبر قومك أنك لن تأتيهم أربعين ليلةً. وذلك حين تمّتْ بعشْرٍ، فلما خرج موسى بالسَّبْعين أمرهم أن ينتظرُوه

في أسْفل الجبل (ل ١١٠) وصعدَ موسى الجبل، فكلمه اللَّه أربعين يومًا وأربعين ليلَةً، وكتب له فيها الألواح، ثم إن بني إسرائيل عَدُّوا عشرين يومًا وعشرين ليلَةً؛ فقالوا: قد أخلفنا موسى الوعْدَ! وجعل لهم السامري العجل؛ فعَبدوه.

﴿ولما جاء موسى لميقاتنا...﴾ الآية، قال الحسن: لما كلمه ربه، دخل قلب موسى من السرور من كلام اللَّه ما لَمْ يَصِلْ إلى قلْبه مثله قط، فدعتْ موسى نفْسُه إلى أن يسأل ربَّهُ أن يُرِيَهُ نفْسَه؛ ولو كان فيما عَهِدَ إليه قبل ذلك أنه لا يُرَى، لم يسأل ربه بما يعلم أنه لا يعطيه إياه.

﴿فقال رب أرني أنظر إليك﴾ فقال اللَّه: ﴿لن تراني ولكن انظر إلى الجبل فإن استقرَّ مكانه فسوف تراني فلما تجلَّى ربه للجبل جعله دكًّا﴾ قال قتادة: تفتَّت الجبل بعضُهُ على بعْضٍ.

قال محمد: وقيل: جعله دكًّا؛ أي: ألصقه بالأرض؛ يقال: ناقَةٌ دكَّاءُ؛ إذا لم يكن لها سنامٌ[1]. وقيل في قوْله: ﴿تجلَّى﴾ أيْ: ظهر، أو ظهر من أمره ما شاء ﴿وخر موسى صعقًا﴾ أي: سقط ميتًا.

قال محمدٌ: وقيل: (صعقًا): مغشيًا عليه ﴿فلما أفاق﴾ يعني: ردَّ اللَّه إليه حياته.

﴿قال سبحانك تبت إليك﴾ أي: من قولي: أنظر إليك ﴿وأنا أول المؤمنين﴾ يعني: المصدِّقين بأنك لا تُرَى في الدنيا.

﴿قَالَ يَٰمُوسَىٰٓ إِنِّي ٱصْطَفَيْتُكَ عَلَى ٱلنَّاسِ بِرِسَٰلَٰتِي وَبِكَلَٰمِي فَخُذْ مَآ ءَاتَيْتُكَ وَكُن مِّنَ

(١) لسان العرب (دكك).

ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿١٤٤﴾ وَكَتَبْنَا لَهُۥ فِى ٱلْأَلْوَاحِ مِن كُلِّ شَىْءٍ مَّوْعِظَةً وَتَفْصِيلًا لِّكُلِّ شَىْءٍ فَخُذْهَا بِقُوَّةٍ وَأْمُرْ قَوْمَكَ يَأْخُذُوا۟ بِأَحْسَنِهَا ۚ سَأُو۟رِيكُمْ دَارَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿١٤٥﴾﴾

﴿قال يا موسى إني اصطفيتك﴾ اخترتك.

﴿وكتبنا له في الألواح من كل شيءٍ موعظةً وتفصيلًا لكل شيءٍ﴾ أي: تبيينًا لكل ما أُمِروا به، ونهوا عنه.

﴿فخذها بقوة﴾ أي: بجدٍّ ﴿وأمر قومك يأخذوا بأحسنها﴾ أي: بما أمرهم الله به ﴿سأريكم دار الفاسقين﴾ يعني: فرعون وقومه؛ وهي مثل قوله: ﴿كذلك وأورثناها بني إسرائيل﴾[1].

﴿سَأَصْرِفُ عَنْ ءَايَٰتِىَ ٱلَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَإِن يَرَوْا۟ كُلَّ ءَايَةٍ لَّا يُؤْمِنُوا۟ بِهَا وَإِن يَرَوْا۟ سَبِيلَ ٱلرُّشْدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا وَإِن يَرَوْا۟ سَبِيلَ ٱلْغَىِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا وَكَانُوا۟ عَنْهَا غَٰفِلِينَ ﴿١٤٦﴾ وَٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا وَلِقَآءِ ٱلْءَاخِرَةِ حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ ۚ هَلْ يُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٤٧﴾﴾

﴿سأصرف عن آياتي الذين يتكبرون في الأرض﴾ قال الحسن: يقول: سأصرفهم عنها؛ حتى لا يؤمنوا بها ﴿وإن يروا سبيل الغي﴾ يعني: الكفر ﴿يتخذوه سبيلًا﴾ أخبر بعلمه فيهم؛ أنهم لا يؤمنون أبدًا.

﴿وَٱتَّخَذَ قَوْمُ مُوسَىٰ مِنۢ بَعْدِهِۦ مِنْ حُلِيِّهِمْ عِجْلًا جَسَدًا لَّهُۥ خُوَارٌ ۚ أَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّهُۥ لَا يُكَلِّمُهُمْ وَلَا يَهْدِيهِمْ سَبِيلًا ۘ ٱتَّخَذُوهُ وَكَانُوا۟ ظَٰلِمِينَ ﴿١٤٨﴾ وَلَمَّا سُقِطَ فِىٓ أَيْدِيهِمْ وَرَأَوْا۟ أَنَّهُمْ قَدْ ضَلُّوا۟ قَالُوا۟ لَئِن لَّمْ يَرْحَمْنَا رَبُّنَا وَيَغْفِرْ لَنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿١٤٩﴾﴾

---

(١) الشعراء: ٥٩.

﴿واتخذ قوم موسى من بعده﴾ يعني: حين ذهب للميعاد ﴿من حليهم﴾ من حُلي قوم فرعون ﴿عجلًا جسدًا له خوار﴾ صوت.

قال قتادة: جعل يخور خوار البقرة. وتفسير اتخاذهم العجل مذكورٌ في سورة طه[1].

قال محمدٌ: الجسد في اللغة: هو الذي لا يعقل ولا يميز، ومعنى الجسد ها هنا: الجثَّة . وتقرأ ﴿من حُلِيِّهم﴾ و﴿حَلْيِهِمْ﴾، فالْحَلْيُ بفتح الحاء: اسمٌ لما يتحسَّن به من الذهب والفضة، ومن قرأها بضم الحاء فهو جمع (حَلْيٍ)[2].

﴿ألم يروْا أنه لا يكلمهم﴾ يعني: العجل.

﴿ولا يهديهم سبيلًا﴾ أي: طريقًا ﴿اتخذوه﴾ أي: اتخذوه إلهًا.

﴿وكانوا ظالمين﴾ لأنفسهم ﴿ولما سقط في أيديهم﴾ أي: ندموا ﴿ورأوا أنهم قد ضلوا. . .﴾ الآية. قالوا ذلك لما صنع موسى بالعجل ما صنع، وطلبوا التوبة، وأبى اللَّه أن يقبل منهم، إلا أن يقتلوا أنفسهم؛ وقد مضى تفسير هذا في سورة البقرة[3].

قال محمدٌ: يقال للنادم على ما فعل: قدْ سُقِطَ في يده، وأُسقِطَ في يده[4].

---

(١) طه: ٨٨ .

(٢) قرأ حمزة والكسائي بكسر الحاء، وقرأ يعقوب بفتح الحاء وإسكان اللام وتخفيف الياء، وقرأ الباقون بضمها، وكلهم كسر اللام وشدد الياء مكسورة سوى يعقوب. ينظر: النشر (٢/ ٢٧٢)، البحر المحيط (٤/ ٣٩١)، الدر المصون (٣/ ٣٤٣).

(٣) البقرة: ٥٤ .

(٤) وهذا ما نقله الفراء والزجاج، وقال الفراء: سُقِط - أي: الثلاثي - أكثر وأجود. ينظر: لسان العرب (سقط)، الدر المصون (٣/ ٣٤٥).

﴿وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَىٰٓ إِلَىٰ قَوْمِهِۦ غَضْبَٰنَ أَسِفًا قَالَ بِئْسَمَا خَلَفْتُمُونِى مِنۢ بَعْدِىٓ ۖ أَعَجِلْتُمْ أَمْرَ رَبِّكُمْ ۖ وَأَلْقَى ٱلْأَلْوَاحَ وَأَخَذَ بِرَأْسِ أَخِيهِ يَجُرُّهُۥٓ إِلَيْهِ ۚ قَالَ ٱبْنَ أُمَّ إِنَّ ٱلْقَوْمَ ٱسْتَضْعَفُونِى وَكَادُوا۟ يَقْتُلُونَنِى فَلَا تُشْمِتْ بِىَ ٱلْأَعْدَآءَ وَلَا تَجْعَلْنِى مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٥٠﴾ قَالَ رَبِّ ٱغْفِرْ لِى وَلِأَخِى وَأَدْخِلْنَا فِى رَحْمَتِكَ ۖ وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿١٥١﴾﴾

﴿ولما رجع موسى إلى قومه غضبان أسفًا﴾ أي: شديد الغضب.

﴿قال بئسما خلفتموني من بعدي أعجلتم أمر ربكم﴾ قال محمد: يقال: عجلتُ الأمر إذا سبقته، وأعجلته: إذا استحثثته[1].

﴿قال ابن أم إن القوم استضعفوني﴾.

قال محمدٌ: من قرأ (ابن أمَّ) بالفتح[2]، فلكثرة استعمالهم هذا الاسم.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ ٱلْعِجْلَ سَيَنَالُهُمْ غَضَبٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَذِلَّةٌ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُفْتَرِينَ ﴿١٥٢﴾ وَٱلَّذِينَ عَمِلُوا۟ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ثُمَّ تَابُوا۟ مِنۢ بَعْدِهَا وَءَامَنُوٓا۟ إِنَّ رَبَّكَ مِنۢ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٥٣﴾ وَلَمَّا سَكَتَ عَن مُّوسَى ٱلْغَضَبُ أَخَذَ ٱلْأَلْوَاحَ ۖ وَفِى نُسْخَتِهَا هُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلَّذِينَ هُمْ لِرَبِّهِمْ يَرْهَبُونَ ﴿١٥٤﴾ وَٱخْتَارَ مُوسَىٰ قَوْمَهُۥ سَبْعِينَ رَجُلًا لِّمِيقَٰتِنَا ۖ فَلَمَّآ أَخَذَتْهُمُ ٱلرَّجْفَةُ قَالَ رَبِّ لَوْ شِئْتَ أَهْلَكْتَهُم مِّن قَبْلُ وَإِيَّٰىَ ۖ أَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ ٱلسُّفَهَآءُ مِنَّآ ۖ إِنْ هِىَ إِلَّا فِتْنَتُكَ تُضِلُّ بِهَا مَن تَشَآءُ وَتَهْدِى مَن تَشَآءُ ۖ أَنتَ وَلِيُّنَا فَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَا ۖ وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْغَٰفِرِينَ ﴿١٥٥﴾﴾

---

(١) ينظر: لسان العرب (عجل)، الدر المصون (٣/ ٣٤٧).

(٢) قرأ الأخوان وأبو بكر وابن عامر بكسر الميم، والباقون بفتحها. ينظر: السبعة (٢٩٥)، التيسير (١١٣) النشر (٢/ ٢٧٢) الدر المصون (٣/ ٢٤٧).

﴿إن الذين اتخذوا العجل سينالهم غضبٌ من ربهم وذلَّة في الحياة﴾ يعني: الجزية ﴿وكذلك نجزي المفترين﴾ الكاذبين الذين زعموا أن العجل إلههُمْ ﴿ولما سكت عن موسى الغضب﴾ أي: سكن ﴿أخذ الألواح وفي نسختها﴾ يعني: الكتاب الذي نُسِخَتْ منه التوراة.

﴿واختار موسى قومه سبعين رجلًا...﴾ الآية.

قال محمد: منْ كلام العرب: اخترتك (ل١١١) القوْمَ؛ أي: من القوم[١].

قال الكلبي: إن السبعين قالوا لموسى حين كلَّمه ربه: يا موسى لنا عليك حق كنا أصحابك ولمْ نختلفْ، ولمْ نصنع الذي صنع قومنا؛ فأرنا اللَّه جهرةً كما رأيته، فقال موسى: لا واللَّه ما رأيته، ولقد أردته على ذلك فأبى وتجلى للجبل فكان دكًّا وهو أشدُّ مني، وخررتُ صعقًا، فلما أفقت سألت اللَّه واعترفت بالخطيئة. فقالوا: إنا لن نؤمن لك حتى نرى اللَّه جهرةً فأخذتهم الصاعقة؛ فاحترقوا من آخرهم، فظن موسى أنهم إنما احترقوا بخطيئة أصحاب العجل، فقال موسى: ﴿رب لو شئت أهلكتهم من قبل وإياي أتهلكنا بما فعل السفهاء منا﴾ يعني: أصحاب العجل ﴿إن هي إلا فتنتك...﴾ إلى آخر الآية، ثم بعثهم اللَّه من بعد موتهم.

﴿وَٱكْتُبْ لَنَا فِى هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِى ٱلْـَٔاخِرَةِ إِنَّا هُدْنَآ إِلَيْكَ ۚ قَالَ عَذَابِىٓ أُصِيبُ بِهِۦ مَنْ أَشَآءُ ۖ وَرَحْمَتِى وَسِعَتْ كُلَّ شَىْءٍ ۚ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَٰتِنَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٥٦﴾ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِىَّ ٱلْأُمِّىَّ ٱلَّذِى يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَىٰهُمْ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ

(١) وهذا ما يعرف في العربية باسم التضمين. ينظر: نتائج الفكر للسهيلي (٢٦٠).

ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيۡهِمُ ٱلۡخَبَٰٓئِثَ وَيَضَعُ عَنۡهُمۡ إِصۡرَهُمۡ وَٱلۡأَغۡلَٰلَ ٱلَّتِي كَانَتۡ عَلَيۡهِمۡۚ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَٱتَّبَعُواْ ٱلنُّورَ ٱلَّذِيٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ (١٥٧) قُلۡ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيۡكُمۡ جَمِيعًا ٱلَّذِي لَهُۥ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ يُحۡيِۦ وَيُمِيتُۖ فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ٱلنَّبِيِّ ٱلۡأُمِّيِّ ٱلَّذِي يُؤۡمِنُ بِٱللَّهِ وَكَلِمَٰتِهِۦ وَٱتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمۡ تَهۡتَدُونَ (١٥٨) وَمِن قَوۡمِ مُوسَىٰٓ أُمَّةٞ يَهۡدُونَ بِٱلۡحَقِّ وَبِهِۦ يَعۡدِلُونَ (١٥٩)﴾

﴿إنا هدنا إليك﴾ أي: تُبْنا.

﴿ورحمتي وسعتْ كل شيء﴾ يعني: أهلها. لما نزلتْ هذه الآية، تطاول لها إبليس، وقال: أنا من ذلك الشيء، وطمع فيها أهل الكتابين، فقال اللَّه: ﴿فسأكتبها﴾ يعني: فسأجعلها ﴿للذين يتقون﴾ الشرك ﴿ويؤتون الزكاة﴾ التوحيد.

﴿ويحل لهم الطيبات﴾ يعني: الشحوم وكل ذي ظفر ﴿ويحرم عليهم الخبائث﴾ يعني: الحرام ﴿ويضع عنهم إصْرَهم﴾ ثقلهم؛ وهو ما كان حرَّم عليهم.

﴿والأغلال التي كانت عليهم﴾ يعني: ما كان شدّد عليهم فيه.

﴿وعزَّروه﴾ أي: عظَّموه ﴿واتبعوا النور الذي أنزل معه﴾ أي: عليه؛ يعني: القرآن.

﴿يؤمن باللَّه وكلماته﴾ قال الحسن: يعني: وحيه الذي أنزل على محمد.

﴿ومن قوم موسى أمةٌ﴾ أي: جماعة ﴿يهدون بالحق﴾ أي: يدعون إليه

﴿وبه يعدلون﴾ يحكمون .

﴿وَقَطَّعْنَٰهُمُ ٱثْنَتَىْ عَشْرَةَ أَسْبَاطًا أُمَمًا ۚ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ إِذِ ٱسْتَسْقَىٰهُ قَوْمُهُۥٓ أَنِ ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْحَجَرَ ۖ فَٱنۢبَجَسَتْ مِنْهُ ٱثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا ۖ قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَّشْرَبَهُمْ ۚ وَظَلَّلْنَا عَلَيْهِمُ ٱلْغَمَٰمَ وَأَنزَلْنَا عَلَيْهِمُ ٱلْمَنَّ وَٱلسَّلْوَىٰ ۖ كُلُوا۟ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ ۚ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿١٦٠﴾ وَإِذْ قِيلَ لَهُمُ ٱسْكُنُوا۟ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةَ وَكُلُوا۟ مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ وَقُولُوا۟ حِطَّةٌ وَٱدْخُلُوا۟ ٱلْبَابَ سُجَّدًا نَّغْفِرْ لَكُمْ خَطِيٓـَٰٔتِكُمْ ۚ سَنَزِيدُ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٦١﴾ فَبَدَّلَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مِنْهُمْ قَوْلًا غَيْرَ ٱلَّذِى قِيلَ لَهُمْ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِجْزًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ بِمَا كَانُوا۟ يَظْلِمُونَ ﴿١٦٢﴾﴾

﴿وقطعناهم اثنتي عشرة أسباطًا أممًا﴾ يعني: بني إسرائيل.

قال محمدٌ: (الأسباط): القبائل، واحدها: سِبْطٌ، والسِّبْط في اللغة: الجماعة الذين يرجعون إلى أبٍ واحد[1].

﴿وأوحينا إلى موسى إذ استسقاه قومه أن اضرب بعصاك الحجر. . .﴾ إلى قوله: ﴿بما كانوا يظلمون﴾ وقد فسرنا أمرهم في سورة البقرة[2].

﴿وَسْـَٔلْهُمْ عَنِ ٱلْقَرْيَةِ ٱلَّتِى كَانَتْ حَاضِرَةَ ٱلْبَحْرِ إِذْ يَعْدُونَ فِى ٱلسَّبْتِ إِذْ تَأْتِيهِمْ حِيتَانُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرَّعًا وَيَوْمَ لَا يَسْبِتُونَ ۙ لَا تَأْتِيهِمْ ۚ كَذَٰلِكَ نَبْلُوهُم بِمَا كَانُوا۟ يَفْسُقُونَ ﴿١٦٣﴾ وَإِذْ قَالَتْ أُمَّةٌ مِّنْهُمْ لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا ۙ ٱللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ

---

(١) وقيل: الأسباط في بني إسرائيل كالقبائل في العرب، والأسباط في ولد إسحاق كالقبائل في ولد إسماعيل. ينظر الدر المصون (٣/ ٣٥٧).

(٢) سورة البقرة، آية: ٦٠ وما بعدها.

مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا قَالُوا مَعْذِرَةً إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿١٦٤﴾ فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ أَنجَيْنَا الَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ السُّوءِ وَأَخَذْنَا الَّذِينَ ظَلَمُوا بِعَذَابٍ بَئِيسٍ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ ﴿١٦٥﴾ فَلَمَّا عَتَوْا عَن مَّا نُهُوا عَنْهُ قُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ ﴿١٦٦﴾﴾

﴿واسألهم عن القرية التي كانت حاضرة البحر إذ يعدُون في السبت﴾ أي: يعتدون .

﴿يوم سبتهم شرعًا﴾ أي: شوارع في الماء.

﴿كذلك نبلوهم﴾ أي: نبتليهم.

﴿وإذ قالت أمةٌ منهم...﴾ الآية.

تفسير الكلبي: القرية: هي (أَيْلَة) وذُكر لنا أنهم كانوا في زمان داود؛ وهو مكان من البحر تجتمع فيه الحيتان في شهر من السَّنة؛ كهيئة العيد، تأتيهم منه حتى لا يروا الماء، وتأتيهم في غير ذلك الشهر كل يوْم سبتٍ؛ كما تأتيهم في ذلك الشهر، فإذا جاء السبت لم يمسوا منها شيئًا، فعمد رجالٌ من سفهاء تلك المدينة؛ فأخذوا الحيتان ليلة السبت ويوم السبت، فأكثروا منها وملَّحُوا وباعوا، ولم تنزل بهم عقوبةٌ فاستبشروا، وقالوا: إنا نرى السبت قد حلَّ، وذهبت حرمته، إنما كان يعاقب به آباؤنا، فعملوا بذلك سنين؛ حتى أَثْرَوْا منه، وتزوَّجوا النساء، واتخذوا الأموال، فمشى إليهم طوائف من صالحيهم؛ فقالوا: يا قوم، انتهكتم حرمة سَبْتِكُمْ، وعصيتم ربكم، وخالفتم سنة نبيكم، فانتهوا عن هذا العمل قبل أن ينزل بكم العذاب! قالوا: فلم تعظوننا إذ كنتم علمتم أن الله مهلكنا؟! وإن أطعتمونا لتفعلن كالذي فعلنا، فقد فعلنا منذ سنين فما زادنا الله به إلا خيرًا. قالوا: ويلكم لا تغتروا ولا تأمنوا بأس الله

[. . .][1] كأنه قد نزل بكم، قالوا ﴿[لم][2] تعظون قومًا اللَّه مهلكهم. . .﴾ الآية.

وفي غير تفسير الكلبي: صاروا ثلاث فرق: فرقة اجترأت على المعصية، وفرقة نهت، وفرقة كفَّتْ؛ فلم تصنع ما صنعوا ولم تنههم وقالوا (ل ١١٢): للذين نهوا: ﴿لم تعظون قومًا اللَّه مهلكهم أو معذبهم عذابًا شديدًا قالوا معذرةً إلى ربكم﴾.

قال محمدٌ: يجوز الرفع في ﴿معذرة﴾ على معنى: موعظتنا إياهم معذرة[3].

﴿فلما نسوا ما ذكروا به﴾ أي: تركوا ما وُعِظُوا به.

﴿أخذناهم بعذابٍ بئيس﴾ أي: شديد ﴿قردةً خاسئين﴾ أي: مُبْعَدِين.

قال قتادة: فصاروا قردةً تعاوى لها أذناب.

قال قتادة: وبلغنا أنه دُخِلَ على ابن عباس، وبين يديه المصحف، وهو يبكي وقد أتى على هذه الآية: ﴿فلما نسوا ما ذكروا به﴾ فقال: قد علمت أن اللَّه أهْلك الذين أخذوا الحيتان، ونجَّى الذين نهوهم، ولا أدري ما صنع بالذين لمْ ينهوا ولم يواقعوا المعصية.

قال الحسن: وأي نهي يكون أشد من أنَّهُمْ أثبتوا لهم الوعيد، وخوفوهم العذاب، فقالوا: ﴿لم تعظون قومًا اللَّه مهلكهم أو معذبهم عذابًا شديدًا﴾.

---

(١) كلمة في الأصل لم أستطع قراءتها.

(٢) في الأصل: (فلم).

(٣) ينظر: إعراب القرآن (١/ ٦٤٥)، البحر (٤/ ٤١٢). وقراءة الرفع هي لابن كثير ونافع وأبي عمرو وابن عامر وحمزة والكسائي. أما قراءة النصب؛ فهي قراءة حفص عن عاصم. ينظر: السبعة (٢٩٦)، التيسير (١١٤) النشر (٢/ ٢٧٢).

﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكَ لَيَبْعَثَنَّ عَلَيْهِمْ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ مَن يَسُومُهُمْ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ ۗ إِنَّ رَبَّكَ لَسَرِيعُ ٱلْعِقَابِ ۖ وَإِنَّهُۥ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٦٧﴾ وَقَطَّعْنَٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ أُمَمًا ۖ مِّنْهُمُ ٱلصَّٰلِحُونَ وَمِنْهُمْ دُونَ ذَٰلِكَ ۖ وَبَلَوْنَٰهُم بِٱلْحَسَنَٰتِ وَٱلسَّيِّـَٔاتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿١٦٨﴾ فَخَلَفَ مِنۢ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ وَرِثُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ يَأْخُذُونَ عَرَضَ هَٰذَا ٱلْأَدْنَىٰ وَيَقُولُونَ سَيُغْفَرُ لَنَا وَإِن يَأْتِهِمْ عَرَضٌ مِّثْلُهُۥ يَأْخُذُوهُ ۚ أَلَمْ يُؤْخَذْ عَلَيْهِم مِّيثَٰقُ ٱلْكِتَٰبِ أَن لَّا يَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْحَقَّ وَدَرَسُوا۟ مَا فِيهِ ۗ وَٱلدَّارُ ٱلْءَاخِرَةُ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يَتَّقُونَ ۗ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٦٩﴾ وَٱلَّذِينَ يُمَسِّكُونَ بِٱلْكِتَٰبِ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُصْلِحِينَ ﴿١٧٠﴾﴾

﴿وإذ تأذن ربك﴾ قال الحسن: يعني: أعلم ربك ﴿ليبعثن عليهم إلى يوم القيامة من يسومُهم﴾ أي: يُوليهم ﴿ سوء العذاب﴾ أي: شدته.

قال قتادة: فبعث عليهم العرب، فهم منهم في عذابٍ بالجزية والذل.

﴿إن ربك لسريع العقاب﴾ قال الحسن: إذا أراد اللّه أن يعذب قومًا كان عذابه إياهم أسرع من الطرف.

﴿وإنه لغفورٌ رحيم﴾ لمن تاب وآمن.

﴿وقطعناهم في الأرض﴾ أي: فرقناهم، قال مجاهد: يعني: اليهود ﴿منهم الصالحون﴾ يعني: المؤمنين ﴿ومنهم دون ذلك﴾ يعني: كفارًا ﴿وبلوناهم﴾ اختبرناهم ﴿بالحسنات والسيئات﴾ يعني: بالشدة والرخاء ﴿لعلهم يرجعون﴾ إلى الإيمان ﴿فخلف من بعدهم خلفٌ﴾ قال مجاهد: الخَلْف: النصارى بعد اليهود.

قال محمدٌ: ذكر قطربٌ أنه يقال: خَلْفُ سَوْءٍ، وخلف صِدْق، وخَلَفُ

سَوْءٍ وخَلَفُ صِدْقٍ بتسكين اللام وفتحها في الحالين[1]. وأنشد بيت حسان ابن ثابت:

لنا القَدَمُ الأولى [عليهم][2] وخَلَفنا لأوَّلنا في طاعة اللَّه تابع[3]

وذكر أبو عبيد: أن الاختيار عند أهل اللغة أن يوضع الخَلْفُ - بتسكين اللام - موضِعَ الذَّمِّ، والخَلَفُ - بالفتح - موضع المدح[4].

﴿يأخذون عرض هذا الأدنى ويقولون سيغفر لنا وإن يأتهم عرض مثله يأخذوه﴾

قال مجاهد: يعني: ما أشرف لهم في اليوم من حلالٍ أو حرامٍ أخذوه، ويتمنَّوْن المغفرة، وإن يجدوا الغد مثله يأخذوه.

﴿ودرسوا ما فيه﴾ يقول: قرءوا ما فيه، في هذا الكتاب؛ بخلاف ما يقولون وما يعملون ﴿أفلا يعقلون﴾ ما يدرسون ﴿والذين يمسكون بالكتاب﴾ قال مجاهد: يعني: من آمن من اليهود والنصارى.

﴿وَإِذْ نَتَقْنَا الْجَبَلَ فَوْقَهُمْ كَأَنَّهُ ظُلَّةٌ وَظَنُّوا أَنَّهُ وَاقِعٌ بِهِمْ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ وَاذْكُرُوا مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ (١٧١) وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى شَهِدْنَا أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ (١٧٢) أَوْ تَقُولُوا إِنَّمَا أَشْرَكَ آبَاؤُنَا مِنْ قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِنْ بَعْدِهِمْ أَفَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ

---

(١) وفي ذلك خلاف مشهور بين اللغويين. ينظر لسان العرب (خلف).

(٢) سقط من الأصل، والمثبت من ديوان حسَّان بن ثابت (٢٤١).

(٣) البيت من بحر الطويل. ينظر: ديوان حسان بن ثابت (٢٤١)، تفسير الطبري (١٣/ ٢٠٩)، البحر المحيط (٤/ ٤١٥).

(٤) وهذا قول الفراء أيضًا، ينظر: لسان العرب (خلف)، الدر المصون (٣/ ٣٦٦).

ٱلْمُبْطِلُونَ ﴿١٧٣﴾ وَكَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْآيَٰتِ وَلَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿١٧٤﴾﴾

﴿وإذ نتقنا الجبل فوقهم كأنه ظُلَّةٌ﴾ أي: رفعناه؛ وقد مضى تفسير رفع الجبل فوقهم في سورة البقرة(١).

﴿وإذ أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذرياتهم(٢)...﴾ إلى قوله: ﴿شهدنا﴾ تفسير ابن عبَّاسٍ قال: «أهبط اللَّه آدم بالهند، ثم مسح ظهره؛ فأخرج منه كل نَسْمَةٍ هو خالقها إلى يوم القيامة، ثم قال: ﴿ألست بربكم﴾ قالوا: بلى شهدنا؛ فقال للملائكة: اشهدوا، فقالوا: شهدنا. قال الحسن: ثم أعادهم في صلب آدم ﴿أن تقولوا﴾ أي: لئلا تقولوا ﴿يوم القيامة إنا كنا عن هذا غافلين أو تقولوا إنما أشرك آباؤنا من قبل وكنا ذريةً من بعدهم﴾ وجدناهم على ملَّةٍ فاتبعناهم».

﴿وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ٱلَّذِىٓ ءَاتَيْنَٰهُ ءَايَٰتِنَا فَٱنسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ ٱلشَّيْطَٰنُ فَكَانَ مِنَ ٱلْغَاوِينَ ﴿١٧٥﴾ وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَٰهُ بِهَا وَلَٰكِنَّهُۥٓ أَخْلَدَ إِلَى ٱلْأَرْضِ وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ ٱلْكَلْبِ إِن تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَث ذَّٰلِكَ مَثَلُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا فَٱقْصُصِ ٱلْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١٧٦﴾ سَآءَ مَثَلًا ٱلْقَوْمُ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا وَأَنفُسَهُمْ كَانُوا۟ يَظْلِمُونَ ﴿١٧٧﴾ مَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِى وَمَن يُضْلِلْ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿١٧٨﴾﴾

---

(١) سورة البقرة: ٩٣ .

(٢) هكذا في الأصل ﴿ذرياتهم﴾ بالجمع، وهي قراءة نافع وأبي عمرو وابن عامر، وقرأ الباقون ﴿ذريتهم﴾ بالإفراد ، ينظر: النشر (٢/ ٢٧٣)، البحر المحيط (٤/ ٤٢٠)، الدر المصون (٣/ ٣٦٩).

﴿واتل عليهم نبأ الذي آتيناه آياتنا فانسلخ منها﴾.

قال مجاهد: هو بلعان بن بعران - وبعضهم يسميه: بلعَم - آتاه اللَّه علمًا فتركه.

﴿فأتبعه الشيطان فكان من الغاوين﴾ أي: كفر.

قال محمدٌ: يقال: أتبعت الرجل إذا لحقْته، وتبْعته إذا سرت في أثَره[1].

﴿ولو شئنا لرفعناه بها﴾ أي: بآياتنا ﴿لكنه أخلد إلى الأرض﴾ أي: ركن إلى الدنيا ﴿واتَّبع هواه﴾ أي: أبى أن يصحب الهدى.

﴿فمثله كمثل الكلب إن تحملْ عليه﴾ (ل١١٣) أي: تطرده[2] ﴿يلهث أو تتركه يلهث﴾ تفسير الكلبي، قال: هو ضالٌّ على كل حالٍ؛ وعظته أو تركته.

قال محمد: قيل: ضرب اللَّهُ مثلًا لتارك أمره أخَسَّ مثل، فقال عز وجل: مَثَله كمثل الكلب لاهثًا - واختصر (لاهثًا) - ﴿إن تحمل عليه يلهث أو تتركه يلهث﴾ ولهثانه: اضطراب لِسانِه وصَوته الذي يردد عند ذلك؛ كأنه مُعيى[3] أو عَطْشان؛ وإذا كان الكلب بهذه الحال، فهي أخسُّ أحواله.

﴿ساء مثلًا القوم الذين كذبوا بآياتنا﴾ قال محمد: المعنى: ساء مثلًا مثل القوم[4].

﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا

---

(١) وفيه أقوال أخر، ينظر: لسان العرب (تبع)، الدر المصون (٣/ ٣٧٢).
(٢) يقال: حمل عليه ونحوه: كَرّ. لسان العرب (حمل).
(٣) أي: متعب تعبًا شديدًا، وهو اسم مفعول من الرباعي (أعيا) ينظر لسان العرب (عيى).
(٤) وفي ذلك استطراد نحوي واسع، ينظر من: إعراب القرآن (١/ ٦٥٢)، المقتضب (٢/ ١٥٠)، البحر المحيط (٤/ ٤٢٥).

يُبۡصِرُونَ بِهَا وَلَهُمۡ ءَاذَانٌ لَّا يَسۡمَعُونَ بِهَآۚ أُوْلَٰٓئِكَ كَٱلۡأَنۡعَٰمِ بَلۡ هُمۡ أَضَلُّۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡغَٰفِلُونَ ﴿١٧٩﴾ وَلِلَّهِ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰ فَٱدۡعُوهُ بِهَاۖ وَذَرُواْ ٱلَّذِينَ يُلۡحِدُونَ فِيٓ أَسۡمَٰٓئِهِۦۚ سَيُجۡزَوۡنَ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴿١٨٠﴾ وَمِمَّنۡ خَلَقۡنَآ أُمَّةٞ يَهۡدُونَ بِٱلۡحَقِّ وَبِهِۦ يَعۡدِلُونَ ﴿١٨١﴾﴾

﴿ولقد ذرأنا﴾ خلقنا ﴿لجهنم كثيرًا من الإنس والجن لهم قلوب لا يفقهون بها﴾ الهدى ﴿ولهم أعْيُنٌ لا يبصرون بها﴾ الهدى ﴿ولهم آذانٌ لا يسمعون بها﴾ الهدى ﴿أولئك كالأنعام بل هم أضل﴾ من الأنعام فيما تعبدوا به ﴿أولئك هم الغافلون﴾ عن الآخرة.

﴿ولله الأسماء الحسنى فادعوه بها﴾.

يحيى: عن خداشٍ، عن محمدِ بن عمرو، عن أبي سلمة، عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «لله تسعةٌ وتسعون اسمًا مائةٌ غير واحدٍ؛ من أحصاها دخل الجنة»(١).

قال محمد: (معنى أحصاها): حفظها. وقيل: المعنى أقرَّ لله بها وتعبد(٢).

---

(١) رواه الإمام أحمد (٢/ ٥٠٣) وابن ماجه (٢/ ١٢٦٩ رقم ٣٨٦٠) من طريق محمد بن عمرو به.
ورواه البخاري (١١/ ٢١٨ رقم ٦٤١٠) ومسلم (٤/ ٢٠٦٢ رقم ٢٦٧٧) عن أبي الزناد عن الأعرج عن أبي هريرة.
ورواه مسلم (٤/ ٢٠٦٣ رقم ٢٦٧٧/ ٦) من طريق ابن سيرين وهمام بن منبه عن أبي هريرة.
وقد جمع الحافظ أبو نعيم الأصبهاني طرق هذا الحديث في جزء، وقد طبع والحمد لله.

(٢) قال ابن حجر في الفتح (١١/ ٢٢٨ - ٢٢٩) قال الخطابي: الإحصاء في مثل هذا يحتمل وجوهًا:
أحدها: أن يعدها حتى يستوفيها، يريد أنه لا يقتصر على بعضها، لكن يدعو الله بها كلها ويثني عليه بجميعها؛ فيستوجب الموعود عليها من الثواب.
ثانيها: المراد بالإحصاء الإطاقة؛ كقوله تعالى: ﴿علم أن لن تحصوه﴾ ومنه حديث =

﴿وذروا[١] الذين يلحدون في أسمائه﴾ أي: يميلون؛ فسمَّوْا مكان اللَّه: اللّات، ومكان العزيز: العُزَّى.

﴿وذروا﴾ في هذا الموضع منسوخٌ، نسخه القتال[٢].

﴿وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا سَنَسْتَدْرِجُهُم مِّنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٨٢﴾ وَأُمْلِي لَهُمْ إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ ﴿١٨٣﴾ أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا مَا بِصَاحِبِهِم مِّن جِنَّةٍ إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿١٨٤﴾ أَوَلَمْ يَنظُرُوا فِي مَلَكُوتِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا خَلَقَ اللَّهُ مِن شَيْءٍ وَأَنْ عَسَىٰ أَن يَكُونَ قَدِ اقْتَرَبَ أَجَلُهُمْ فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ ﴿١٨٥﴾ مَن يُضْلِلِ اللَّهُ فَلَا هَادِيَ لَهُ وَيَذَرُهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿١٨٦﴾﴾

﴿وممن خلقنا أمَّةٌ يهدون بالحق وبه يعدلون﴾ أي: يحكمون.

قال قتادة: ذُكر لنا أن نبي اللَّه عليه السلام قال: «هذه لكم، وقد أعطى اللَّه القوم بين أيديكم مثلها»[٣]؛ يعني: قوله: ﴿ومن قوم موسى أمةٌ يهدون بالحق وبه يعدلون﴾.

= «استقيموا ولن تحصوا» أي: لن تبلغوا كنه الاستقامة، والمعنى من أطاق القيام بحق هذه الأسماء والعمل بمقتضاها وهو أن يعتبر معانيها فيلزم نفسه بواجبها، فإذا قال: «الرزاق» وثق بالرزق، وكذا سائر الأسماء.

ثالثها: المراد بالإحصاء: الإحاطة بمعانيها، من قول العرب: فلان ذو حصاة أي: ذو عقل ومعرفة. انتهى ملخصًا. اهـ

قلت: وراجع باقي هذا البحث في فتح الباري.

(١) في الأصل: (وذر) على الإفراد.

(٢) هو قول عبد الرحمن بن زيد، وتعقبه الطبري فقال في تفسيره (٩/ ١٣٤): ولا معنى لما قال ابن زيد في ذلك من أنه منسوخ؛ لأن قوله: ﴿وذروا الذين يلحدون في أسمائه﴾ ليس بأمر من اللَّه لنبيه ﷺ بترك المشركين أن يقولوا ذلك حتى يأذن له في قتالهم، وإنما هو تهديد من اللَّه للملحدين في أسمائه ووعيد منه لهم. اهـ. وقال ابن الجوزي في زاد المسير (٣/ ٢٩٣): والجمهور على أن هذه الآية محكمة لأنها خارجة مخرج التهديد. اهـ

(٣) رواه الطبري في تفسيره (٩/ ١٣٥).

وعزاه السيوطي في الدر المنثور (٣/ ١٦٢) لعبد بن حميد وابن المنذر في تفسيريهما.

﴿سنستدرجهم من حيث لا يعلمون...﴾ إلى قوله: ﴿متين﴾ هو كقوله: ﴿حتى إذا فرحوا بما أوتوا أخذناهم بغتة...﴾[١] الآية.

ومعنى ﴿أملي لهم﴾: أطيل لهم، ومعنى (كيدي متين): عذابي شديد.

﴿أو لم يتفكروا ما بصاحبهم من جنةٍ﴾ وهذا جوابٌ من اللَّه للمشركين؛ لقولهم للنبي إنه مجنونٌ[٢] يقول: لو تفكروا، لعلموا أنه ليس بمجنونٍ.

﴿إن هو إلا نذير﴾ ينذر من عذاب اللَّه ﴿مبين﴾ يبين عن اللَّه.

﴿أو لم ينظروا في ملكوت السمٰوات﴾ يعني: ملك السمٰوات والأرض ما أراهم اللَّه من آياته فيهما ﴿وما خلق اللَّه من شيءٍ﴾ وإلى ما خلق من شيءٍ مما يرونه فيتفكروا، فيعلموا أن الذي خلق السمٰوات والأرض وما بينهما قادرٌ على أن يحيي الموتى ﴿وأن عسى أن يكون قد اقترب أجلهم﴾ فيبادروا التوبة قبل الموت ﴿فبأي حديث بعده﴾ بعد القرآن ﴿يؤمنون﴾ يُصَدِّقُون.

﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَىٰهَا ۖ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ رَبِّى ۖ لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَآ إِلَّا هُوَ ۚ ثَقُلَتْ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ لَا تَأْتِيكُمْ إِلَّا بَغْتَةً ۗ يَسْـَٔلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِىٌّ عَنْهَا ۖ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ ٱللَّهِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٨٧﴾﴾

﴿يسألونك عن الساعةِ أيانَ مرساها﴾ متى قيامها؟

قال محمدٌ: وقيل: المعنى: متى يبعثها؛ لأنها جاريةٌ إلى حدٍّ، ويقال: رسا الشيء يرسو؛ إذا ثبت[٣].

---

(١) الأنعام: ٤٤.

(٢) والآيات في ذلك كثيرة؛ منها على سبيل المثال لا الحصر: [الحجر: ٦]، [الصافات: ٣٦]، [الذاريات: ٥٢] ... إلخ.

(٣) لسان العرب (رسو).

﴿لا يجليها﴾ لا يظهرها ﴿لوقتها﴾ في وقتها ﴿إلا هو ثقلت في السمٰوات والأرض﴾ قال الحسن: يعني: على السمٰوات والأرض، حتى تشققت لها السمٰوات، وانتثرت النجوم، وذهبت جبال الأرض وبحارها.

﴿لا تأتيكم إلا بغتةً﴾.

يحيى: عن عثمان، عن نُعَيْم بن عبد اللّه، عن أبي هريرة قال: قال رسول اللّه ﷺ: «تقوم الساعةُ والرجلان قد نشرا ثوبهما يتبايعانه فما يطويانه؛ حتى تقوم الساعة، وتقوم الساعة والرجل قد رفع أكلته إلى فيه فما تصل حتى تقوم الساعة»[١].

﴿يسألونك كأنك حفيٌّ عنها﴾ تفسير قتادة: قالت قريشٌ: يا محمد، أَسِرَّ إلينا أمْرَ الساعة؛ لما بيننا وبينك من القرابة، فقال اللّه: ﴿يسألونك كأنك حفيٌّ عنها﴾ هي في هذا التفسير مقدمة يسألونك عنها كأنك حفيٌّ[٢].

قال محمد: وقيل: المعنى: كأنك مَعْنيٌّ بطلب علمها؛ يقال: حفيتُ بالأمْرِ أحفي به حَفَاوَةً؛ إذا عنيت به[٣].

﴿قُل لَّآ أَمْلِكُ لِنَفْسِى نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ ۚ وَلَوْ كُنتُ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ لَٱسْتَكْثَرْتُ مِنَ ٱلْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِىَ ٱلسُّوٓءُ ۚ إِنْ أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿١٨٨﴾﴾

(ل١١٤) ﴿قل لا أملك لنفسي نفعًا ولا ضرًّا إلا ما شاء اللّه﴾ أي: إنما

---

(١) رواه أبو عمرو الداني في الفتن (٤/ ٧٧٤ رقم ٣٨٣) عن ابن أبي زمنين بإسناده إلى يحيى بن سلام به.
ورواه البخاري (١١/ ٣٦٠ رقم ٦٥٠٦) ومسلم (٤/ ٢٢٧٠ رقم ٢٩٥٤) من طريق الأعرج عن أبي هريرة.

(٢) المعنى أن (عنها) في الآية مقدمة في التفسير، والتقدير: يسألونك عنها كأنك حفي.

(٣) ويقال: حَفَوْتُ وحَفَيْتُ. لسان العرب (حفو) و(حفي).

ذلك بما شاء الله ﴿ولو كنت أعلم الغيب لاستكثرت من الخير﴾ أي: لو أطلعني على أكثر مما أطْلعني عليه من الغيب لكان أكثر لخيري عنده، ولم يُطْلعني على علم الساعة متى قيامها ﴿وما مسني السوء﴾ هذا جواب لقول المشركين: إنه مجنون، فقال الله له قُلْ: ﴿وما مسّني السوء...﴾ الآية.

﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا ۖ فَلَمَّا تَغَشَّىٰهَا حَمَلَتْ حَمْلًا خَفِيفًا فَمَرَّتْ بِهِۦ ۖ فَلَمَّآ أَثْقَلَت دَّعَوَا ٱللَّهَ رَبَّهُمَا لَئِنْ ءَاتَيْتَنَا صَٰلِحًا لَّنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿١٨٩﴾ فَلَمَّآ ءَاتَىٰهُمَا صَٰلِحًا جَعَلَا لَهُۥ شُرَكَآءَ فِيمَآ ءَاتَىٰهُمَا ۚ فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿١٩٠﴾ أَيُشْرِكُونَ مَا لَا يَخْلُقُ شَيْـًٔا وَهُمْ يُخْلَقُونَ ﴿١٩١﴾ وَلَا يَسْتَطِيعُونَ لَهُمْ نَصْرًا وَلَآ أَنفُسَهُمْ يَنصُرُونَ ﴿١٩٢﴾﴾

﴿هو الذي خلقكم من نفس واحدة﴾ يعني: آدم ﴿وجعل منها زوجها﴾ يعني: حواء؛ خلقها من ضلع آدمَ القُصَيْرى اليُسْرَى ﴿فلما تغشاها حملت حملًا خفيفًا...﴾ إلى قوله: ﴿جعلا له شركاء فيما آتاهما﴾ تفسير الكلبي: حملت حملًا خفيفًا - يعني: حواء - فمرت به - أي: قامت به وقعدت - ثم أتاها الشيطان في غير صورته؛ فقال: يا حواء، ما هذا في بطنك ؟ فقالت: لا أدري. قال: لعله بهيمةٌ من هذه البهائم، فقالت: ما أدري. فأعرض عنها؛ حتى إذا أثقلت أتاها، فقال لها: كيف تجدينك يا حواء؟ قالت: إني لأخاف أن يكون الذي خوَّفتني، ما أستطيع القيام إذا قعدتُ. قال: أفرأيت إن دعوت الله، فجعله إنسانًا مثلك أو مثل آدم، أتُسَمِّينَه بي؟ قالت: نعم، فانصرف عنها وقالت لآدَمَ: إن الذي في بطني أخشى أن يكون بهيمَةً من هذه البهائم، وإني لأجد له ثقلًا، ولقد خفت أن يكون كما قال، فلم يكن لآدَمَ ولا لحواء هَمٌّ

غيره حتى وضعت؛ فذلك قوله: ﴿دَعوا اللَّه ربهما لئن آتيتنا صالحًا﴾ أي: إنسانًا ﴿لنكونن من الشاكرين﴾ كان هذا دعاءهما قبل أن تلد، فلما ولدت أتاهما إبليس، فقال: ألا تسمينه بي؛ كما وعدتني؟ قالت: وما اسمك؟ قال: عبد الحارث، فسمتهُ عبد الحارث؛ فمات.

قال اللَّه: ﴿فلما آتاهما صالحًا جعلا له شركاء فيما آتاهما﴾ قال قتادة: فكان شركًا في طاعتهما لإبليس في تسميتهما إياه: عبد الحارث، ولم يكن شركًا في عبادَةٍ[1].

---

(١) وقال الحسن البصري في تفسير هذه الآية: «عنى بها ذرية آدم ومن أشرك منهم» رواه الطبري وقال ابن كثير في تفسيره (٢/ ٢٧٥): وهذه أسانيد صحيحة عن الحسن رَحِمَهُ اللَّهُ أنه فسر الآية بذلك، وهو من أحسن التفاسير وأولى ما حملت عليه الآية. اهـ

وروى نحو قول الكلبي عن ابن عباس ومجاهد وسعيد بن جبير وعكرمة وجماعة كثيرة، وذكره كثير من المفسرين، قال الحافظ ابن كثير في تفسيره (٢/ ٣٧٥ - ٣٧٦):

وهذه الآثار يظهر عليها - واللَّه أعلم - أنها من آثار أهل الكتاب، وقد صح الحديث عن رسول اللَّه ﷺ أنه قال: «إذا حدّثكم أهل الكتاب فلا تصدّقوهم ولا تكذبوهم» ثم أخبارهم على ثلاثة أقسام: فمنها ما علمنا صحته بما دل عليه الدليل من كتاب اللَّه أو سنة رسوله، ومنها: ما علمنا كذبه بما دل على خلافه من الكتاب والسنة أيضًا، ومنها ما هو مسكوت عنه فهو المأذون في روايته بقوله عَلَيْهِ السَّلَامُ: «حدثوا عن بني إسرائيل ولا حرج» وهو الذي لا يصدق ولا يكذب لقوله: «فلا تصدقوهم ولا تكذبوهم» وهذا الأثر هو من القسم الثاني أو الثالث فيه نظر، فأما من حدث به من صحابي أو تابعي فإنه يراه من القسم الثالث، وأما نحن فعلى مذهب الحسن البصري رحمه اللَّه في هذا، وأنه ليس المراد من هذا السياق آدم وحواء وإنما المراد من ذلك المشركون من ذريته ولهذا قال اللَّه: ﴿فتعالى اللَّه عما يشركون﴾ ثم قال فذكر آدم وحواء أولا كالتوطئة لما بعدهما من الوالدين وهو كالاستطراد من ذكر الشخص إلى الجنس كقوله: ﴿ولقد زينا السماء الدنيا بمصابيح. . .﴾ الآية ومعلوم أن المصابيح وهي النجوم التي زينت بها السماء ليست هي التي يرمي بها، وإنما هذا استطراد من شخص المصابيح إلى جنسها، ولهذا نظائر في القرآن، واللَّه أعلم. اهـ.

وقال بهذا القول العلامة ابن القيم في «التبيان في أقسام القرآن» (ص١٦٥).

وقال الشيخ الشنقيطي في «أضواء البيان» (٢/ ٣٠٥): في هذه الآية الكريمة وجهان من =

ثم انقطعت قصَّة آدم وحواء.

﴿فتعالى اللَّه عما يشركون﴾ يعني: المشركين من بني آدم.

﴿أيشركون ما لا يخلق شيئًا وهم يُخْلَقُون﴾ يعني: الأوثان؛ كقوله: ﴿أتعبدون ما تنحتون﴾[1] بأيديكم.

﴿ولا يستطيعون لهم نصرًا...﴾ الآية.

يقول: ولا تنصر الأوثانُ أنفسها، ولا من عبدها.

﴿وَإِن تَدْعُوهُمْ إِلَى ٱلْهُدَىٰ لَا يَتَّبِعُوكُمْ سَوَآءٌ عَلَيْكُمْ أَدَعَوْتُمُوهُمْ أَمْ أَنتُمْ صَـٰمِتُونَ ﴿١٩٣﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ عِبَادٌ أَمْثَالُكُمْ فَٱدْعُوهُمْ فَلْيَسْتَجِيبُوا۟ لَكُمْ إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ ﴿١٩٤﴾ أَلَهُمْ أَرْجُلٌ يَمْشُونَ بِهَآ أَمْ لَهُمْ أَيْدٍ يَبْطِشُونَ بِهَآ أَمْ لَهُمْ أَعْيُنٌ يُبْصِرُونَ بِهَآ أَمْ لَهُمْ ءَاذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا قُلِ ٱدْعُوا۟ شُرَكَآءَكُمْ ثُمَّ كِيدُونِ فَلَا تُنظِرُونِ ﴿١٩٥﴾ إِنَّ وَلِـِّۧىَ ٱللَّهُ

= التفسير معروفان عند العلماء، والقرآن يشهد لأحدهما:

الأول: حواء كانت لا يعيش لها ولد، فحملت، فجاءها الشيطان، فقال لها: سمي هذا الولد عبد الحارث فإنه يعيش. والحارث من أسماء الشيطان، فسمته عبد الحارث فقال تعالى: ﴿فلما أتاهما صالحًا﴾ أي ولدًا إنسانًا ذكرًا جعلا له شركاء بتسميته عبد الحارث، وقد جاء بنحو هذا حديث مرفوع، وهو معلول كما أوضحه ابن كثير في تفسيره.

الوجه الثاني: أن معنى الآية أنه لما آتى آدم وحواء صالحًا كفر به بعد ذلك كثيرٌ من ذريتهما، وأسند فعل الذرية إلى آدم وحواء؛ لأنهما أصل لذريتهما كما قال: ﴿ولقد خلقناكم ثم صورناكم﴾ أي: بتصويرنا لأبيكم آدم ؛ لأنه أصلهم بدليل قوله بعده: ﴿ثم قلنا للملائكة اسجدوا لآدم﴾، ويدل لهذا الوجه الأخير أنه تعالى قال بعده: ﴿فتعالى اللَّه عما يشركون * أيشركون ما لا يخلق شيئًا وهم يخلقون﴾، وهذا نص قرآني صريح في أن المراد المشركون من بني أدم، لا آدم وحواء، واختار هذا الوجه غير واحد لدلالة القرآن عليه، وممن ذهب إليه الحسن البصري، واختاره ابن كثير - والعلم عند اللَّه تعالى.

(١) الصَّافات: ٩٥ .

ٱلَّذِي نَزَّلَ ٱلْكِتَٰبَ وَهُوَ يَتَوَلَّى ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٩٦﴾﴾

﴿وإن تدعوهم إلى الهدى لا يتبعوكم﴾ أخبر بعلمه فيهم .

﴿إن الذين تدعون من دون اللّه عبادٌ أمثالكم﴾ أي: مخلوقون ﴿فادعوهم فليستجيبوا لكم إن كنتم صادقين﴾ أنّهم آلهة ﴿ألهم أرجُلٌ. . .﴾ إلى قوله: ﴿يسمعون بها﴾ أي: أنَّه ليس لهم شيء من هذا ﴿قل ادعوا شركاءكم﴾ يعني: أوثانكم ﴿ثم كيدون فلا تنظرُون﴾ أي: اجهدوا عليَّ جُهْدَكُم .

﴿إن وليي اللّه﴾ .

﴿وَٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَكُمْ وَلَآ أَنفُسَهُمْ يَنصُرُونَ ﴿١٩٧﴾ وَإِن تَدْعُوهُمْ إِلَى ٱلْهُدَىٰ لَا يَسْمَعُوا۟ۖ وَتَرَىٰهُمْ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ وَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ ﴿١٩٨﴾ خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿١٩٩﴾ وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ نَزْغٌ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِۚ إِنَّهُۥ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٠٠﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ إِذَا مَسَّهُمْ طَٰٓئِفٌ مِّنَ ٱلشَّيْطَٰنِ تَذَكَّرُوا۟ فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ ﴿٢٠١﴾ وَإِخْوَٰنُهُمْ يَمُدُّونَهُمْ فِي ٱلْغَيِّ ثُمَّ لَا يُقْصِرُونَ ﴿٢٠٢﴾ وَإِذَا لَمْ تَأْتِهِم بِـَٔايَةٍ قَالُوا۟ لَوْلَا ٱجْتَبَيْتَهَاۚ قُلْ إِنَّمَآ أَتَّبِعُ مَا يُوحَىٰٓ إِلَيَّ مِن رَّبِّيۚ هَٰذَا بَصَآئِرُ مِن رَّبِّكُمْ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٢٠٣﴾ وَإِذَا قُرِئَ ٱلْقُرْءَانُ فَٱسْتَمِعُوا۟ لَهُۥ وَأَنصِتُوا۟ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٢٠٤﴾ وَٱذْكُر رَّبَّكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ ٱلْجَهْرِ مِنَ ٱلْقَوْلِ بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْأَصَالِ وَلَا تَكُن مِّنَ ٱلْغَٰفِلِينَ ﴿٢٠٥﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِۦ وَيُسَبِّحُونَهُۥ وَلَهُۥ يَسْجُدُونَ ﴿٢٠٦﴾﴾

﴿وإن تدعوهم إلى الهدى لا يسمعوا﴾ أي: سمع قبولٍ ﴿وتراهم ينظرون إليك﴾ يعني: وهم لا يبصرون بقلوبهم.

﴿خذ العفوَ﴾ قال مجاهد: يقول: خذ العفو من أخلاق الناس وأعمالهم بغير [تحسُّسٍ](١).

قال محمد: العفوُ في كلام العرب: ما أتي بغير كُلْفَةٍ(٢).

﴿وأمُرْ بالعرف﴾ بالمعروف ﴿وأعرض عن الجاهلين﴾ يعني: المشركين.

وقوله: ﴿أعرض﴾ منسوخٌ، نسخَهُ القتالُ(٣).

﴿وإما ينزغنك من الشيطان نزغٌ﴾ قال الحسن: النزغُ: الوسوسة.

قال محمدٌ: وأصل النزغ: الحركة؛ تقول: قد نزغته؛ إذا حرَّكته(٤).

﴿إن الذين اتقَوْا إذا مسَّهُم طائف من الشيطان تذكروا﴾ قال الحسن: طائفٌ من الطوفان؛ أي: يطوف عليهم بوساوسه؛ يأمرهم بالمعصية ﴿فإذا هم مبصرون﴾ أي: تائبون من المعصية ﴿وإخوانهم﴾ يعني: إخوان المشركين من الشياطين ﴿يمدونهم﴾ (ل١١٥) أي: يزيدونهم ﴿في الغي ثم لا يقصرون﴾ في هلكتهم.

قال محمد: هو من المدد الذي يمدونهم ﴿في الغي﴾: بأسباب الغي، يقال: [مددته](٥) بالسلاح، وأمددته بكذا؛ لما يمده به. ولبعضهم يذكر الأموات:

---

(١) في «ر»: تجسُّس بالجيم المعجمة. وهما بمعنى واحد.

(٢) لسان العرب (عفو).

(٣) قال ابن الجوزي في «زاد المسير» (٣/ ٣٠٨) وهذه الآية عند الأكثرين كلها محكمة. اهـ
وقال القرطبي في تفسيره (٧: ٣٤٧): وقال مجاهد وقتادة هي محكمة. وهو الصحيح. اهـ.
وانظر تفسير الطبري (٩/ ١٥٤) ونواسخ القرآن(٤٠٦).

(٤) لسان العرب (نزغ).

(٥) في الأصل: أمددته - بهمزة التعدية، والمراد أن (مدّ) و(أمدّ) بمعنى. ينظر: لسان العرب (مدد).

نمدهم كل يوم من بقيتنا ولا يَئُوبُ إلينا منهم أحَدُ[١].

﴿وإذا لم تأتهم بآية قالوا لولا اجتبيتها﴾ أي: هلا جئت بها من عندك. قال الله: ﴿قل﴾ لهم يا محمد: ﴿إنما أتبع ما يوحى إلي من ربي هذا بصائر﴾ يعني: القرآن.

قال محمدٌ: واحد البصائر: بصيرةٌ؛ وهي كلمةٌ: تتصرَّفُ على وجوه، وأصلها بيان الشيء وظهورُه[٢].

﴿وإذا قرئ القرآن فاستمعوا له وأنصتوا﴾ قال الحسن: كانوا يتكلمون في الصلاة حتى نزلت هذه الآية.

﴿واذكر ربك في نفسك تضرُّعًا وخيفةً﴾ أي: مخافةً منه.

﴿ودون الجهر من القول بالغدو والآصال﴾ يعني: العشيات. وهذا حين كانت الصلاة ركعتين غدوةً، وركعتين عشِيَّة قبل أن تفرض الصلوات الخمس.

﴿ولا تكن من الغافلين﴾ عن الله، وعن دينه.

﴿إن الذين عند ربك﴾ يعني: الملائكة ﴿لا يستكبرون عن عبادته ويسبحونه وله يسجدون﴾.

* * *

(١) البيت من بحر البسيط ولم أجد له نِسْبة. ينظر: ديوان الحماسة (١/ ٣٦٩).

(٢) وأطلق على القرآن (بصائر) إما مبالغةً، وإما لأنه سبب البصائر، وإما على حذف مضاف، أي: ذو بصائر. ينظر: لسان العرب (بصر)، الدر المصون (٣/ ٣٩١).

تفسير سورة الأنفال وهي مدنية كلها

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَنفَالِ ۖ قُلِ الْأَنفَالُ لِلَّهِ وَالرَّسُولِ ۖ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ ۖ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ①﴾

قوله: ﴿يسألونك عن الأنفال قل الأنفال للّه والرسول...﴾ الآية.

قال الكلبي: «بلغنا أنَّ رسول اللّه ﷺ لما صافَّ[1] المشركين يومَ بدْر، قال - ليحرض الناس على القتال -: إن اللّه وعدني أن يفتح لي بدرًا، وأن يغنمني عسكرهم؛ فمن قتل قتيلًا، فله كذا وكذا من غنيمتهم - إن شاء اللّه . فلما توافدوا أدخل اللّه في قلوب المشركين الرعب فانهزموا، فأتبعهم سَرْعان[2] من الناس؛ فقتلوا سبعين، وغنموا العسكر وما فيه، وأقام وجوه الناس مع رسول اللّه في مصافِّه، فلم يشذ عنه منهم أحدٌ، ثم قام أبو اليسر بن عمرو الأنصاري من بني سلمة، فكلم رسول اللّه، فقال: يا رسول اللّه، إنك وعدت من قتل قتيلًا أو أسر أسيرًا من غنيمة القوم الذي وعدتَهم، وإنا قتلنا سبعين، وأسرنا سبعين. ثم قام سعدُ بن معاذ، فقال: يا رسول اللّه، إنه ما منعنا أن نطلب كما طلب هؤلاء زهادة في الأجر، ولا جُبْنٌ عن الْعَدُو، ولكنا خفنا أن نعري صفَّك فتعطف عليك خيل المشركين. فأعرض عنهما رسول اللّه. ثم قال أبو اليسر مثل كلامه الأول، وعاد سعد فتكلم مثل كلامه الأول. وقال: يا رسول اللّه، الأسارى والقتلى كثيرٌ، والغنيمة قليلة، وإن تُعْطِ هؤلاء

---

(١) أي: وقفوا صفوفًا مستعدِّين للقتال، ينظر لسان العرب (صفف).

(٢) سَرْعان الناس: أوائلهم المستبقون إلى الأمر، ينظر لسان العرب (سرع).

الذي ذكرت لهم، لم يبق لسائر أصحابك كبير شيء. فنزلت هذه الآية: ﴿يسألونك عن الأنفال﴾ فقسمه رسول الله ﷺ بين المهاجرين والأنصار»[١].

قال قتادة: والأنفال: الغنائم. ومعنى قوله: ﴿للهِ والرسول﴾ يقول: ذلك كله لله، وجعل حكمه إلى رسوله.

قال محمدٌ: واحدُ الأنفال: نَفَلٌ، ومنه قول لبيد:

إنَّ تقوى ربنا خير نَفَلٍ وبإذن الله رَيْثي وعَجَلْ[٢]

﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَّهُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٤﴾﴾

قوله: ﴿إنما المؤمنون الذين إذا ذُكر الله وجلت قلوبهم﴾ أي: رقَّت مخافة

---

(١) رواه عبد الرزاق في تفسيره (١/ ٢٥٠ - ٢٥١) ومصنفه (٥/ ٢٣٩ رقم ٩٤٨٤) عن معمر عن الكلبي بنحوه.
وذكره البغوي في تفسيره (٣/ ٣٢٣) فقال: قال أهل التفسير . . . فذكره.
ورواه سفيان الثوري في تفسيره (١١٥ رقم ٢٩٥) وعنه عبد الرزاق في تفسيره (١/ ٢٤٩ - ٢٥٠) ومصنفه (٥/ ٢٣٩ رقم ٩٤٨٣) وإسماعيل بن إسحاق - كما في تفسير القرطبي (٨/ ٢) - وأبو نعيم في الحلية (٨/ ١٠٢ - ١٠٣) عن محمد بن السائب الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس موصولاً.
وقال أبو نعيم: مشهور من حديث الثوري.
ونسبه السيوطي في الدر المنثور (٣/ ١٧٣) لعبد بن حميد وابن مردويه أيضًا.
ووقع في هذه الرواية أن القائل «سعد بن عبادة» بدل «سعد بن معاذ» وقد ساقه البغوي كسياق المؤلف، وفيه «سعد بن معاذ» كما هنا، والله أعلم.

(٢) البيت من بحر المديد، ينظر: ديوان لبيد (١٣٩)، ومجاز القرآن (١/ ٢٤٠)، وتفسير الطبري (١٣/ ٣٦٦).

عذابه ﴿وإذا تليت عليهم آياته زادتهم إيمانًا﴾ يعني: كلما نزل من القرآن شيء صدقوا به .

﴿لهم درجاتٌ عند ربهم﴾ يعني: في الجنة على قدر أعمالهم .

﴿ كَمَآ أَخۡرَجَكَ رَبُّكَ مِنۢ بَيۡتِكَ بِٱلۡحَقِّ وَإِنَّ فَرِيقٗا مِّنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ لَكَٰرِهُونَ ﴿٥﴾ يُجَٰدِلُونَكَ فِي ٱلۡحَقِّ بَعۡدَمَا تَبَيَّنَ كَأَنَّمَا يُسَاقُونَ إِلَى ٱلۡمَوۡتِ وَهُمۡ يَنظُرُونَ ﴿٦﴾ وَإِذۡ يَعِدُكُمُ ٱللَّهُ إِحۡدَى ٱلطَّآئِفَتَيۡنِ أَنَّهَا لَكُمۡ وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيۡرَ ذَاتِ ٱلشَّوۡكَةِ تَكُونُ لَكُمۡ وَيُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُحِقَّ ٱلۡحَقَّ بِكَلِمَٰتِهِۦ وَيَقۡطَعَ دَابِرَ ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴿٧﴾ لِيُحِقَّ ٱلۡحَقَّ وَيُبۡطِلَ ٱلۡبَٰطِلَ وَلَوۡ كَرِهَ ٱلۡمُجۡرِمُونَ ﴿٨﴾ ﴾

﴿كما أخرجك ربك من بيتك بالحق﴾ يقول: أخرجك من مكة إلى المدينة، ومن المدينة إلى قتال أهل بدر.

﴿وإن فريقًا من المؤمنين لكارهون يجادلونك في الحق﴾ يعني: في القتال؛ ومعنى مجادلتهم: أنهم كانوا يريدون العير، ورسول اللَّه يريد ذات الشوكة؛ هذا تفسير الحسن ﴿بعد ما تبين﴾ لهم، قال الحسن: يقول لهم بعد ما أخبرهم اللَّه أنهم منصورون.

(ل١١٦) ﴿كأنما يساقون إلى الموت وهم ينظرون﴾ قال محمد: كانوا في خروجهم إلى القتال كأنما يساقون إلى الموت؛ لقلة عددهم وأنهم رجَّالة[1] .

وروي أنه إنما كان فيهم فارسان فخافوا.

﴿وإذ يعدكم اللَّه إحدى الطائفتين أنها لكم وتودون أن غير ذات الشوكة

(١) واحدها: (راجل)؛ وهو الماشي على رجليه، ويجمع (راجل) أيضًا على (رجال)، ينظر لسان العرب (رجل).

تكون لكم﴾ ومعنى الشوكة: السلاح والحرب. قال قتادة: الطائفتان: إحداهما: أبو سفيان أقبل بالعير من الشام، والطائفة الأخرى: أبو جهل معه نفير قريش، فكره المسلمون القتال، وأحبوا أن يضموا العيرَ، وأراد اللَّه ما أراد[١] ﴿ويريد اللَّه أن يحق الحق بكلماته﴾ يعني: بوعده الذي وعد بالنصر ﴿ويقطع دابر الكافرين﴾ يعني: أصل الكافرين.

﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ مُرْدِفِينَ ﴿٩﴾ وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ وَلِتَطْمَئِنَّ بِهِ قُلُوبُكُمْ ۚ وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ اللَّهِ ۚ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿١٠﴾﴾

﴿إذ تستغيثون ربكم فاستجاب لكم أني ممدكم﴾ مقويكم ﴿بألف من الملائكة مردفين﴾ يعني: متتابعين؛ في تفسير قتادة، وقرأ مجاهد (مُرْدَفين) بفتح الدال[٢]؛ بمعنى: أن اللَّه أردف المسلمين؛ أي: أمدهم.

قال محمدٌ: ومن قرأ (مُرْدِفين) بكسر الدَّال، فهو من قولهم: أَرْدَفْتُ الرجلَ؛ إذا جئت بعده؛ ومنه قوْلُ الشاعر:

إذا الجوزاءُ أَردفَتِ الثُّرَيَّا ... ظننتُ بآل فاطمَةَ الظنونا[٣]

قوله: ﴿وما جعله اللَّه﴾ يعني: المدد من الملائكة ﴿إلا بشرى ولتطمئن به قلوبُكم﴾ أي: تسكن.

---

(١) هناك حاشية على الأصل غير واضحة.

(٢) وهي قراءة نافع، أما قراءة الكسر؛ أي: كسر دال ﴿مردِفين﴾ فهي قراءة الباقين، أي: غير نافع. ينظر: السبعة (٣٠٤)، التيسير (١١٦)، النشر (٢/ ٢٧٥).

(٣) البيت من بحر الوافر، وهو لخزيمة بن مالك بن نهد، وفاطمة المذكورة في البيت هي فاطمة بنت يذكر بن عنزة، أحد القارظين. ينظر: اللسان (ردف)، تفسير القرطبي (١٣/ ٢٣٠).

﴿إِذْ يُغَشِّيكُمُ النُّعَاسَ أَمَنَةً مِّنْهُ وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُم مِّنَ السَّمَاءِ مَاءً لِّيُطَهِّرَكُم بِهِ وَيُذْهِبَ عَنكُمْ رِجْزَ الشَّيْطَانِ وَلِيَرْبِطَ عَلَىٰ قُلُوبِكُمْ وَيُثَبِّتَ بِهِ الْأَقْدَامَ ﴿١١﴾ إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى الْمَلَائِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا الَّذِينَ آمَنُوا سَأُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ فَاضْرِبُوا فَوْقَ الْأَعْنَاقِ وَاضْرِبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ ﴿١٢﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ شَاقُّوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَمَن يُشَاقِقِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿١٣﴾ ذَٰلِكُمْ فَذُوقُوهُ وَأَنَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَابَ النَّارِ ﴿١٤﴾﴾

﴿إذ يغشيكم النعاسَ أمنةً منه...﴾ إلى قوله: ﴿سألقي في قلوب الذين كفروا الرعبَ﴾ تفسير الكلبي: قال: «بلغنا أن المشركين سبقوا رسول اللَّه إلى ماء بدر، فقدم رسول اللَّه، فنزل حِيَالَهُم بينه وبينهم الوادي، ونزل على غير ماءٍ؛ فقذف الشيطان في قلوب المؤمنين أمرًا عظيمًا، فقال: زعمتم أنكم عبادُ اللَّه، وعلى دينِ اللَّه؛ وقد غلبكم المشركون على الماء، وأنتم تصلُّون مُحْدِثين مُجْنبين، فأحبَّ اللَّه أن يذهب من قلوبهم رجز الشيطان، فغشى المؤمنين نعاسًا أمنةً منه، وأنزل من السماء ماءً ليطهرهم به من الأحداث والجنابة، ويذهب عنهم رجز الشيطانَ؛ ما كان قذفه في قلوبهم، وليربط على قلوبهم ويثبت به الأقدام، وكان بطن الوادي فيه رملةٌ تغيب فيها الأقدام، فلما مُطِرَ الوادي اشتدت الرمْلةُ فمشي عليها الرجال، واتَّخذ رسول اللَّه حياضًا على الوادي، فشرب المسلمون منها، واسْتَقَوْا، ثمّ صَفُّوا، وأوحى ربك إلى الملائكة ﴿أني معكم فثبتوا الذين آمنوا سألقي في قلوب الذين كفروا الرعب﴾»[1].

﴿فاضربوا فوق الأعناق﴾ قال الحسن: يعني: فاضربوا الأعناقَ ﴿واضربوا

(١) عزاه السيوطي في الدر المنثور (٣/ ١٨٦) لابن مردويه عن ابن عباس.

منهم كل بنانٍ﴾ يعني: كُلَّ عُضو ﴿ذلك بأنهم شاقوا اللَّه ورسوله﴾ قال قتادة: الشقاق: الفِرَاقُ ﴿ذلكم فذوقوه﴾ يعني: القتل ﴿وأن للكافرين﴾ بعد القتل ﴿عذاب النار﴾ في الآخرة.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا لَقِيتُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ زَحْفًا فَلَا تُوَلُّوهُمُ ٱلْأَدْبَارَ ﴿١٥﴾ وَمَن يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُۥٓ إِلَّا مُتَحَرِّفًا لِّقِتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّزًا إِلَىٰ فِئَةٍ فَقَدْ بَآءَ بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَمَأْوَىٰهُ جَهَنَّمُ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٦﴾﴾

﴿يا أيها الذين آمنوا إذا لقيتم الذين كفروا زحفًا﴾ قال محمد: الزَّحْفُ جماعة يَزْحَفُون[١] إلى عَدُوِّهم بمرّة[٢] - أي: ينقضُّون - وقد يكون الزَّحْفُ مصْدَرًا من قولك: زحفتُ[٣].

﴿فلا تولوهم الأدبار﴾ أي: لا تنهزموا ﴿ومن يولهم يومئذ دبره﴾ قال قتادة: يعني: يوم بدر ﴿إلا متحرّفًا لقتال﴾ قال الحسن: يعني يدع مَوْقِفَ مكان لمكانٍ ﴿أو متحيزًا إلى فئة﴾ أي: ينحاز إلى جماعَة ﴿فقد باء بغضب من اللَّه﴾ أي: استوجب.

قال محمد: يجوز أن يكون النصبُ في قوله: ﴿إلا متحرفًا لقتال﴾ على الحال[٤]؛ أي: إلا أن يتحرَّف فلان بقتال، وكذلك ﴿أو متحيزًا﴾.

ويجوز أن يكون النصْبُ فيهما على الاستثناء[٥]؛ أي: إلا رجلًا متحرفًا،

---

(١) وعليه فالزحف ها هنا تسمية بالمصدر، وجمعه: زُحُوف. لسان العرب (زحف).
(٢) أي: مرَّةً واحدة على سبيل الفجأة.
(٣) يقال: زحفتُ أزحفُ زَحْفًا وزحوفًا وزَحَفَانًا. لسان العرب (زحف).
(٤) ينظر البحر المحيط (٤/ ٤٧٥).
(٥) أي: الاستثناء من المُولِّين. وفي هذين الوجيهن استطراد نحوي واسع. ينظر: البحر المحيط (٤/ ٤٧٥)، الدر المصون (٣/ ٤٠٨).

أو يكون منفردًا لينحاز فيكون مع المقاتلة. يقال: تحيَّزْتُ وتحوَّزتُ، يعني: انحزتُ[(١)].

يحيى: عن الحسن بن دينار، عن [...][(٢)] «أن عمرَ بن الخطاب (ل١١٧) بلغه (قتل أبي عبيدة وأصحابه بالقادسية)[(٣)] قال: يرحم اللَّه أبا عبيدة؛ لو انحاز إليَّ لكنت له فئة»[(٤)].

يحيى: عن الربيع بن صُبَيْحٍ، عن الحسن قال: «ليس الفرار من الزحف من الكبائر، إنما كان ذلك يوم بدر»[(٥)].

﴿فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ قَتَلَهُمْ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ رَمَىٰ وَلِيُبْلِيَ

---

(١) التحيُّز والتحوُّز هو الانضمام؛ ومنه: حُزتُ الشيء إذا ضممته، ووزن (متحيِّز): متفيعل لا متفعِّل؛ لأن أصله: متحيوز. ينظر: لسان العرب (حوز) (حيز)، الدر المصون (٣/ ٤٠٨).

(٢) طمس في الأصل.

(٣) كذا، والصواب قتل أبي عبيدة وأصحابه قبل القادسية ، وهو أبو عبيد بن مسعود بن عمرو الثقفي - والد المختار بن أبي عبيد الثقفي الكذاب - وكان قتله في موقعة شهيرة تسمى موقعة جسر أبي عبيد، وكانت قبل القادسية، انظر تاريخ الطبري (٣/ ٤٥٤ - ٤٥٩) والكامل لابن الأثير (٢/ ٢٨٦ - ٢٨٨) وغيرهما، وترجمة أبي عبيد في أسد الغابة (٦/ ٢٠٥).

(٤) روى ابن أبي شيبة في مصنفه (٧/ ٧٣٣ رقم٢) (٨/ ٨ رقم ٦) وابن المبارك في الجهاد (١٧٢) وابن الأثير في أسد الغابة (٦/ ٢٠٥) وغيرهم من طريق محمد بن سيرين قال: «لما بلغ عمر ابن الخطاب ﷺ قتل أبي عبيد، قال: إن كنت له لفئة لو انحاز إلي».

(٥) رواه البغوي في مسند علي بن الجعد (٢/ ١١١٨ رقم ٣٢٨٦) والطبري في تفسيره (٩/ ٢٠٢) من طريق الربيع بن صبيح به.
قلت: ويعارضه قول النبي ﷺ: «اجتنبوا السبع الموبقات. قالوا: يا رسول اللَّه، وما هن؟ قال: الشرك باللَّه، والسحر، وقتل النفس التي حرم اللَّه إلا بالحق، وأكل الربا، وأكل مال اليتيم، والتولي يوم الزحف، وقذف المحصنات المؤمنات الغافلات».
رواه البخاري (٥/ ٤٦٧ رقم ٢٧٦٦) ومسلم (١/ ٩٢ رقم ٨٩) عن أبي هريرة ﷺ .
وانظر تفسير القرطبي (٧/ ٣٨٢ - ٣٨٣).

ٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْهُ بَلَآءً حَسَنًاۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١٧﴾ ذَٰلِكُمْ وَأَنَّ ٱللَّهَ مُوهِنُ كَيْدِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿١٨﴾ إِن تَسْتَفْتِحُوا۟ فَقَدْ جَآءَكُمُ ٱلْفَتْحُۖ وَإِن تَنتَهُوا۟ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْۖ وَإِن تَعُودُوا۟ نَعُدْ وَلَن تُغْنِىَ عَنكُمْ فِئَتُكُمْ شَيْـًٔا وَلَوْ كَثُرَتْ وَأَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٩﴾﴾

﴿فلم تقتلوهم ولكن اللَّه قتلهم وما رميت إذ رميت ولكنه اللَّه رمى﴾ قال الكلبي: «لمّا صافَّ رسول اللَّه المشركين، دعا بقبضةٍ من حَصْبَاء الوادي وترابه، فرمى بها في وجوه المشركين، فملأ اللَّه منها وُجُوهَهُمْ وأعينهم ترابًا، وقذف في قلوبهم الرعب فانهزموا، وأتبعهم المؤمنون يقتلونهم ويأسرونهم».

﴿وليبلي المؤمنين منه بلاءً حسنًا﴾ ينعم على المؤمنين بقتلهم المشركين.

﴿ذلكم وأنَّ اللَّه مُوهنُ كَيْدَ[1] الكافرين﴾ أي: مضعف.

﴿إن تستفتحوا فقد جاءكم الفتح﴾ قال الكلبي: بلغنا أن المشركين لما صافوا رسول اللَّه ﷺ يوم بدر قالوا: اللَّهم ربنا أيُّنا كان أحب إليك وأرضى عندك فانصره، فنصر اللَّه نبيَّه، وقال: ﴿إن تستفتحوا﴾ يعني: تستنصروا ﴿فقد جاءكم الفتح﴾ النصر؛ يعني: أن اللَّه قد نصر نبيه ﴿وإن تنتهوا﴾ يعني: عن قتال محمدٍ.

﴿فهو خير لكم وإن تعودوا نعد﴾ عليكم بالهزيمة.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَوَلَّوْا۟ عَنْهُ وَأَنتُمْ تَسْمَعُونَ ﴿٢٠﴾ وَلَا

---

(١) هكذا ضُبطت القراءةُ في الأصل؛ حيث قرأ ابن عامر وحمزة والكسائي ﴿مُوهِنٌ﴾ بسكون الواو وتخفيف الهاء، أما قراءة ﴿موهنُ كيدِ﴾ بالإضافة فهي قراءة حفص عن عاصم، وقرأ ابن كثير ونافع وأبو عمرو ﴿مُوَهِّنٌ كيدَ الكافرين﴾ بفتح الواو وتشديد الهاء والتنوين، ونصب (كيد).

ينظر: السبعة (٣٠٤ - ٣٠٥)، التيسير (١١٦)، النشر (٢/٢٧٦).

تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ قَالُواْ سَمِعْنَا وَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ ﴿٢١﴾ إِنَّ شَرَّ ٱلدَّوَآبِّ عِندَ ٱللَّهِ ٱلصُّمُّ ٱلْبُكْمُ ٱلَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ ﴿٢٢﴾ وَلَوْ عَلِمَ ٱللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَّأَسْمَعَهُمْ وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ لَتَوَلَّواْ وَّهُم مُّعْرِضُونَ ﴿٢٣﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسْتَجِيبُواْ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَقَلْبِهِۦ وَأَنَّهُۥٓ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٢٤﴾ وَٱتَّقُواْ فِتْنَةً لَّا تُصِيبَنَّ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنكُمْ خَآصَّةً وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٢٥﴾﴾

﴿ولا تولوا عنه وأنتم تسمعون﴾ يعني: الحجَّة ﴿ولا تكونوا كالذين قالوا سمعنا وهم لا يسمعون﴾ الهدى ﴿إن شر الدواب﴾ الخلْق ﴿عند اللَّه الصم﴾ عن الهدى فلا يسمعونه ﴿البكم﴾ عنه فلا ينطقون به ﴿الذين لا يعقلون﴾ الهدى.

﴿ولو أسمعهم لتولوا وهم معرضون﴾ هي كقوله: ﴿ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه﴾(١).

﴿يا أيها الذين آمنوا استجيبوا للَّه وللرسول إذا دعاكم لما يحييكم﴾ يريد: القرآن ﴿واعلموا أن اللَّه يحول بين المرء وقلبه﴾ تفسير الضحاك بن مزاحم: يحول بين قلب المؤمن وبين معصيته، وبين قلب الكافر وبين طاعته.

﴿واتقوا فتنةً لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة﴾ أي: أنها إذا نزلت تعم الظالم وغيره. قال الحسن: خاطب بهذا أصحاب النبي عليه السلام.

﴿وَٱذْكُرُوٓاْ إِذْ أَنتُمْ قَلِيلٌ مُّسْتَضْعَفُونَ فِى ٱلْأَرْضِ تَخَافُونَ أَن يَتَخَطَّفَكُمُ ٱلنَّاسُ فَـَٔاوَىٰكُمْ وَأَيَّدَكُم بِنَصْرِهِۦ وَرَزَقَكُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٢٦﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَخُونُواْ

---

(١) الأنعام: ٢٨.

ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ وَتَخُونُوٓاْ أَمَٰنَٰتِكُمْ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٧﴾ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَأَوْلَٰدُكُمْ فِتْنَةٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥٓ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿٢٨﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تَتَّقُواْ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّكُمْ فُرْقَانًا وَيُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٢٩﴾﴾

﴿واذكروا إذ أنتم قليل مستضعفون في الأرض﴾ أي: مقهورون في أرض «مكة» ﴿تخافون أن يتخطفكم الناس﴾ يعني: كُفَّارَ أهل «مكة».

﴿فآواكم﴾ ضمكم إلى «المدنية» ﴿وأيدكُمْ﴾ أعانكم على المشركين. ﴿ورزقكم من الطيبات﴾ يعني: الحلال من الرزق.

﴿يا أيها الذين آمنوا لا تخونوا اللَّه والرسول وتخونوا أماناتكم﴾.

قال السُّدي: نزلت في رجل من أصحاب النبي أشار إلى بني قريظة بيده؛ ألا تنزلوا على الحكم، فكانت خيانةً منه وذنبًا ﴿وأنتم تعلمون﴾ أنها خيانة ﴿واعلموا أنما أموالكم وأولادكم فتنة﴾ بلية، ابتلاكم اللَّه بها لتطيعوه فيما ابتلاكم فيه .

﴿يا أيها الذين آمنوا إن تتقوا اللَّه يجعل لكم فرقانًا﴾ قال السدي: يعني: مخرجًا في الدين من الشُّبهة والضلالة.

﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ ۚ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ ٱللَّهُ ۖ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ ﴿٣٠﴾ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُنَا قَالُواْ قَدْ سَمِعْنَا لَوْ نَشَآءُ لَقُلْنَا مِثْلَ هَٰذَآ ۙ إِنْ هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٣١﴾ وَإِذْ قَالُواْ ٱللَّهُمَّ إِن كَانَ هَٰذَا هُوَ ٱلْحَقَّ مِنْ عِندِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ أَوِ ٱئْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣٢﴾ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْ ۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴿٣٣﴾﴾

﴿وإذ يمكر بك الذين كفروا. . .﴾ الآية، قال الكلبي: بلغنا أن عصابةً من قريش اجتمعوا في دار الندوة يمكرون بنبي اللَّه، فدخل معهم إبليس عليه ثيابٌ، له أظفار في صورة شيخ كبير، فجلس معهم، فقالوا: ما أدخلك في جماعتنا بغير إذننا؟ فقال لهم: أنا رجل من أهل «نجد» قدمتُ «مكة» فأحببتُ أن أسمع من حديثكم، وأقتبس منكم خيرًا، ورأيت وجوهكم حسنة وريحكم طيبة؛ فإن أحببتم جلست معكم، وإذا كرهتم مجلسي (ل١١٨) خرجت. فقال بعضهم لبعض: هذا رجل من أهل نجد ليس من أهل تهامة، فلا بأس عليكم [منه][1] تتكلموا بالمكر بنبي اللَّه، فقال البختري بن هشام - أحد بني أسد ابن عبد العزى -: أما أنا فأرى لكم من الرأي أن تأخذوا محمدًا، فتجعلوه في بيت، ثم تسدوا عليه بابه، وتجعلوا فيه كوة[2] يدخل إليه منها طعامه وشرابه، ثم تذروه فيه حتى يموت، فقال القوم: نعم الرأي رأيت. فقال إبليس: بئس الرأي رأيتم، تعمدون إلى رجل له فيكم صغو[3] وقد سمع به من حولكم فتحبسونه، وتطعمونه وتسقونه، فيوشك الصَّغْو الذي له فيكم أن يقاتلوكم عليه فتفسد فيه جماعتكم، وتسفك فيه دماؤكم. فقالوا: صدق واللَّه. ثم تكلم أبو الأسود - وهو هاشم بن عمير بن ربيعة أحد بني عامر بن لؤي - فقال: أما أنا، فأرى أن تحملوا محمدًا على بعير، ثم تخرجوه من أرضكم فيذهب حيث شاء، ويليه غيركم. فقالوا: نعم الرأي رأيت. فقال إبليس: بئس الرأي رأيتم، تعمدون إلى رجل أفسد جماعتكم، واتبعته منكم

---

(١) طمس في الأصل.

(٢) الكُوَّة والكَوَّة: الفتحة أو الخرق في الجدار. والجمع: كُوَّات وكِوًى. ينظر لسان العرب (كوو).

(٣) أي: يَصْغَى إليه الناس ويستمعون قوله. ينظر لسان العرب (صغو).

طائفة، فتخرجونه إلى غيركم، فيأتيهم فيفسدهم كما أفسدكم، يوشك والله أن يميل بهم عليكم. قالوا: صدق والله. ثم تكلم أبو جهل فقال: أما أنا فأرى من الرأي أن تأخذوا من كل بطن من قريش رجلًا، ثم تعطوا كل رجل منهم سيفًا فيأتونه [فيضربونه][1] جميعًا فلا يدري قومه من يأخذون به، وتودي قريش ديته. فقال إبليس: صدق والله هذا الشاب؛ إن الأمر لكما . قال: فاتفقوا على ذلك. فنزل جبريل على النبي ﷺ فأخبره، وأمره بالخروج. فخرج من ليلته إلى المدينة، فدخل الغار قال الله: ﴿ويمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين﴾.

قال محمد: والمكر من الله: الجزاء والمثوبة؛ أن يجازيهم جزاء مكرهم.

ومعنى: ﴿ليثبتوك﴾ أي: ليحبسوك، ومنه يقال: فلان مثبت وجعًا إذا منع من الحركة.

قوله: ﴿إن هذا إلا أساطير الأولين﴾ قال الكلبي: لما قصَّ رسول الله على قومه شأن القرون الأولى، قال النضر بن الحارث - أحد بني عبد الدار - : لو شئت لقلت مثل هذا، إن هذا إلا أساطير الأولين: كذب الأولين وباطلهم.

قال محمد: الأساطير: واحدها: أسطورة[2].

﴿وإذ قالوا اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك﴾ أي: إن كان ما يقول محمد حقًّا ﴿فأمطر علينا حجارة من السماء﴾.

قال محمد: القراءة على نصب: ﴿الحق﴾ على خبر كان[3]، ودخلت

---

(١) في الأصل: فيضربوه. والمثبت هو الصواب.

(٢) ويقال في واحدها أيضًا: إسطارٌ، وإسطارةٌ، وإسطير، وإسطيرةٌ، وأسطورٌ. لسان العرب (سطر).

(٣) وهي قراءة العامة. وقرأ الأعمش وزيد بن علي برفع (الحق) ينظر: البحر المحيط (٤/ ٤٨٨)، الدر المصون (٣/ ٤١٤).

(هو) للتوكيد[1].

﴿وما كان اللَّه ليعذبهم وأنت فيهم﴾ قال الحسن: أي: حتى نخرجك من بين أظهرهم.

﴿وما كان اللَّه معذبهم وهم يستغفرون﴾ يقول: إن القوم لم يكونوا يستغفرون، ولو استغفروا اللَّه لما عذبوا.

﴿وَمَا لَهُمْ أَلَّا يُعَذِّبَهُمُ ٱللَّهُ وَهُمْ يَصُدُّونَ عَنِ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ وَمَا كَانُوٓا۟ أَوْلِيَآءَهُۥٓ ۚ إِنْ أَوْلِيَآؤُهُۥٓ إِلَّا ٱلْمُتَّقُونَ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٤﴾ وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمْ عِندَ ٱلْبَيْتِ إِلَّا مُكَآءً وَتَصْدِيَةً ۚ فَذُوقُوا۟ ٱلْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿٣٥﴾﴾

﴿وهم يصدون عن المسجد الحرام وما كانوا أولياءه﴾ زعم مشركو العرب أنهم أولياء المسجد الحرام، فقال اللَّه: ﴿وما كانوا أولياءه إن أولياؤه إلا المتقون وما كان صلاتهم عند البيت إلا مكاءً وتصدية﴾ قال الحسن: المكاء: الصفير، والتصدية: التصفيق؛ يقول: يفعلون ذلك مكان الصلاة.

قال مجاهد: وكانوا يفعلونه ليخلطوا على النبي عليه السلام الصلاة.

﴿فذوقوا العذاب﴾ يعني: القتل بالسَّيف قبل عذاب الآخرة ﴿بما كنتم تكفرون﴾.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ لِيَصُدُّوا۟ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ فَسَيُنفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ ۗ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِلَىٰ جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ ﴿٣٦﴾ لِيَمِيزَ ٱللَّهُ

---

(١) أي: ضمير فصل للتوكيد، وهو ما يسميه الكوفيون بالعماد. ينظر الكلام عليه من: الكتاب (١/ ٣٩٤ - ٣٩٥)، معاني القرآن للفراء (١/ ٤٠٩ - ٤١٠).

ٱلْخَبِيثَ مِنَ ٱلطَّيِّبِ وَيَجْعَلَ ٱلْخَبِيثَ بَعْضَهُۥ عَلَىٰ بَعْضٍ فَيَرْكُمَهُۥ جَمِيعًا فَيَجْعَلَهُۥ فِى جَهَنَّمَ أُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَـٰسِرُونَ ﴿٣٧﴾ قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِن يَنتَهُوا۟ يُغْفَرْ لَهُم مَّا قَدْ سَلَفَ وَإِن يَعُودُوا۟ فَقَدْ مَضَتْ سُنَّتُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٣٨﴾ وَقَـٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ كُلُّهُۥ لِلَّهِ فَإِنِ ٱنتَهَوْا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٣٩﴾ وَإِن تَوَلَّوْا۟ فَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ مَوْلَىٰكُمْ نِعْمَ ٱلْمَوْلَىٰ وَنِعْمَ ٱلنَّصِيرُ ﴿٤٠﴾﴾

﴿إن الذين كفروا ينفقون أموالهم ليصدوا عن سبيل اللَّه فسينفقونها...﴾ الآية.

لما هزم رسولُ اللَّه أهل بدر، رجعوا إلى مكة، فأخذوا ما جاءت به العير من الشام، فتجهزوا به لقتال النبي، واستنصروا بقبائل من قبائل العرب، فأوحى اللَّه إلى نبيه: ﴿إن الذين كفروا ينفقون أموالهم...﴾ إلى قوله: (ل١١٩) ﴿ليميز اللَّه الخبيث من الطيب﴾ يعني: نفقة المؤمنين من نفقة الكافرين ﴿ويجعل الخبيث بعضه على بعض فيركمه جميعًا فيجعله في جهنم﴾ معهم ﴿أولئك هم الخاسرون﴾ قال محمد: تقول: أَرْكُم الشيء رَكْمًا؛ إذا جعلت بعضه على بعض، والرُّكَام الاسم[1].

﴿قل للذين كفروا إن ينتهوا يغفر لهم ما قد سلف وإن يعودوا﴾ لقتال محمد ﴿فقد مضت سنة الأولين﴾ بالقتل والاستئصال في قريش يوم بدر، وفي غيرهم من الأولين ﴿وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة﴾ شرك؛ وهذه في مشركي العرب خاصة ﴿ويكون الدين كله للَّه﴾ يعني: الإسلام.

﴿فإن انتهوا﴾ عن كفرهم ﴿فإن اللَّه بما يعملون بصير﴾ .

---

(١) ينظر لسان العرب، القاموس المحيط (ركم).

﴿وإن تولوا﴾ يعني: أَبَوْا إلا القتال ﴿فاعلموا أن اللَّه مولاكم نعم المولى ونعم النصير﴾.

﴿وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا غَنِمْتُم مِّن شَىْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُۥ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَـٰمَىٰ وَٱلْمَسَـٰكِينِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ إِن كُنتُمْ ءَامَنتُم بِٱللَّهِ وَمَآ أَنزَلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا يَوْمَ ٱلْفُرْقَانِ يَوْمَ ٱلْتَقَى ٱلْجَمْعَانِ ۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٤١﴾ إِذْ أَنتُم بِٱلْعُدْوَةِ ٱلدُّنْيَا وَهُم بِٱلْعُدْوَةِ ٱلْقُصْوَىٰ وَٱلرَّكْبُ أَسْفَلَ مِنكُمْ ۚ وَلَوْ تَوَاعَدتُّمْ لَٱخْتَلَفْتُمْ فِى ٱلْمِيعَـٰدِ ۙ وَلَـٰكِن لِّيَقْضِىَ ٱللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا لِّيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنۢ بَيِّنَةٍ وَيَحْيَىٰ مَنْ حَىَّ عَنۢ بَيِّنَةٍ ۗ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَسَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٤٢﴾﴾

﴿واعلموا أنما غنمتم من شيءٍ فأن للَّه خمسه وللرسول ولذي القربى واليتامي والمساكين وابن السبيل﴾ قال الحسن: هذا عند القتال ما غنموا من شيءٍ، فللَّه خمسه يُرفعُ الخمس فيردّه اللَّه على الرسول، وعلى قرابة الرسول وعلى اليتامى والمساكين وابن السبيل؛ ذلك لهم على قدر ما يصلحهم، ليس لذلك وقت. وأربعة أخماس لمن قاتل عليه.

قال محمد: ذكر يحيى في قسمة الخمس اختلافًا؛ ولهذا موضعه من كتب الفقه .

﴿إن كنتم آمنتم باللَّه وما أنزلنا على عبدنا يوم الفرقان﴾ قال قتادة ومجاهد: هو يوم بدر فرّق اللَّه فيه بين الحق والباطل؛ فنصر اللَّه نبيه، وهزم عدوَّه ﴿يوم التقى الجمعان﴾ جمع المؤمنين، وجمع المشركين.

﴿ إذ أنتم بالعدوة الدنيا وهم بالعدوة القصوى﴾ .

قال قتادة: العدوتان: شفير الوادي؛ كان المسلمون بأعلاه، والمشركون

بأسفله ﴿والركب أسفل منكم﴾ قال الكلبي: يعني: أبا سفيان والعير؛ كان أبو سفيان والعير أسفل من الوادي - زعموا بثلاثة أميال - في طريق الساحل لا يعلم المشركون مكان عيرهم، ولا يعلم أصحاب العير مكان المشركين.

قال محمد: القراءة (أسْفَلَ) بالنصب(١)؛ على معنى: والركب مكانًا أسفل منكم(٢).

﴿ولو تواعدتم﴾ أنتم والمشركون ﴿لاختلفتم في الميعاد ولكن ليقضى الله أمرًا كان مفعولًا﴾ أي: فيه نصركم، والنعمة عليكم ﴿ليهلك من هلك عن بينة ويحيى من حيَّ عن بينة﴾ يعني: بعد الحجَّة .

﴿إِذْ يُرِيكَهُمُ ٱللَّهُ فِى مَنَامِكَ قَلِيلًا ۖ وَلَوْ أَرَىٰكَهُمْ كَثِيرًا لَّفَشِلْتُمْ وَلَتَنَٰزَعْتُمْ فِى ٱلْأَمْرِ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ سَلَّمَ ۗ إِنَّهُۥ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿٤٣﴾ وَإِذْ يُرِيكُمُوهُمْ إِذِ ٱلْتَقَيْتُمْ فِىٓ أَعْيُنِكُمْ قَلِيلًا وَيُقَلِّلُكُمْ فِىٓ أَعْيُنِهِمْ لِيَقْضِىَ ٱللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا ۗ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ ﴿٤٤﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَٱثْبُتُوا۟ وَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٤٥﴾﴾

﴿إذ يريكهم الله في منامك قليلًا ولو أراكهم كثيرًا لفشلتم ولتنازعتم في الأمر﴾ قال الكَلْبي: «إن رسول الله ﷺ لما سار إلى بدر، وأخبره الله بِسَيْرِ المشركين، أراه المشركين في منامه قليلًا، فقال رسول الله: أبشروا؛ فإن الله أراني المشركين في منامي قليلًا».

---

(١) وهي قراءة العامَّة. وقرأ زيد بن علي (أسفلُ) بالرفع؛ وذلك على سبيل الاتساع في الظرف. ينظر: البحر المحيط (٤/ ٥٠٠)، الدر المصون (٣/ ٤٢٣).

(٢) أي أن (أسفل) صفة موصوف محذوف، وأقيمت صفته مقامه، فانتصب (أسفل) على الظرف. كشف المشكلات (١/ ٥٠١ - ٥٠٢).

﴿ولو أراكهم كثيرًا لفشلتم﴾ أي: لجَبُنْتُمْ ﴿ولتنازعتم في الأمر﴾ أي: اختلفتم في أمر الله ورسوله ﴿ولكن الله سلم﴾ من ذلك.

﴿إنه﴾[1] إن الله ﴿عليمٌ بذات الصدور﴾ أي: بما فيها، يقول: من علمه بما في صدوركم قللهم في أعينكم، وأذهب الخوفَ الذي كان في صدوركم.

﴿وإذ يريكموهم إذ التقيتم في أعينكم قليلًا ويقللكم في أعينهم﴾ قال الكلبي: إن المسلمين لما عاينوا المشركين يوم بدر رأوهم قليلًا؛ فصدقوا رؤيا رسول الله، وقلّل الله المسلمين في أعين المشركين، فاجترأ المؤمنون على المشركين، واجترأ المشركون على المؤمنين ﴿ليقضي الله أمرًا كان مفعولًا﴾ أي: فيه نصركم.

﴿يا أيها الذين آمنوا إذا لقيتم فئة﴾ يعني: من المشركين ﴿فاثبتوا﴾ في صفوفكم. ﴿واذكروا الله كثيرًا﴾ قال قتادة: افترض الله ذكره عند الضراب بالسيوف.

﴿وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَنَٰزَعُوا۟ فَتَفْشَلُوا۟ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ ۖ وَٱصْبِرُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿٤٦﴾ وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ خَرَجُوا۟ مِن دِيَٰرِهِم بَطَرًا وَرِئَآءَ ٱلنَّاسِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ ﴿٤٧﴾ وَإِذْ زَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ وَقَالَ لَا غَالِبَ لَكُمُ ٱلْيَوْمَ مِنَ ٱلنَّاسِ وَإِنِّى جَارٌ لَّكُمْ ۖ فَلَمَّا تَرَآءَتِ ٱلْفِئَتَانِ نَكَصَ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ وَقَالَ إِنِّى بَرِىٓءٌ مِّنكُمْ إِنِّىٓ أَرَىٰ مَا لَا تَرَوْنَ إِنِّىٓ أَخَافُ ٱللَّهَ ۚ وَٱللَّهُ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٤٨﴾﴾

(١) ليست في الأصل.

﴿ولا تنازعوا﴾ أي: لا تختلفوا ﴿فتفشلوا﴾ أي: تَجْبُنُوا. ﴿وتذهب ريحكم﴾ أي: نصركم.

(ل١٢٠) ﴿ ولا تكونوا كالذين خرجوا من ديارهم بطرًا ورئاء الناس... ﴾ إلى قوله: ﴿والله شديدُ العقاب﴾ قال الكلبي: إن المشركين لما خرجوا من «مكة» إلى بدر أتاهم الخبر وهم بالجُحِفة قبل أن يصلوا إلى بدر أن عيرهم قد نجت، فأراد القوم الرجوع، فأتاهم إبليس في صورة سُراقة بن مالك بن جُعْشَم، فقال: يا قوم، لا ترجعوا حتى تستأصلوهم؛ فإنكم كثير، وعدوكم قليل فتأمن عيركم، وأنا جارٌ لكم على بني كنانة، ألا تمروا بحي من بني كنانة إلا أمدكم بالخيل والرجال والسلاح. فمضوا كما أمرهم للذي أراد الله من هلاكهم، فالتقوا هم والمسلمون ببدر، فنزلت الملائكة مع المسلمين في صف، وإبليس في صف المشركين في صورة سراقة بن مالك فلما نظر إبليس إلى الملائكة نكص على عقبيه، وأخذ الحارث بن هشام المخزومي بيده، فقال: يا سراقة، على هذه الحال تخذلنا؟! قال: إني أرى ما لا ترون؛ إني أخاف الله والله شديد العقاب. فقال له الحارث: ألا كان هذا القول أمْس؟ فلما رأى إبليس أن القوم قد أقبلوا إليهم دفع في صدر الحارث فخرَّ، وانطلق إبليس وانهزم المشركون، فلما قدموا مكة قالوا: إنما انهزم بالناس سراقةُ ونقض الصف، فبلغ ذلك سراقة، فقدم عليهم مكة، فقال: بلغني أنكم تزعمون أني انهزمت بالناس! فوالذي يحلف به سراقة، ما شعرت بمسيركم حتى بلغني هزيمتكم. فجعلوا يذكرونه؛ أما أتيتنا يوم كذا، وقلت لنا كذا. فجعل يحلف، فلما أسلموا علموا أنه الشيطان.

قال الكلبي: وكان صادقًا في قوله: ﴿إني أرى ما لا ترون﴾ وأما قوله:

﴿إني أخاف اللّه﴾ فكذب.

﴿إِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ غَرَّ هَٰؤُلَاءِ دِينُهُمْ ۗ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ (٤٩) وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ يَتَوَفَّى الَّذِينَ كَفَرُوا ۙ الْمَلَائِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَارَهُمْ وَذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ (٥٠) ذَٰلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيكُمْ وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ (٥١) كَدَأْبِ آلِ فِرْعَوْنَ ۙ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ ۗ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ شَدِيدُ الْعِقَابِ (٥٢)﴾

﴿إذ يقول المنافقون والذين في قلوبهم مرض﴾ أي: شك ﴿غر هؤلاء دينُهمْ﴾ قال الكلبي: بلغنا أن المشركين لما نفروا من «مكة» إلى بدر، نفر معهم أناسٌ قد كانوا تكلموا بالإسلام، فلما رأوا قلة المؤمنين، ارتابوا ونافقوا وقاتلوا مع المشركين، وقالوا: ﴿غرَّ هؤلاء دينُهمْ﴾ يعنون: المؤمنين.

قال اللّه: ﴿ومن يتوكل على اللّه فإن اللّه عزيزٌ﴾ في نقمته ﴿حكيم﴾ في أمره.

﴿ولو ترى إذ يتوفى الذين كفروا الملائكة يضربون وجوهَهُمْ وأدبارَهُمْ﴾ قال الضحاك بن مزاحم: هذا يوم بدر.

﴿كدأب آل فرعون﴾ يعني: كفعل. قال الحسن: فيها إضمار: فعلوا كفعل آل فرعون ﴿والذين من قبلهم﴾ من الكُفَّار ﴿فأخذهم اللّه بذنوبهم﴾.

﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِّعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَىٰ قَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ ۙ وَأَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ (٥٣) كَدَأْبِ آلِ فِرْعَوْنَ ۙ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ كَذَّبُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ فَأَهْلَكْنَاهُم بِذُنُوبِهِمْ وَأَغْرَقْنَا آلَ فِرْعَوْنَ ۚ وَكُلٌّ كَانُوا ظَالِمِينَ (٥٤) إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِندَ اللَّهِ الَّذِينَ

كَفَرُوا فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٥٥﴾ الَّذِينَ عَاهَدتَّ مِنْهُمْ ثُمَّ يَنقُضُونَ عَهْدَهُمْ فِي كُلِّ مَرَّةٍ وَهُمْ لَا يَتَّقُونَ ﴿٥٦﴾ فَإِمَّا تَثْقَفَنَّهُمْ فِي الْحَرْبِ فَشَرِّدْ بِهِم مَّنْ خَلْفَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ ﴿٥٧﴾ وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِن قَوْمٍ خِيَانَةً فَانبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَىٰ سَوَاءٍ ۚ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْخَائِنِينَ ﴿٥٨﴾ وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَبَقُوا ۚ إِنَّهُمْ لَا يُعْجِزُونَ ﴿٥٩﴾﴾

﴿ذلك بأن اللَّه لم يكُ مغيرًا نعمة أنعمها على قومٍ حتى يغيروا ما بأنفسهم﴾ يعني: إذا جحدوا الرسل، أهلكهم اللَّه.

﴿إن شر الدواب عند اللَّه﴾ يعني: الخلْق عند اللَّه ﴿الذين كفروا فهم لا يؤمنون﴾ هؤلاء الذين يموتون على كفرهم ﴿الذين عاهدتَ منهم ثم ينقضون عهدهم في كل مرة﴾ .

قال الكلبي: هؤلاء قوم ممن كان وادع رسول اللَّه ﷺ وكانوا ينقضون العهد، فأمر اللَّه فيهم بأمره، فقال: ﴿فإما تثقفنهم في الحرب﴾ أي: تظفر بهم.

﴿فشرد بهم من خلفهم﴾ أي: فعظ بهم مَنْ سواهم ﴿لعلهم يذكّرُون﴾ يقول: لعلهم يؤمنون؛ مخافة أن ينزل بهم ما نزل بالذين نقضوا العهد ﴿وإما تخافن﴾ أي: تعلمن ﴿من قوم خيانَةً﴾ يعني: نقضًا للعهد ﴿فانبذ إليهم على سواء﴾ أي: أعلمهم أنك حرب، ويكون الكفار كلهم عندك سواء ﴿إن اللَّه لا يحب الخائنين﴾ لا يعينهم إذا نقضوا العهد .

﴿ولا تحسبن[1] الذين كفروا سبقوا﴾ أي: فاتوا. ثم ابتدأ وقال: ﴿إنهم لا

---

(١) قرأ ابن عامر وحفص وحمزة ﴿يحسبن﴾ بالياء، والباقون ﴿تحسبن﴾ بالتاء. النشر (٢/ ٢٧٧) وتفسير القرطبي (٨/ ٣٣) وإتحاف الفضلاء (٢٩٩).

يعجزون﴾ لا يفوتون اللَّه حتى لا يقدر عليهم.

﴿وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنفِقُوا مِن شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ ﴿٦٠﴾ وَإِن جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿٦١﴾﴾

﴿وأعدوا لهم ما استطعتم من قوةٍ﴾ قال زيد بن أسلم: القُوَّة ها هنا: القتل ﴿ومن رباط الخيل ترهبون به﴾ أي: تخيفون ﴿عدو اللَّه وعدوكم﴾.

يحيى: عن [...][1] عن سليمان بن عبد الرحمن (ل١٢١) الدمشقي، عن القاسم مولى عبد الرحمن، عن عمرو بن عبسة قال: سمعت رسول اللَّه ﷺ يقول: «من رمى العدو بسهمٍ فبلغ سهمُه؛ أصاب العدو أو أخطأ - فهو كعتق رقبة»[2].

يحيى: عن المُعَلَّى، عن عمرو بن عبد اللَّه، عن مكحول قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «من ارتبط فرسًا في سبيل اللَّه، فهو كالباسط يده بالصدقة»[3].

---

(١) طمس في «الأصل».

(٢) رواه ابن ماجه (٢/ ٩٤٠ رقم ٢٨١٢) والحاكم (٢/ ٩٦) والبيهقي في السنن (٩/ ١٦٢) من طريق ابن وهب عن عمرو بن الحارث عن سليمان بن عبد الرحمن به، أخرجه الحاكم شاهدًا. وللحديث طرق أخرى.

(٣) رواه ابن حبان (١٠/ ٥٣٠ رقم ٤٦٧٤) والطبراني في الكبير (٢٢ / ٣٣٩ رقم ٨٤٩) وأبو عوانة (٤/ ٤٤٩ رقم ٧٢٩٤) والحاكم (٢/ ٩١) عن أبي كبشة الأنماري بنحوه، وقال الحاكم: هذا حديث صحيح الإسناد، ولم يخرجاه بهذه الزيادة
ورواه الإمام أحمد (٤/ ١٧٩ - ١٨٠) وأبو داود (٤/ ٤١٥ - ٤١٦ رقم ٤٠٨٦) والطبراني في الكبير (٦/ ٩٤ - ٩٥ رقم ٥٦١٦ ، ٥٦١٧) والحاكم (٢/ ٩١ - ٩٢) عن سهل ابن الحنظلية بنحوه، أخرجه الحاكم شاهدًا. =

﴿وآخرين من دونهم﴾ من دون المشركين؛ يعني: المنافقين ﴿لا تعلمونهم الله يعلمهم﴾.

قال محمد: (وآخرين) عطف على: ﴿ترهبون به عدو الله وعدوكم﴾ وترهبون به آخرين من دونهم[١].

﴿وإن جنحوا﴾ مالوا ﴿للسلم فاجنح لها﴾.

قال محمد: السلم ها هنا: الصُّلْحُ؛ ومنه قول الشاعر:

السِّلْمُ تأخذ منها ما رضيت به
والحرب يكفيك من أنفاسها جُرَعُ[٢]

﴿وَإِن يُرِيدُوٓا۟ أَن يَخْدَعُوكَ فَإِنَّ حَسْبَكَ ٱللَّهُ ۚ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَيَّدَكَ بِنَصْرِهِۦ وَبِٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٦٢﴾ وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ ۚ لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مَّآ أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَـٰكِنَّ ٱللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ ۚ إِنَّهُۥ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٦٣﴾ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ حَسْبُكَ ٱللَّهُ وَمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٦٤﴾﴾

قوله: ﴿وإن يريدوا أن يخدعوك﴾ قال الحسن: يعني: المشركين، يقول: إن هم أظهروا لك الإيمان وأسروا الكفر؛ ليخدعوك بذلك؛ لتعطيهم حقوق المؤمنين، وتكف عن دمائهم وأموالهم ﴿فإن حسبك الله هو الذي أيدك﴾ أعانك ﴿بنصره وبالمؤمنين وألف بين قلوبهم﴾ يعني: المؤمنين ﴿لو أنفقت ما

= وروى ابن حبان (١٠/ ٥٣٠ رقم ٤٦٧٥) عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «مثل المنفق على الخيل كالمتكفف بالصدقة» فسئل معمر: ما المتكفف بالصدقة؟ قال: الذي يعطى بكفيه.

(١) البحر المحيط (٤/ ٥١٣)، الدر المصون (٣/ ٤٣٢).

(٢) البيت لعباس بن مرداس، وهو من بحر البسيط. ينظر: خزانة الأدب (٤/ ١٨) حاشية يس (٢/ ٢٨٦)، البحر المحيط (٢/ ١٢٠).

في الأرض جميعًا ما ألفت بين قلوبهم ولكن اللَّه ألَّف بينهم﴾ يعني: أنهم كانوا أهل جاهلية يقتل بعضهم بعضًا متعادين؛ فألف اللَّه بين قلوبهم حتى تحابوا، وذهبت الضغائن التي كانت بينهم بالإسلام.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ حَرِّضِ ٱلْمُؤْمِنِينَ عَلَى ٱلْقِتَالِۚ إِن يَكُن مِّنكُمْ عِشْرُونَ صَٰبِرُونَ يَغْلِبُوا۟ مِا۟ئَتَيْنِۚ وَإِن يَكُن مِّنكُم مِّا۟ئَةٌ يَغْلِبُوٓا۟ أَلْفًا مِّنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَفْقَهُونَ ﴿٦٥﴾ ٱلْـَٰٔنَ خَفَّفَ ٱللَّهُ عَنكُمْ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفًاۚ فَإِن يَكُن مِّنكُم مِّا۟ئَةٌ صَابِرَةٌ يَغْلِبُوا۟ مِا۟ئَتَيْنِۚ وَإِن يَكُن مِّنكُمْ أَلْفٌ يَغْلِبُوٓا۟ أَلْفَيْنِ بِإِذْنِ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿٦٦﴾ مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَكُونَ لَهُۥٓ أَسْرَىٰ حَتَّىٰ يُثْخِنَ فِى ٱلْأَرْضِۚ تُرِيدُونَ عَرَضَ ٱلدُّنْيَا وَٱللَّهُ يُرِيدُ ٱلْـَٔاخِرَةَۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٦٧﴾ لَّوْلَا كِتَٰبٌ مِّنَ ٱللَّهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمْ فِيمَآ أَخَذْتُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٦٨﴾ فَكُلُوا۟ مِمَّا غَنِمْتُمْ حَلَٰلًا طَيِّبًاۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٦٩﴾﴾

﴿يا أيها النبي حسبك اللَّه ومن اتبعك من المؤمنين﴾ أي: وحسب من اتبعك.

﴿يا أيها النبي حرض المؤمنين﴾ حُثَّهم ﴿على القتال﴾ بما وعد اللَّه الشهداء والمجاهدين.

قال محمد: التحريض في اللغة: أن يحث الإنسان على الشيء حتى يعلم منه أنه حارضٌ إن تخلَّف عنه، والحارض: الذي قد قارب الهلاك(١).

﴿إن يكن منكم عشرون صابرون...﴾ إلى قوله: ﴿واللَّه مع الصابرين﴾ قال الحسن: كان اللَّه قد فرض على المسلمين في هذه الآية أن يصبروا لعشرة

---

(١) ينظر: لسان العرب، القاموس المحيط (حرض).

أمثالهم، ثم نسخها ﴿الآن خفف اللَّه عنكم وعلم أن فيكم ضعفًا فإن تكن منكم مائة صابرة يغلبوا مائتين وإن يكن منكم ألفٌ يغلبوا ألفين بإذن اللَّه﴾ فأمر اللَّه المسلمين أن يصبروا لمثليهم؛ إذا لقوهم فلم يقبض رسول اللَّه ﷺ حتى أظهر اللَّه الدين وأعزَّه، وصار الجهاد تطوُّعًا.

قال ابن عباس: «فَمَن فرَّ من ثلاثة من المشركين فلمْ يفرَّ، ومن فرَّ من اثنيْن فقد فرَّ، ولا ينبغي لرجل من المسلمين أن يفر من رجلين من المشركين».

﴿ما كان لنبي أن يكون له أسرى حتى يثخن في الأرض...﴾ إلى قوله: ﴿عذاب عظيم﴾.

قال الكلبي: يقول: ما كان لنبي قبلك يا محمد أن يكون له أسرى حتى يثخن في الأرض ﴿تريدون عرض الدنيا واللَّه يريد الآخرة﴾ كان هذا في أسرى بدر، يقول: فأخذتم الفداء من الأسرى في أول وقعة كانت في المشركين من قبل أن تثخنوا في الأرض.

قال الحسن: ولم يكن أوحي إلى النبي في ذلك شيء؛ فاستشار المسلمين، فأجمعوا رأيهم على قبول الفداء. قال محمد: الإثخان في الشيء (قوة)[١] الشيء[٢]، ومعنى يثخن في الأرض أي يتمكن[٣].

﴿لولا كتابٌ من اللَّه سبق﴾ أنكم أنتم الذين تأكلون الغنائم.

﴿لمسكم فيما أخذتم عذابٌ عظيم﴾ قال قتادة: لم تحلَّ الغنيمة إلا لهذه

---

(١) هكذا في الأصل، ولعل الصواب: تقوية.

(٢) وهو مأخوذ من ثَخُن يَثْخُن ثُخُونة وثَخَانة؛ أي: غَلظ وصَلُب. ينظر: لسان العرب، القاموس المحيط (ثخن).

(٣) ويقال: أثخن في الأرض: بالغ في قتل أعدائه. ينظر: لسان العرب، المعجم الوسيط (ثخن).

الأمة؛ كانت تجمع فتنزل عليها النار من السماء فتأكلها.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّمَن فِيٓ أَيْدِيكُم مِّنَ ٱلْأَسْرَىٰٓ إِن يَعْلَمِ ٱللَّهُ فِي قُلُوبِكُمْ خَيْرًا يُؤْتِكُمْ خَيْرًا مِّمَّآ أُخِذَ مِنكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٧٠﴾ وَإِن يُرِيدُوا۟ خِيَانَتَكَ فَقَدْ خَانُوا۟ ٱللَّهَ مِن قَبْلُ فَأَمْكَنَ مِنْهُمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٧١﴾﴾

﴿يا أيها النبي قل لمن في أيديكم من الأسرى إن يعلم الله في قلوبكم خيرًا﴾ يعني: إسلامًا ﴿يؤتكم خيرًا﴾ (ل١٢٢)[1] أسروا يوم بدر ﴿فقد خانوا الله من قبل﴾ يعني: فقد كفروا بالله من قبل ﴿فأمكن منهم﴾ حتى صاروا أسرى في بدر.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَهَاجَرُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ ءَاوَوا۟ وَّنَصَرُوٓا۟ أُو۟لَٰٓئِكَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَمْ يُهَاجِرُوا۟ مَا لَكُم مِّن وَلَٰيَتِهِم مِّن شَيْءٍ حَتَّىٰ يُهَاجِرُوا۟ ۚ وَإِنِ ٱسْتَنصَرُوكُمْ فِي ٱلدِّينِ فَعَلَيْكُمُ ٱلنَّصْرُ إِلَّا عَلَىٰ قَوْمٍۭ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَٰقٌ ۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٧٢﴾ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ إِلَّا تَفْعَلُوهُ تَكُن فِتْنَةٌ فِي ٱلْأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ ﴿٧٣﴾ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَهَاجَرُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ ءَاوَوا۟ وَّنَصَرُوٓا۟ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا ۚ لَّهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٧٤﴾ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنۢ بَعْدُ وَهَاجَرُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ مَعَكُمْ فَأُو۟لَٰٓئِكَ مِنكُمْ ۚ وَأُو۟لُوا۟ ٱلْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَٰبِ ٱللَّهِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌۢ ﴿٧٥﴾﴾

﴿إن الذين آمنوا وهاجروا﴾ إلى «المدينة» يعني: المهاجرين ﴿والذين آوَوْا ونصروا﴾ يعني: الأنصار؛ أوَوْا المهاجرين، ونصروا الله ورسوله ﴿أولئك

---

(١) طمس في الأل قدر سطر.

بعضهم أولياء بعض﴾ يعني: المهاجرين والأنصار.

﴿والذين آمنوا [ولم يهاجروا][(١)] ما لكم من ولايتهم من شيء﴾ يعني: في الدين ﴿حتى يهاجروا﴾ قال قتادة: نزلت هذه الآية، فتوارث المسلمون بالهجرة زمانًا، وكان لا يرث الأعرابي المسلم من قريبه المهاجر المسلم شيئًا، ثم نسخ ذلك في سورة الأحزاب؛ فقال: ﴿وأولوا الأرحام بعضهم أولى ببعض في كتاب اللّه من المؤمنين والمهاجرين﴾[(٢)] فخلط اللّه المسلمين بعضهم ببعض، وصارت المواريث بالملل[(٣)].

﴿وإن استنصروكم في الدين﴾ يعني: الأعراب ﴿فعليكم النصر﴾ لهم؛ لحرمة الإسلام.

﴿إلا على قوم بينكم وبينهم ميثاق﴾ يعني: أهل الموادعة والعهد من مشركي العرب. قال قتادة: نهي المسلمون عن نقض ميثاقهم.

﴿والذين كفروا بعضهم أولياء بعض﴾ نزلت حين أمر النبي بقتال المشركين كافة، وكان قوم من المشركين بين رسول اللّه وبين قريش؛ فإذا أرادهم رسول اللّه قالوا: ما تريد منا ونحن [...][(٤)] عنكم وقد نرى ناركم؟ وكان أهل الجاهلية يعظِّمون النار؛ لحرمة قرب الجوار؛ لأنهم إذا رأوا نارهم فهم جيرانهم، وإذا أرادهم المشركون قالوا: ما تريدون منا ونحن على دينكم؟ فأنزل اللّه: ﴿والذين كفروا بعضهم أولياء بعض﴾ أي: فألحقوا المشركين

---

(١) سقط من الأصل.

(٢) الأحزاب: ٦.

(٣) أي المسلمين يرث بعضهم بعضًا فيتوارث الأعراب والمهاجرون، ولا يتوارث أهل ملتين. وأثر قتاده رواه عبد الرزاق في تفسيره (١/ ٢٦٢) والطبري (١٠/ ٥٣، ٥٤) وغيرهما.

(٤) طمس في الأصل.

بعضهم ببعض حتى يكون حكمكم فيهم واحدًا.

﴿إلا تفعلوه تكن فتنةٌ﴾ أي: شرك ﴿في الأرض وفسادٌ كبير﴾ لأن الشرك إذا كان في الأرض فهو فسادٌ كبير.

﴿والذين آمنوا من بعد﴾ يعني: من بعد فتح «مكة» وبعد ما انقطعت الهجرة ﴿وهاجروا وجاهدوا معكم فأولئك منكم﴾.

يحيى: عن حماد بْن سلمة، عن أبي الزبير، عن طاوس «أنَّ صفوان بن أمية وسُهيل بن عمرو وعكرمة بن أبي جهل قدموا المدينة؛ فقال لهم النبي: ما جاء بكم؟ فقالوا: سمعنا أنه لا إيمان لمن لم يهاجر، فقال: إن الهجرة قد انقطعت، ولكن جهادٌ ونيَّةٌ حسنةٌ. ثم قال لصفوان بن أمية: أقسمت عليك أبا وهْب لترجعَنَّ إلى أباطِيح مكة»[1].

﴿وأولوا الأرحام بعضهم أولى ببعض في كتاب اللَّه﴾ قال محمد: أي: في فرض اللَّه؛ ذكره بعض المفسرين.

﴿إن اللَّه بكل شيء عليم﴾.

سعيد، عن قتادة؛ أنَّ أبا بكرٍ الصديق قال: «إن هذه الآية التي ختم اللَّه بها سورة الأنفال هي فيما جَرَّت الرحم من العصبة».

قال محمدٌ: ﴿أولو الأرحام﴾ واحِدُهُمْ: (ذو) من غير لفظه[2].

❁ ❁ ❁

---

(١) رواه سعيد بن منصور في سننه (٢/١٣٧ رقم ٢٣٥٢) عن عمرو بن دينار عن طاوس بنحوه.

(٢) حيث إن (أُولي) مُلْحقة بجمع المذكر السالم. ويجمع (ذو) على (ذوون). ينظر: شذا العرف (٧١)، لسان العرب (ذو).

تفسير سورة براءة وهي مدنيةٌ كُلُّها

قال يحيى: وحدَّثني أبو الجرَّاح المهري، عن عوف، عن يزيد الفارسي، عن ابن عباس قال: «قلت لعثمانَ بن عفان: كيف جعلتم الأنفال وهي من المئين مع براءة وهي من الطوال، ولم تكتبوا بينهما سطر «بسم اللَّه الرحمن الرحيم» فقال: إن رسول اللَّه ﷺ كانت تنزل عليه الثلاث الآيات والأربع الآيات، وأقل من ذلك وأكثر؛ فيقول: اجعلوا آية كذا وكذا في سورة كذا وكذا من موضع كذا وكذا. وإنه قبض ولم يقل لنا في الأنفال شيئًا، ونظرنا فرأينا قصصهما متشابهًا، فجعلناها معها ولم نكتب بينهما سطر: بسم اللَّه الرحمن الرحيم»[1].

﴿بَرَآءَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦٓ إِلَى ٱلَّذِينَ عَٰهَدتُّم مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١﴾ فَسِيحُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِى ٱللَّهِ ۙ وَأَنَّ ٱللَّهَ مُخْزِى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٢﴾ وَأَذَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦٓ إِلَى ٱلنَّاسِ يَوْمَ ٱلْحَجِّ ٱلْأَكْبَرِ أَنَّ ٱللَّهَ بَرِىٓءٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ۙ وَرَسُولُهُۥ ۚ فَإِن تُبْتُمْ فَهُوَ خَيْرٌ

---

(١) رواه الإمام أحمد (١/ ٥٧، ٦٩) وأبو داود (١/ ٥٠٨ - ٥٠٩ رقم ٧٨٢ ، ٧٨٣) والنسائي في الكبرى (٥/ ١٠ رقم ٨٠٠٧) والترمذي (٥/ ٢٥٤ رقم ٣٠٨٦) وابن أبي داود في المصاحف (٣٩ - ٤٠) - ومن طريقه الضياء في المختارة (١/ ٤٩٤ - ٤٩٥ رقم ٣٦٥ ، ٣٦٦) - وابن حبان (١/ ٢٣٠ - ٢٣١ رقم ٤٣) والحاكم (٢/ ٢٢١ ، ٣٣٠) والطحاوي في شرح معاني الآثار (١/ ٢٠١ - ٢٠٢) والبزار في مسنده (٢/ ٨ رقم ٣٤٤) والبيهقي في السنن (٢/ ٤٢) وفي الدلائل (٧/ ١٥٢ - ١٥٣) من طرق عن عوف الأعرابي به.
وقال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح.
وقال الحاكم في الموضع الأول: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين، ولم يخرجاه.
وقال في الموضع الثاني: هذا حديث صحيح الإسناد، ولم يخرجاه.
وقال البزار: وهذا الحديث لا نعلمه يروى عن رسول اللَّه ﷺ إلا من هذا الوجه، ولا نعلم رواه عن رسول اللَّه ﷺ إلا عثمان، ولا روى ابن عباس عن عثمان إلا هذا الحديث.

لَكُمْ وَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَاعْلَمُوٓا أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِى ٱللَّهِ وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ عَٰهَدتُّم مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ثُمَّ لَمْ يَنقُصُوكُمْ شَيْـًٔا وَلَمْ يُظَٰهِرُوا عَلَيْكُمْ أَحَدًا فَأَتِمُّوٓا إِلَيْهِمْ عَهْدَهُمْ إِلَىٰ مُدَّتِهِمْ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٤﴾﴾

(ل١٢٣) قوله: ﴿براءة من اللَّه ورسوله إلى الذين عاهدتم من المشركين﴾ يقول لنبي اللَّه وأصحابه: براءة العهد الذي كان بين رسول اللَّه وبين مشركي العرب ﴿فسيحوا في الأرض﴾ أي: اذهبوا ﴿أربعة أشهر﴾ يقوله لأهل العهد من المشركين ﴿واعلموا أنكم غيرُ معجزي اللَّه﴾ سابقي اللَّه حتى لا يقدر عليكم ﴿وأن اللَّه مخزي الكافرين﴾.

﴿وأذان من اللَّه ورسوله﴾ أي: وإعْلَامٌ من اللَّه ورسوله.

﴿إلى الناس يوم الحج الأكبر﴾ وهو يوم النحر﴿أنّ اللَّه بريءٌ من المشركين ورسوله﴾ إن لم يؤمنوا.

تفسير مجاهد: أقبل رسول اللَّه من تبوك حين فرغ منها؛ فأراد أن يحج. ثم قال: إنه يحضر البيت مشركون يطوفون عراة، ولا أحبُّ أن أحج حتى لا يكون ذلك. فأرسل أبا بكر وعليًا فطافا في الناس بذي المجاز، وبأمكنتهم التي كانوا يتبايعون فيها، وبالموْسِم كله، فآذنوا أصحاب العهد بأن يأمنوا أربعة [أشهر][1] من يوم النحر إلى عشر ليال يمضين من شهر ربيع الآخر، ثم لا عهْدَ.

وقال قتادة: إن أبا بكر أُمِّر على الحاج يومئذٍ، ونادى عليٌّ فيه بالأذان، وكان عامًا حج فيه المسلمون والمشركون.

---

(١) سقط من الأصل.

وقال الحسن: كان النبي قد أَمَّر أبا بكر أن يؤذن الناس بالبراءة، فلما مضى دعاه، فقال: إنه لا يبلغ عَنِّي في هذا الأمر إلا من هو من أهل بيتي»[١].

قال محمد: قال بعض العلماء: إنما أمر النبي عَلَيْهِ السَّلَامُ عليًا بذلك دون أبي بكر؛ لأن العرب كانت جرت عادتهم في عقد عهودها لو نقضتها أن يتولَّى ذلك على القبيلة رجلٌ منها، فكان جائزًا أن تقول العرب: [إذن عليك][٢] نقض العهود من الرسول، هذا خلاف ما نعرف فينا في نقض العهود؛ فأزاح ﷺ العلَّة، وكان هذا في سنة تسعٍ من الهجرة، بعد افتتاح مكة بسنة.

قال محمدٌ: قوله: ﴿براءة﴾ يجوز الرفع فيها على وجهين:

أحدهما: على خبر الابتداء؛ على معنى هذه الآيات: ﴿براءةٌ من اللَّه ورسوله﴾.

وعلى الابتداء، ويكون الخبرُ ﴿إلَّا الذين عاهدتم﴾[٣].

قوله: ﴿فإن تبتُم﴾ يقول للمشركين: فإن تبتم من الشرك ﴿فهو خيرٌ لكم وإن توليتم﴾ عن اللَّه ورسوله.

﴿فاعلموا أنكم غير معجزي اللَّه وبشر الذين كفروا بعذابٍ أليم﴾ يعني: القتل قبل عذاب الآخرة، ثم رجع إلى قصة أصحاب العهد؛ فقال: ﴿إلا الذين عاهدتم من المشركين ثم لم ينقصوكم شيئًا﴾ أي: لم يضروكم ﴿ولم يظاهروا﴾ يعاونوا ﴿عليكم أحدًا﴾ من المشركين ﴿فأتموا إليهم عهدهم إلى مُدّتِهم﴾.

---

(١) ورد عن أنس وعلي وسعد بن أبي وقاص وغيرهم، انظر الدر المنثور (٣/ ٢٢٦ - ٢٢٨).

(٢) هكذا بالأصل.

(٣) ينظر: إعراب القرآن (٢/ ٣)، البحر المحيط (٥/ ٤ - ٦)، معاني القرآن للفراء (١/ ٤٢٠).

﴿فَإِذَا ٱنسَلَخَ ٱلْأَشْهُرُ ٱلْحُرُمُ فَٱقْتُلُوا۟ ٱلْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَٱحْصُرُوهُمْ وَٱقْعُدُوا۟ لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ ۚ فَإِن تَابُوا۟ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ فَخَلُّوا۟ سَبِيلَهُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ۝٥ وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ٱسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُۥ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْلَمُونَ ۝٦﴾

﴿فإذا انسلخ الأشهر الحرم﴾ قال الحسن: رجع إلى قصة أصحاب العهد، والأشهر الحرم في هذا الموضع: هي الأشهر التي أُجلوا آخر عشر ليالٍ يمضين من شهر ربيع الآخر، وسماها حرمًا؛ لأنه نهى عن قتالهم فيها وحرَّمَهُ.

﴿فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم وخذوهم واحصروهم واقعدوا لهم كل مَرْصدٍ﴾ يعني: على كل طريق تأمرون بقتالهم في الحل والحرم وعند البيت.

قال محمد: قوله: ﴿وخذوهم﴾ معناه: وَأْسروهم؛ يقال للأسير: أَخِيذٌ، ومعنى ﴿واحصروهم﴾: احبسوهم؛ الحَصْرُ: الحَبْسُ[1].

﴿فإن تابوا﴾ يعني: من الشرك ﴿وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة﴾ يعني: أقروا بها ﴿فخلوا سبيلهم﴾.

﴿وإن أحد من المشركين استجارك﴾ ليسمع كلام اللَّه ﴿فأجره حتى يسمع كلام اللَّه﴾ فإن أسلم أسلم، وإن أبى أن يسلم فأبلغه ﴿مأمنه﴾ أي: لا تحركه حتى يبلغ مأمنه.

قال الحسن: هي مُحْكَمَةٌ إلى يوم القيامة.

---

(١) لسان العرب (أخذ)، (حصر).

﴿كَيْفَ يَكُونُ لِلْمُشْرِكِينَ عَهْدٌ عِندَ ٱللَّهِ وَعِندَ رَسُولِهِۦٓ إِلَّا ٱلَّذِينَ عَٰهَدتُّمْ عِندَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ۖ فَمَا ٱسْتَقَٰمُوا۟ لَكُمْ فَٱسْتَقِيمُوا۟ لَهُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٧﴾ كَيْفَ وَإِن يَظْهَرُوا۟ عَلَيْكُمْ لَا يَرْقُبُوا۟ فِيكُمْ إِلًّا وَلَا ذِمَّةً ۚ يُرْضُونَكُم بِأَفْوَٰهِهِمْ وَتَأْبَىٰ قُلُوبُهُمْ وَأَكْثَرُهُمْ فَٰسِقُونَ ﴿٨﴾ ٱشْتَرَوْا۟ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَصَدُّوا۟ عَن سَبِيلِهِۦٓ ۚ إِنَّهُمْ سَآءَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٩﴾ لَا يَرْقُبُونَ فِى مُؤْمِنٍ إِلًّا وَلَا ذِمَّةً ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُعْتَدُونَ ﴿١٠﴾ فَإِن تَابُوا۟ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ فَإِخْوَٰنُكُمْ فِى ٱلدِّينِ ۗ وَنُفَصِّلُ ٱلْـَٔايَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿١١﴾﴾

﴿كيف يكون للمشركين عهدٌ عند اللَّه وعند رسوله إلا الذين عاهدتم عند المسجد الحرام﴾ أي: ليس العهد إلا لهؤلاء الذين لم ينكثوا.

﴿فما استقاموا لكم﴾ على العهد ﴿فاستقيموا لهم﴾ عليه.

﴿إن اللَّه يحب المتقين﴾.

﴿كيف وإن يظهروا عليكم﴾ (ل١٢٤) أي: كيف يكون للمشركين عهدٌ عند اللَّه وعند رسوله، وإن يظهروا عليكم ﴿لا يرقبوا فيكم إلًّا ولا ذمة﴾ الإلُّ: الجوار، والذمة: العهد ﴿اشتروا بآيات اللَّه ثمنًا قليلًا﴾ يريد: متاع الدنيا ﴿فصدوا عن سبيله﴾.

﴿وَإِن نَّكَثُوٓا۟ أَيْمَٰنَهُم مِّنۢ بَعْدِ عَهْدِهِمْ وَطَعَنُوا۟ فِى دِينِكُمْ فَقَٰتِلُوٓا۟ أَئِمَّةَ ٱلْكُفْرِ ۙ إِنَّهُمْ لَآ أَيْمَٰنَ لَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَنتَهُونَ ﴿١٢﴾ أَلَا تُقَٰتِلُونَ قَوْمًا نَّكَثُوٓا۟ أَيْمَٰنَهُمْ وَهَمُّوا۟ بِإِخْرَاجِ ٱلرَّسُولِ وَهُم بَدَءُوكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ ۚ أَتَخْشَوْنَهُمْ ۚ فَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَوْهُ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٣﴾﴾

﴿وإن نكثوا أيمانهم من بعد عهدهم وطعنوا في دينكم . . .﴾ إلى قوله: ﴿والله عليمٌ حكيمٌ﴾ تفسير الكلبي: أن رسول الله ﷺ كان وادعَ أهل مكة سنةً؛ وهو يومئذٍ بالحديبية، فحبسوه عن البيت، ثم صالحوه؛ على أنك ترجع عامك هذا ولا تطأ بلدنا، ولا تنحر البدن من أرضنا، وأن نخليها لك عامًا قابلًا ثلاثة أيام، ولا تأتينا بالسلاح إلا سلاحًا تجعلها في قِرَاب[1] وأنه من صبأ منا إليك فهو إلينا ردٌّ. فصالحهم رسول الله على ذلك، فمكثوا ما شاء الله أن يمكثوا، ثم إن حلفاء رسول الله من خُزَاعة قاتلوا حلفاء بني أمية من بني كنانة؛ فأمدَّت بنو أمية حلفاءهم بالسلاح والطعام، فركب ثلاثون رجلًا من حلفاء رسول الله من خزاعة فيهم بُدَيْل بن ورقاء، فناشدوا رسول الله الحلف، فأمر رسول الله عليه السلام أن يعين حلفاءه وأنزل الله على نبيه: ﴿وإن نكثوا أيمانهم من بعد عهدهم وطعنوا في دينكم فقاتلوا أئمة الكفر إنهم لا أيمان لهم﴾: لا عهد لهم ﴿لعلهم ينتهون﴾.

﴿ألا تقاتلون قومًا نكثوا أيمانهم﴾ نكثوا عهدهم ﴿وهموا بإخراج الرسول﴾ قال الحسن: من المدينة ﴿وهم بدءوكم أول مرَّة﴾ فاستحلوا قتال حلفائكم ﴿أتخشونهم﴾ على الاستفهام؛ فلا تقاتلونهم ﴿فالله أحق﴾ أولى ﴿أن تخشوه إن كنتم مؤمنين﴾ يعني: إذا كنتم مؤمنين.

﴿قَٰتِلُوهُمْ يُعَذِّبْهُمُ ٱللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ وَيُخْزِهِمْ وَيَنصُرْكُمْ عَلَيْهِمْ وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُّؤْمِنِينَ ﴿١٤﴾ وَيُذْهِبْ غَيْظَ قُلُوبِهِمْ ۗ وَيَتُوبُ ٱللَّهُ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿١٥﴾ أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تُتْرَكُوا۟ وَلَمَّا يَعْلَمِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ جَٰهَدُوا۟ مِنكُمْ وَلَمْ يَتَّخِذُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَا

---

(١) هو غمد السيف ونحوه. والجمع: قُرُب وأقْرِبة. لسان العرب (قرب).

رَسُولِهِۦ وَلَا ٱلْمُؤْمِنِينَ وَلِيجَةً وَٱللَّهُ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٦﴾﴾

﴿قاتلوهم يعذبهم اللَّه بأيديكم﴾ يعني: القتل ﴿ويخزهم وينصركم عليهم ويشف صدور قوم مؤمنين ويذهب غيظ قلوبهم﴾ والقوم المؤمنون الذين شفى اللَّه صدورهم: حلفاء رسول اللَّه من مؤمني خزاعة، فأصابوا يومئذٍ وهو يوم فتح مكة مِقْيَسَ بْن صبابة في خمسين رجلًا من قومه ﴿ويتوب اللَّه على من يشاء﴾ ليس بجوابٍ لقوله: ﴿قاتلوهم﴾ ولكنه مستأنف[١].

قوله: ﴿أم حسبتم أن تتركوا ولما يعلم اللَّه الذين جاهدوا منكم﴾.

قال محمد: قد علم اللَّه قبل أمرهم بالقتال من يقاتل ممن لا يقاتل، لكنه كان يعلم ذلك غيبًا؛ فأراد اللَّه العلم الذي يجازي عليه، وتقوم به الحجة؛ وهو علم الفعال.

﴿ولم يتخذوا من دون اللَّه ولا رسوله ولا المؤمنين وليجة﴾ بِطَانةً.

قال محمد: ﴿وليجة﴾ مأخوذة من: الولوج[٢]؛ وهو أن يتخذ رجلٌ من المسلمين دخيلًا من المشركين وخليطًا.

﴿مَا كَانَ لِلْمُشْرِكِينَ أَن يَعْمُرُوا مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ شَٰهِدِينَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِم بِٱلْكُفْرِ أُو۟لَٰٓئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ وَفِى ٱلنَّارِ هُمْ خَٰلِدُونَ ﴿١٧﴾ إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا ٱللَّهَ فَعَسَىٰٓ أُو۟لَٰٓئِكَ أَن يَكُونُوا۟ مِنَ ٱلْمُهْتَدِينَ ﴿١٨﴾﴾

﴿ما كان للمشركين أن يعمروا مساجد اللَّه شاهدين على أنفسهم بالكفر﴾

---

(١) ينظر: البحر (٥/ ١٧)، الدر المصون (٣/ ٤٥٢).

(٢) وتجمع (وليجة) على: (ولائج) ينظر: لسان العرب (ولج).

هذا حين نفي المشركون عن المسجد الحرام.

قال محمد: ﴿شاهدين﴾ حال؛ المعنى: ما كانت لهم عمارة المسجد في حال إقرارهم بالكفر.

﴿إنما يعمر مساجد اللَّه من آمن باللَّه واليوم الآخر...﴾ الآية و﴿عسى﴾ من اللَّه واجبة.

﴿أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ ٱلْحَآجِّ وَعِمَارَةَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ كَمَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ وَجَٰهَدَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ لَا يَسْتَوُۥنَ عِندَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٩﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَهَاجَرُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ أَعْظَمُ دَرَجَةً عِندَ ٱللَّهِ ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ ﴿٢٠﴾ يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُم بِرَحْمَةٍ مِّنْهُ وَرِضْوَٰنٍ وَجَنَّٰتٍ لَّهُمْ فِيهَا نَعِيمٌ مُّقِيمٌ ﴿٢١﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥٓ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿٢٢﴾﴾

﴿أجعلتم سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام﴾ قال مجاهد: أُمِروا بالهجرة، فقال عباس بن عبد المطلب: أنا أسقي الحاج، وقال طلحة أخو بني عبد الدار: أنا حاجب الكعبة؛ فلا نهاجر. فنزلت هذه الآية إلى قوله: ﴿إن اللَّه عنده أجرٌ عظيمٌ﴾ وكان هذا قبل فتح مكة.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوٓا۟ ءَابَآءَكُمْ وَإِخْوَٰنَكُمْ أَوْلِيَآءَ إِنِ ٱسْتَحَبُّوا۟ ٱلْكُفْرَ عَلَى ٱلْإِيمَٰنِ ۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٢٣﴾ قُلْ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَٰنُكُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَٰلٌ ٱقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَٰرَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَٰكِنُ تَرْضَوْنَهَآ أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَجِهَادٍ فِى سَبِيلِهِۦ فَتَرَبَّصُوا۟ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٢٤﴾﴾

﴿يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا آباءكم وإخوانكم أولياء إن استحبوا الكفر على الإيمان...﴾.

﴿فتربصوا حتى يأتي الله بأمره﴾ قال مجاهد: يعني: فتح مكة.

﴿والله لا يهدي القوم الفاسقين﴾ المشركين الذين يموتون على شركهم.

﴿لَقَدْ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ فِى مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنكُمْ شَيْـًٔا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّدْبِرِينَ ﴿٢٥﴾ ثُمَّ أَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَعَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَأَنزَلَ جُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا وَعَذَّبَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٢٦﴾ ثُمَّ يَتُوبُ ٱللَّهُ مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٧﴾﴾

﴿لقد نصركم الله في مواطن كثيرة﴾ يعني: يوم بدر، والأيام التي نصر الله فيها النبي والمؤمنين.

﴿ويومَ حنين﴾ أي: وفي يوم (ل١٢٥) حنين نصركم الله فيه ﴿إذ أعجبتكم كثرتكم فلم تغن عنكم شيئًا...﴾ الآية، وذلك أن رسول الله لما ذهب إلى حنين بعد فتح مكة، فلقي بها جمع هوازن وثقيف، وهم قريبٌ من أربعة آلاف، ورسول الله - فيما ذكر بعضهم - في اثني عشر ألفًا، فلما التقوا قال رجلٌ من أصحاب رسول الله: لن نغلب اليوم من قلة. فوجد[1] رسول الله ﷺ من كلمته وجْدًا شديدًا، وخرجت هوازن ومعها دُرَيْدُ بن الصِّمة[2] وهو

(١) وجد: أي: حزن وغضب، لسان العرب (وجد).

(٢) هو: دريد بن الصمة الجشمي البكري من هوازن، من المعمرين في الجاهلية، وقتل مشركًا يوم حنين، في العام الثامن للهجرة. ينظر: الأعلام (٢/ ٣٣٩).

شيخٌ كبير. فقال دريد: يا معشر هوازن، أمعكم من بني كلاب أحدٌ؟ قالوا: لا. قال: أفمن بني كعب أحدٌ؟ قالوا: لا. قال: أفمن بني عامر أحدٌ؟ قالوا: لا. قال: أفمعكم من بني هلال بن عامر أحدٌ؟ قالوا: لا. قال: أما واللَّه أن لو كان خيرًا ما سبقتموهم إليه؛ فأطيعوني فارجعوا. فَعَصَوْه، فاقتتلوا فانهزم أصحاب رسول اللَّه(١) قال رسول اللَّه ﷺ: إليَّ عباد اللَّه. وأخذ العباس بثغر بغلةِ(٢) رسول اللَّه، ثم نادى: يا معشر المهاجرين الذين بايعوا تحت الشجرة، ويا معشر الأنصار الذين آوَوْا ونصروا؛ إن هذا رسول اللَّه عليه السلام هلُمَّ لكم، وكان العباسُ رجلًا صَيِّتًا؛ فأسْمَع الفريقين كليهما فأقبلوا، فأما المؤمنون فأقبلوا لنصر اللَّه ورسوله، وأما المشركون فأقبلوا ليطفئوا نور اللَّه، فالتقوا عند رسول اللَّه ﷺ فاقتتلوا قتالًا شديدًا ﴿ثم أنزل اللَّه سكينته على رسوله وعلى المؤمنين وأنزل جنودًا لم تروها﴾ يعني: الملائكة ﴿وعذَّب الذين كفروا﴾ وهو القتل قبل عذاب الآخرة.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلَا يَقْرَبُواْ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَٰذَاۚ وَإِنْ خِفْتُمْ عَيْلَةً فَسَوْفَ يُغْنِيكُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦٓ إِن شَآءَۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٢٨﴾ قَٰتِلُواْ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ ٱلْحَقِّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ حَتَّىٰ يُعْطُواْ ٱلْجِزْيَةَ عَن يَدٍ وَهُمْ صَٰغِرُونَ ﴿٢٩﴾﴾

﴿يا أيها الذين آمنوا إنما المشركون نجس﴾ أي: قذرٌ.

---

(١) وضع بعدها الناسخ بعدها علامة إلحاق، ولم يظهر بالحاشية شيء.
(٢) الثَّغر: الفم والأسنان، والثُّغرة: نُقرة النحر. لسان العرب (ثغر).

قال محمدٌ: يقال لكل مستقذرٍ: نجس، فإذا ذكرت الرِّجْسَ، قلت: هو رجسٍ نجسٌ[١].

﴿فلا يقربوا المسجد الحرام بعد عامهم هذا﴾ هو العام الذي حج فيه أبو بكر، ونادى فيه عليٌّ بالأذان.

﴿وإن خفتم عيلةً فسوف يغنيكم اللَّه من فضله إن شاء﴾ كان لأهل مكة مَكْسبَةٌ ورفقٌ[٢] ممن كان يحج من المشركين، فلما عُزِلوا عن ذلك اشتد عليهم، فأعلمهم اللَّه أنه يعوضهم من ذلك.

قال محمدٌ: العيلة: الفقر؛ يقال: عال الرجل يعيل؛ إذا افتقر[٣]، ومنه قول الشاعر:

وما يدري الفقير متى غناه وما يدري الغني متى يعيل[٤]

قوله عز وجل: ﴿قاتلوا الذين لا يؤمنون باللَّه ولا باليوم الآخر...﴾ الآية، فأمر بقتال أهل الكتاب؛ حتى يسلموا، أو يقروا بالجزية.

قال محمدٌ: قوله: ﴿عن يدٍ﴾ يقال: أعطاه عن يدٍ، وعن ظهر يدٍ؛ أي: أعطاه ذلك مبتدئًا غير مكافئ.

﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ عُزَيْرٌ ٱبْنُ ٱللَّهِ وَقَالَتِ ٱلنَّصَٰرَى ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ ٱللَّهِ ذَٰلِكَ قَوْلُهُم بِأَفْوَٰهِهِمْ يُضَٰهِـُٔونَ قَوْلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا مِن قَبْلُ قَٰتَلَهُمُ ٱللَّهُ أَنَّىٰ

(١) أي: على الإتباع، وهو مسموع عن العرب.
(٢) أي: انتفاع. لسان العرب (رفق).
(٣) عال الرجلُ يَعِيلُ عَيْلًا وعَيْلةً: إذا افتقر. لسان العرب (عيل).
(٤) البيت لأحيحة بن الجلاح، وهو من بحر الوافر. ينظر: لسان العرب (عيل)، البحر المحيط (٨/ ٤٦٨).

يُؤْفَكُونَ ﴿٣٠﴾ اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَٰهًا وَاحِدًا لَّا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٣١﴾ يُرِيدُونَ أَن يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّا أَن يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ ﴿٣٢﴾ هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ ﴿٣٣﴾﴾

﴿وقالت اليهود عزير ابن اللَّه وقالت النصارى المسيح ابن اللَّه﴾ قال اللَّه - عز وجل -: ﴿ذلك قولهم بأفواههم﴾.

قال محمدٌ: المعنى: أنه قولٌ بِفَمٍ؛ أي: لا برهان عليه، ولا صحة تحته.

﴿يضاهئون﴾ يشابهون؛ يعني: النصارى ﴿قول الذين كفروا من قبل﴾ يعني: اليهود؛ أي: ضاهت النصارى قول اليهود قبلهم؛ قالت اليهود: عزير ابن اللَّه، وقالت النصارى: المسيح ابن اللَّه ﴿قاتلهم اللَّه﴾ أي: لعنهم اللَّه.

قال محمد: وقيل: ﴿قاتلهم﴾ بمعنى: قتلهم.

﴿أنى يؤفكون﴾ كيف يُقْلَبُون عن الحق ويصرفون ؟!

﴿اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابًا من دون اللَّه والمسيح ابن مريم﴾ أي: واتخذوا المسيح ابن مريم ربًا ﴿وما أمروا إلا ليعبدوا إلهًا واحدًا لا إله إلا هو سبحانه﴾ ينزه نفسه ﴿عما يشركون﴾.

﴿يريدون أن يطفئوا نور اللَّه بأفواههم﴾ يعني: ما يدعون إليه من اليهودية والنصرانية، وما حرَّفوا من كتاب اللَّه - عز وجل - ﴿هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله﴾ قال ابن عباسٍ: يعني: شرائع الدين كله، فلم يُقْبَضْ رسول اللَّه ﷺ (ل١٢٦) حتى أظهر اللَّه - عز وجل -

ذلك كله.

وفي تفسير الحسن: ﴿ليظهره على الدين كله﴾ : حتى يكون الحاكم على أهل الأديان كلها؛ فكان ذلك حتى ظهر على عبدة الأوثان، وحكم على اليهود والنصارى؛ فأخذ منهم الجزية، ومن المجوس.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلۡأَحۡبَارِ وَٱلرُّهۡبَانِ لَيَأۡكُلُونَ أَمۡوَٰلَ ٱلنَّاسِ بِٱلۡبَٰطِلِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۗ وَٱلَّذِينَ يَكۡنِزُونَ ٱلذَّهَبَ وَٱلۡفِضَّةَ وَلَا يُنفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَبَشِّرۡهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٖ ﴿٣٤﴾ يَوۡمَ يُحۡمَىٰ عَلَيۡهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكۡوَىٰ بِهَا جِبَاهُهُمۡ وَجُنُوبُهُمۡ وَظُهُورُهُمۡۖ هَٰذَا مَا كَنَزۡتُمۡ لِأَنفُسِكُمۡ فَذُوقُواْ مَا كُنتُمۡ تَكۡنِزُونَ ﴿٣٥﴾﴾

﴿يا أيها الذين آمنوا إن كثيرًا من الأحبار والرهبان ليأكلون أموال الناس بالباطل﴾ يعني: ما كانوا يأخذون من الرُّشا في الحكم، وعلى ما حرَّفوا من كتاب اللَّه - عز وجل.

﴿والذين يكنزون الذهب والفضة...﴾ إلى قوله: ﴿فذوقوا ما كنتم تكنزون﴾ يعني: من وجب عليه الإنفاق في سبيل اللَّه.

قال يحيى: وسمعتهم يقولون: نسخت الزكاة كلَّ صدقة كانت قبلها.

يحيى: عن خالدٍ، عن الحسن قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «من أدى الزكاة، فقد أدى حقَّ اللَّه - عز وجل - في ماله، ومن ازداد فهو خيرٌ له»[1].

---

(١) رواه ابن أبي شيبة في المصنف (٣/ ٩ رقم ١٦) وأبو داود في المراسيل (ص١٤١ رقم ١٣٠) والبيهقي في سننه (٤/ ٨٤) من طريقين عن الحسن به مرسلًا.

قلت: ورواه سلام بن أبي خبزة - قال النسائي: متروك الحديث - عن سعيد بن أبي عروبة =

﴿إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِندَ اللَّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِي كِتَابِ اللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ ذَٰلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ فَلَا تَظْلِمُوا فِيهِنَّ أَنفُسَكُمْ وَقَاتِلُوا الْمُشْرِكِينَ كَافَّةً كَمَا يُقَاتِلُونَكُمْ كَافَّةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ ﴿٣٦﴾ إِنَّمَا النَّسِيءُ زِيَادَةٌ فِي الْكُفْرِ يُضَلُّ بِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا يُحِلُّونَهُ عَامًا وَيُحَرِّمُونَهُ عَامًا لِّيُوَاطِئُوا عِدَّةَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ فَيُحِلُّوا مَا حَرَّمَ اللَّهُ زُيِّنَ لَهُمْ سُوءُ أَعْمَالِهِمْ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ ﴿٣٧﴾﴾

﴿إن عدَّة الشهور عند اللَّه اثنا عشر شهرًا في كتاب اللَّه﴾.

قال الحسن: يعني: في كتاب اللَّه الذي تنسخ منه كتب الأنبياء وفي جميع كتب اللَّه ﴿منها أربعةٌ حرم﴾ المحرم ورجب وذو القعدة وذو الحجَّة.

﴿ذلك الدين القيم﴾ يعني: أنه حرَّم على أَلسنة أنبيائه هذه الأربعة الأَشْهُر ﴿فلا تظلموا فيهن أنفسكم﴾ تفسير قتادة: يقول: اعلموا أنَّ الظلم فيهن أعظم خطيئة [ووِزْرًا][1] فيما سواهُنَّ.

﴿وقاتلوا المشركين كافةً﴾ أي: جميعًا، وهذا حين أمر بقتالهم جميعًا.

﴿إنما النسيء زيادة في الكفر. . .﴾ الآية، تفسير الكلبي: النسيء: هو المحرم كانوا يسمونه صفر الأول، وكان الذي يحله للناس جُنَادة بن عوف

= عن قتادة عن الحسن عن سمرة عن النبي ﷺ متصلاً.
رواه ابن عدي في الكامل (٤/ ٣١٢) وقال: لا أعلم يرويه عن سعيد غير سلام هذا.
ثم ذكر لسلام عدة أحاديث، وقال في آخر ترجمته: ولسلام بن أبي خبزة غير ما ذكرت عن ثقات الناس أحاديث، وعامة ما يرويه ليس يُتابع عليه.

(١) طمس في الأصل. والمثبت من تفسير الطبري (١٠/ ١٢٧) وابن أبي حاتم (٦/ ١٧٩٣).

الكناني كان ينادي بالموسم: إن الصَّفَر الأول حلالٌ، فيحله للناس، ويحرم صفَر مكان المحرم؛ فإذا كان العام المقبل حرَّم المحرَّمَ، وأحَلَّ صفر.

ومعنى ﴿ليواطئوا﴾: ليوافقوا ﴿عدَّة ما حرَّم اللَّه﴾ كانوا يقولون: هذه أربعةٌ بمنزلة أربعة.

قال محمدٌ: النسيء في اللغة: التأخير[1]؛ يقول: تأخيرهم المحرم سنة وتحريم غيره سنة؛ فإذا كان في السنة الأخرى ردوه إلى التحريم فَنَسْؤُهم ذلك زيادة في كفرهم؛ وهو معنى قول الكلبي.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَا لَكُمۡ إِذَا قِيلَ لَكُمُ ٱنفِرُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱثَّاقَلۡتُمۡ إِلَى ٱلۡأَرۡضِۚ أَرَضِيتُم بِٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا مِنَ ٱلۡأٓخِرَةِۚ فَمَا مَتَٰعُ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا فِي ٱلۡأٓخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ ﴿٣٨﴾ إِلَّا تَنفِرُواْ يُعَذِّبۡكُمۡ عَذَابًا أَلِيمٗا وَيَسۡتَبۡدِلۡ قَوۡمًا غَيۡرَكُمۡ وَلَا تَضُرُّوهُ شَيۡـٔٗاۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٌ ﴿٣٩﴾ إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدۡ نَصَرَهُ ٱللَّهُ إِذۡ أَخۡرَجَهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ثَانِيَ ٱثۡنَيۡنِ إِذۡ هُمَا فِي ٱلۡغَارِ إِذۡ يَقُولُ لِصَٰحِبِهِۦ لَا تَحۡزَنۡ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَاۖ فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَيۡهِ وَأَيَّدَهُۥ بِجُنُودٖ لَّمۡ تَرَوۡهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱلسُّفۡلَىٰۗ وَكَلِمَةُ ٱللَّهِ هِيَ ٱلۡعُلۡيَاۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٤٠﴾﴾

﴿يا أيها الذين آمنوا ما لكم إذا قيل لكم انفروا في سبيل اللَّه اثاقلتم إلى الأرض﴾ هي مثل قوله: ﴿أخلد إلى الأرض﴾[2] يعني: الرضا بالدنيا ﴿إلا

---

(١) يقال: نَسَأَ يَنْسَأُ نَسْئًا ومَنْسَأَةً لسان العرب (نسأ).
(٢) الأعراف: ١٧٦ .

تنفروا يعذبكم عذابًا أليمًا ويستبدل قومًا غيركم﴾ يقول: يهلككم بالعذاب، ويستبدل قومًا غيركم ﴿ولا تضروه شيئًا﴾ قال مجاهد: إن هذا حين أُمروا بغزوة تبوك في الصَّيْف حين طابت الثمار، واشتهوا الظلَّ، وشقَّ عليهم الخروج .

﴿إلا تنصروه﴾ يعني: النبي عليه السلام ﴿فقد نصره اللَّه إذ أخرجه الذين كفروا﴾ من مكة ﴿ثاني اثنين إذ هما في الغار﴾ وذلك أن قريشًا اجتمعوا في دار الندوة، فتآمروا بالنبي، فاجتمع رَأْيُهم على ما قال عدوُّ اللَّه أبو جهل؛ وقد فسرنا ذلك في سورة الأنفال فأوحى اللَّه - عز وجل - إليه؛ فخرج هو وأبو بكر ليلًا؛ حتى انتهى إلى الغار، فطلبه المشركون فلم يجدوه فطلبوا، [. . .][1] وقد كان أبو بكر دخل الغار قبل رسول اللَّه ﷺ فلمس الغار فنظر ما به؛ لئلا يكون فيه سَبُعٌ أو حيَّةٌ يقي رسول اللَّه ﷺ بنفسه، ثم دخل رسول اللَّه ﷺ الغار، وأخذتْ يمامَةٌ فوضعتْ على باب الغار فجعلا يستمعان وقع حوافر دوابِّ المشركين في طلبهما، فجعل أبو بكر يبكي، فقال رسول اللَّه ﷺ: ما يبكيك يا أبا بكر؟ قال: أخاف أن يظهر عليك المشركون فيقتلوك؛ فلا يُعْبَدُ اللَّه - عز وجل - بعدك أبدًا. فقال رسول اللَّه ﷺ: ﴿لا تحزن إن اللَّه معنا﴾ وجعل أبو بكر يمسح (ل١٢٧) الدموع عن خده ﴿فأنزل اللَّه سكينته عليه﴾.

قال الحسن: السكينة: الوقار.

قال محمدٌ: وهي من السكون[2]؛ المعنى: أنه ألقى في قلبه ما سكن به،

---

(١) طمس في الأصل.
(٢) لسان العرب (سكن).

وعلم أنهم غير واصلين إليه.

﴿وأيده بجنود لم تروها﴾ يعني: الملائكة عند قتاله المشركين.

﴿ٱنفِرُواْ خِفَافًا وَثِقَالًا وَجَٰهِدُواْ بِأَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٤١﴾ لَوْ كَانَ عَرَضًا قَرِيبًا وَسَفَرًا قَاصِدًا لَّٱتَّبَعُوكَ وَلَٰكِنۢ بَعُدَتْ عَلَيْهِمُ ٱلشُّقَّةُۚ وَسَيَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ لَوِ ٱسْتَطَعْنَا لَخَرَجْنَا مَعَكُمْ يُهْلِكُونَ أَنفُسَهُمْ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ ﴿٤٢﴾﴾

﴿انفروا خفافًا وثقالًا﴾ قال المعنى: شبابًا وشيوخًا.

قال الكلبي: وذلك حين استنفر رسول اللَّه ﷺ الناس إلى تبوك في حرٍّ شديد، وعُسْرة من الناس، فكره بعض الناس الخروج، وجعلوا يستأذنون في المقام من بين [...][1] ومن ليست به علَّة؛ فيأذن لمن شاء أن يأذن، وتخلف كثير منهم بغير إذن؛ فأنزل اللَّه - عز وجل - فقال: ﴿لو كان عرضًا قريبًا﴾ يعني: غنيمة قريبة ﴿وسفرًا قاصدًا﴾ أي: قريبًا ﴿ لاتَّبعوك ولكن بعدت عليهم الشقة﴾ يعني: السَّفر ﴿وسيحلفون باللَّه لو استطعنا﴾ يعني: لو وجدنا سَعَةً في المال ﴿لخرجنا معكم يهلكون أنفسهم﴾ بالكذب ﴿واللَّه يعلم إنهم لكاذبون﴾ أي: إنما اعتلوا بالكذب.

﴿عَفَا ٱللَّهُ عَنكَ لِمَ أَذِنتَ لَهُمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ وَتَعْلَمَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٤٣﴾ لَا يَسْتَـْٔذِنُكَ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ أَن يُجَٰهِدُواْ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلْمُتَّقِينَ ﴿٤٤﴾ إِنَّمَا يَسْتَـْٔذِنُكَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَٱرْتَابَتْ

---

(١) طمس في الأصل.

قُلُوبُهُمْ فَهُمْ فِي رَيْبِهِمْ يَتَرَدَّدُونَ ﴿٤٥﴾ وَلَوْ أَرَادُوا الْخُرُوجَ لَأَعَدُّوا لَهُ عُدَّةً وَلَٰكِن كَرِهَ اللَّهُ انبِعَاثَهُمْ فَثَبَّطَهُمْ وَقِيلَ اقْعُدُوا مَعَ الْقَاعِدِينَ ﴿٤٦﴾ لَوْ خَرَجُوا فِيكُم مَّا زَادُوكُمْ إِلَّا خَبَالًا وَلَأَوْضَعُوا خِلَالَكُمْ يَبْغُونَكُمُ الْفِتْنَةَ وَفِيكُمْ سَمَّاعُونَ لَهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ ﴿٤٧﴾﴾

﴿عفا اللَّه عنك لما أذنت لهم حتى يتبين لك الذين صدقوا﴾ يعني: من له عُذْرٌ ﴿وتعلم الكاذبين﴾ أي: من لا عذر له. قال قتادة: لما نزلت هذه الآية: ﴿عفا اللَّه عنك لم أذنت لهم﴾ اشتدت عليهم، فأنزل اللَّه - عز وجل - بعد ذلك في سورة النور: ﴿فإذا استئذنوك لبعض شأنهم فأذن لمن شئت منهم﴾[1] فنسخت الآية التي في براءة.

﴿لا يستأذنك الذين يؤمنون باللَّه واليوم الآخر أن يجاهدوا بأموالهم وأنفسهم﴾ فيتخلفوا عنك، ولا عذر لهم ﴿إنما يستئذنك الذين لا يؤمنون باللَّه واليوم الآخر﴾ كراهيةً للجهاد ﴿وارتابت قلوبهم﴾ أي: شكت في اللَّه - عز وجل - وفي دينه ﴿ولو أرادوا الخروج لأعدوا له عُدَّة﴾ يعني: المنافقين.

﴿ولكن كره اللَّه انبعاثهم﴾ خروجهم؛ لما يعلم منهم أنهم عيونٌ[2] للمشركين على المؤمنين؛ ولما يمشون بين المؤمنين بالنميمة والفساد ﴿فثبطهم﴾ أي: صرفهم ﴿لو خرجوا فيكم﴾ يقوله للمؤمنين ﴿ما زادوكم إلا خبالًا ولأوضعوا خلالكم﴾ أي: مشوا بينكم بالنميمة.

قال محمد: الوضع في اللغة: سرعة السير؛ يقال: وضع البعير

---

(١) النور: ٢٦ .

(٢) واحدها: عَيْن؛ والمراد: الجاسوس. لسان العرب (عين).

وأوضعته[١].

﴿يبغونكم الفتنة﴾ أي: يبغون أن تكونوا مشركين، وأن يظهر عليكم المشركون ﴿وفيكم سَمَّاعون لهم﴾ قال الحسن: يعني: المنافقين أنهم عيونٌ للمشركين عليكم يسمعون أخباركم، فيرسلون بها إلى المشركين.

﴿لَقَدِ ٱبْتَغَوُا۟ ٱلْفِتْنَةَ مِن قَبْلُ وَقَلَّبُوا۟ لَكَ ٱلْأُمُورَ حَتَّىٰ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَظَهَرَ أَمْرُ ٱللَّهِ وَهُمْ كَٰرِهُونَ ﴿٤٨﴾ وَمِنْهُم مَّن يَقُولُ ٱئْذَن لِّى وَلَا تَفْتِنِّىٓ ۚ أَلَا فِى ٱلْفِتْنَةِ سَقَطُوا۟ ۗ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌۢ بِٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٤٩﴾﴾

﴿لقد ابتغوا الفتنة﴾ يعني: الشرك ﴿من قبل﴾ أي: من قبل أن تهاجروا ﴿وقلبوا لك الأمور﴾ هو كقوله عز وجل: ﴿وإذ يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك أو يقتلوك أو يخرجوك﴾[٢] وقد مضى تفسيره ﴿حتى جاء الحق﴾ القرآن ﴿وظهر أمر الله﴾ الإسلام ﴿وهم كارهون﴾ لظهوره.

﴿ومنهم من يقول ائذن لي﴾ يا محمد أقم في أهلي ﴿ولا تفتني﴾ تفسير مجاهد: قال: قال رسول الله ﷺ: «اغزوا تبوك تغنموا بنات الأصفر نساء الروم. فقال المنافقون: ائذن لنا ولا تفتنَّا بالنساء»[٣] قال الله سبحانه: ﴿ألا

---

(١) يقال: وَضَع يَضَعُ وَضْعًا وموضوعًا بمعنى أوضع؛ أي: أسرع في السَّيْر. لسان العرب (وضع).

(٢) الأنفال: ٣٠.

(٣) رواه الطبري في تفسيره (١٠/١٤٨) عن مجاهد.
وعزاه السيوطي في الدر المنثور (٣/٢٦٨) لابن أبي شيبة وابن المنذر وأبي الشيخ.
ورواه الطبراني في المعجم الكبير (١١/ ٦٣ رقم ١١٠٥٢) من طريق جبارة بن المغلس عن أبي شيبة إبراهيم بن عثمان عن الحكم عن مجاهد عن ابن عباس.
وقال الهيثمي في المجمع (٧/ ٣٠): رواه الطبراني، وفيه أبو شيبة إبراهيم بن عثمان، وهو ضعيف.

في الفتنة﴾ يعني: الهلة؛ وهو الشرك ﴿سقطوا﴾ أي: وقعوا.

﴿إِن تُصِبْكَ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِن تُصِبْكَ مُصِيبَةٌ يَقُولُوا قَدْ أَخَذْنَا أَمْرَنَا مِن قَبْلُ وَيَتَوَلَّوا وَّهُمْ فَرِحُونَ ۝٥٠ قُل لَّن يُصِيبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَانَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ۝٥١ قُلْ هَلْ تَرَبَّصُونَ بِنَا إِلَّا إِحْدَى الْحُسْنَيَيْنِ وَنَحْنُ نَتَرَبَّصُ بِكُمْ أَن يُصِيبَكُمُ اللَّهُ بِعَذَابٍ مِّنْ عِندِهِ أَوْ بِأَيْدِينَا فَتَرَبَّصُوا إِنَّا مَعَكُم مُّتَرَبِّصُونَ ۝٥٢ قُلْ أَنفِقُوا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا لَّن يُتَقَبَّلَ مِنكُمْ إِنَّكُمْ كُنتُمْ قَوْمًا فَاسِقِينَ ۝٥٣ وَمَا مَنَعَهُمْ أَن تُقْبَلَ مِنْهُمْ نَفَقَاتُهُمْ إِلَّا أَنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَبِرَسُولِهِ وَلَا يَأْتُونَ الصَّلَاةَ إِلَّا وَهُمْ كُسَالَىٰ وَلَا يُنفِقُونَ إِلَّا وَهُمْ كَارِهُونَ ۝٥٤﴾

﴿إن تصبك حسنةٌ﴾ يعني: النصر ﴿تسؤهم﴾ تلك الحسنة.

﴿وإن تصبك مصيبةٌ﴾ أي: نَكْبة من المشركين ﴿يقولوا قد أخذنا أمرنا من قبل﴾ أي: أخذنا الوثيقة في مخالفة محمد، والجلوس عنه ﴿ويتولوا﴾ إلى منازلهم ﴿وهم فرحون﴾ بالذي دخل على النبي ﷺ والمؤمنين من النكبة. قال اللَّه - عز وجل - لنبيه محمد: ﴿قل لن يصيبنا إلا ما كتب اللَّه لنا هو مولانا﴾ وليُّنا.

﴿قل هل تربصون بنا﴾ تنتظرون بنا؛ يعني: المنافقين ﴿إلا إحْدَى الحسنيين﴾ أن نظهر على المشركين فنقتلهم ونغنمهم، أو نُقْتَل (ل١٢٨) فندخل الجنة ﴿ونحن نتربص بكم أن يصيبكم اللَّه بعذابٍ من عنده﴾ يهلككم به ﴿أو بأيدينا﴾ أي: نستخرج ما في قلوبكم من النفاق؛ حتى تظهروا الشرك فنقتلكم .

﴿قل أنفقوا طوعًا أو كرهًا﴾ يعني: مما يفرض عليكم من النفقة في الجهاد

﴿لن يتقبل[١] منكم﴾ .

قال محمد: قوله: ﴿قل أنفقوا﴾ قال بعض النحويين فيه: هذا لَفْظُ أمر، ومعناه معنى الشرط والخبر[٢]؛ أي: يقول: إن أنفقتم طائعين أو مكرهين، لن يتقبل منكم.

قال: ومثل هذا المعنى من الشعر قول كثير:

أسِيئي بنا أو أَحْسِنِي لا مَلُومةٌ لدينا ولا مَقْلِيَّةٌ إنْ تَقَلَّتِ[٣]

فلم يأمرها بالإساءة، لكن أعلمها أنها إن أساءت أو أحسنت فهو على عهدها.

قوله: ﴿وما منعهم أن تقبل منهم نفقاتهم إلا أنهم كفروا بالله وبرسوله﴾ وأظهروا الإيمان ﴿ولا يأتون الصلاة إلا وهم كسالى ولا ينفقون إلا وهم كارهون﴾ للإنفاق في سبيل الله .

﴿فَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَٰلُهُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُهُمْ ۚ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُم بِهَا فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنفُسُهُمْ وَهُمْ كَٰفِرُونَ ﴿٥٥﴾ وَيَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ إِنَّهُمْ لَمِنكُمْ وَمَا هُم مِّنكُمْ وَلَٰكِنَّهُمْ قَوْمٌ يَفْرَقُونَ ﴿٥٦﴾ لَوْ يَجِدُونَ مَلْجَـًٔا أَوْ مَغَٰرَٰتٍ أَوْ مُدَّخَلًا لَّوَلَّوْا۟ إِلَيْهِ وَهُمْ يَجْمَحُونَ ﴿٥٧﴾ وَمِنْهُم مَّن يَلْمِزُكَ فِى ٱلصَّدَقَٰتِ فَإِنْ أُعْطُوا۟ مِنْهَا رَضُوا۟ وَإِن لَّمْ يُعْطَوْا۟ مِنْهَآ إِذَا هُمْ يَسْخَطُونَ ﴿٥٨﴾ وَلَوْ أَنَّهُمْ رَضُوا۟ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَقَالُوا۟ حَسْبُنَا ٱللَّهُ سَيُؤْتِينَا

---

(١) في الأصل (تقبل) وهو تحريف عن الصواب؛ إذ ليست (تقبل) بقراءة.
(٢) ينظر: البحر (٥/ ٥٢)، الدر المصون (٣/ ٤٧٣).
(٣) البيت لكُثَيِّر عزة؛ وهو من بحر الطويل. ينظر: ديوانه (١٠١)، أمالي ابن الشجري (١/ ٤٩)، اللسان (حسن).

ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ وَرَسُولُهُۥٓ إِنَّآ إِلَى ٱللَّهِ رَٰغِبُونَ ﴿٥٩﴾﴾

﴿فلا تعجبك أموالهم ولا أولادهم إنما يريد اللَّه ليعذبهم بها في الحياة الدنيا﴾ تفسير الحسن: يعني: أنهم ينفقون أموالهم، ويشخصون أبدانهم يقاتلون أولياءهم المشركين مع أعدائهم المؤمنين؛ لأنهم يخفون لهم العداوة؛ فهو تعذيب لهم في الحياة الدنيا ﴿وتزهق أنفسهم﴾ أي: تذهب.

﴿ويحلفون باللَّه إنهم لمنكم﴾ فيما أظهروا من الإيمان ﴿وما هم منكم﴾ فيما يسرون من الكفر ﴿ولكنهم قومٌ يفرقون﴾ على دمائهم إن أظهروا الشرك.

﴿لو يجدون ملجأً﴾ يعني: حصنًا يلجئون إليه ﴿أو مغاراتٍ﴾ يعني: غيرانًا[1] ﴿أو مدخلًا﴾ أي: سربًا ﴿لولّوا إليه﴾ مفارقةً للنبي ولدينه ﴿وهم يجمحون﴾ أي: يسرعون.

﴿ومنهم من يلمزك في الصدقات﴾ أي: يعيبك، ويطعنُ عليك ﴿فإن أعطوا منها رضوا...﴾ الآية، قال قتادة: «إنّ رجلًا حديث عهدٍ بأعرابية أتى النبي عليه السلام وهو يقسم ذهبًا وفضة، فقال: يا محمد، إن كان اللَّه - عز وجل - قد أمرك أن تعدلَ، فما عدلت منذ اليوم. فقال رسول اللَّه ﷺ: ويلك فمن يعْدل عليك بعدي؟! ثم قال: احْذَروا هذا وأشباهه؛ فإنَّ في أمتي أشباه هذا؛ قوم يقرءون القرآن لا يجاوز تراقيهم»[2].

﴿إِنَّمَا ٱلصَّدَقَٰتُ لِلْفُقَرَآءِ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱلْعَٰمِلِينَ عَلَيْهَا وَٱلْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِى ٱلرِّقَابِ

---

(١) واحدها: غار: وهو كل منخفض من الأرض، ومثل البيت المنقور في الجبل. لسان العرب (غور).

(٢) رواه البخاري (٦/ ٧١٤ - ٧١٥ رقم ٣٦١٠) ومسلم (٢/ ١٧٠ - ١٧١ رقم ١٠٦٤) عن أبي سعيد الخدري.
ورواه مسلم (٢/ ١٦٩ - ١٧٠ رقم ١٠٦٣) عن جابر بن عبد اللَّه.

وَٱلْغَـٰرِمِينَ وَفِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ ۖ فَرِيضَةً مِّنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٦٠﴾﴾

﴿ولو أنهم رضوا ما آتاهم اللَّه ورسوله﴾ أي: أعطاهم من فضله.

يعني: من فضل اللَّه ﴿وقالوا حسبنا اللَّه سيؤتينا اللَّه من فضله ورسوله. . .﴾ الآية. وهي تقرأ أيضًا: (ورسوله) بالنصب[١]؛ أي: يؤتي رسوله.

وفيها إضمار؛ أي: لكان خيرًا لهم مما أظهروا من النفاق.

﴿إنما الصدقات للفقراء والمساكين﴾ قال الحسن: الفقير: القاعد في بَيْته لا يسأل وهو محتاج، والمسكين الذي يسأل ﴿والعاملين عليها﴾ يعني: على الصدقات الذين يَسْعَوْن في جمعها؛ جعل اللَّه - عز وجل - لهم فيها سَهْمًا ﴿والمؤلفةُ قلوبهم﴾ ناسٌ كان النبي ﷺ يُعْطيهم يتألَّفُهم بذلك لكيْ يسلموا، جعل اللَّه - عز وجل - لهم سهمًا؛ منهم: أبو سفيان بن حرب، وعُيَيْنة بْنُ حِصْنٍ ﴿وفي الرقاب﴾ يعني: كل عبدٍ ﴿والغارمين﴾ من كان عليه دَيْنٌ أو غُرْمٌ من غير فسادٍ ﴿وفي سبيل اللَّه﴾ يُحْمَل من ليس له [. . .][٢] يُعْطى منها ﴿وابن السَّبيل﴾ المسافر إذا قُطِعَ به[٣]؛ جعل اللَّه لهؤلاء فيها سهمًا.

قال عليٌّ وابن عباس: إنما هو عَلَمٌ جعله اللَّه - عز وجل - ففي أي صنف منهم جعلتها أجزأك.

---

(١) أي: بالنصب على المفعولية، ولم أجد هذه القراءة. أما قراءة العامة فهي على الرفع (ورسولُه) عطفًا على لفظ الجلالة (اللَّه).

(٢) طمس في الأصل.

(٣) وهو مُلازم للبناء للمجهول، والمراد: عجز عن سفره لأيِّ سبب كان، وإذا انقطع رجاؤه، أو انقطع به الطريق، أو حيل بينه وبين ما يأمله. المعجم الوسيط (قطع).

﴿فريضة من اللَّه﴾ وذلك في جميع الزكاة ﴿واللَّه عليمٌ حكيمٌ﴾ عليمٌ بخلقه، حكيمٌ في أمره.

قال محمدٌ: ﴿فريضةً﴾ بالنصب على التوكيد[1]، المعنى: فرض اللَّهُ الصدقاتِ لهؤلاء فريضةً.

﴿وَمِنْهُمُ الَّذِينَ يُؤْذُونَ النَّبِيَّ وَيَقُولُونَ هُوَ أُذُنٌ قُلْ أُذُنُ خَيْرٍ لَّكُمْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَيُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ وَرَحْمَةٌ لِّلَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ رَسُولَ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (٦١)﴾

(ل١٢٩) ﴿ومنهم الذين يؤذون النبي﴾ يعني: المنافقين. قال الحسن: كانوا يقولون: هذا الرجل أذن، من شاء صرفه حيث شاء ليست له عزيمة، فقال اللَّه - عز وجل - لنبيه: ﴿قل أذن خير لكم يؤمن باللَّه﴾ وهي تقرأ (أُذُنٌ خيرٍ لكم)[2] أي: هذا الذي تزعمون أنه أذنٌ خير لكم.

قال محمد: المعنى على هذه القراءة: قل من يستمع منكم ويكون قابلًا للعذر خير لكم ﴿يؤمن باللَّه ويؤمن للمؤمنين﴾ يصدق اللَّه، ويصدق المؤمنين.

﴿ورحمةً[3] للذين آمنوا منكم﴾ رحمهم اللَّه به، فأنقذهم من الجاهلية وظلمتها.

---

(١) أي: مفعول مطلق مؤكِّد للفعل. وقيل: انتصب على الحال من (فريضة) ينظر: الدر المصون (٣/ ٤٧٦).

(٢) قرأ الجمهور ﴿أُذُنُ خيرٍ﴾، على جر ﴿خيرٍ﴾ بالإضافة، وقرأ الحسن ومجاهد وزيد بن علي وأبو بكر عن عاصم ﴿أُذُنٌ﴾ بالتنوين، و﴿خيرٌ﴾ بالتنوين أيضًا. ينظر: السبعة (٣١٥)، الحجة (١٧٦)، إتحاف الفضلاء (٢٤٣)، الدر المصون (٣/ ٤٧٧).

(٣) هكذا في الأصل بالنصب، وهي قراءة ابن أبي عَبْلة، وقرأ الجمهور ﴿ورحمةٌ﴾ بالرفع، وقرأ حمزة والأعمش ﴿ورحمةٍ﴾ بالجر. ينظر: الكشاف (٢/ ١٩٩)، البحر المحيط (٥/ ٦٣) الدر المصون (٣/ ٤٧٧).

﴿يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ لَكُمْ لِيُرْضُوكُمْ وَاللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَحَقُّ أَن يُرْضُوهُ إِن كَانُوا مُؤْمِنِينَ (٦٢) أَلَمْ يَعْلَمُوٓا أَنَّهُۥ مَن يُحَادِدِ اللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَأَنَّ لَهُۥ نَارَ جَهَنَّمَ خَٰلِدًا فِيهَا ذَٰلِكَ الْخِزْيُ الْعَظِيمُ (٦٣)﴾

﴿يحلفون باللَّه لكم ليرضوكم﴾ بالكذب ﴿واللَّه ورسوله أحق أن يرضوه﴾ بالصدق من قلوبهم ﴿ألم يعلموا أنه من يحادد اللَّه ورسوله﴾ أي: من يعاد اللَّه ورسوله.

﴿فإن[1] له نار جهنم﴾ .

قال محمد: قوله: ﴿من يحادد اللَّه ورسوله﴾ معناه: من يكون في حدٍّ، واللَّه ورسوله في حدٍّ؛ أي: جانب. وتُقْرأُ (فأنَّ له) بالفتح والكَسْر فمن كسر فعلى الاستئناف؛ كما تقول: فإن له نارَ جهنَّم، ودخلت (إنَّ) مؤكدة. ومن قرأ بالفتح (فأن له)، فإنما أعادَ (أنَّ) الأولى توكيدًا؛ لأنه لما طال الكلام كان إعادَتُها أوكد[2].

﴿يَحْذَرُ الْمُنَٰفِقُونَ أَن تُنَزَّلَ عَلَيْهِمْ سُورَةٌ تُنَبِّئُهُم بِمَا فِي قُلُوبِهِمْ قُلِ اسْتَهْزِءُوٓا إِنَّ اللَّهَ مُخْرِجٌ مَّا تَحْذَرُونَ (٦٤) وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ قُلْ أَبِاللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ وَرَسُولِهِۦ كُنتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ (٦٥) لَا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ إِن نَّعْفُ عَن طَآئِفَةٍ مِّنكُمْ نُعَذِّبْ طَآئِفَةًۢ بِأَنَّهُمْ كَانُوا مُجْرِمِينَ (٦٦) الْمُنَٰفِقُونَ

(١) هكذا في الأصل (فإن) بالكَسْر - وهي قراءة أبي عمرو. والجمهور على (فأن) بالفتح ينظر: معاني القرآن للأخفش (٢/ ٣٣٤) البحر المحيط (٥/ ٦٥)، الإملاء للعكبري (٢/ ٩)الدر المصون (٣/ ٤٨٠).

(٢) ينظر: البحر المحيط (٥/ ٦٥)، الدر المصون (٣/ ٤٧٩).

وَالْمُنَافِقَاتُ بَعْضُهُم مِّنْ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمُنكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمَعْرُوفِ وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿٦٧﴾﴾

﴿يحذرُ المنافقون أن تنزل عليهم سورة تنبئهم بما في قلوبهم﴾ من النفاق؛ أي: تبين؛ ففعل اللَّه - عز وجل - ذلك بهم ، فأخرج أضغانهم؛ وهو ما كانوا يكنون في صدورهم.

قال قتادة: وكانت هذه السورة «براءة» تسمى: فاضحة المنافقين؛ لأنها أنبأت بمقالتهم وأعمالهم.

﴿قل استهزئوا﴾ بمحمدٍ وأصحابه؛ وهذا وعيدٌ مثل قوله عز وجل: ﴿فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر﴾[1].

﴿إن اللَّه مخرج ما تحذرون﴾ ففعل ذلك بهم، فأخرج أضغانهم؛ وهو ما كانوا يكنون في صدورهم.

﴿ولئن سألتهم ليقولن إنما كنا نخوض ونلعب...﴾ إلى قوله: ﴿بأنهم كانوا مجرمين﴾ قال الكلبي: بلغنا أن رسول اللَّه ﷺ حين رجع من تبوك بينما هو يسير إذا هو بِرَهْطٍ[2] أربعةٍ يسيرون بين يديه؛ وهم يضحكون، فنزل جبريل على النبي عليه السلام فأخبره أنهم يستهزئون باللَّه - تعالى ذِكْره - ورسوله وكتابه . فبعث رسول اللَّه عليه السلام عمار بن ياسر، فقال: أدركهم قبل أن يحترقوا، واسألهم: مِمَّ يضحكون؟ فإنهم سيقولون مما يخوض فيه الرَّكْبُ إذا ساروا. فلحقهم عمار،

(١) الكهف: ٢٩ .

(٢) الرهط: ما دون العشرة من الرجال لا يكون فيهم امرأة، وليس له واحد من لفظه، ويجمع على: أرهُط وأرهاط وأراهِط وأراهيط. ينظر: لسان العرب، مختار الصحاح، القاموس المحيط (رهط).

فقال: ممَّ تضحكون؟ وما تقولون؟ فقالوا: مما يخوض فيه الركب إذا ساروا. فقال عمار (عرفناه)[1] اللَّه - عز وجل - وبلغ الرسول احترقتم لعنكم اللَّه وكان يسايرهم رجل لم ينههم، وجاءوا إلى النبي ﷺ يعتذرون؛ فأنزل اللَّه - عز وجل- : ﴿لا تعتذروا قد كفرتم بعد إيمانكم﴾ أي: بعد إقراركم ﴿إن نعف عن طائفة منكم نعذب طائفة﴾ فيرجى أن يكون العفوُ من اللَّه - عز وجل - لمن لم يمالئهمْ، ولم ينههُمْ.

﴿المنافقون والمنافقات بعضهم من بعض﴾ أي: بعضهم أولياء بعض ﴿يأمرون بالمنكر﴾ بالكفر باللَّه سبحانه ﴿وينهون عن المعروف﴾ عن الإيمان باللَّه ﴿ويقبضون أيديهم﴾ يعني: لا يبسطونها بالنفقة في الحق.

﴿نسوا اللَّه﴾ أي: تركوا ذِكْره بالإخلاص من قلوبهم ﴿فنسيهم﴾ فتركهم أن يذكرهم بما يذكر به المؤمنين من الخير ﴿إن المنافقين هم الفاسقون﴾ يعني: به فسق الشرك.

﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلْكُفَّارَ نَارَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ هِىَ حَسْبُهُمْۚ وَلَعَنَهُمُ ٱللَّهُۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ﴿٦٨﴾ كَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ كَانُوٓا۟ أَشَدَّ مِنكُمْ قُوَّةً وَأَكْثَرَ أَمْوَٰلًا وَأَوْلَٰدًا فَٱسْتَمْتَعُوا۟ بِخَلَٰقِهِمْ فَٱسْتَمْتَعْتُم بِخَلَٰقِكُمْ كَمَا ٱسْتَمْتَعَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُم بِخَلَٰقِهِمْ وَخُضْتُمْ كَٱلَّذِى خَاضُوٓا۟ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿٦٩﴾ أَلَمْ يَأْتِهِمْ نَبَأُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَقَوْمِ إِبْرَٰهِيمَ وَأَصْحَٰبِ مَدْيَنَ وَٱلْمُؤْتَفِكَٰتِۚ أَتَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِۖ فَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٧٠﴾﴾

---

(١) مشتبهة في الأصل.

﴿وعد اللَّه المنافقين والمنافقات...﴾ إلى قوله: ﴿هي حسبهم﴾ قال محمد: يقال: حسب فلان ما نزل به؛ أي: ذلك على قدر فعله.

﴿كالذين من قبلكم﴾ يعني: من الكفار ﴿كانوا أشدَّ منكم قوة﴾ قال محمد: المعنى: وعدكم اللَّه على الكفر (ل١٣٠) كما وعد الذين من قبلكم ﴿فاستمتعوا بخلاقهم فاستمتعتم بخلاقكم كما استمتع الذين من قبلكم بخلاقهم﴾.

تفسير الكلبي: يقول: فاستمتعتم في الدنيا بنصيبكم من الآخرة، كما استمتع الذين من قبلكم بنصيبهم من الآخرة ﴿وخضتم﴾ في الكفر والتكذيب ﴿كالذي خاضوا﴾.

﴿ألم يأتهم نبأ الذين من قبلهم...﴾ إلى قوله: ﴿والمؤتفكات﴾ يقول: بلى قد أتاهم خبرهم فيما أنزل اللَّه - عز وجل - في كتابه ﴿والمؤتفكات﴾ يعني: المنقلبات؛ وهي (قريات)[1] قوم لوط الثلاث؛ رفعها جبريل بجناحه ثم قلبها ﴿فما كان اللَّه ليظلمهم﴾ بإهلاكه إياهم ﴿ولكن كانوا أنفسهم يظلمون﴾ بجحودهم وشركهم؛ يحذر هؤلاء ما فُعِلَ بمن قبلهم.

﴿وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍۚ يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓۚ أُوْلَٰٓئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ ٱللَّهُۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٧١﴾ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّٰتِ عَدْنٍۚ وَرِضْوَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ أَكْبَرُۚ ذَٰلِكَ هُوَ

(١) هكذا في الأصل. والمراد: قُرَى قوم لوط؛ حيث تجمع القرية على: (قُرى) والقياس: (قِرَاء)، كظَبْية وظِبَاء. ينظر: لسان العرب، مختار الصحاح (قرو).

﴿ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ۝٧٢﴾

﴿وعد اللَّه المؤمنين والمؤمنات جنَّات تجري من تحتها الأنهار ومساكنَ طيبةً في جناتِ عدن﴾ قال الحسن: (عدنٌ) اسم من أسماء الجنة.

قال محمدٌ: العَدْنُ في اللغة: الإقامة؛ يقال: عدنت بموضع كذا؛ أي: أقمتُ به[1].

﴿ورضوانٌ من اللَّه أكبر﴾ مما هم فيه من مُلْكِ الجنة.

يحيى: عن إبراهيم بن محمد، عن محمد بن المنكدر، عن جابر بن عبد اللَّه قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «إذا أُدْخل أهل الجنةِ الجنةَ، ورأوا ما فيها قال اللَّه - عز وجل - لهم: لكم عندي أفضل من هذا. قالوا: ربنا لا شيء أفضل من الجنة. قال: بلى أحل عليكم رضواني»[2].

قال الحسن: يصل إلى قلوبهم من رضوان اللَّه من اللذة والسرور ما هو ألذُّ عندهم وأقر لأعينهم من كل شيْءٍ أصابوه من لذة الجنة.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ جَٰهِدِ ٱلْكُفَّارَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱغْلُظْ عَلَيْهِمْ ۚ وَمَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ۝٧٣ يَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ مَا قَالُوا۟ وَلَقَدْ قَالُوا۟ كَلِمَةَ ٱلْكُفْرِ وَكَفَرُوا۟ بَعْدَ إِسْلَٰمِهِمْ وَهَمُّوا۟ بِمَا لَمْ يَنَالُوا۟ ۚ وَمَا نَقَمُوٓا۟ إِلَّآ أَنْ أَغْنَىٰهُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ مِن فَضْلِهِۦ ۚ فَإِن يَتُوبُوا۟ يَكُ خَيْرًا لَّهُمْ ۖ وَإِن يَتَوَلَّوْا۟ يُعَذِّبْهُمُ ٱللَّهُ عَذَابًا أَلِيمًا فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ ۚ وَمَا لَهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مِن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ ۝٧٤﴾

---

(١) ينظر: لسان العرب، القاموس المحيط (عدن).

(٢) تقدم تخريجه في تفسير سورة آل عمران، عند قوله تعالى: ﴿للذين اتقوا عند ربهم جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها وأزواج مطهرة ورضوان من اللَّه﴾ الآية: ١٥ .

﴿يا أيها النبي جاهد الكفار والمنافقين واغلظ عليهم﴾ تفسير الحسن: جاهد المنافقين بالسَّيف، واغلظ على المنافقين بالحدود.

قال الحسن: كان أكثر من يصيبُ الحدود يومئذٍ المنافقون.

﴿يحلفون باللَّه ما قالوا﴾ قال الحسن: لقي رجلٌ من المنافقين رجلًا من المسلمين؛ فقال: إن كان ما يقول محمدٌ حقًّا، فنحن شرٌّ من الحمر! فقال المسلم: أنا أشهد أنه لحق، وأنك شرٌّ من حمارٍ. ثم أخبر بذلك النبي عليه السلام فأرسل النبي إلى المنافق؛ أقلت كذا؟ فحلف باللَّه ما قاله، وحلف المسلم لقد قاله؛ فأنزل اللَّه - عز وجل -: ﴿يحلفون باللَّه ما قالوا ولقد قالوا كلمة الكفر وكفروا بعد إسلامهم﴾[1] بعد إقرارهم ﴿وهموا بما لم ينالوا﴾ قال مجاهد: هَمَّ المنافق بقتل المؤمن؛ حيث قال للمنافق: فو اللَّه إن ما يقول محمدٌ كله حقٌّ، ولأنت شرٌّ من حمار.

﴿وما نقموا إلا أن أغناهم اللَّه ورسوله من فضله﴾ يقول: لم ينقموا من الذي جاء به رسول اللَّه ﷺ شيئًا، إلا أنهم أصابوا الغنى في الدنيا، ولو تمسكوا به لأصابوا الجنة في الآخرة.

قال محمدٌ: المعنى: أي: ليس ينقمون شيئًا، ولا يتعرفون (حق اللَّه - عز وجل - إلا الصنع)[2]، وهذا مما ليس ينقم .

﴿فإن يتوبوا﴾ أي: يرجعوا عن نفاقهم ﴿يك خيرًا لهم وإن يتولوا﴾ عن التوبة، ويظهروا الشرك ﴿يعذبهم اللَّه عذابًا أليمًا . . .﴾ الآية.

﴿وَمِنْهُم مَّنْ عَٰهَدَ ٱللَّهَ لَئِنْ ءَاتَىٰنَا مِن فَضْلِهِۦ لَنَصَّدَّقَنَّ وَلَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ

(١) انظر الدر المنثور (٣/ ٢٧٩ - ٢٨٢).
(٢) هكذا في الأصل.

﴿٧٥﴾ فَلَمَّآ ءَاتَىٰهُم مِّن فَضْلِهِۦ بَخِلُوا۟ بِهِۦ وَتَوَلَّوا۟ وَّهُم مُّعْرِضُونَ ﴿٧٦﴾ فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقًا فِى قُلُوبِهِمْ إِلَىٰ يَوْمِ يَلْقَوْنَهُۥ بِمَآ أَخْلَفُوا۟ ٱللَّهَ مَا وَعَدُوهُ وَبِمَا كَانُوا۟ يَكْذِبُونَ ﴿٧٧﴾ أَلَمْ يَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَىٰهُمْ وَأَنَّ ٱللَّهَ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ ﴿٧٨﴾﴾

﴿ومنهم من عاهد اللَّه لئن أتانا من فضله﴾ فأوسع علينا من الرزق ﴿لنصدَّقَنَّ﴾ يعني: الصدقة ﴿ولنكونَنَّ من الصالحين﴾ من يطيع اللَّه - عز وجل - ورسوله ﴿فلما آتاهم من فضله بخلوا به﴾ منعوا حق اللَّه -عز وجل- ﴿وتولوا﴾ عن الصلاح ﴿وهم معرضون﴾ عن أمر اللَّه ﴿فأعقبهم نفاقًا في قلوبهم﴾ لا يتوبون منه ﴿إلى يوم يلقونه﴾.

﴿ألم يعلموا أن اللَّه يعلم سرهم ونجواهم﴾ ما يتناجون به من النفاق [. . .][1] إذ ذاك بما أنزل اللَّه - عز وجل - في كتابه، وقامت به الحجةُ عليهم.

﴿ٱلَّذِينَ يَلْمِزُونَ ٱلْمُطَّوِّعِينَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ فِى ٱلصَّدَقَٰتِ وَٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلَّا جُهْدَهُمْ فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ سَخِرَ ٱللَّهُ مِنْهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٧٩﴾ ٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ إِن تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَهُمْ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٨٠﴾﴾

(ل١٣١) ﴿الذين يلمزون المطوعين من المؤمنين في الصدقات﴾ قال قتادة: «ذكر لنا أن عبد الرحمن بن عوف جاء بنصف ماله إلى رسول اللَّه ﷺ أحسبُه قال: يا رسول اللَّه، هذا نصف مالي أتيتك به، وتركت نصفه لعيالي،

(١) طمس في الأصل.

فدعا الله أن يبارك له فيما أعطى وفيما أمسك، فلمزه[١] المنافقون، قالوا: ما أعطى هذا إلا سُمْعَةً ورياءً، وأقبل رجلٌ من فقراء المسلمين من الأنصار يقال له: أبو عقيل؛ فقال: يا رسول الله، بتُّ الليلة أجر الجرير[٢] على صاعين[٣] من تمرٍ؛ فأما صاعٌ فأمسكهُ لأهلي، وأمَّا صاعٌ فهذا هو، فقال له نبي الله عليه السلام خيرًا، فقال المنافقون: والله إن كان الله ورسوله لغنيَّيْنِ عن صاع أبي عقيل، فأنزل الله - سبحانه - هذه الآية إلى قوله: ﴿والله لا يهدي القوم الفاسقين﴾»[٤].

قال قتادة: «لما نزل في هذه الآية ﴿استغفر لهم أو لا تستغفر لهم﴾ قال رسول الله: «قد خيَّرني ربي، فو الله لأزيدنهم على السبعين. فأنزل الله - عز وجل - في سورة المنافقين: ﴿سواءٌ عليهم أستغفرت لهم أم لم تستغفر لهم...﴾[٥] الآية»[٦].

قال محمدٌ: وقوله عز وجل: ﴿والّذين لا يجدون إلا جُهْدَهم﴾ يعني: طاقتهم؛ الجُهْدُ: الطاقة، والجَهْد - بفتح الجيم -: المشقةُ؛ يقال: فعلت ذلك بِجَهْدٍ؛ أي: بمشقَّة[٧]. وقوله - عز وجل -: ﴿سخر الله منهم﴾ أي: جازاهم جزاء السخرية.

---

(١) اللمز: العيب، وأصله الإشارة بالعين ونحوها. ينظر: لسان العرب، مختار الصحاح (لمز).
(٢) الجرير: الحبل. وأراد أنه كان يستقي الماء بالحبل. لسان العرب (جرر).
(٣) الصاع: ما يكال به، وهو أربعة أمداد. والجمع: أصوع وآصع. ينظر: لسان العرب، القاموس المحيط (صوع).
(٤) رواه عبد الرزاق في تفسيره (٢/ ٢٨٣ - ٢٨٤) وابن جرير (١٠/ ١٩٥).
وعزاه السيوطي في الدر المنثور (٣/ ٢٨٤): لابن عساكر أيضًا.
ورواه البخاري (٣/ ٣٣٢ رقم ١٤١٥) ومسلم (٢/ ٧٠٦ رقم ١٠١٨) عن ابن مسعود بنحوه.
(٥) المنافقون: ٦ .
(٦) رواه ابن جرير (١٠/ ٢٠٠)، وانظر: الدر المنثور (٣/ ٢٨٦).
(٧) ينظر: لسان العرب، القاموس المحيط (جهد).

﴿فَرِحَ ٱلْمُخَلَّفُونَ بِمَقْعَدِهِمْ خِلَٰفَ رَسُولِ ٱللَّهِ وَكَرِهُوٓا۟ أَن يُجَٰهِدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَقَالُوا۟ لَا تَنفِرُوا۟ فِى ٱلْحَرِّ ۗ قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا ۚ لَّوْ كَانُوا۟ يَفْقَهُونَ ﴿٨١﴾ فَلْيَضْحَكُوا۟ قَلِيلًا وَلْيَبْكُوا۟ كَثِيرًا جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿٨٢﴾ فَإِن رَّجَعَكَ ٱللَّهُ إِلَىٰ طَآئِفَةٍ مِّنْهُمْ فَٱسْتَـْٔذَنُوكَ لِلْخُرُوجِ فَقُل لَّن تَخْرُجُوا۟ مَعِىَ أَبَدًا وَلَن تُقَٰتِلُوا۟ مَعِىَ عَدُوًّا ۖ إِنَّكُمْ رَضِيتُم بِٱلْقُعُودِ أَوَّلَ مَرَّةٍ فَٱقْعُدُوا۟ مَعَ ٱلْخَٰلِفِينَ ﴿٨٣﴾ وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰٓ أَحَدٍ مِّنْهُم مَّاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَىٰ قَبْرِهِۦٓ ۖ إِنَّهُمْ كَفَرُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَمَاتُوا۟ وَهُمْ فَٰسِقُونَ ﴿٨٤﴾ وَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَٰلُهُمْ وَأَوْلَٰدُهُمْ ۚ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُعَذِّبَهُم بِهَا فِى ٱلدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنفُسُهُمْ وَهُمْ كَٰفِرُونَ ﴿٨٥﴾﴾

﴿فرح المخلفون بمقعدهم خلاف رسول اللَّه﴾ قال محمدٌ: قيل: المعنى: بأن قعدوا لمخالفة رسول اللَّه عليه السلام.

﴿وقالوا لا تنفروا في الحر﴾ قال قتادة: خرج المؤمنون يومئذٍ إلى تبوك في لهبانِ الحرّ(١)؛ قال اللَّه - عز وجل - للنبي عليه السلام: ﴿قل نار جهنَّم أشدُّ حرًّا﴾ من نار الدنيا ﴿لو كانوا يفقهون﴾ قال الحسن: يقول: لو كانوا يفقهون لعلموا أنّ نارَ جهنم أشدُّ حرًّا من نار الدنيا.

يحيى: عن النضرِ بن مَعْبَد، عن أبي قلابة قال: «بينما رسول اللَّه ﷺ في مسيرٍ له في يومٍ شديد الحَر إذ نزل منزلًا، فجعل الرجل منهم ينتعلُ ثوبه من شدة حر الأرضِ؛ فقال رسول اللَّه ﷺ: ألا أراكم تجزعون من حر الشمس وبينكم وبينها مسيرة خمسمائة عام! فو الذي نفسي بيده لو أن بابًا من أبواب جهنم فُتِحَ بالمشرق، ورجُلٌ بالمغرب لغلى دماغُهُ حتى يسيل من منخريْه»(٢).

---

(١) لَهَبَان الحر: اتقاده وشدته، وكذا اللَّهيب واللُّهَاب. لسان العرب، القاموس المحيط (لهب).
(٢) لم أقف عليه الآن بهذا اللفظ، والله أعلم.

﴿فليضحكوا قليلًا﴾ قال قتادة: يعني: في الدنيا ﴿وليبكوا كثيرًا﴾ يعني: في النار.

يحيى: عن أبي أمية، عن قتادة؛ أن أبا موسى الأشعري قال: «إنه يسلط على أهل النار البكاء؛ فلوْ تُرْسَلُ السُّفُن في [...][1] أعينهم لجرت»[2].

﴿فإن رجعك اللَّه إلى طائفة منهم...﴾ يقوله للنبي، إلى قوله: ﴿فاقعدوا مع الخالفين﴾ قال الكلبي: يعني: الأشرار.

قال محمدٌ: واحدُ الخالفين: خالِفٌ؛ يقال للذي هو غيرُ نجيب: فلانٌ خالِفُ أهْلِه، وخالِفَةُ أهْلِه[3].

﴿ولا تصلِّ على أحدٍ منهم مات أبدًا﴾ قال قتادة: ذُكِرَ لنا أنه مات منافقٌ فكفنه نبي اللَّه في قميصه وصلى عليه ودلَّاه في قبره؛ فأنزل اللَّه - عز وجل -

---

(١) كلمة غير واضحة في الأصل.

(٢) رواه ابن سعد في الطبقات الكبرى (٤/ ١١٠) وأبو نعيم في الحلية (١/ ٢٦١، ٣/ ١٠٣) وغيرهما من طريق قسامة بن زهير عن أبي موسى بنحوه مطولًا.
وعزاه السيوطي في الدر المنثور (٣/ ٢٨٧) لابن أبي شيبة وأحمد في الزهد.
ورواه الحاكم (٤/ ٦٠٥) من طريق أبي النعمان محمد بن الفضل عن سلام بن مسكين قال: حدَّث أبو بردة عن عبد اللَّه بن قيس به مرفوعًا.
وقال الحاكم: هذا حديث صحيح الإسناد، ولم يخرجاه.
وروى ابن ماجه (٢/ ٤٤٦ رقم ٤٣٢٤) وابن المبارك في مسنده (٧٥ رقم ١٢٥) وأبو يعلى (٧/ ١٦١ - ١٦٢ رقم ٤١٣٤) والعقيلي في الضعفاء (٣/ ٣٠٧) وابن عدي في الكامل (٥/ ٤٠٣) والمحاملي في أماليه (٦رقم ٩) والبغوي في تفسيره (٤/ ٨٠) وفي شرح السنة (١٥/ ٢٥٢ - ٢٥٣ رقم ٤٤١٨) من طريق يزيد الرقاشي عن أنس نحوه مرفوعًا.
قال العقيلي: هذا يُروى بغير هذا الإسناد بإسنادٍ أيضًا لين.
وقال الحافظ العراقي: رواه ابن ماجه من رواية يزيد الرقاشي عن أنس، والرقاشي ضعيف. تخريج الإحياء (٦/ ٢٥٧٠ رقم ٤١٨٤).

(٣) لسان العرب القاموس المحيط (خلف).

هذه الآية فيه.

﴿وَإِذَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ أَنْ ءَامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَجَٰهِدُوا۟ مَعَ رَسُولِهِ ٱسْتَـْٔذَنَكَ أُو۟لُوا۟ ٱلطَّوْلِ مِنْهُمْ وَقَالُوا۟ ذَرْنَا نَكُن مَّعَ ٱلْقَٰعِدِينَ ﴿٨٦﴾ رَضُوا۟ بِأَن يَكُونُوا۟ مَعَ ٱلْخَوَالِفِ وَطُبِعَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ ﴿٨٧﴾ لَٰكِنِ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ جَٰهَدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْخَيْرَٰتُ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٨٨﴾ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٨٩﴾﴾

﴿استئذنك أولو الطول منهم﴾ أي: ذوو[١] الغنى في التخلف عن الجهاد ﴿وقالوا ذرنا نكن مع القاعدين رضوا بأن يكونوا مع الخوالف﴾ يعني: النساء؛ في تفسير العامة.

قال محمد: المعنى على هذا التفسير: رضوا بأن يكونوا في تخلُّفِهم عن الجهاد كالنساء، وقد قيل: إن الخوالف جَمْعُ خالفة[٢].

﴿وأولئك لهم الخيراتُ﴾ قال الحسن: يعني: النساء الحسان؛ مثل قوله: ﴿فيهن خيراتٌ حسانٌ﴾[٣].

قال محمد: وقد قيل: الخيراتُ: الفواضل من كل شيْءٍ؛ وواحدها: خَيْرَة[٤].

---

(١) في الأصل: (ذو). والمثبت هو الصواب.

(٢) لسان العرب القاموس المحيط (خلف).

(٣) الرحمن: ٧٠ .

(٤) قال الأخفش تعليقًا على الآية ﴿فيهن خيرات حسان﴾ قال: لما وُصِفَ به فقيل: فلان خَيْرٌ أشبهَ الصفات، فأدخلوا فيه الهاء للمؤنث ولم يريدوا به أفعل - أي: أفعل التفضيل. ينظر: لسان العرب ، مختار الصحاح (خلف).

﴿وَجَآءَ ٱلْمُعَذِّرُونَ مِنَ ٱلْأَعْرَابِ لِيُؤْذَنَ لَهُمْ وَقَعَدَ ٱلَّذِينَ كَذَبُوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ ۚ سَيُصِيبُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٩٠﴾ لَّيْسَ عَلَى ٱلضُّعَفَآءِ وَلَا عَلَى ٱلْمَرْضَىٰ وَلَا عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ مَا يُنفِقُونَ حَرَجٌ إِذَا نَصَحُوا۟ لِلَّهِ وَرَسُولِهِۦ ۚ مَا عَلَى ٱلْمُحْسِنِينَ مِن سَبِيلٍ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٩١﴾ وَلَا عَلَى ٱلَّذِينَ إِذَا مَآ أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ قُلْتَ لَآ أَجِدُ مَآ أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ تَوَلَّوا۟ وَّأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمْعِ حَزَنًا أَلَّا يَجِدُوا۟ مَا يُنفِقُونَ ﴿٩٢﴾﴾

(ل١٣٢) ﴿وجاء المعذرون﴾ يعني: المعتذرين ﴿من الأعراب ليؤذن لهم﴾ يعني: في القعود.

قال محمد: يقال: فلان معذِّر؛ أي: معتذرٌ[١]، وأُدغمت التاء في الذال؛ لقرب مخرجيهما[٢]. ومن كلامهم أيضًا: عذرت الأمر إذ قصّرتَ، وأعذرت إذا جددت[٣].

﴿وقعد الذين كذبوا اللّه ورسوله﴾ فيما أكثروا من النفاق؛ كان هذا في غزوة تبوك.

﴿ليس على الضعفاء﴾ قال السُّدي: يعني: العجزة الذين لا قوَّة لهم ﴿ولا على المرضى﴾ يعني: من كان به مرض ﴿ولا على الذين لا يجدون ما ينفقون حرج﴾ إثمٌ في التخلف عن الغزو ﴿إذا نصحوا للّه ورسوله﴾ إذا كان لهم عذرٌ.

---

(١) في «الأصل»: فمعتذر. والمثبت هو الصواب.
(٢) ونُقِلت حركة التاء (الفتحة) إلى العين.
(٣) والمعذِّر قد يكون محقًّا؛ وهو الذي له عُذر، وقد يكون غير محقّ؛ وهو المقصّر يعتذر بغير عذر. لسان العرب مختار الصحاح، القاموس المحيط (عذر).

﴿إِنَّمَا ٱلسَّبِيلُ عَلَى ٱلَّذِينَ يَسْتَـْٔذِنُونَكَ وَهُمْ أَغْنِيَآءُ ۚ رَضُوا۟ بِأَن يَكُونُوا۟ مَعَ ٱلْخَوَالِفِ وَطَبَعَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٩٣﴾ يَعْتَذِرُونَ إِلَيْكُمْ إِذَا رَجَعْتُمْ إِلَيْهِمْ ۚ قُل لَّا تَعْتَذِرُوا۟ لَن نُّؤْمِنَ لَكُمْ قَدْ نَبَّأَنَا ٱللَّهُ مِنْ أَخْبَارِكُمْ ۚ وَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُۥ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَىٰ عَـٰلِمِ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَـٰدَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٩٤﴾ سَيَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ لَكُمْ إِذَا ٱنقَلَبْتُمْ إِلَيْهِمْ لِتُعْرِضُوا۟ عَنْهُمْ ۖ فَأَعْرِضُوا۟ عَنْهُمْ ۖ إِنَّهُمْ رِجْسٌ ۖ وَمَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿٩٥﴾ يَحْلِفُونَ لَكُمْ لِتَرْضَوْا۟ عَنْهُمْ ۖ فَإِن تَرْضَوْا۟ عَنْهُمْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يَرْضَىٰ عَنِ ٱلْقَوْمِ ٱلْفَـٰسِقِينَ ﴿٩٦﴾﴾

﴿ثم تردون إلى عالم الغيبِ﴾ السّرّ ﴿والشهادة﴾ العلانية.

﴿سيحلفون بالله لكم إذا انقلبتم إليهم﴾ من غزاتكم ﴿لتعرضوا عنهم فأعرضوا عنهم﴾ ألا تقتلوهم ما أظهروا الإيمان، واعتذروا.

﴿يحلفون لكم﴾ بالكذب ﴿لترضوا عنهم﴾ فيما أظهروا من الإيمان والاعتذار ﴿فإن ترضوا عنهم﴾ لما يظهرون من الإيمان ﴿فإن الله لا يرضى عن القوم الفاسقين﴾ يعنيهم لما بطن منهم من النفاق.

﴿ٱلْأَعْرَابُ أَشَدُّ كُفْرًا وَنِفَاقًا وَأَجْدَرُ أَلَّا يَعْلَمُوا۟ حُدُودَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٩٧﴾ وَمِنَ ٱلْأَعْرَابِ مَن يَتَّخِذُ مَا يُنفِقُ مَغْرَمًا وَيَتَرَبَّصُ بِكُمُ ٱلدَّوَآئِرَ ۚ عَلَيْهِمْ دَآئِرَةُ ٱلسَّوْءِ ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٩٨﴾ وَمِنَ ٱلْأَعْرَابِ مَن يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ وَيَتَّخِذُ مَا يُنفِقُ قُرُبَـٰتٍ عِندَ ٱللَّهِ وَصَلَوَٰتِ ٱلرَّسُولِ ۚ أَلَآ إِنَّهَا قُرْبَةٌ لَّهُمْ ۚ سَيُدْخِلُهُمُ ٱللَّهُ فِى رَحْمَتِهِۦٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٩٩﴾﴾

﴿الأعراب أشد كفرًا ونفاقًا﴾ يعني: أن منافقي الأعراب أشدُّ من منافقي أهل المدينة في نفاقهم وكفرهم ﴿وأجدر ألا يعلموا حدود ما أنزل اللَّه على رسوله﴾ قال قتادة: يقولُ: هُمْ أقل علمًا بالسُّنَن.

﴿ومن الأعراب من يتخذ ما ينفق﴾ في الجهاد ﴿مغرمًا﴾ يعني: المنافقين؛ لأنهم ليست لهم نيَّةٌ.

قال محمدٌ: قوله ﴿مغرمًا﴾ يعني: غُرْمًا وخسرانًا (١).

﴿ويتربص بكم الدوائر﴾ يعني: أن يهلكَ محمدٌ والمؤمنون، فيرجع إلى دين مشركي العرب.

﴿عليهم دائرةُ السَّوْءِ﴾ يعني: عاقبة السَّوْءِ.

﴿ومن الأعراب من يؤمن باللَّه واليوم الآخر ويتخذ ما ينفق قربَاتٍ عند اللَّه﴾ أي: يتقرَّبُ به إلى اللَّه - عز وجل - ﴿وصلوات الرسول﴾ أي: ويتخذ صلوات الرسول أيضًا قربة إلى اللَّه. وصلواتُ الرسول: استغفاره ودعاؤه.

﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١٠٠﴾ وَمِمَّنْ حَوْلَكُم مِّنَ ٱلْأَعْرَابِ مُنَٰفِقُونَ وَمِنْ أَهْلِ ٱلْمَدِينَةِ مَرَدُوا۟ عَلَى ٱلنِّفَاقِ لَا تَعْلَمُهُمْ نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ سَنُعَذِّبُهُم مَّرَّتَيْنِ ثُمَّ يُرَدُّونَ إِلَىٰ عَذَابٍ عَظِيمٍ ﴿١٠١﴾﴾

﴿والسابقون الأولون من المهاجرين والأنصار﴾ قال قتادة: من كان صلَّى مع رسول اللَّه ﷺ القِبْلتين (٢) فهو من السابقين الأولين ﴿وممن حولكم من

---

(١) والمَغْرمُ والغُرْمُ والغَرَامةُ بمعنًى واحدٍ. لسان العرب (غرم).

(٢) أي: إلى القبلتين.

الأعراب﴾ يعني: حول المدنية ﴿منافقون ومن أهل المدينة مردوا على النفاق﴾ أي: اجترءوا عليه ﴿لا تعلمهم نحن نعلمهم﴾ قد أعلمهم اللَّه رسولَه بعد ذلك، وأسرَّهم النبي عليه السلام إلى حُذيفة بن اليمان.

﴿سنعذبهم مرَّتين﴾ أما إحْدَاهما: فبالزكاة أن تؤخذ منهم كُرْهًا، وأما الأخرى: فبعذاب القبر ﴿ثم يُردون إلى عذاب عظيم﴾ أي: جهنم.

﴿وَءَاخَرُونَ ٱعْتَرَفُوا۟ بِذُنُوبِهِمْ خَلَطُوا۟ عَمَلًا صَٰلِحًا وَءَاخَرَ سَيِّئًا عَسَى ٱللَّهُ أَن يَتُوبَ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٠٢﴾ خُذْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ ۖ إِنَّ صَلَوٰتَكَ سَكَنٌ لَّهُمْ ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١٠٣﴾ أَلَمْ يَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ هُوَ يَقْبَلُ ٱلتَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِۦ وَيَأْخُذُ ٱلصَّدَقَٰتِ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٠٤﴾ وَقُلِ ٱعْمَلُوا۟ فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُۥ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ۖ وَسَتُرَدُّونَ إِلَىٰ عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٠٥﴾ وَءَاخَرُونَ مُرْجَوْنَ لِأَمْرِ ٱللَّهِ إِمَّا يُعَذِّبُهُمْ وَإِمَّا يَتُوبُ عَلَيْهِمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿١٠٦﴾﴾

﴿وآخرون اعترفوا بذنوبهم ...﴾ الآية، تفسير الحسن: هم نفرٌ من المؤمنين كان عرض في هممهم شيء، ولم يعزموا على ذلك، ثم تابوا من بعد ذلك، وأتوا رسول اللَّه ﷺ فاعترفوا بذنوبهم.

﴿عسى اللَّه أن يتوب عليهم﴾ وعسى من اللَّه - جل وعز - واجبة.

﴿خذ من أموالهم﴾ أي: اقبلْ ﴿ صدقةً تطهرهم﴾ من الذنوب ﴿وتزكيهم بها﴾ وليست بصدقة الفريضة، ولكنها كفَّارة لهم ﴿وصَلِّ عليهم﴾ أي: استغفر لهم ﴿إن صلاتك سكنٌ لهم﴾ يعني: طمأنينة لقلوبهم؛ يقوله اللَّه - عز وجل - للنبي عليه السلام.

﴿ألَمْ يعلموا أن اللَّه هو يقبل التوبة عن عباده ويأخذُ الصدقات﴾ أي: يقبلها.

﴿وقل اعملوا فسيرى اللَّه عمَلكم ورسوله والمؤمنون﴾ يعني: بما يطلعهم عليْهِ.

يحيى: عن الصلت بن دينار، عن محمد بن سيرين، عن عثمانَ بن عفان قال: «لو أن رجلًا عمل في جوْف سبعين بيتًا لكساه اللَّه - عز وجل - رداء عمله خيرًا أو شرًا»(١).

﴿وآخرون مُرْجَوْن لأمر اللَّه﴾ هم الثلاثة الذين في آخر السورة الذين خُلفُوا، ثم تاب اللَّه عليهم في الآية التي في آخر السورة.

﴿وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مَسْجِدًا ضِرَارًا وَكُفْرًا وَتَفْرِيقًا بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ وَإِرْصَادًا لِمَنْ حَارَبَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ مِن قَبْلُ وَلَيَحْلِفُنَّ إِنْ أَرَدْنَا إِلَّا الْحُسْنَى وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴿١٠٧﴾ لَا تَقُمْ فِيهِ أَبَدًا لَّمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَى مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَن تَقُومَ فِيهِ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُطَّهِّرِينَ ﴿١٠٨﴾ أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَى تَقْوَى

---

(١) رواه نعيم بن حماد في زيادات الزهد (٧٣) من طريق معبد الجهني عن عثمان بنحوه.
ورواه الإمام أحمد في فضائل الصحابة (٧٧٧) وابن أبي شيبة في المصنف (٨/ ٢٨٢) من طريق أبي قلابة عن عثمان بنحوه.
ورواه ابن أبي شيبة في المصنف (٨/ ٢٨٢) من طريق إسماعيل بن أبي خالد عن عثمان.
ورواه أبو داود في الزهد (١١٢ رقم ١٠٧) من طريق إسماعيل بن أبي خالد عن زياد مولى بني مخزوم عن عثمان.
ورواه الطبري في تفسيره (١٦/ ١٣٣) من طريق قتادة عن عثمان.
ورواه أبو داود في الزهد (١١١ رقم ١٠٦) والبيهقي في شعب الإيمان (٥/ ٣٥٩ رقم ٦٩٤١) من طريق آخر عن عثمان.
وقال البيهقي: هذا هو الصحيح موقوفًا على عثمان، وقد رفعه بعض الضعفاء.

مِنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنٍ خَيْرٌ أَم مَّنْ أَسَّسَ بُنْيَٰنَهُۥ عَلَىٰ شَفَا جُرُفٍ هَارٍ فَٱنْهَارَ بِهِۦ فِى نَارِ جَهَنَّمَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٠٩﴾ لَا يَزَالُ بُنْيَٰنُهُمُ ٱلَّذِى بَنَوْا۟ رِيبَةً فِى قُلُوبِهِمْ إِلَّآ أَن تَقَطَّعَ قُلُوبُهُمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿١١٠﴾ ﴾

(ل١٣٣) ﴿والذين اتخذوا مسجدًا ضرارًا . . .﴾ إلى قوله: ﴿والله عليمٌ حكيمٌ﴾ تفسير الحسن «أن رسول الله ﷺ كان حين غزوة تبوك نزل بين ظهراني الأنصار وبنى مسجد قباءَ - وهو الذي أُسس على التقوى - وكان المنافقون من الأنصار بَنَوْا مسجدًا؛ فقالوا: نميل به فإن أتانا محمدٌ فيه وإلا لم [. . .][1] ونخلوا فيه لحوائجنا ونبعث إلى أبي عامر الراهب - لمحارب من محاربي الأنصار كان يقال له: أبو عامر الرَّاهبُ ، وكان رسول الله عليه السلام أَسَرَهُ - فيأتينا؛ فنستشيره في أمورنا، فلما بنَوْا المسجد؛ وهو الذي قال الله - عز وجل -: ﴿الذين اتخذوا مسجدًا ضرارًا وكفرًا وتفريقًا بين المؤمنين﴾ أي: بين جماعة المؤمنين ﴿وإرصادًا لمن حارب الله ورسوله من قبل﴾ يعني: أبا عامر، فجعل رسول الله ﷺ ينتظر الوحي لا يأتيهمْ ولا يأتونه، فلما طال ذلك عليه دعا بقميصه ليأتيهم؛ فإنه ليزرَّه عليه إذْ أتاه جبريل، فقال: ﴿لا تقمْ فيه أبدًا﴾ يعني: ذلك المسجد. ﴿لمسجدٌ أُسس على التقوى من أول يومٍ﴾ يعني: مسجد قُبَاءَ ﴿أحق أن تقوم فيه﴾ .

قال محمدٌ: قوله ﴿وإرصادًا لمن حارب الله ورسوله﴾ أي: انتظارًا؛ يقال: أرْصَدْتُ له بالشر، ورصَدتُه بالمعافاة. وقد قيل: أرْصدتُ له بالخير والشر جميعًا[2].

---

(١) طمس بالأصل.

(٢) لسان العرب ، القاموس المحيط (رصد).

﴿فيه رجالٌ يحبون أن يتطهروا والله يحب المطهرين﴾.

يحيى: عن همام، عن قتادة، عن شهر بن حوشب قال: «لما نزلت: ﴿فيه رجال يحبون أن يتطهروا والله يحب المطهرين﴾ قال رسول الله ﷺ: يا معشر الأنصار، إن الله قد أحسن عليكم الثناء في الطهور؛ فكيف طهوركم بالماء؟ قالوا: نغسل أثر الخلاء بالماء»(١) من حديث يحيى بن محمد.

قال يحيى: وبلغنا أن رسول الله ﷺ دعا المنافقين الذين بنوا ذلك المسجد، فقال: ما حملكم على بناء هذا المسجد؟ فحلفوا بالله إن أردنا إلا الحُسْنَى، ﴿والله يشهد إنهم لكاذبون﴾.

﴿أفمن أسس بنيانه على تقوى من الله ورضوان خير أمّن أسس بنيانه على شفا جرفٍ هار﴾ يعني: حَرْف جُرف.

﴿فانهار به في نار جهنم﴾ أي: أن الذي أُسِّسَ بنيانُه على تقوى من الله

---

(١) رواه الطبري في تفسيره (١١/ ٢٩) من طريق همام به.
ورواه عبد الرزاق في تفسيره (١/ ٢٨٨) والطبري في تفسيره (١١/ ٢٩) من طريق معمر عن قتادة معضلا، لم يذكر شهر بن حوشب فيه.
ورواه الطبري في تفسيره (١١/ ٢٩) من طريق سعيد عن قتادة كذلك .
ورواه عبيد الله بن تمام عن داود بن أبي هند عن شهر عن أبي هريرة.
رواه الدارقطني في الأفراد، أطراف الغرائب (٣/ ٢٠٤ رقم ٥١٦٤) وقال الدارقطني: تفرد به عبيد الله بن تمام عن داود بن أبي هند عنه. اهـ.
وقال في العلل (٨/ ٣٣٤ رقم ١٦٠٤): يرويه داود بن أبي هند، واختلف عنه: فرواه عبيد الله بن تمام عن داود عن شهر عن أبي هريرة. وغيره يرويه عن شهر مرسلاً.
قال سيار أبو الحكم عن شهر عن محمد بن عبد الله بن سلام، واختلف عنه: فقال فيه سلمة بن رجاء: عن مالك بن مغول عن سيار عن شهر عن محمد بن عبد الله بن سلام عن أبيه عن النبي ﷺ وأرسله غيره . اهـ
وللحديث طرق عن غير واحدٍ من الصحابة والتابعين، انظر تفسير الطبري (١١/ ٢٩ -٣١) الدر المنثور (٣/ ٣٠١ - ٣٠٢).

ورضوان خير من الآخر، قال قتادة: ما تناهى أن وقع في النار، وذُكر لنا أنهم حفروا فيه بقعةً فرئى منها الدخان.

قال محمد: قوله: ﴿على شفا جُرُف﴾ يعني: حرف جُرُفٍ، والجُرُفُ: ما تجرف بالسيول من الأودية[١]؛ يقال: جُرُفٌ هارٍ وهائرٌ؛ إذا كان متصدعًا؛ فإذا سقط قيل: انهار وتَهَوَّر[٢].

﴿وعدًا عليه حقًّا في التوراة والإنجيل والقرآن﴾ يقول: هذا حُكْمُ اللَّه - عز وجل - في هذا، في التوراة والإنجيل والقرآن.

قال محمدٌ: ﴿وعْدًا عليه حقًّا﴾ بالنصبِ على معنى: فإنَّ لهم الجنة، وعدهم إياها وعْدًا عليه حقًّا[٣].

﴿لا يزال بنيانهم الذي بنوا ريبة في قلوبهم﴾ أي: شكًّا. ﴿إلا أن تقطع قلوبهم﴾ تفسير مجاهد: يقول: إلا أن يموتوا.

قال يحيى: أخبر أنهم يموتون على النفاق.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ وَٱلْقُرْءَانِ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِۦ مِنَ ٱللَّهِ فَٱسْتَبْشِرُوا۟ بِبَيْعِكُمُ ٱلَّذِى بَايَعْتُم بِهِۦ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١١١﴾ ٱلتَّٰٓئِبُونَ ٱلْعَٰبِدُونَ ٱلْحَٰمِدُونَ ٱلسَّٰٓئِحُونَ ٱلرَّٰكِعُونَ ٱلسَّٰجِدُونَ ٱلْءَامِرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَٱلنَّاهُونَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَٱلْحَٰفِظُونَ لِحُدُودِ ٱللَّهِ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١١٢﴾﴾

---

(١) ويقال: الجرف - بضم الراء وسكونها. لسان العرب (جرف).

(٢) ويقال فيه أيضًا: هوَّر. لسان العرب (هور).

(٣) أي: منصوب على المصدر المؤكد لمضمون الجملة. ينظر الدر المصون (٣/٥٠٦).

﴿التائبون﴾ تابوا من الشرك ﴿العابدون﴾ عبدوا اللَّه مخلصين له ﴿الحامدون﴾ يحمدون اللَّه على كل حال.

﴿السائحون﴾ هم الصائمون.

قال محمدٌ: السائح أصله: الذاهبُ في الأرض(١)، ومن ساحَ امتنَع من الشهوات، فشبه الصائم به؛ لإمساكه عن الطعام والشراب والنكاحِ.

﴿الراكعون الساجدون﴾ يقول: هم أهل الصلاة.

﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَن يَسْتَغْفِرُوا۟ لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوٓا۟ أُو۟لِى قُرْبَىٰ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَٰبُ ٱلْجَحِيمِ ﴿١١٣﴾ وَمَا كَانَ ٱسْتِغْفَارُ إِبْرَٰهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَن مَّوْعِدَةٍ وَعَدَهَآ إِيَّاهُ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُۥٓ أَنَّهُۥ عَدُوٌّ لِّلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ لَأَوَّٰهٌ حَلِيمٌ ﴿١١٤﴾ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِلَّ قَوْمًۢا بَعْدَ إِذْ هَدَىٰهُمْ حَتَّىٰ يُبَيِّنَ لَهُم مَّا يَتَّقُونَ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿١١٥﴾ إِنَّ ٱللَّهَ لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ يُحْىِۦ وَيُمِيتُ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿١١٦﴾﴾

﴿ما كان للنبي والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين﴾ تفسير قتادة: قال: كان أنزل في سورة بني إسرائيل ﴿وقل رب ارحمهما كما ربياني صغيرًا﴾(٢) ثم أنزل في هذه الآية: ﴿ما كان للنبي والذين آمنوا...﴾ الآية، فلا ينبغي للمسلم أن يستغفر لوالديه إذا كانا مشركين، ولا أن يقول: رب ارحمهما (ل١٣٤) وقوله عز وجل: ﴿من بعد ما تبين لهم أنهم أصحاب الجحيم﴾ أي:

---

(١) يقال: ساح في الأرض يَسِيحُ سَيْحًا وسُيُوحًا وسِيَاحَةً وسَيَحانًا؛ أي: ذهب. لسان العرب (سيح).

(٢) الإسراء: ٢٤ .

ماتوا على الكفر ﴿وما كان استغفار إبراهيم لأبيه...﴾ الآية.

قال قتادة: ذُكِرَ لنا «أن رجلًا قال لنبي اللَّه ﷺ: إن من آبائنا من كان يحسن الجوارَ، ويصل الأرحامَ، ويفك العاني، ويفي بالذمم؛ أفلا تستغفر لهم؟ قال: بلى، فو اللَّه إني لأستغفرُ لوالِدَيَّ؟ كما استغفر إبراهيم لأبيه. فأنزل اللَّه - سبحانه -: ﴿وما كان استغفار إبراهيم لأبيه إلا عن موْعدة وعدها إياه﴾»[1].

﴿فلما تبيَّن له أنه عدوٌّ للَّه﴾ أي: مات على شركه ﴿تبرأ منه إنَّ إبراهيم لأواهٌ حليمٌ﴾ قال ابن عباس: الأواه: الموقِنُ. وقال ابن مسعود: هو الدَّعَّاء.

قال محمد: وذكر أبو عبيد أن هذا التفسير أقرب في المعنى؛ لأنه من التأوُّه، وهو من الصوت[2]، منه قول الشاعر:

فأَوْهِ بِذِكْرَاهَا إذا ما ذكرتها ... ومن بُعْدِ أرْضٍ دونها وسماء[3]

قال محمدٌ: يقال: (أوْهِ) بتسكين الواو وكسْرِ الهاء، و(أوَّهْ) مشَدّدة[4]، يقال: آه الرجل يئوهُ إذا قال: أوّه من أمر يشق عليه، ويقال: تأوّه الرجل، والمتأوِّه: المتلهف.

﴿وما كان اللَّه ليضل قومًا بعد إذ هداهم...﴾ الآية.

بلغنا أن ناسًا من أصحاب النبي ﷺ ماتوا قبل أن تفترض الفرائض أو بعضُها؛ فقال قوْمٌ من أصحاب النبي ﷺ: مات إخواننا قبل أن تفترض

---

(١) رواه ابن جرير الطبري في تفسيره (١١/ ٤٣).

(٢) أي: صوت التوجُّع والشّكاية. لسان العرب (أوه)، و(أوو).

(٣) ويروى: فأوه لِذكراها ... وهو من بحر الطويل. ينظر: اللسان (أوو)، المحتسب (١/ ٣٩)، الخصائص (٢/ ٨٩)، (٣/ ٣٨).

(٤) يقال: أَوْهِ، وأوّهْ، وأوَّهْ، وآهِ، وأوّتاه، لسان العرب، مختار الصحاح (أوه).

هذه الفرائض، فما منزلتهم؟ فأنزل اللَّه - عز وجل - هذه الآية؛ فأخبر أنهم ماتوا على الإيمان.

﴿لَقَد تَّابَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلنَّبِيِّ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ ٱلْعُسْرَةِ مِنۢ بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٍ مِّنْهُمْ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ إِنَّهُۥ بِهِمْ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١١٧﴾﴾

﴿لقد تاب اللَّه على النبي والمهاجرين والأنصار الذين اتبعوه في ساعة العسرة﴾ أي: في وقت العُسْرةِ ﴿من بعد ما كاد يزيغُ قلوبُ فريق منهم﴾ أي: تميل عن الجهاد؛ فعصمهم اللَّه - عز وجل - من ذلك؛ فمضوْا مع النبي عليه السلام قال قتادة: أصابَهُمْ في هذه الغزوة جَهْدٌ شديد، حتى لقد بلغنا أن الرَّجلَيْن كانا يشقان التمرة بينهما، وكان النفر يتداولون التمرة بينهم يَمصُّها هذا، ثم يشرب عليها من الماء، ثم يمصها الآخر.

﴿وَعَلَى ٱلثَّلَٰثَةِ ٱلَّذِينَ خُلِّفُواْ حَتَّىٰٓ إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ ٱلْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنفُسُهُمْ وَظَنُّوٓاْ أَن لَّا مَلْجَأَ مِنَ ٱللَّهِ إِلَّآ إِلَيْهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١١٨﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿١١٩﴾﴾

﴿وعلى الثلاثة﴾ أي: وتاب على الذين خُلفُوا عن غزوة تبوك؛ وهم الذين أُرْجُوا في الآية الأولى في قوله عز وجل: ﴿وآخرون مُرْجَوْن لأمر اللَّه﴾[1] وهم: كعب بن مالك، وهلال بن أمية، ومُرَارَةُ بن ربيعة.

﴿حتى إذا ضاقت عليهم الأرضُ بما رحبت﴾ أي: بسعتها ﴿وظنوا﴾ علموا

---

(١) التوبة: ١٠٦.

﴿أن لا ملجأ من اللّه إلا إليه﴾ بلَغنا أن رسول اللّه ﷺ كان أمرَ الناس ألا يكلموهم ولا يجالسوهم، ثم أرسل إلى أهليهم ألّا يؤوهُمْ ولا يكلموهم؛ فلما رأوْا ذلك ندموا وجاءوا إلى سوارى المسْجِد، فأوثقوا أنفسهم؛ حتى أنزل اللّه - عز وجل - توبتهم في هذه الآية.

﴿يا أيها الذين آمنوا اتقوا اللّه وكونوا مع الصادقين﴾ تفسير بعضهم: خاطب بهذا من لمْ يهاجرْ، ليهاجروا إلى النبي بالمدينة .

﴿مَا كَانَ لِأَهْلِ ٱلْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهُم مِّنَ ٱلْأَعْرَابِ أَن يَتَخَلَّفُوا۟ عَن رَّسُولِ ٱللَّهِ وَلَا يَرْغَبُوا۟ بِأَنفُسِهِمْ عَن نَّفْسِهِۦ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ لَا يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ وَلَا نَصَبٌ وَلَا مَخْمَصَةٌ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَطَـُٔونَ مَوْطِئًا يَغِيظُ ٱلْكُفَّارَ وَلَا يَنَالُونَ مِنْ عَدُوٍّ نَّيْلًا إِلَّا كُتِبَ لَهُم بِهِۦ عَمَلٌ صَٰلِحٌ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٢٠﴾﴾

﴿ما كان لأهل المدينة ومن حولهم من الأعراب أن يتخلفوا عن رسول اللّه﴾ وهذا في غزوة تبوك ﴿ولا يرغبوا بأنفسهم عن نفسه ذلك بأنهم﴾ يعني: من خرج منهم.

﴿لا يصيبهم ظمأٌ﴾ عطشٌ ﴿ولا نصبٌ﴾ في أبدانهم ﴿ولا مخمصةٌ﴾ جوع.

﴿ولا يطئون موطئًا يغيظُ الكفارَ ولا ينالون من عدُوٍّ نيلًا إلا كتب لهُمْ به عملٌ صالحٌ﴾.

يحيى: عن عبد الرحمن بن يزيد، عن أبي المُصَبِّح قال: «غزونا مع مالك ابن عبد اللّه الخثعمي أرض الروم، فسبق الناسَ رجلٌ، ثم نزل يمشي ويقود فرسه، فقال له مالك: يا عبد اللّه، ألا تركب؟! فقال: سمعتُ رسول اللّه ﷺ

يقول: من اغبرَّتْ قدماه في سبيل اللَّه ساعة من نهار، فَهُمَا حرامٌ على النار. قال: فلم أرَ نازلًا أكثر من يومئذٍ»(١).

يحيى: عن المسعودي، عن محمد بن عبد الرحمن، عن عيسى بن طلحة، عن أبي هريرة قال: قال رسول اللَّه ﷺ: (ل١٣٥) «لا يجتمع غبار

---

(١) رواه الإمام أحمد (٥/ ٢٢٥ - ٢٢٦) - ومن طريق ابن عساكر (٥٦/ ٤٦٧) - وابن المبارك في الجهاد (٣٣) والبغوي - ومن طريقه ابن عساكر في تاريخه (٥٦/ ٤٦٧) وغيرهم من طريق عبد الرحمن بن يزيد بن جابر به.
ورواه عبد اللَّه بن المبارك في الجهاد (٣٢) من طريق حصين بن حرملة عن أبي المصبح به. وصرح باسم الصحابي، وهو جابر بن عبد اللَّه.
ورواه من طريق ابن المبارك الإمامُ أحمد (٣/ ٣٦٧) والطيالسي (٢٤٣ - ٢٤٤ رقم ١٧٧٢) وأبو يعلى (٤/ ٥٧ - ٥٨ رقم ٢٠٧٥) وابن حبان (١٠/ ٤٦٣ - ٤٦٤ رقم ٤٦٠٤) وابن أبي عاصم في الجهاد (١/ ٣٢٨ - ٣٢٩ رقم ١١٣) والبيهقي في سننه (٩/ ١٦٢) وابن عساكر في تاريخه (٥٦/ ٤٦٧ - ٤٦٨).
ورواه الطبراني في المعجم الكبير (١٩/ ٢٩٧ رقم ٦٦١) وعنه أبو نعيم في معرفة الصحابة (٥/ ٢٤٦٣ رقم ٦٠٠٧) من طريق العلاء بن زبر وابن جابر عن أبي المصبح عن مالك بن عبد اللَّه الخثعمي عن النبي ﷺ، فأصبح من مسند مالك.
ورواه وكيع عن محمد بن عبد اللَّه الشعيثي عن ليث بن المتوكل عن مالك بن عبد اللَّه عن النبي ﷺ.
خرجه الإمام أحمد (٥/ ٢٢٦) ومن طريقه ابن عساكر (٥٦/ ٤٦٦) وابن أبي شيبة (٥/ ٣١٠) عن وكيع.
وقال ابن عساكر: كذا قال، والصواب متوكل بن الليث، قلبه وكيع، ومالك لم يسمع الحديث من رسول اللَّه ﷺ إنما سمعه من رجل من الصحابة غزا معه حين كان يلي المغازي. اهـ
وقال ابن الأثير في أسد الغابة (٥/ ٣٢): كذا رواه وكيع، والصواب: المتوكل بن الليث، ومالك لم يسمع هذا الحديث من النبي ﷺ، إنما رواه عن جابر عن النبي ﷺ. وقد ذكرناه في كتاب الجهاد مستقصى. اهـ
وقال ابن حجر في الإصابة (٩/ ٥٥): وهذا هو الصواب أن الحديث لجابر بن عبد اللَّه، وسمعه مالك منه. اهـ

في سبيل اللَّه ودخانُ جهنم في منخري عبدٍ مسلمٍ أبدًا»[(١)].

يحيى: عن إبراهيم بن محمد، عن محمد بن يزيد، عن صفوانَ بن عبد اللَّه بن صفوان قال: «ذكر لنا أن العمل في سبيل اللَّه يضاعفْ؟ كما تضاعف النفقة سبعمائة ضعف».

﴿وَلَا يُنفِقُونَ نَفَقَةً صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً وَلَا يَقْطَعُونَ وَادِيًا إِلَّا كُتِبَ لَهُمْ لِيَجْزِيَهُمُ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٢١﴾ وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُوا كَافَّةً

---

(١) رواه الإمام أحمد (٢/ ٥٠٥) وابن المبارك في الجهاد (٣٠) والطيالسي (٣٢١ رقم ٢٤٤٣) وهناد في الزهد (٤٦٥) والنسائي (٦/ ٣١٩ رقم ٣١٠٨) والترمذي (٤/ ١٤٧ رقم ١٦٣٣، ٤/ ٤٨١ رقم ٢٣١١) والحاكم (٤/ ٢٦٠) والبيهقي في الشعب (٣/ ٨٩ - ٩٠ رقم ٧٧٩) والبغوي في شرح السنة (١٤/ ٣٦٤ رقم ٤١٦٨) وفي تفسيره (٤/ ١٨٩) وغيرهم من طريق المسعودي به.
وقال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح.
وقال الحاكم: هذا حديث صحيح الإسناد، ولم يخرجاه.
وقال البيهقي: رفعه المسعودي، ووقفه مسعر.
ورواه الحميدي (٢/ ٤٦٦ رقم ١٠٩١) وابن حبان (١٠/ ٤٦٧ رقم ٤٦٠٧) من طريق مسعر بن كدام عن محمد بن عبد الرحمن به.
ورواه وكيع في الزهد (١/ ٢٤٩ - ٢٥٠ رقم ٢٣) عن مسعر والمسعودي به موقوفًا.
ورواه النسائي (٦/ ٣١٩ رقم ٣١٠٧) وهناد في الزهد (٤٦٦) وابن أبي شيبة (١٣/ ٣٥١ رقم ١٦٥٥٧) والبيهقي في الشعب (٣/ ٩٠ رقم ٧٨٠) من طريق مسعر به موقوفًا.
ورواه ابن ماجه (٢/ ٩٢٧ رقم ٢٧٧٤) من طريق سفيان بن عيينة عن محمد بن عبد الرحمن مرفوعًا.
ولما سُئل الدارقطني عن هذا الحديث قال في العلل (٨/ ٣٣٦ رقم ١٦٠٦): يرويه محمد بن عبد الرحمن مولى آل طلحة عنه، واختلف عنه: فرواه مسعر عنه موقوفًا، واختلف عن المسعودي فرفعه عنه قوم، ووقفه وكيع عنه، وقيل: عن ابن عيينة عن مسعر مرفوعًا، ولا يثبت. اهـ.
قلت: وللحديث طرق أخر عن أبي هريرة وغيره.

﴿فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا۟ فِى ٱلدِّينِ وَلِيُنذِرُوا۟ قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوٓا۟ إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ ﴿١٢٢﴾﴾

﴿وما كان المؤمنون لينفروا كافة . . .﴾ الآية، تفسير بعضهم: أن رسول الله ﷺ حين رجع من تبوك وقد أنزل الله - عز وجل - في المنافقين الذين تخلفوا عنه ما أنزل - قال المؤمنون: لا والله لا يرانا الله - عز وجل - متخلِّفين عن الغزوة يغزوها رسول الله ﷺ أبدًا ولا عن سريّة. فأمر رسول الله عليه السلام السرايا أن تخرج فنفر المسلمون من آخرهم، وتُرك نبي الله عليه السلام وحده، فأنزل الله - عز وجل - : ﴿وما كان المؤمنون لينفروا كافة﴾ أي: جميعًا، ويذروك وحدك بالمدينة ﴿فلولا﴾ فهلا ﴿نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا في الدين﴾ ليتفقه المقيمون ﴿وينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم﴾ من غَزَاتِهم. أي: يُعَلِّمُ المقيمُ الغازيَ ما نزل بَعْدَه من القرآن.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قَٰتِلُوا۟ ٱلَّذِينَ يَلُونَكُم مِّنَ ٱلْكُفَّارِ وَلْيَجِدُوا۟ فِيكُمْ غِلْظَةً وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿١٢٣﴾ وَإِذَا مَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُم مَّن يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَٰذِهِۦٓ إِيمَٰنًا ۚ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فَزَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴿١٢٤﴾ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَىٰ رِجْسِهِمْ وَمَاتُوا۟ وَهُمْ كَٰفِرُونَ ﴿١٢٥﴾﴾

﴿يا أيها الذين آمنوا قاتلوا الذين يلونكم من الكفار. . .﴾ الآية، قال الحسن: نزلت قبل أن يؤمر بقتال المشركين كافة.

﴿وإذا ما أنزلت سورة فمنهم من يقول﴾ يعني: المنافقين ﴿أيكم زادته هذه إيمانًا﴾ يقوله بعضهم لبعض، قال الله - عز وجل -: ﴿فأما الذين آمنوا فزادتهم إيمانًا﴾ تصديقًا ﴿وهم يستبشرون﴾ بما يجيء من عند الله ﴿وأما

الذين في قلوبهم مرض﴾ شك ﴿فزادتهم رجسًا إلى رجسهم﴾ أي: زادهُمْ تكذيبهم بها كفرًا إلى كفرهم ﴿وماتوا وهم كافرون﴾ يقول: إنهم يموتون على الكفر.

﴿أَوَلَا يَرَوْنَ أَنَّهُمْ يُفْتَنُونَ فِي كُلِّ عَامٍ مَّرَّةً أَوْ مَرَّتَيْنِ ثُمَّ لَا يَتُوبُونَ وَلَا هُمْ يَذَّكَّرُونَ ﴿١٢٦﴾ وَإِذَا مَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ نَّظَرَ بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ هَلْ يَرَىٰكُم مِّنْ أَحَدٍ ثُمَّ ٱنصَرَفُوا۟ ۚ صَرَفَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُم بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَفْقَهُونَ ﴿١٢٧﴾﴾

﴿أو لا يرون أنهم يفتنون في كل عامٍ مرة أو مرتين﴾ قال الحسن: يعني: يُبْتَلون بالجهاد مع رسول اللَّه عليه السلام فيرون نَصْرَ اللَّه - عز وجل - رسوله ﴿ثم لا يتوبون﴾ من نفاقهم ﴿ولا هم يذكَّرون﴾.

﴿وإذا ما أنزلت سورة نظر بعضهم إلى بعض﴾ يعني: المنافقين ﴿هل يراكم من أحدٍ﴾ من المسلمين؛ يقوله بعضُهم لبعْضٍ ﴿ثم انصرفوا﴾ قال الحسن: يعني: عزموا على الكفر ﴿صرف اللَّه قلوبَهم﴾ هذا دعاءٌ ﴿بأنهم قومٌ لا يفقهون﴾ لا يرجعون إلى الإيمان.

﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢٨﴾ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَقُلْ حَسْبِىَ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ ۖ وَهُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ ﴿١٢٩﴾﴾

﴿لقد جاءكم رسولٌ من أنفسكم﴾ قال السدي: يعني من جِنْسكم ﴿عزيز عليه﴾ أي: شديد عليه ﴿ما عنتم﴾ قال الحسن: يعني: ما ضاق بكم في دينكم ﴿حريص عليكم﴾ أن تؤمنوا ﴿فإن تولوا﴾ عن اللَّه - جل وعز - وعمَّا بعث به رسوله ﴿فقل﴾ يا محمد: ﴿حسبي اللَّه لا إله إلا هو عليه توكلت وهو

رب العرش العظيم﴾ قال قتادة: يقال: إن أحدث القرآن بالله عهدًا هاتان الآيتان ﴿لقد جاءكم رسول من أنفسكم...﴾ إلى آخر السورة.

* * *

تفسير سورة يونس وهي مكّية كلها

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿الٓر تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ٱلْحَكِيمِ ۝١ أَكَانَ لِلنَّاسِ عَجَبًا أَنْ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ رَجُلٍ مِّنْهُمْ أَنْ أَنذِرِ ٱلنَّاسَ وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَنَّ لَهُمْ قَدَمَ صِدْقٍ عِندَ رَبِّهِمْ ۗ قَالَ ٱلْكَٰفِرُونَ إِنَّ هَٰذَا لَسَٰحِرٌ مُّبِينٌ ۝٢﴾

قوله عز وجل: ﴿الٓر﴾ قال الحسن: لا أدري ما تفسير ﴿الٓر﴾ وأشباه ذلك؛ غير أن قومًا من السلف كانوا يقولون: أسماء السور وفواتحها.

﴿تلك آيات﴾ هذه آيات ﴿الكتاب الحكيم﴾ المحكم.

﴿أكان للناس عجبًا﴾ على الاستفهام ﴿أن أوحينا إلى رجلٍ منهم أن أنذر الناس﴾ عذاب اللَّه - عز وجل - في الدنيا والآخرة؛ إن لم يؤمنوا؛ وهذا جوابٌ من اللَّه - عز وجل - لقول المشركين حين قالوا: ﴿إنَّ هذا لشيءٌ عجاب﴾[١] إنه لشيء عجب.

﴿وبشر الذين آمنوا أن لهم قدم صدق عند ربهم﴾ يعني: عملًا صالحًا يثابون عليه الجنة.

قال محمد: يقال: له عندي قدم صدق[٢]. (ل١٣٦) وقدَمُ سوءٍ، وله في

---

(١) ص: ٥ .

(٢) قال الأخفش: هو التقديم كأنه قدَّم خيرًا وكان له فيه تقديم. لسان العرب، مختار الصحاح (قدم).

هذا الأمر قدمٌ صالحة وقدَمٌ حسنة وكأنه (...)[١] قال ذو الرمّة[٢]:

لكم قَدَمٌ لا يُنْكِرُ النَّاسُ فَضْلَهَا

مع الحَسَبِ العَادِيِّ طَمَّتْ على البَحْرِ[٣]

أي: ارتفعت.

﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ مَا مِن شَفِيعٍ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ إِذْنِهِۦ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٣﴾ إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا وَعْدَ ٱللَّهِ حَقًّا إِنَّهُۥ يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ لِيَجْزِىَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ بِٱلْقِسْطِ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَهُمْ شَرَابٌ مِّنْ حَمِيمٍ وَعَذَابٌ أَلِيمٌۢ بِمَا كَانُوا۟ يَكْفُرُونَ ﴿٤﴾ هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ ٱلشَّمْسَ ضِيَآءً وَٱلْقَمَرَ نُورًا وَقَدَّرَهُۥ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا۟ عَدَدَ ٱلسِّنِينَ وَٱلْحِسَابَ مَا خَلَقَ ٱللَّهُ ذَٰلِكَ إِلَّا بِٱلْحَقِّ يُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٥﴾ إِنَّ فِى ٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَمَا خَلَقَ ٱللَّهُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَّقُونَ ﴿٦﴾﴾

قوله عز وجل: ﴿إليه مرجعكم جميعًا﴾ يعني: البعث ﴿وعد اللَّه حقًّا﴾ في المرجع إليه ﴿إنه يبدؤ الخلق ثم يعيده﴾ أي: يحييه ثم يميته، ثم يبدؤه فيحييه ﴿ليجزي﴾ لكي يجزي ﴿الذين آمنوا وعملوا الصالحات بالقسط﴾ بالعدل يجزيهم الجنة ﴿والذين كفروا لهم شرابٌ من حميم﴾ وهو الذي قد انتهى حره.

---

(١) طمس في «الأصل».

(٢) هو غيلان بن عقبة بن نهيس العدوي، من فحول الطبقة الثانية في عصره (٧٧ - ١١٧هـ). ينظر: الأعلام (٥/ ١٢٤).

(٣) ويروى: لكم قدم لا ينكر الناس أنها * .... إلخ. والبيت من بحر الطويل. ينظر: ديوانه (٣٦١)، البحر (٥/ ١٢٣)، القرطبي (٨/ ٣٠٦) ورواه (العالي) بدلًا من (العادي).

﴿هو الذي جعل الشمس ضياءً والقمر نورًا وقدَّره منازل﴾ أي: جعل القمر (...)[(١)] منازل من النجوم، وهي: ثمانية وعشرون منزلة في كل شهر (...)[(١)] يعني: القمر ﴿لتعلموا عدد السنين والحسابَ﴾ بالليل والنهار ﴿ما خلق اللَّه ذلك إلا بالحق﴾ أي: إن ذلك يصيرُ إلى المعاد ﴿يفصل الآيات﴾ يبينها ﴿لقوم يعلمون﴾ وهم المؤمنون ﴿إن في اختلاف الليل والنهار وما خلق اللَّه في السمٰوات﴾ من شمسها وقمرها ونجومها، وما خلق اللَّه في الأرض من جبالها وأشجارها وثمارها وأنهارها ﴿لآيات لقوم يتقون﴾ وهم المؤمنون.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا وَرَضُوا۟ بِٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَٱطْمَأَنُّوا۟ بِهَا وَٱلَّذِينَ هُمْ عَنْ ءَايَـٰتِنَا غَـٰفِلُونَ ﴿٧﴾ أُو۟لَـٰٓئِكَ مَأْوَىٰهُمُ ٱلنَّارُ بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿٨﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ يَهْدِيهِمْ رَبُّهُم بِإِيمَـٰنِهِمْ تَجْرِى مِن تَحْتِهِمُ ٱلْأَنْهَـٰرُ فِى جَنَّـٰتِ ٱلنَّعِيمِ ﴿٩﴾ دَعْوَىٰهُمْ فِيهَا سُبْحَـٰنَكَ ٱللَّهُمَّ وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَـٰمٌ وَءَاخِرُ دَعْوَىٰهُمْ أَنِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿١٠﴾﴾

﴿إن الذين لا يرجون لقاءنا﴾ أي: لا يخافون البعث، وهم المشركون؛ لأنهم لا يقرون بالبعث ﴿ورضوا بالحياة الدنيا واطمأنوا بها﴾ لا يقرون بثواب الآخرة.

﴿إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات يهديهم ربهم بإيمانهم﴾ قال محمد: يعني: يكون لهم نورًا يمشون به.

﴿دعواهم فيها﴾ أي: قولهم في الجنة: ﴿سبحانك اللَّهم وتحيتهم فيها سلام﴾ يعني: يحيي بعضهم بعضًا بالسلام، وتحييهم الملائكة عن اللَّه - عز

(١) طمس في «الأصل».

وجل - بالسلام ﴿وآخر دعواهم﴾ قولهم: ﴿أن الحمد للَّه رب العالمين﴾ أول كلامهم التسبيح، وآخره الحمد.

يحيى: عن الحسن بن دينار، عن الحسن البصري قال: قال رسولُ اللَّه ﷺ: «إنَّ أهْل الجنة يُلْهَمُون الحمد والتسبيح، كما يُلْهمون النَّفَس»(١).

﴿وَلَوْ يُعَجِّلُ اللَّهُ لِلنَّاسِ الشَّرَّ اسْتِعْجَالَهُم بِالْخَيْرِ لَقُضِيَ إِلَيْهِمْ أَجَلُهُمْ فَنَذَرُ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ (١١) وَإِذَا مَسَّ الْإِنسَانَ الضُّرُّ دَعَانَا لِجَنبِهِ أَوْ قَاعِدًا أَوْ قَائِمًا فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُ ضُرَّهُ مَرَّ كَأَن لَّمْ يَدْعُنَا إِلَىٰ ضُرٍّ مَّسَّهُ كَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِلْمُسْرِفِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (١٢) وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا الْقُرُونَ مِن قَبْلِكُمْ لَمَّا ظَلَمُوا وَجَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ وَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا كَذَٰلِكَ نَجْزِي الْقَوْمَ الْمُجْرِمِينَ (١٣) ثُمَّ جَعَلْنَاكُمْ خَلَائِفَ فِي الْأَرْضِ مِن بَعْدِهِمْ لِنَنظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ (١٤)﴾

﴿ولو يعجل اللَّه للناس الشرَّ استعجالهم بالخير لقضي إليهم أجلهم﴾ وهو ما يدعو به الإنسانُ على نفْسِه وولده وماله، ولو استجاب اللَّه - عز وجل - له لأهلكه.

قال محمد: قيل: المعنى: لو عجل اللَّه للناس الشر إذا دعَوْا به على أنفسهم عند الغضب، وعلى أهليهم وأولادهم واستعجلوا به كما يستعجلونه بالخير؛ إذا سألوه إياه؛ وهو معنى قول يحيى.

---

(١) روى مسلم في صحيحه (٤/٤٨٦ - ٤٨٧ رقم ٢٨٣٥) عن جابر عن النبي ﷺ قال: «إن أهل الجنة يأكلون فيها ويشربون ولا يتفلون ولا يبولون ولا يتغوطون ولا يمتخطون. قالوا: فما بال الطعام، قال: جشاء ورشح كرشح المسك، يلهمون التسبيح والتحميد كما يلهمون النفس».

﴿وإذا مسَّ الإنسانَ﴾ يعني: المشرك ﴿الضرُّ دعانا لجنبه﴾ أي: وهو مضطجع على جنبه ﴿أو قاعدًا أو قائمًا﴾ يقول: أو دعانا قائمًا أو قاعدًا ﴿فلما كشفنا عنه ضره مرَّ كأن لم يدعنا إلى ضر مسَّهُ﴾ أي: مر معرضًا عن اللَّه - عز وجل - الذي كشف عنه الضر.

قال محمد: قيل: المعنى - واللَّه أعلم -: مرَّ في العافية على ما كان عليه قبل أن يبتلى، ومعني (كأنْ): كأنه .

﴿ولقد أهلكنا القرون من قبلكم﴾ يريد: من أهلك من القرون السالفة ﴿لما ظلموا﴾ لمَّا أشركوا ﴿وما كانوا ليؤمنوا﴾ أخبر بعلمه فيهم ﴿كذلك نجزي القوم المجرمين﴾ المشركين.

﴿ثم جعلناكم خلائف﴾ يعني: خلفاء ﴿في الأرض من بعدهم﴾ .

﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَاتُنَا بَيِّنَٰتٍ قَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا ٱئْتِ بِقُرْءَانٍ غَيْرِ هَٰذَآ أَوْ بَدِّلْهُ قُلْ مَا يَكُونُ لِىٓ أَنْ أُبَدِّلَهُۥ مِن تِلْقَآئِ نَفْسِىٓ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَىَّ إِنِّىٓ أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّى عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٥﴾ قُل لَّوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا تَلَوْتُهُۥ عَلَيْكُمْ وَلَآ أَدْرَىٰكُم بِهِۦ فَقَدْ لَبِثْتُ فِيكُمْ عُمُرًا مِّن قَبْلِهِۦٓ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٦﴾ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِـَٔايَٰتِهِۦٓ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿١٧﴾﴾

﴿قال الذين لا يرجون لقاءنا﴾ أي: لا يؤمنون بالبعث ﴿ائت بقرآن غير هذا أو بدله﴾ أي: أوْ بَدِّلْ آية الرحمة آية العذاب، أو بَدِّلْ آية العذاب آية الرحمة.

قال اللَّه - عز وجل - لنبيه عليه السلام : ﴿قل ما يكون لي أن أبدلَهُ من تلقاء نفسي﴾ أي: من عندي .

﴿قل لو شاء اللَّه ما تلوْتهُ عليكم ولا أدراكم به﴾ أي: ولا أعلمكم به ﴿فقد

لبثت فيكم عمرًا من قبله﴾ من قبل القرآن لا أدعي هذه النبوة .

﴿وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِۚ قُلْ أَتُنَبِّـُٔونَ ٱللَّهَ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ (١٨) وَمَا كَانَ ٱلنَّاسُ إِلَّآ أُمَّةً وَٰحِدَةً فَٱخْتَلَفُوا۟ۚ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ لَقُضِىَ بَيْنَهُمْ فِيمَا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ (١٩) وَيَقُولُونَ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ ءَايَةٌ مِّن رَّبِّهِۦۖ فَقُلْ إِنَّمَا ٱلْغَيْبُ لِلَّهِ فَٱنتَظِرُوٓا۟ إِنِّى مَعَكُم مِّنَ ٱلْمُنتَظِرِينَ (٢٠)﴾

﴿ويعبدون من دون اللَّه ما لا يضرهم﴾ إن لم يعبدوه ﴿ولا ينفعهم﴾ إن عبدوه ﴿ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند اللَّه﴾ أي: أن الأوثان تشفع لهم - زعموا - عند اللَّه ؛ ليصلح لهم معايشهم في الدنيا.

(ل١٣٧) [. . .][1] بالبعث ﴿قل أتنبئون اللَّه بما لا يعلم في السمٰوات ولا في الأرض﴾ أي: لا يعلم أن [. . .][2] في الأرض إلهًا غيره ﴿سبحانه﴾ ينزه نفسه ﴿وتعالى﴾ من العلو ﴿عما يشركون﴾.

﴿وما كان الناسُ إلا أمةً واحدة﴾ يعني: على الإسلام ما بين آدم إلى نوح؛ في تفسير قتادة ﴿فاختلفوا﴾ لما أتتهم الأنبياء، وكفر بعضهم ﴿ولولا كلمة سبقت من ربك لقضي بينهم فيما فيه يختلفون﴾ تفسير الحسن: يعني: المؤمنين والكافرين لولا أن اللَّه - عز وجل - قضى ألا يحاسب بحساب الآخرة في الدنيا لحاسبهم في الدنيا؛ فأدخل أهْل الجنة الجنة، وأهل النارِ النارَ.

﴿ويقولون لولا﴾ هَلَّا ﴿أنزل عليه آية من ربه﴾ يعنون: الآيات التي كانت

---

(١) طمس في «الأصل» نحو كلمتين.

الأمم تسألها أنبياءها ﴿فقل إنما الغيب للَّه﴾ كقوله: ﴿إنما الآيات عند اللَّه﴾[1] فإذا شاء أنزلها ﴿فانتظروا إني معكم من المنتظرين﴾ أي: فستعلمـــون بمن ينزلُ العذاب .

﴿وَإِذَآ أَذَقْنَا ٱلنَّاسَ رَحْمَةً مِّنۢ بَعْدِ ضَرَّآءَ مَسَّتْهُمْ إِذَا لَهُم مَّكْرٌ فِىٓ ءَايَاتِنَا ۚ قُلِ ٱللَّهُ أَسْرَعُ مَكْرًا ۚ إِنَّ رُسُلَنَا يَكْتُبُونَ مَا تَمْكُرُونَ ﴿٢١﴾ هُوَ ٱلَّذِى يُسَيِّرُكُمْ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا كُنتُمْ فِى ٱلْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِم بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ وَفَرِحُوا۟ بِهَا جَآءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ وَجَآءَهُمُ ٱلْمَوْجُ مِن كُلِّ مَكَانٍ وَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ ۙ دَعَوُا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ لَئِنْ أَنجَيْتَنَا مِنْ هَٰذِهِۦ لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿٢٢﴾ فَلَمَّآ أَنجَىٰهُمْ إِذَا هُمْ يَبْغُونَ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ ۗ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّمَا بَغْيُكُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُم ۖ مَّتَٰعَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ ثُمَّ إِلَيْنَا مَرْجِعُكُمْ فَنُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٢٣﴾﴾

﴿وإذا أذقنا الناس﴾ يعني: المشركين ﴿رحمةً﴾ عافية ﴿من بعد ضراء مسّتهم﴾ يعني: من بعد مرضٍ أو شدة أصابتهُم ﴿إذا لهم مكرٌ في آياتنا﴾ قال الحسن: يعني: جحودًا وتكذيبًا لديننا ﴿قل اللَّه أسرع مكرًا﴾ قال الحسن: يعني: عذابًا ﴿إن رسُلَنا﴾ يعني: الحَفَظَةَ ﴿يكتبون ما تمكرون﴾ يعني: المشركين .

﴿هو الذي يسيركم في البر والبحر حتى إذا كنتم في الفلك﴾ في السفن يقول هذا للمشركين، ثم قال للنبي عليه السلام: ﴿وجرين بهم بريح طيبة وفرحوا بها جاءتها ريح عاصف﴾ أي: شديدة - الآية.

قوله عز وجل: ﴿وظنوا أنهم أحيط بهم﴾ أي: أنهم مغرقون ﴿دَعوا اللَّه...﴾ الآية ﴿ فلما أنجاهم إذا هم يبغون في الأرض بغير الحق ﴾ أي:

(١) الأنعام: ١٠٩ .

يكفرون ويعملون بالمعاصي.

قال محمد: أصل البغي: الترامي في الفساد، ومنه يقال: بغى الجرحُ إذا ترامى إلى فسادٍ، وبغَت المرأة إذا فجرت[١].

﴿يا أيها الناس﴾ يعني: المشركين ﴿إنما بغيكم على أنفسكم﴾ يعني: ضرًا عليكم؛ لأنهم يثابون عليه النار ﴿متاعُ الحياة الدنيا﴾ يقول: إنما بغيكم وكفركُمْ في الدنيا، ثم ينقطع فترجعون إلى اللَّه سبحانه.

قال محمد: الرفع في قوله: ﴿متاعُ الحياة الدنيا﴾ جائز على معنى أن يكون خبرًا لقوله: ﴿بغْيُكمْ على أنفسكم﴾[٢] المعنى: أن الذي تنالونه بهذا الفساد والبغي إنما تتمتعون به في الدنيا.

﴿إِنَّمَا مَثَلُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا كَمَآءٍ أَنزَلْنَٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَٱخْتَلَطَ بِهِۦ نَبَاتُ ٱلْأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ ٱلنَّاسُ وَٱلْأَنْعَٰمُ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَخَذَتِ ٱلْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَٱزَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَآ أَنَّهُمْ قَٰدِرُونَ عَلَيْهَآ أَتَىٰهَآ أَمْرُنَا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَٰهَا حَصِيدًا كَأَن لَّمْ تَغْنَ بِٱلْأَمْسِ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢٤﴾ وَٱللَّهُ يَدْعُوٓا۟ إِلَىٰ دَارِ ٱلسَّلَٰمِ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٢٥﴾﴾

﴿إنما مثل الحياة الدنيا كماء أنزلناه من السماء فاختلط به نبات الأرض﴾ قال بعضهم: يعني: فأخرجت الأرض ألوانًا من النبات ﴿حتى إذا أخذت الأرض زخرفها﴾ يعني: حسنها ﴿وازَّينتْ﴾ يعني: تزيَّنتْ بنباتها من صُفْرةٍ وخُضْرةٍ وحُمْرةٍ.

---

(١) لسان العرب (بغى).

(٢) قرأ حفص (متاعَ) بالنصب، وقرأ الباقون (متاعُ) بالرفع. ينظر: السبعة (٣٢٥)، النشر (٢/ ٢٨٣)، التسير (١٢١) وفي تأويل النصب والرفع أوجه نحوية تنظر من: البحر المحيط (٥/ ١٤٠)، الدر المصون (٤/ ١٩).

قال محمد: أصل (الزخرف): الذهب، ثم يقال للنَّقْش وللنَّوْر والزينة، وكل شيءٍ زُين: زخرفٌ[1].

﴿وظن أهلها أنهم قادرون عليها﴾ أي: قادرون على الانتفاع بما فيها من زرع.

﴿أتاها أمرنا ليلًا أو نهارًا فجعلناها حصيدًا﴾ أي: ذهب ما فيها.

﴿كأن لم تغن بالأمس﴾ كأن لم يكن ما كان فيها من زرع بالأمس قائمًا.

قال محمدٌ: المعنى: كأن لم تكن عامرة بالأمس، المغاني: المنازل، واحدها مغْنًى تقول: غنيت بالمكان؛ إذا أقمت به[2].

﴿كذلك نفصل الآيات لقوم يتفكرون﴾ يقول: فالذي أنبتَ هذا الزرع في الأرض الموات، حتى صار زرعًا حسنًا، ثم أهْلكه بعد حسْنِه وبهجته قادر على أن يحيي الموتى، وإنما يقبل ذلك ويعقلُه المتفكرون ﴿والله يدعو إلى دار السلام﴾ والسلام هو الله - سبحانه - وداره الجنة .

﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ ۖ وَلَا يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ وَلَا ذِلَّةٌ ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ أَصْحَـٰبُ ٱلْجَنَّةِ ۖ هُمْ فِيهَا خَـٰلِدُونَ ﴿٢٦﴾ وَٱلَّذِينَ كَسَبُوا۟ ٱلسَّيِّـَٔاتِ جَزَآءُ سَيِّئَةٍۭ بِمِثْلِهَا وَتَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ ۖ مَّا لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ ۖ كَأَنَّمَآ أُغْشِيَتْ وُجُوهُهُمْ قِطَعًا مِّنَ ٱلَّيْلِ مُظْلِمًا ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ أَصْحَـٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَـٰلِدُونَ ﴿٢٧﴾﴾

﴿للذين أحسنوا﴾ آمنوا ﴿الحسنى﴾ الجنة ﴿وزيادةٌ﴾ النظر إلى وجه الله - عز وجل.

---

(١) لسان العرب (زخرف).

(٢) ويقال: المغاني: المواضع التي كان بها أَهْلُوها. لسان العرب، مختار الصحاح (غنى).

يحيى: عن يونس بن أبي إسحاق، عن أبيه، عن عامر بن [سعد][(١)] قال: «قرأ أبو بكر الصديق ﷺ هذه الآية - أو قُرِئت عنده - فقال: هل تدرون ما الزيادة؟ (ل١٣٨) الزيادة هي النظر إلي وجه ربنا عز وجل»[(٢)].

---

(١) في «الأصل»: سعيد. وهو خطأ، عامر بن سعد هو البجلي الكوفي روى عن أبي بكر الصديق ﷺ وروى عنه أبو إسحاق السبيعي، ترجمته في التهذيب (١٤/ ٢٣ - ٢٥) وقد رواه الدارقطني في الرؤية من طريق يحيى بن سلام على الصواب.

(٢) رواه ابن أبي زمنين في أصول السنة بإسناده إلى يحيى بن سلام.
ورواه الدارقطني في الرؤية (٢٩٠ رقم ١٩٥) من طريق يحيى بن سلام به.
ورواه ابن النحاس في كتاب الرؤية (ق٢٥٥ -أ) من طريق يونس بن أبي إسحاق به.
ورواه عبد الله بن أحمد في السنة (١/ ٢٥٧ رقم ٤٧٠) وابن أبي عاصم في السنة (١/ ٢٠٦ رقم ٤٧٤) والطبري في تفسيره (١١/ ١٠٤) وابن خزيمة في التوحيد (٢/ ٤٥٠ - ٤٥١ رقم ٢٦٤) والدارقطني في الرؤية (٢٨٩ رقم ١٩٣ ، ٢٩٣ رقم ٢٠١) والآجري في الشريعة (٢/ ١٣ - ١٤ رقم ١٣ - ١٤ رقم ٦٣١ ، ٦٣٢) واللالكائي في شرح أصول الاعتقاد (٣/ ٤٥٨ رقم ٧٨٤) وابن منده في الرد على الجهمية (٩٥ رقم ٨٤) وغيرهم من طريق إسرائيل عن أبي إسحاق به.
ورواه عبد الله في السنة (١/ ٢٥٦ - ٢٥٧ رقم ٤٧٠) والدارقطني في الرؤية (٢٨٩ رقم ١٩٢) والآجري في الشريعة (٢/ ١٣ رقم ٦٣٠) من طريق زكريا بن أبي زائدة عن أبي إسحاق.
ورواه الدارقطني في الرؤية (٢٩٠ - ٢٩١ رقم ١٩٦) والبيهقي في الاعتقاد (ص٦٢) من طريق محمد بن جابر عن أبي إسحاق به .
وخالفهم سفيان الثوري فرواه عن أبي إسحاق عن عامر بن سعد قوله.
رواه الطبري في تفسيره (١١/ ١٠٥) وابن خزيمة في التوحيد (٢/ ٤٥٢ رقم ٢٦٥/ ١٠) ونعيم بن حماد في زوائد الزهد (١٢٧ رقم ٤٢٠) والدارقطني في الرؤية (٣٠٠ رقم ٢١٤ ، ٢١٥) واللالكائي في أصول الاعتقاد (٣/ ٤٦١ رقم ٧٩٢ ، ٧٩٣) والدارمي في الرد على الجهمية (١٠٠ - ١٠١ رقم ١٩٤) وتابع الثوري عليه شعبة بن الحجاج، رواه عبد الله بن أحمد في السنة (١/ ٢٥٧ رقم ٤٧٢ ، ٢/ ٤٩٧ رقم ١١٤٥) والطبري في تفسيره (١١/ ١٠٥).
ورواه شريك بن عبد الله عن أبي إسحاق واختلفت الرواية عنه على ثلاثة أوجه:
الأول: كرواية يونس وإسرائيل ومن معهما، ذكرها الدارقطني في العلل (١/ ٢٨٢). =

﴿ولا يرهق وجوههم﴾ أي: يغشى ﴿قترٌ﴾ .

قال محمدٌ: القتر أصله: الغبرةُ التي فيها سواد[1] .

﴿والذين كسبوا السيئات جزاء سيئة بمثلها﴾ أي: جزاء الشرك: النارُ ﴿كأنما أغشيت وجوههُمْ قطعًا﴾ جمع: قطعة ﴿من الليل مظلمًا﴾ أي: في حال ظلمته .

= الثاني: عن أبي إسحاق عن سعيد بن نمران عن أبي بكر. رواه الدارمي في الرد على الجهمية (٩٩ رقم ١٩٠) وفي الرد على المريسي (٢/ ٧١٣ - ٧١٤) والطبري في تفسيره (١١/ ١٠٦) والدارقطني في الرؤية (٢٩٢ رقم ١٩٩).

الثالث: عن شريك عن أبي إسحاق قوله. رواه الطبري في تفسيره (١١/ ١٠٥) والدارقطني في الرؤية (٣٠٥ - ٣٠٦ رقم ٢٢٣) واللالكائي في أصول الاعتقاد (٣/ ٤٦٢ رقم ٧٩٤).

ورواه قيس بن الربيع عن أبي إسحاق، واختلف عنه:

فقيل: عن قيس عن أبي إسحاق عن عامر بن سعد عن أبي بكر. كرواية إسرائيل ومن معه. خرجه الدارقطني في الرؤية (٢٩١ - ٢٩٢ رقم ١٩٨).

وقيل: عن قيس بن الربيع عن أبي إسحاق عن عامر بن سعد عن سعيد بن نمران عن أبي بكر الصديق.

خرجه الطبري في تفسيره (١١/ ١٠٤ - ١٠٥) والدارقطني في الرؤية (٢٩١ رقم ١٩٧ ، ٢٩٢ - ٢٩٣ رقم ٢٠٠).

وتابعه على هذا الوجه أبو الربيع السمان، خرجه ابن خزيمة في التوحيد (٢/ ٤٥٣ - ٤٥٤) وقال ابن خزيمة: رواه أبو الربيع أشعث السمان، وليس ممن يحتج أهل الحديث بحديثه؛ لسوء حفظه. ثم قال ابن خزيمة: إسرائيل أولى هذا الإسناد من أبي الربيع.

ولما سُئل الدارقطني عن هذا الحديث قال في العلل (١/ ٢٨٢ - ٢٨٣ رقم ٧٣): هو حديث رواه إسرائيل بن يونس وأبوه يونس بن أبي إسحاق وشريك وزكريا بن أبي زائدة ومحمد بن جابر عن أبي إسحاق عن عامر بن سعد عن أبي بكر.

وقال بعضهم: عن أبي إسحاق عن عامر بن سعد عن سعيد بن نمران، عن أبي بكر.

وقال الثوري: عن أبي إسحاق عن عامر بن سعد البجلي قوله، لم يذكر فوقه أحدًا.

والمحفوظ من ذلك قول إسرائيل ومن تابعه: عن أبي إسحاق عن عامر بن سعد عن أبي بكر.

(١) وواحد القَتَر : قَتَرَة. لسان العرب (قتر).

﴿وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوا مَكَانَكُمْ أَنتُمْ وَشُرَكَاؤُكُمْ فَزَيَّلْنَا بَيْنَهُمْ وَقَالَ شُرَكَاؤُهُم مَّا كُنتُمْ إِيَّانَا تَعْبُدُونَ (٢٨) فَكَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ إِن كُنَّا عَنْ عِبَادَتِكُمْ لَغَافِلِينَ (٢٩) هُنَالِكَ تَبْلُو كُلُّ نَفْسٍ مَّا أَسْلَفَتْ وَرُدُّوا إِلَى اللَّهِ مَوْلَاهُمُ الْحَقِّ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ (٣٠) قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَمَن يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَن يُدَبِّرُ الْأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ (٣١) فَذَٰلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمُ الْحَقُّ فَمَاذَا بَعْدَ الْحَقِّ إِلَّا الضَّلَالُ فَأَنَّىٰ تُصْرَفُونَ (٣٢) كَذَٰلِكَ حَقَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ عَلَى الَّذِينَ فَسَقُوا أَنَّهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ (٣٣)﴾

﴿ويوم نحشرهم﴾ يعني: المشركين وأوثانهم جميعًا ﴿ثم نقول للذين أشركوا مكانكم أنتم وشركاؤكم﴾ يعني: الأوثان ﴿فزيلنا بينهم﴾ بالسيئات، يعني: المشركين على حدة، والأوثان على حَدةٍ ﴿وقال شركاؤهم ما كنتم إيانا تعبدون﴾ الأوثان تقول هذا للمشركين: ما كانت عبادتُكم إيانا عن دعاء كان مِنَّا لكُمْ، وإنما دعاكم إلى عبادتنا الشيطان.

قال محمد: يجوز النصب في قوله عز وجل: ﴿مكانكم﴾ على الأمر[1]، كأنهم يقال لهم: انتظروا مكانكم حتى يفصل بينكُمْ؛ وهي كلمة جرت على الوعيد؛ تقول العرب: (مكانك) تتوعد بذلك.

وقوله عز وجل: ﴿فزيلنا بينهم﴾ أي: ميَّزنا؛ يقال: أزلتُ الشيْء من الشيء أزيلهُ؛ أي: مِزتُه منه أمِيزُه[2].

﴿فكفى بالله شهيدًا بيننا وبينكم إن كنا﴾ لقد كنا ﴿عن عبادتكم لغافلين﴾

---

(١) ينظر الدر المصون (٤/ ٢٦ - ٢٧).

(٢) ويقال: زِلْتُ الشيء من مكانه؛ لغة في (أزلت). لسان العرب، مختار الصحاح (زيل).

قال الحسن: يحشر اللَّه - عز وجل - الأوثان المعبودة في الدنيا بأعيانها، فتخاصم من كان عبدها ﴿هنالك تبلو كل نَفْسٍ ما أسلفت﴾ قال مجاهد: يعني: تختبر ثواب ما أسلفت في الدنيا. وهي تقرأ على وجه آخر (تتلو)[1] أي: تتبع.

قال ابن مسعود: هذا في البعث ليس أحدٌ كان يعبد شيئًا من دون اللَّه - عز وجل - إلا وهو مرفوعٌ له ﴿ورُدوا إلى اللَّه مولاهم الحق﴾ ربهم الحق، والحق اسمٌ من أسماء اللَّه عز وجل.

ثم قال للنبي ﷺ: ﴿قل﴾ لهم ﴿من يرزقكم من السماء والأرض﴾ وهو على الاستفهام ﴿أمَّن يملك السمع والأبصار﴾ أي: يذهبها أو يبقيها. ﴿ومن يخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحي﴾ قال مجاهد: يعني: يخرج الناس الأحياء من النطف، والنطف من الناس الأحياء، والأنعام مثل ذلك، والنبات مثل ذلك. وقال الحسن: يعني: يخرج المؤمن من الكافر، والكافر من المؤمن ﴿ومن يدبر الأمر﴾ فيما يحيي ويميت ويقبض ويبسط ﴿فسيقولون اللَّه فقل أفلا تتقون﴾ وأنتم تقرون باللَّه - عز وجل - أنَّهُ هو الذي يفعل هذه الأشياء، ثم لا تتقونه وتعبدون هذه الأوثان من دونه!

﴿فذلكم اللَّه ربكم الحق فماذا بعد الحق إلا الضَّلَال﴾ يعني: أن أوثانكم ضلالٌ وباطلٌ ﴿فأنى تصرفون﴾ فكيف تصرف عقولكم فتعبدون غيره؟!

﴿كذلك حقت كلماتُ ربك﴾[2] أي: سبق قضاؤه ﴿على الذين فسقوا

(١) وهي قراءة حمزة والكسائي. ينظر: السّبْعة (٣٢٥)، النشر (٢/ ٢٨٣)، الحجة (١٨١).
(٢) هكذا في «الأصل» (كلمات) جمعًا، وهي قراءة نافع وابن عامر. وقرأ الباقون (كلمة) على الإفراد. ينظر: السبعة (٣٢٦) النشر (٢/ ٢٦٢)، الحجة (١٨١).

أنهم﴾ بأنهم ﴿لا يؤمنون﴾ يعني: الذين يلقون الله بشركهم .

﴿قُلْ هَلْ مِن شُرَكَآئِكُم مَّن يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ ۚ قُلِ ٱللَّهُ يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ ۖ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ ﴿٣٤﴾ قُلْ هَلْ مِن شُرَكَآئِكُم مَّن يَهْدِىٓ إِلَى ٱلْحَقِّ ۚ قُلِ ٱللَّهُ يَهْدِى لِلْحَقِّ ۗ أَفَمَن يَهْدِىٓ إِلَى ٱلْحَقِّ أَحَقُّ أَن يُتَّبَعَ أَمَّن لَّا يَهِدِّىٓ إِلَّآ أَن يُهْدَىٰ ۖ فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴿٣٥﴾ وَمَا يَتَّبِعُ أَكْثَرُهُمْ إِلَّا ظَنًّا ۚ إِنَّ ٱلظَّنَّ لَا يُغْنِى مِنَ ٱلْحَقِّ شَيْـًٔا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِمَا يَفْعَلُونَ ﴿٣٦﴾﴾

﴿قل هل من شركائكم من يبدؤ الخلق ثم يعيده﴾ أي: من يخلق، ثم يميتُ، ثم يحيي؛ أي: أنها لا تقدر على ذلك.

﴿قل اللّه يبدؤ الخلق ثم يعيده فأنى تؤفكون﴾ فكيف تصرفون عنه؟!

﴿قل هل من شركائكم من يهدي إلى الحق﴾ أي: إلى الدين والهدى؛ أي: أنها لا تفعل ولا تعقل ﴿قل اللّه يهدي للحق أفمن يهدي إلى الحق أحقُّ أن يُتّبع أمن لا يهدي إلا أن يُهدى﴾ أي: أن الذي يهدي إلى الحق أحق أن يتبع؛ وهو اللّه لا إله إلا هو.

قال محمدٌ: قوله عز وجل: ﴿لا يهدي﴾ أي: لا يهتدي؛ فأدغم التاء في الدال[١]. وهي تقرأ أيضًا (يَهْدِي) خفيفة[٢]؛ ومعناها: يهتدي؛ يقال: هديتُ الطريق؛ بمعنى: اهتديت[٣] .

---

(١) لقرب مخرجيهما؛ أي: مخرج التاء والدال، ونقلت حركة التاء (الفتحة) إلى الهاء، ثم كسرت للمناسبة؛ أي: لمناسبة كسرة الدال. الدر المصون (٤/ ٣١).

(٢) وهي قراءة حمزة والكسائي. ينظر: السبعة (٣٢٦)، النشر (٢/ ٢٨٣) الحجة (١٨١).

(٣) وقد ورد (هدى) في القرآن الكريم على ثلاثة أوجه: معدًى بنفسه كقوله تعالى: ﴿اهدنا الصراط المستقيم﴾ ومرةً معدًى باللام كقوله تعالى: ﴿قل اللّه يهدي للحق﴾، ومرة معدى بإلى؛ كقوله تعالى: ﴿اهدنا إلى سواء الصراط﴾ لسان العرب، مختار الصحاح (هدى) الدر المصون (٤/ ٣٠).

﴿فما لكم كيف تحكمون﴾ أي: أنكم تقرون بأن الله - عز وجل - هو الخالق والرازق (ل١٣٩) ثم تعبدون الأوثان من دونه!

﴿وما يتبع أكثرهم إلا ظنًا﴾ أي: يعبدون الأوثان يتقربون بها إلى الله تعالى - زعموا - ليصلح لهم معايشهم في الدنيا، وما يفعلون ذلك إلا بالظن.

﴿وَمَا كَانَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ أَن يُفْتَرَىٰ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَٰكِن تَصْدِيقَ ٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ ٱلْكِتَٰبِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٣٧﴾ أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ قُلْ فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّثْلِهِۦ وَٱدْعُوا۟ مَنِ ٱسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٣٨﴾ بَلْ كَذَّبُوا۟ بِمَا لَمْ يُحِيطُوا۟ بِعِلْمِهِۦ وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُۥ كَذَٰلِكَ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٣٩﴾ وَمِنْهُم مَّن يُؤْمِنُ بِهِۦ وَمِنْهُم مَّن لَّا يُؤْمِنُ بِهِۦ وَرَبُّكَ أَعْلَمُ بِٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٤٠﴾ وَإِن كَذَّبُوكَ فَقُل لِّى عَمَلِى وَلَكُمْ عَمَلُكُمْ أَنتُم بَرِيٓـُٔونَ مِمَّآ أَعْمَلُ وَأَنَا۠ بَرِىٓءٌ مِّمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٤١﴾ وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ أَفَأَنتَ تُسْمِعُ ٱلصُّمَّ وَلَوْ كَانُوا۟ لَا يَعْقِلُونَ ﴿٤٢﴾﴾

﴿وما كان هذا القرآن أن يفترى من دون الله﴾ يقول: لم يكن أحدٌ يستطيع أن يفتريه؛ فيأتي به من قبل نفسه ﴿ولكن تصديق الذي بين يديه﴾ من التوراة والإنجيل ﴿وتفصيل الكتاب﴾ من الحلال والحرام، والأحكام، والوَعْدِ والوَعيد ﴿لا ريب فيه﴾ لا شكَّ فيه.

قال محمدٌ: قوله: ﴿أن يفترى﴾ أي: لأن يفترى[1]، يعني: يُختلق. ومن قرأ (تصديقُ)[2]: هو تصديقٌ[3]، ومن نصب فالمعنى: ولكن كان تصديق

(١) الدر المصون (٤/ ٣٣).
(٢) يعني: بالرفع.
(٣) أي: فالمعنى: هو تصديق.

الذي بين يديه[1].

﴿أم يقولون﴾ أي: أن محمدًا افترى القرآن على الاستفهام؛ أي: قد قالوه قال اللَّه - عز وجل -: يا محمد ﴿قل فأتوا بسورة مثله﴾ مثل هذا القرآن ﴿وادعوا﴾ يعني: استعينوا ﴿من استطعتم﴾ أي: من أطاعكم ﴿من دون اللَّه إن كنتم صادقين﴾ أي: لستم بصادقين، ولا تأتون بسورة مثله.

﴿بل كذبوا بما لم يحيطوا بعلمه﴾ أي: لم يكن لهم علمٌ بما كذبوا ﴿ولمَّا﴾ أي: ولم يأتهم ﴿تأويله﴾ يعني: الجزاء به؛ ولو قد أتاهم تأويله لآمنوا به؛ حيث لا ينفعهم الإيمان ﴿كذلك كذّب الذين من قبلهم فانظر كيف كان عاقبة الظالمين﴾ كان عاقبتهم أن أهلكهم اللَّه - عز وجل - بتكذيبهم رُسُلَهُمْ، ثم صيَّرهُمْ إلى النار.

﴿ومنهم من يؤمن به ومنهم من لا يؤمن به﴾ أي: ومن المشركين من سيؤمن بالقرآن، ومنهم من لا يؤمن به ﴿وربك أعلم بالمفسدين﴾.

﴿فقل لي عملي ولكم عملكم﴾ أي: ليس عليكم من عملي شيء، وليس لي من عملكم شيءٌ.

﴿ومنهم من يستمعون إليك﴾ يعني: جماعة يستمعون.

﴿أفأنت تسمع الصُّمَّ ولو كانوا لا يعقلون﴾ وهذا سمع القَبُول.

﴿وَمِنْهُم مَّن يَنظُرُ إِلَيْكَ ۚ أَفَأَنتَ تَهْدِى ٱلْعُمْىَ وَلَوْ كَانُوا۟ لَا يُبْصِرُونَ ﴿٤٣﴾ إِنَّ ٱللَّهَ

(١) قرأ الجمهور (تصديق) بالنصب، وقرأ عيسى بن عمر بالرفع. ينظر: إتحاف الفضلاء (٢٤٩)، البحر (٥/ ١٥٧) الدر المصون (٤/ ٣٣).
وفي تأويل النصب والرفع أوجه نحوية أخرى تنظر من البحر المحيط (٥/ ١٥٧).

لَا يَظْلِمُ ٱلنَّاسَ شَيْـًٔا وَلَٰكِنَّ ٱلنَّاسَ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٤٤﴾ وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ كَأَن لَّمْ يَلْبَثُوٓا۟ إِلَّا سَاعَةً مِّنَ ٱلنَّهَارِ يَتَعَارَفُونَ بَيْنَهُمْ ۚ قَدْ خَسِرَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِلِقَآءِ ٱللَّهِ وَمَا كَانُوا۟ مُهْتَدِينَ ﴿٤٥﴾ وَإِمَّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ ٱلَّذِى نَعِدُهُمْ أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ فَإِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ ثُمَّ ٱللَّهُ شَهِيدٌ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ ﴿٤٦﴾ وَلِكُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولٌ ۖ فَإِذَا جَآءَ رَسُولُهُمْ قُضِىَ بَيْنَهُم بِٱلْقِسْطِ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٤٧﴾ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٤٨﴾ قُل لَّآ أَمْلِكُ لِنَفْسِى ضَرًّا وَلَا نَفْعًا إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ ۗ لِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ ۚ إِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ فَلَا يَسْتَـْٔخِرُونَ سَاعَةً ۖ وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ ﴿٤٩﴾ قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِنْ أَتَىٰكُمْ عَذَابُهُۥ بَيَٰتًا أَوْ نَهَارًا مَّاذَا يَسْتَعْجِلُ مِنْهُ ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿٥٠﴾ أَثُمَّ إِذَا مَا وَقَعَ ءَامَنتُم بِهِۦٓ ۚ ءَآلْـَٰٔنَ وَقَدْ كُنتُم بِهِۦ تَسْتَعْجِلُونَ ﴿٥١﴾ ثُمَّ قِيلَ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ ذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلْخُلْدِ هَلْ تُجْزَوْنَ إِلَّا بِمَا كُنتُمْ تَكْسِبُونَ ﴿٥٢﴾﴾

﴿ومنهم من ينظر إليك﴾ أي: يُقْبل عليك بالنظر.

﴿أفأنت تهدي العُمْي﴾ يعني: عَمَى القلْب ﴿ولو كانوا لا يبصرون﴾ كقوله: ﴿إنك لا تهدي من أحببت﴾(١).

﴿ويوم نحشرهم(٢) كأن لمْ يلبثوا﴾ أي: في الدنيا ﴿إلا ساعة من النهار﴾ في طول ما هم لابثون في النار ﴿يتعارفون بينهم﴾ أي: يعرف بعضهم بعضًا.

قال الحسن: ذُكِرَ لنا أن النبي ﷺ قال: «ثلاثة مواطن لا يَسْألُ فيها أحدٌ أحدًا: إذا وُضعت الموازين؛ حتى يعْلم أيثقل ميزانه أمْ يخف، وإذا تطايرت

---

(١) القصص: ٥٦ .

(٢) قرأ حفص ﴿يحشرهم﴾ بالياء، وقرأ الباقون «نحشرهم» بالنون. النشر (٢/ ٢٦٢) وإتحاف الفضلاء (٣١٣).

الكتب؛ حتى يعلم أيأخذ كتابه بيمينه أم بشماله، وعند الصراط؛ حتى يعلم أيجوز الصراط أم لا يجوز»(١).

---

(١) رواه المروزي في زوائد الزهد لابن المبارك (٤٧٩ رقم ١٣٦١) من طريق حزم بن مهران عن الحسن.
وقد روي عن الحسن موصولاً:
رواه الإمام أحمد (٦/ ١٠١) من طريق القاسم بن الفضل، عن الحسن، عن عائشة رضي الله عنها.
ورواه إسحاق بن راهويه في مسنده (٣/ ٧٤٠ رقم ١٣٤٩) وأبو داود (٥/ ٢٥١ رقم ٤٧٢٢) والحاكم (٤/ ٥٧٨) من طريق يونس بن عبيد، عن الحسن، عن عائشة رضي الله عنها.
وقال الحاكم: هذا حديث صحيح إسناده على شرط الشيخين لولا إرسال فيه بين الحسن وعائشة على أنه قد صحت الروايات أن الحسن كان يدخل وهو صبي منزل عائشة رضي الله عنها وأم سلمة. اهـ.
وقال العراقي: إسناده جيد. تخريج الإحياء (٦/ ٢٦٨٣).
ورواه الآجري في الشريعة (٢/ ٢١٠ رقم ٩٦١) من طريق مؤمل بن إسماعيل، عن مبارك، عن الحسن، عن عائشة رضي الله عنها.
ورواه البيهقي - كما في النهاية لابن كثير (٢/ ٢٧) - من طريق يزيد بن زريع عن الحسن عن عائشة رضي الله عنها.
ورواه الإمام أحمد (٦/ ١١٠) والآجري (٢/ ٢٠٩ رقم ٥٥١) من طريق ابن لهيعة عن خالد ابن أبي عمران و عن القاسم بن محمد، عن عائشة رضي الله عنها.
قال الهيثمي في المجمع (١٠/ ٣٥٩): رواه أحمد، وفيه ابن لهيعة، وهو ضعيف، وقد وثق، وبقية رجاله رجال الصحيح.
وقال الزبيدي: إسناده ثقات سوى ابن لهيعة.
ورواه الحافظ عبد الغني بن سعيد المصري في كتاب الزهد والرقاق من طريق عصام بن طليق - وهو واهٍ- عن داود، عن الشعبي، عن مسروق، عن عائشة رضي الله عنها.
قاله الزبيدي، تخريج الإحياء (٦/ ٢٦٨٣ - ٢٦٨٤).
ورواه ابن أبي شيبة في المصنف (١٣/ ٢٥٠ رقم ١٦٢٥) عن أبي خالد الأحمر، عن أبي الفضل، عن الشعبي، عن عائشة رضي الله عنها.
ورواه الآجري في الشريعة (٢/ ٢١١ - ٢١٢ رقم ٩٦٢) ويعقوب بن سفيان في فوائده - كما في تخريج الإحياء (٦/ ٢٦٨٤) - من طريق علي بن يزيد، عن القاسم، عن أبي أمامة رضي الله عنه.
قال الزبيدي: وإسناده واهٍ.
ورواه عبد الرزاق في تفسيره (٢/ ٤٨) عن معمر عن قتادة مرسلاً.

﴿وإما نرينك بعض الذي نَعِدُهم﴾ من العذاب في الدنيا ﴿أو نتوفينك﴾ فيكون بعد وفاتك ﴿فإلينا مرجعهُم﴾.

﴿ولكل أمةٍ رسولٌ فإذا جاء رسولهم قضي بينهم بالقسط﴾ بالعدْل؛ فإذا جاء رسولهم؛ يعني: يوم القيامة، هو كقوله: ﴿وجيء بالنبيين . . .﴾[(١)].

﴿ويقولون متى هذا الوعد إن كنتم صادقين﴾ يقوله المشركون لما كان يعدُهُمْ به النبي عليه السلام من عذاب اللَّه - عز وجل - إن لم يؤمنوا، فكانوا يستعجلونه بالعذاب استهزاءً وتكذيبًا.

﴿قل لا أملك لنفسي ضرًا ولا نفعًا﴾ يخبرهم أن الذي يستعجلون به من العذاب ليس في يديه.

﴿لكل أمةٍ أجلٌ إذا جاء أجلهم فلا يستأخرون ساعةً﴾ عن عذاب اللَّه إذا نزل بهم ﴿ولا يستقدمون﴾ العذاب قبل أجله.

﴿قل أرأيتم إن أتاكم عذابُه بياتًا﴾ يعني: ليلًا ﴿أو نهارًا ماذا يستعجل منه المجرمون﴾.

قال محمدٌ: ﴿بياتًا أو نهارًا﴾ منصوبٌ على الوقت[(٢)]، وقوله: ﴿ماذا يستعجل﴾ المعنى: أي شيء، وقد يجيء بمعنى: ما الذي يستعجل؟

﴿أثم إذا ما وقع﴾ قال السُّدي: يعني: حتى إذا ما نزل العذابُ (ل١٤٠) ﴿آمنتم به الآن وقد كنتم به تستعجلون﴾ أي: يقال لهم إذا آمنوا عند نزول العذاب الآن تؤمنون حين لا ينفعكم الإيمان.

---

(١) الزمر: ٦٩ .
(٢) أي: على ظرف الزمان.

﴿وَيَسْتَنۢبِـُٔونَكَ أَحَقٌّ هُوَ ۖ قُلْ إِى وَرَبِّىٓ إِنَّهُۥ لَحَقٌّ ۖ وَمَآ أَنتُم بِمُعْجِزِينَ ﴿٥٣﴾ وَلَوْ أَنَّ لِكُلِّ نَفْسٍ ظَلَمَتْ مَا فِى ٱلْأَرْضِ لَٱفْتَدَتْ بِهِۦ ۗ وَأَسَرُّوا۟ ٱلنَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُا۟ ٱلْعَذَابَ ۖ وَقُضِىَ بَيْنَهُم بِٱلْقِسْطِ ۚ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٥٤﴾ أَلَآ إِنَّ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۗ أَلَآ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٥٥﴾ هُوَ يُحْىِۦ وَيُمِيتُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٥٦﴾﴾

﴿ويستنبئونك﴾ أي: يستخبرونك ﴿أحقٌّ هو﴾ يعنون: القرآن ﴿قل إي وربي إنه لحق وما أنتم بمعجزين﴾ بسابقين فلا يقدر عليكم فيعذبكم.

﴿ولو أنَّ لكل نفسٍ ظلمت﴾ أشركت ﴿ما في الأرض﴾ من ذهب وفضَّةٍ ﴿لافتدت به﴾ يوم القيامة من عذاب الله - عز وجل.

﴿وأسروا الندامة لما رأوا العذاب﴾ أي: دخلوا فيه ﴿وقضي بينهم﴾ أي: فُصِل بينهم ﴿بالقسط﴾ بالعدْل.

﴿ألا إن وعد الله﴾ الذي وعد في الدنيا ﴿حق﴾ من الوعْد بالجنة، والوعيد بالنار ﴿ولكن أكثرهم لا يعلمون﴾ يعني: المشركين؛ وهم أكثر الناس.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَتْكُم مَّوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَآءٌ لِّمَا فِى ٱلصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٥٧﴾ قُلْ بِفَضْلِ ٱللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُوا۟ هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴿٥٨﴾ قُلْ أَرَءَيْتُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ لَكُم مِّن رِّزْقٍ فَجَعَلْتُم مِّنْهُ حَرَامًا وَحَلَٰلًا قُلْ ءَآللَّهُ أَذِنَ لَكُمْ ۖ أَمْ عَلَى ٱللَّهِ تَفْتَرُونَ ﴿٥٩﴾ وَمَا ظَنُّ ٱلَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٦٠﴾ وَمَا تَكُونُ فِى شَأْنٍ وَمَا تَتْلُوا۟ مِنْهُ مِن قُرْءَانٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ ۚ وَمَا يَعْزُبُ عَن رَّبِّكَ مِن مِّثْقَالِ ذَرَّةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِى ٱلسَّمَآءِ وَلَآ أَصْغَرَ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْبَرَ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴿٦١﴾﴾

﴿يا أيها الناس قد جاءتكم موعظةٌ من ربكم﴾ يعني: القرآن ﴿وشفاءٌ لما في الصدور﴾ يُذهِبُ ما فيها من الكفر والنفاق، ﴿وهدى﴾ يهتدون به إلى الجنة ﴿وهدى ورحمةٌ للمؤمنين﴾ فأما الكافرون فإنه عليهم عذابٌ.

﴿قل بفضل اللَّه وبرحمته﴾ قال قتادة: فضل اللَّه: الإسلام، ورحمته: القرآن ﴿فبذلك فليفرحوا﴾ تفسير بعضهم: فليفرحوا؛ يعني: المؤمنين.

﴿هو خيرٌ مما يجمعون﴾ مما يجمع الكفار ﴿قل أرأيتم ما أنزل اللَّه لكم من رزق فجعلتم منه حرامًا وحلالًا﴾ ما حرَّمُوا من الأنعام ومن زروعهم.

﴿قل آللَّه أذن لكم﴾ أي: أمركم بما صنعتم من ذلك؟ أي: أنه لم يفعل ﴿أم على اللَّه تفترون﴾ ثم أوعدهم اللَّه على ذلك فقال: ﴿وما ظن الذين يفترون على اللَّه الكذب يوم القيامة﴾ وهو على الاستفهام؛ يقول: ظنهم أن اللَّه سيعذبهم، وظنهم ذلك في الآخرة يقين منهم؛ وقد كانوا في الدنيا لا يقرون بالبعث؛ فلما صاروا إلى اللَّه - عز وجل - علموا أن اللَّه - عز وجل - سيعذبهم، ثم قال: ﴿إن اللَّه لذو فضلٍ على الناس﴾ بما ينعمُ عليهم، وبما أرسل إليهم الرسل ﴿ولكن أكثرهم لا يشكرون﴾ يعني: لا يؤمنون.

﴿وما تكون في شأنٍ﴾ من حوائجك للدنيا ﴿وما تتلو منه من قرآن﴾ خاطب بهذا النبي عليه السلام ﴿ولا تعملون﴾ يعني: العامَّة ﴿من عمل إلا كنا عليكم شهودًا إذ تفيضون فيه﴾ يخبرهم أنه شاهدٌ لأعمالهم ﴿وما يعزب عن ربك﴾ أي: يغيب عن ربك ﴿من مثقال ذرة﴾ وزن ذرة ﴿في الأرض ولا في السماء﴾ حتى لا يعلمه ويعلم موضعه ﴿ولا أصغر من ذلك ولا أكبر إلا في كتاب مبين﴾ بيِّن عند اللَّه - عز وجل.

قال محمدٌ: من قرأ: ﴿ولا أصغرَ من ذلك ولا أكبرَ﴾ بالفتح[١] - فالمعنى: ما يعزبُ عن ربك من مثقال ذرة، ولا مثقال أصْغَر من ذلك ولا أكبر؛ وفتح لأنه لا ينصرفُ[٢]. ومن رفع[٣]، فالمعنى: ما يعْزبُ عن ربك مثقالُ ذرة ولا أصغرُ من ذلك ولا أكبر.

﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ (٦٢) ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ (٦٣) لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ ۚ لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَٰتِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ (٦٤) وَلَا يَحْزُنكَ قَوْلُهُمْ ۘ إِنَّ ٱلْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا ۚ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ (٦٥)﴾

﴿لهم البشرى في الحياة الدنيا﴾.

يحيى: عن أميّة، عن يحيى بن أبي كثير، عن أبي سلمة «أن عبادة بن الصامت سأل نبي الله ﷺ عن هذه الآية، فقال: هي الرؤيا الحسنة يراها المؤمن، أو تُرى له»[٤].

---

(١) وقراءة الفتح هي قراءة السبعة إلا حمزة. ينظر: السبعة (٣٢٨)، النشر (٢/ ٢٨٥)، الحجة (١٨٢).

(٢) وتفصيل ذلك ينظر من الدر المصون (٤/ ٤٨).

(٣) وقراءة الرفع هي قراءة حمزة. ينظر: السبعة (٣٢٨)، النشر (٢/ ٢٥٨) الحجة (١٨٢).

(٤) رواه الإمام أحمد (٥/ ٣١٥ ، ٣٢١) وابن ماجه (٢/ ١٢٨٣ رقم ٣٨٩٨) والدارمي في سننه (٢/ ١٦٥ رقم ٢١٣٦) والطبري في تفسيره (١١/ ١٣٤ ، ١٣٥ ، ١٣٦) والحاكم (٢/ ٣٤٠) من طريق يحيى بن أبي كثير به.
وقال الحاكم: هذا حديث صحيح الإسناد، ولم يخرجاه.
ورواه الطيالسي (٧٩ رقم ٥٨٣) والترمذي (٤/ ٤٦٣ رقم ٢٢٧٥) والحاكم (٤/ ٣٩١) والبيهقي في الشعب (٤/ ١٨٥ رقم ٤٧٥٣) من طريق يحيى بن أبي كثير، عن أبي سلمة، نبئت عن عبادة بن الصامت به. =

وقوله: ﴿وفي الآخرة﴾ يعني: الجنة ﴿لا تبديل لكلمات اللّه ذلك هو الفوز العظيم﴾ النجاة العظيمة من النار .

﴿ولا يحزنك قولهم﴾ يقوله للنبي عليه السلام لقول المشركين له: إنَّك مجنونٌ، وإنك ساحرٌ، وإنَّك كاذبٌ، وإنَّك شاعرٌ.

﴿إن العزة للّه جميعًا﴾ فينصرك عليهم.

وقال الترمذي: هذا حديث حسن.
وقال الحاكم: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين، ولم يخرجاه.
قال الزيلعي في تخريج الكشاف (٢/ ١٣٢): ظاهر هذا اللفظ الانقطاع، فكيف يكون على شرط الشيخين أو صححاه في الجملة؟! قال ابن عساكر في أطرافه: وأبو سلمة لم يسمع من عبادة. والعجب من الذهبي كيف أقره على ذلك! اهـ.
وقال ابن حجر في تخريج الكشاف (ص٨٤ رقم ١٨): رجاله ثقات إلا أنه معلول؛ فإن أبا سلمة لم يسمع من عبادة.
وقال ابن حجر في النكت الظراف (٤/ ٢٦٣ - ٢٦٤): أخرجه ابن منده في كتاب الروح من طريق الأوزاعي، عن يحيى، حدثني أبو سلمة، حدثني عبادة. أخرجه عن خيثمة بن سليمان، عن العباس بن الوليد بن مزيد، عن أبيه، عن الأوزاعي. ورجاله كلهم ثقات. اهـ.
قلت: لكن رواه الطبري في تفسيره (١١/ ١٣٣) حدثنا العباس بن الوليد به، وفيه: قال: «سأل عبادةُ بن الصامت رسولَ اللّه . . .» فأرسله، واللّه أعلم.
ورواه الضياء في المختارة (٨/ ٢٥٩ - ٢٦٠ رقم ٣٥١) من طريق شيبان، عن يحيى، عن أبي سلمة، عن جابر بن عبد اللّه، عن عبادة.
ورواه الإمام أحمد (٥/ ٣٢٤) وابن أبي عاصم في السنة (١/ ٢١٣ - ٢١٤ - رقم ٤٨٧) من طريق حميد بن عبد الرحمن عن عبادة بن الصامت.
ورواه الطبري في تفسيره (١١/ ١٣٤، ١٣٧ - ١٣٨) والطبراني في معجم الشاميين (٢/ ١١٨- ١١٩ رقم ١٠٢٥ ، ١٠٢٦) وابن مردويه في تفسيره - كما في تخريج الكشاف (٢/ ١٣٢- ١٣٣) - والضياء في المختارة (٨/ ٢٧٧ - ٢٧٨) رقم ٣٣٩ ، ٣٤٠) من طريق حميد ابن عبد اللّه عن عبادة.
وللحديث شواهد عن عدة من الصحابة، انظر: تخريج الكشاف (٢/ ١٣٢ - ١٣٥) ومختصره الكاف الشاف (٨٤ - ٨٥) والدر المنثور (٣/ ٣٣٧ - ٣٣٨).

﴿أَلَآ إِنَّ لِلَّهِ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ ۗ وَمَا يَتَّبِعُ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ شُرَكَآءَ ۚ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ ﴿٦٦﴾ هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ لِتَسْكُنُوا۟ فِيهِ وَٱلنَّهَارَ مُبْصِرًا ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ ﴿٦٧﴾ قَالُوا۟ ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدًا ۗ سُبْحَٰنَهُۥ ۖ هُوَ ٱلْغَنِىُّ ۖ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۚ إِنْ عِندَكُم مِّن سُلْطَٰنٍۭ بِهَٰذَآ ۚ أَتَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٦٨﴾ قُلْ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ ﴿٦٩﴾ مَتَٰعٌ فِى ٱلدُّنْيَا ثُمَّ إِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ ثُمَّ نُذِيقُهُمُ ٱلْعَذَابَ ٱلشَّدِيدَ بِمَا كَانُوا۟ يَكْفُرُونَ ﴿٧٠﴾﴾

﴿ألا إن للَّه من في السمٰوات ومن في الأرض﴾.

قال محمدٌ: (ألا) افتتاح كلام وتنبيه؛ أيْ: له من في السمٰوات ومن في الأرض، يفعل فيهم وبهم ما يشاء.

﴿وما يتبع الذين يدعون من دون اللَّه شركاء﴾ يقول: إن الذين تعبدون من دون اللَّه ليسوا بشركاء للَّه تعالى.

﴿إن يتبعون إلا الظن وإن هم إلا يخرصون﴾ يقول: يعبدون أوثانَهُمْ، ويقولون: إنها تقربهُمْ إلى اللَّه - عز وجل - زلفى، وما يقولون ذلك بعلم، إن هو منهُمْ (ل١٤١) إلا ظن، وإن هم إلا يكذبون ﴿هو الذي جعل لكم الليل لتسكنوا فيه﴾ يعني: لتستقروا فيه من النَّصَبِ[1] ﴿والنهار مبصرًا﴾ أي: منيرًا لتبتغوا فيه معايشكم.

قال محمدٌ: قيل: ﴿مبصرًا﴾ يعني: مبصرًا فيه؛ كما تقول: ليلٌ نائم،

---

(١) النَّصَب: التَّعَب. ينظر: لسان العرب (نصب).

وإنما يُنَامُ فيه[١].

﴿إن عندكم من سلطان بهذا﴾ أي: ما عندكم من حُجَّة بهذا الذي قلتم ﴿أتقولون على اللَّه ما لا تعلمون﴾ أي: نَعَمْ، قد قلتم على اللَّه ما لا تعلمون ﴿قل إن الذين يفترون على اللَّه الكذب لا يفلحون﴾ ثم انقطع الكلام ﴿متاعٌ في الدنيا﴾ يقول: الدنيا وما هم فيه متاعٌ يستمتعون به، ثم ينقطع إذا فارقوا الدنيا.

قال محمدٌ: ﴿متاعٌ﴾ مرفوعٌ على معنى: ذلك متاعٌ في الدنيا[٢].

﴿وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ نُوحٍ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦ يَٰقَوْمِ إِن كَانَ كَبُرَ عَلَيْكُم مَّقَامِى وَتَذْكِيرِى بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ فَعَلَى ٱللَّهِ تَوَكَّلْتُ فَأَجْمِعُوٓاْ أَمْرَكُمْ وَشُرَكَآءَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُنْ أَمْرُكُمْ عَلَيْكُمْ غُمَّةً ثُمَّ ٱقْضُوٓاْ إِلَىَّ وَلَا تُنظِرُونِ ﴿٧١﴾ فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَمَا سَأَلْتُكُم مِّنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِىَ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٧٢﴾ فَكَذَّبُوهُ فَنَجَّيْنَٰهُ وَمَن مَّعَهُۥ فِى ٱلْفُلْكِ وَجَعَلْنَٰهُمْ خَلَٰٓئِفَ وَأَغْرَقْنَا ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُنذَرِينَ ﴿٧٣﴾ ثُمَّ بَعَثْنَا مِنۢ بَعْدِهِۦ رُسُلًا إِلَىٰ قَوْمِهِمْ فَجَآءُوهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَمَا كَانُواْ لِيُؤْمِنُواْ بِمَا كَذَّبُواْ بِهِۦ مِن قَبْلُ كَذَٰلِكَ نَطْبَعُ عَلَىٰ قُلُوبِ ٱلْمُعْتَدِينَ ﴿٧٤﴾﴾

﴿يا قوم إن كان كبر عليكم مقامي﴾ بالدعاءِ إلى اللَّه - عز وجل - ﴿وتذكيري بآيات اللَّه فعلى اللَّه توكلت فأجمعوا أمركم وشركاءكم﴾ أي: وأجمعوا شركاءكم ﴿ثم لا يكن أمركم عليكم غمَّة﴾ أي: في ستر، ليكن ذلك علانية.

---

(١) أي: التعبير باسم الفاعل وإرادة اسم المفعول، وهذا كثير في اللغة.

(٢) وفيه وجه نحوي آخر ينظر: البحر المحيط (٥/ ١٧٧ - ١٧٨).

قال محمدٌ: (غمة) مشتقة من: الغمامة التي تَسْتُر؛ ومنه قوله: «غُمَّ الْهِلالُ» وقد يجوز أن يكون قوله: (غُمَّة) أي: غمًّا؛ يقال غَمٌّ وغُمَّةٌ[١].

قالت الخنساء[٢]:

وذِي كُرْبةٍ راخى ابنُ عمروٍ خِنَاقَهُ وغُمَّتُهُ عن وجْهِه فَتَجَلَّتِ[٣]

قوله عز وجل: ﴿ثم اقضوا إلي﴾ أي: اجهدوا جُهْدَكم ﴿ولا تنظرون﴾ طرفة عين؛ أي: أنكم لا تقدرون على ذلك؛ وذلك حين قالوا: ﴿لئن لم تنته يا نوح لتكونن من المرجومين﴾[٤].

﴿فإن توليتم﴾ أعرضتم عن الإيمان ﴿فما سألتكم﴾ على ما أدعوكم إليه من هذا الدين أجرًا، فيحملكم ذلك على ترك ما أدعوكم إليه .

﴿فكذبوه فنجيناه ومن معه في الفلك﴾ في السفينة ﴿وجعلناهم خلائف في الأرض﴾ بعد الهالكين .

﴿فما كانوا ليؤمنوا بما كذبوا به من قبل﴾ أي: من قبل أن يأتيهم العذاب ﴿كذلك نطبع على قلوب المعتدين﴾ المشركين .

﴿ثُمَّ بَعَثْنَا مِنۢ بَعْدِهِم مُّوسَىٰ وَهَٰرُونَ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِۦ بِـَٔايَٰتِنَا فَٱسْتَكْبَرُواْ وَكَانُواْ قَوْمًا مُّجْرِمِينَ ﴿٧٥﴾ فَلَمَّا جَآءَهُمُ ٱلْحَقُّ مِنْ عِندِنَا قَالُوٓاْ إِنَّ هَٰذَا لَسِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿٧٦﴾ قَالَ مُوسَىٰٓ أَتَقُولُونَ

---

(١) لسان العرب (غمم).

(٢) وهي تماضر بنت عمرو بن الحارث الرياحية السلمية. أشهر شواعر العرب، من أهل نجد، عاشت أكثر عمرها في الجاهلية، وأدركت الإسلام فأسلمت. وتوفيت سنة ٢٤ للهجرة. ينظر الأعلام (٢/ ٨٦).

(٣) ويروى: ومُختنقٍ ..... وغُمَّيَّةٌ .... إلخ. وهو من بحر الطويل. ينظر: ديوان الخنساء (٣٤٠).

(٤) الشعراء: ١١٦ .

لِلْحَقِّ لَمَّا جَاءَكُمْ أَسِحْرٌ هَٰذَا وَلَا يُفْلِحُ ٱلسَّٰحِرُونَ ﴿٧٧﴾ قَالُوٓا۟ أَجِئْتَنَا لِتَلْفِتَنَا عَمَّا وَجَدْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَا وَتَكُونَ لَكُمَا ٱلْكِبْرِيَآءُ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا نَحْنُ لَكُمَا بِمُؤْمِنِينَ ﴿٧٨﴾ وَقَالَ فِرْعَوْنُ ٱئْتُونِى بِكُلِّ سَٰحِرٍ عَلِيمٍ ﴿٧٩﴾ فَلَمَّا جَآءَ ٱلسَّحَرَةُ قَالَ لَهُم مُّوسَىٰٓ أَلْقُوا۟ مَآ أَنتُم مُّلْقُونَ ﴿٨٠﴾ فَلَمَّآ أَلْقَوْا۟ قَالَ مُوسَىٰ مَا جِئْتُم بِهِ ٱلسِّحْرُ إِنَّ ٱللَّهَ سَيُبْطِلُهُۥٓ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُصْلِحُ عَمَلَ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٨١﴾ وَيُحِقُّ ٱللَّهُ ٱلْحَقَّ بِكَلِمَٰتِهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿٨٢﴾﴾

﴿فلما جاءهم الحق من عندنا﴾ يعني: اليَدَ والعصا.

﴿قال موسى أتقولون للحق لما جاءكم أسحرٌ هذا﴾ قال اللَّه -عز وجل-: ﴿ولا يفلح الساحرون﴾.

﴿قالوا أجئتنا لتلفتنا﴾ لتصرفنا وتحولنا ﴿عما وجدنا عليه آباءنا﴾ يعنون: أنا وجدناهم عبدة أوْثان، فنحن على دينهم ﴿وتكون لكما الكبرياء﴾ أي: وتريد أن تكون لك ولهارون الملك والسلطان في الأرض.

قال محمد: إنما سمى الملك كبرياء؛ لأنه أكبر ما يطلب من أمر الدنيا، وأصل الكبرياء: العظمة[1].

﴿قال موسى ما جئتم به السحر﴾ قال محمدٌ: (ما) بمعنى الذي؛ أي: الذي جئتم به السِّحْر[2].

﴿ويحق اللَّه الحق﴾ الذي جاء به موسى ﴿بكلماته﴾ بوعده الذي وعد موسى يعني: قوله له: ﴿لا تخف إنك أنت الأعلى﴾[3].

---

(١) وكذا الكِبْر. ينظر: لسان العرب (كبر).

(٢) وفي ذلك تفصيل نحوي واسع ينظر: البحر الميحط (٥/ ١٨٣)، الدر المصون (٤/ ٥٨ - ٥٩).

(٣) طه: ٦٨ .

﴿فَمَآ ءَامَنَ لِمُوسَىٰٓ إِلَّا ذُرِّيَّةٌ مِّن قَوْمِهِۦ عَلَىٰ خَوْفٍ مِّن فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِمْ أَن يَفْتِنَهُمْ ۚ وَإِنَّ فِرْعَوْنَ لَعَالٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَإِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلْمُسْرِفِينَ ﴿٨٣﴾ وَقَالَ مُوسَىٰ يَٰقَوْمِ إِن كُنتُمْ ءَامَنتُم بِٱللَّهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوٓا۟ إِن كُنتُم مُّسْلِمِينَ ﴿٨٤﴾ فَقَالُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ تَوَكَّلْنَا رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِّلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٨٥﴾ وَنَجِّنَا بِرَحْمَتِكَ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٨٦﴾﴾

﴿فما آمن لموسى إلا ذريةٌ من قومه﴾ قال مجاهد: يعني: أولاد الذين أرسل إليهم موسَى ﴿على خوف من فرعون وملئهم﴾ يعني: أشرافهُمْ ﴿أن يفتنهم﴾ أن يقتلهم فرعون ﴿وإن فرعون لعالٍ في الأرض﴾ أي: لباغٍ يبغي عليهم ويتعدّى ﴿وإنه لمن المسرفين﴾.

﴿وقال موسى يا قوم إن كنتم آمنتم بالله﴾ وقد علم أنهم قد آمنوا وصدَّقوا، ولكنه كلامٌ من كلام العرب؛ تقول: إن كنت كذا فاصنع كذا؛ وهو يعلم أنه كذلك ، ولكنه يريد أن يعمل بما قال له.

﴿ربنا لا تجعلنا فتنة للقوم الظالمين﴾ قال مجاهد: يقولون: لا تعذبنا بأيدي قوم فرعون، ولا بعذاب من عندك، فيقول فرعون وقومه: لو كانوا على حق ما عذبوا، ولا سلطنا عليهم؛ فيفتنوا بنا.

﴿وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰ وَأَخِيهِ أَن تَبَوَّءَا لِقَوْمِكُمَا بِمِصْرَ بُيُوتًا وَٱجْعَلُوا۟ بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ ۗ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٨٧﴾ وَقَالَ مُوسَىٰ رَبَّنَآ إِنَّكَ ءَاتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلَأَهُۥ زِينَةً وَأَمْوَٰلًا فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ رَبَّنَا لِيُضِلُّوا۟ عَن سَبِيلِكَ ۖ رَبَّنَا ٱطْمِسْ عَلَىٰٓ أَمْوَٰلِهِمْ وَٱشْدُدْ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُوا۟ حَتَّىٰ يَرَوُا۟ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَلِيمَ ﴿٨٨﴾ قَالَ قَدْ أُجِيبَت دَّعْوَتُكُمَا فَٱسْتَقِيمَا وَلَا تَتَّبِعَآنِّ سَبِيلَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٨٩﴾﴾

﴿وأوحينا إلى موسى وأخيه أن تبوَّءا لقومكما بمصْرَ بيوتًا واجعلوا بيوتكم قبلة﴾ تفسير مجاهد: أمروا أن يجعلوا في بيوتهم مساجد مستقبلي القبلة يصلون فيها [سرًّا، لما](١) خاف (ل١٤٢) موسى ومن معه من فرعون أن يصلوا في الكنائس الجامعة.

﴿ربنا ليضلوا عن سبيلك﴾ هذا دعاءٌ عليهم؛ يقول: ربنا فأضلهم عن سبيلك؛ وذلك حين جاء وقت عذابهم [. . .](٢) عليهم.

﴿ربنا اطمس على أموالهم﴾ فَمُسِخَتْ دنانيرهم ودراهمهُم وزروعُهم حجارةً ﴿واشدد على قلوبهم﴾ بالضلالة ﴿فلا يؤمنوا﴾ دعاء أيضًا ﴿حتى يروا العذاب الأليم﴾ فحيل بينهم وبين أن يؤمنوا.

﴿وَجَٰوَزْنَا بِبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱلْبَحْرَ فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ وَجُنُودُهُۥ بَغْيًا وَعَدْوًا ۖ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَدْرَكَهُ ٱلْغَرَقُ قَالَ ءَامَنتُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱلَّذِىٓ ءَامَنَتْ بِهِۦ بَنُوٓا۟ إِسْرَٰٓءِيلَ وَأَنَا۠ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ (٩٠) ءَآلْـَٰٔنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنتَ مِنَ ٱلْمُفْسِدِينَ (٩١) فَٱلْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنْ خَلْفَكَ ءَايَةً ۚ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ عَنْ ءَايَٰتِنَا لَغَٰفِلُونَ (٩٢) وَلَقَدْ بَوَّأْنَا بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ مُبَوَّأَ صِدْقٍ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ فَمَا ٱخْتَلَفُوا۟ حَتَّىٰ جَآءَهُمُ ٱلْعِلْمُ ۚ إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِى بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فِيمَا كَانُوا۟ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ (٩٣)﴾

﴿وجاوزنا ببني إسرائيل البحر فأتبعهم فرعون وجنوده بغيًا وعدوًا﴾ العَدْوُ: العُدْوان.

قال محمد: قوله: ﴿فأتبعهم فرعون﴾ أي: لحقهم؛ يقال: أتبعْتُ القوم:

---

(١) طمس في الأصل؛ والمثبت من تفسير ابن كثير (٤/ ٢٢٤).
(٢) طمس في الأصل.

لحقتهم، وتبعتُهم: جئت في إثرهم[١].

﴿حتى إذا أدركه الغرق . . .﴾ الآية يقول اللَّه - عز وجل -: ﴿آلآن وقد عصيت﴾ لأنه آمن في حين لا يقبل اللَّه فيه الإيمان؛ وقد مضتْ سنة الأولين في الذين خلوا من قبل أنه لا يقبل الإيمان عند نزول العذاب .

﴿فاليوم ننجيك ببدنك﴾ تفسير مجاهد: بجسدك، فقذفه البحر عريانًا على شاطئ البحر ﴿لتكون لمن خلفك﴾ لمن بعدك ﴿آية﴾ فيُعْلَمُ أنك عبدٌ ذليلٌ قد أهلكك اللَّه - عزّ وجل - وغرَّقك ﴿وإن كثيرًا من الناس عن آياتنا لغافلون﴾ يعني: المشركين لا يتفكّرون فيها ولا ينظرون.

﴿ولقد بوأنا بني إسرائيل مُبوأ صدق﴾ أي: أنزلناهم منزل صدق ﴿ورزقناهم من الطيبات فما اختلفوا حتى جاءهم العلم﴾ هي كقوله: ﴿ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا من بعد ما جاءهم البينات﴾[٢] .

﴿فَإِن كُنتَ فِى شَكٍّ مِّمَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ فَسْـَٔلِ ٱلَّذِينَ يَقْرَءُونَ ٱلْكِتَـٰبَ مِن قَبْلِكَ ۚ لَقَدْ جَآءَكَ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُمْتَرِينَ ﴿٩٤﴾ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ فَتَكُونَ مِنَ ٱلْخَـٰسِرِينَ ﴿٩٥﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ حَقَّتْ عَلَيْهِمْ كَلِمَتُ رَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٩٦﴾ وَلَوْ جَآءَتْهُمْ كُلُّ ءَايَةٍ حَتَّىٰ يَرَوُا۟ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَلِيمَ ﴿٩٧﴾﴾

﴿فإن كنت في شكٍّ مما أنزلنا إليك فاسأل الذين يقرءون الكتاب من قبلك﴾ يعني: من آمن منهم.

---

(١) وقال الأخفش: تَبِعَه وأَتْبعه بمعنًى؛ مثل: رَدِفَه وأرْدفه. ومنه قوله تعالى: ﴿إلا من خطف الخطفة فأتبعه شهاب ثاقب﴾ ينظر: لسان العرب، مختار الصحاح (تبع).

(٢) آل عمران: ١٠٥ .

قال قتادة: ذكر لنا أن نبي الله ﷺ قال: «لا أشك ولا أسأل»[١].

﴿لقد جاءك الحق من ربك فلا تكوننَّ من الممترين﴾ يعني: الشاكين.

﴿إن الذين حقت عليهم (كلمات)[٢] ربك لا يؤمنون﴾ الآية، هم الذين يلقون الله - عز وجل - بكفرهم.

﴿فَلَوْلَا كَانَتْ قَرْيَةٌ ءَامَنَتْ فَنَفَعَهَآ إِيمَٰنُهَآ إِلَّا قَوْمَ يُونُسَ لَمَّآ ءَامَنُواْ كَشَفْنَا عَنْهُمْ عَذَابَ ٱلْخِزْيِ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَمَتَّعْنَٰهُمْ إِلَىٰ حِينٍ ﴿٩٨﴾ وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَأٓمَنَ مَن فِي ٱلْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًاۚ أَفَأَنتَ تُكْرِهُ ٱلنَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُواْ مُؤْمِنِينَ ﴿٩٩﴾﴾

﴿فلولا﴾ فهلا ﴿كانت قرية آمنتْ فنفعها إيمانها﴾ تفسير قتادة: يقولون: لم يكن هذا في الأمم؛ لم ينفع قرية كفرت ثم آمنت حين عاينت عذاب الله - عز وجل - ﴿إلا قوم يونُسَ لما آمنوا كشفنا عنهم عذاب الخزي﴾ قال قتادة: وذكر لنا أن قوم يونس كانوا بموضع من أرض «الموصل» فلمّا فقدوا نبيَّهُمْ، قذف الله - عز وجل - في قلوبهم التوبة، فلبسوا المُسُوحَ[٣]، وفرقوا بين كل بهيمة وولدها، فعجُوا[٤] إلى الله أربعين ليلةً، فلما عرف الله - عز وجل - الصدق من قلوبهم، والتوبة والندامة منهم على ما مضى كشف عنهم العذاب

---

(١) رواه عبد الرزاق في تفسيره (١/ ٢٩٨) وفي المصنف (٦/ ١٢٥ - ١٢٦ رقم ١٠٢١١) والطبري في تفسيره (١١/ ١٦٨) قال الزيلعي في تخريج الكشاف (٢/ ١٤٠): وهو معضل. وروى ابن أبي حاتم في تفسيره (٦/ ١٩٨٦ رقم ١٠٥٨٣) عن ابن عباس قال: «لم يشك رسول الله ولم يسأل».

(٢) هكذا بالأصل جمعًا؛ وهي قراءة نافع وابن عامر، أما قراءة الإفراد ﴿كلمة﴾ فهي قراءة باقي السبعة. ينظر: السبعة (٣٢٦)، النشر (٢/ ٢٦٢) التيسير (١٢٢).

(٣) واحدها: المِسْح؛ وهو ثوب من الشعر غليظ. ويُجْمع أيضًا على: أَمْسَاح. ينظر: لسان العرب، القاموس المحيط (مسح).

(٤) العَجُّ: رفع الصوت أي: بالذكر والدعاء. لسان العرب (عجج).

بعد ما نزل عليهم.

قال يحيى: بلغني أنه كان بينهم وبين العذاب أربعةُ أميالٍ.

وقوله: ﴿ومتعناهم إلى حين﴾ يعني: إلى الموت بغير عذاب.

﴿أفأنت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين﴾ أي: لا تستطيع فعل ذلك إنما يؤمن من يريد اللَّهُ - عز وجل - أن يؤمن .

﴿وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَن تُؤْمِنَ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ وَيَجْعَلُ ٱلرِّجْسَ عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ ﴿١٠٠﴾ قُلِ ٱنظُرُوا۟ مَاذَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا تُغْنِى ٱلْءَايَٰتُ وَٱلنُّذُرُ عَن قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ ﴿١٠١﴾ فَهَلْ يَنتَظِرُونَ إِلَّا مِثْلَ أَيَّامِ ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلِهِمْ قُلْ فَٱنتَظِرُوٓا۟ إِنِّى مَعَكُم مِّنَ ٱلْمُنتَظِرِينَ ﴿١٠٢﴾ ثُمَّ نُنَجِّى رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كَذَٰلِكَ حَقًّا عَلَيْنَا نُنجِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٠٣﴾ قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِن كُنتُمْ فِى شَكٍّ مِّن دِينِى فَلَآ أَعْبُدُ ٱلَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَٰكِنْ أَعْبُدُ ٱللَّهَ ٱلَّذِى يَتَوَفَّىٰكُمْ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٠٤﴾﴾

﴿وما كان لنفس أن تؤمن إلا بإذن اللَّه ويجعل الرجس على الذين لا يعقلون﴾ يعني: رجاسةَ الكفر.

﴿قل انظروا ماذا في السمٰوات﴾ من شمسها وقمرها ونجومها، وما فيها من العجائب ﴿والأرض﴾ من بحارها وشجرها وجبالها؛ ففي هذه آياتٌ وحُججٌ عظام ﴿وما تغني الآياتُ والنذرُ عن قوم لا يؤمنون﴾ إذا لم يقبلوها، ويتفكروا فيها. ﴿فهل ينتظرون إلَّا مثل أيام الذين خلوا من قبلهم﴾ يعني: وقائع اللَّه - عز وجل - في الأمم السَّالفة التي أهلكهم بها حين كذبوا رسُلَهُمْ.

﴿قل فانتظروا إني معكم مِنَ المنتظرين﴾ أي: سينزل بكم ما نزل بهمْ؛ أخر اللَّه - عز وجل - عذاب آخر كفار هذه الآمة إلى (ل١٤٣) النفخة الأولى

بها يكون هلاكهم، ولم يهلكهم حين كذَّبوا النبي بعذاب الاستئصال، كما أهلك من قبلهم بعذاب الاستئصال، فلم يبق منهم أحدٌ.

﴿ثم ننجي رُسُلَنا والذين آمنوا﴾ يقول: كنا إذا أهلكنا قومًا أنجينا النبي والمؤمنين، الآية.

﴿قل يا أيها الناس إن كنتم في شكٍّ من ديني﴾ يعني: المشركين ﴿فلا أعبد الذين تعبدون من دون اللَّه . . .﴾ الآية .

﴿وَأَنْ أَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿١٠٥﴾ وَلَا تَدْعُ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ فَإِن فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذًا مِّنَ الظَّالِمِينَ ﴿١٠٦﴾ وَإِن يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ وَإِن يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَادَّ لِفَضْلِهِ يُصِيبُ بِهِ مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَهُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴿١٠٧﴾ قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمُ الْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ فَمَنِ اهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَمَا أَنَا عَلَيْكُم بِوَكِيلٍ ﴿١٠٨﴾ مَا يُوحَىٰ إِلَيْكَ وَاصْبِرْ حَتَّىٰ يَحْكُمَ اللَّهُ وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ ﴿١٠٩﴾﴾

﴿وأن أقم وجهك. . .﴾ أي: وجْهتك إلى قوله عز وجل: ﴿فإن فعلت فإنك إذًا من الظالمين﴾ أي: ولست فاعلًا .

﴿يا أيها الناس قد جاءكم الحق من ربكم﴾ يعني: القرآن ﴿فمن اهتدى فإنما يهتدي لنفسه ومن ضل فإنما يضل عليها﴾ وهي كقوله عز وجل: ﴿من عمل صالحًا فلنفسه ومن أساء فعليها﴾(١).

﴿وما أنا عليكم بوكيل﴾ بحفيظ لأعمالكم؛ حتى أجازيكم بها، إنما أنا

---

(١) فصلت: ٤٦ .

منذرٌ أبلغكم رسالة ربي.

﴿واصبر﴾ على ما يقول لك المشركون ﴿حتى يحكم اللَّه﴾ فيأمُرك بالهجرة والجهاد ﴿وهو خير﴾ أفضل ﴿الحاكمين﴾.

* * *

تفسير سورة هود وهي مكّية كلها

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿الٓر كِتَٰبٌ أُحْكِمَتْ ءَايَٰتُهُۥ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ ﴿١﴾ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّا ٱللَّهَ ۚ إِنَّنِى لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ ﴿٢﴾ وَأَنِ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوٓا۟ إِلَيْهِ يُمَتِّعْكُم مَّتَٰعًا حَسَنًا إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى وَيُؤْتِ كُلَّ ذِى فَضْلٍ فَضْلَهُۥ ۖ وَإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ كَبِيرٍ ﴿٣﴾ إِلَى ٱللَّهِ مَرْجِعُكُمْ ۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٤﴾﴾

قوله عز اسمه: ﴿الٓر كِتَٰبٌ﴾ أي: هذا كتابٌ ﴿أحكمت آياته﴾ يعني: القرآن ﴿ثم فصلت﴾ بُينت؛ بيَّن فيها حلالهُ وحرامه وطاعته ومعصيته ﴿من لدن﴾ من عند ﴿حكيم﴾ أحكمه بعلمه ﴿خبير﴾ بأعمال العباد.

﴿ألا تعبدوا إلا اللَّه إنني لكم منه نذير﴾ يقوله للنبي عليه السلام قل: لا تعبدوا إلا اللَّه؛ إنني لكم منه نذير؛ أنذركُمْ عقابه إن لم تؤمنوا ﴿وبشير﴾ بالجنة لمن آمن .

﴿وأن استغفروا ربكم﴾ من الشرك.

﴿يمتعكم متاعًا حسنًا إلى أجل مسمى﴾ يعني: الموت، ولا يهلكهم بالعذاب.

﴿ويؤت كل ذي فضلٍ فضله﴾ كقوله: ﴿ولكل درجاتٌ مما عملوا﴾[1] ﴿وإن تولوا﴾ عن هذا القرآن، فيكذبوا به ﴿فإني أخاف عليكم عذاب يوم كبير﴾.

(١) الأنعام: ١٣٢، الأحقاف: ١٩ .

﴿أَلَآ إِنَّهُمْ يَثْنُونَ صُدُورَهُمْ لِيَسْتَخْفُوا۟ مِنْهُۚ أَلَا حِينَ يَسْتَغْشُونَ ثِيَابَهُمْ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَۚ إِنَّهُۥ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿٥﴾﴾

﴿ألا إنهم يثنون صدورهم ليستخفوا منه﴾.

قال الحسن: يثنون صدورهم على ما هم عليه من الكفر؛ ليستخفوا منه بذلك؛ يظنون أن اللَّه - عز وجل - لا يعلم الذي يستخفون به. قال بعضهم: هم المنافقون.

قال محمد: معنى ﴿يثنون صدورهم﴾: يطوون ما فيها ويسترونه.

﴿ألا حين يستغشون ثيابهم يعلم ما يسرون وما يعلنون﴾ قال محمد: معنى ﴿يستغشون ثيابهم﴾: يستترون بها؛ يقال: استغشيت ثوبي وتغشيته(١).

﴿وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِى ٱلْأَرْضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَاۚ كُلٌّ فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴿٦﴾﴾

﴿ويعلم مستقرها ومستودعها﴾ تفسير ابن مسعود: مستقرها: الأرحام، ومستودَعُها: الأرض التي يموت فيها.

يحيى: عن صاحب له، عن الحسن بن دينار، عن إسماعيل بن أبي خالد، عن قيس بن أبي حازم، عن ابن مسعود قال: «إذا أراد اللَّه - عز وجل - أن يقبض عبدًا بأرضٍ جعل له بها حاجة؛ فإذا كان يوم القيامة قالت الأرض: رب هذا ما استودعتني»(٢).

---

(١) ويقال: استغشيتُ بثوبي، وتغشَّيتُ به؛ متعدِّيًا بحرف الباء. ينظر: لسان العرب، مختار الصحاح (غشى).

(٢) رواه سعيد بن منصور في تفسيره (٥/ ٤٧ رقم٨٩٤) عن سفيان عن إسماعيل بن أبي خالد به. =

﴿وَهُوَ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَكَانَ عَرْشُهُۥ عَلَى ٱلْمَآءِ

= ورواه الدارقطني في العلل (٥/ ٢٣٩) من طريق يحيى القطان عن إسماعيل به.
ورواه ابن ماجه (٢/ ١٤٢٤ رقم ٤٢٦٣) وابن أبي عاصم في السنة (١/ ١٧٣ رقم ٣٩٢) والبزار في مسنده (٥/ ٢٧٤ - ٢٧٥ رقم ١٨٨٩) والحاكم في المستدرك (١/ ٤١) والبيهقي في الشعب (٧/ ١٧٢ رقم ٩٨٨٩) من طريق عمر بن علي المقدمي عن إسماعيل بن أبي خالد به مرفوعًا.
وقال البزار: وهذا الحديث لا نعلم أحدًا رفعه إلا عمر بن علي المقدمي.
وقال الحاكم: قد احتج الشيخان برواة هذا الحديث عن آخرهم، وعمر بن علي المقدمي متفق على إخراجه في الصحيحين، وقد تابعه محمد بن خالد الوهبي على سنده عن إسماعيل. اهـ.
ثم رواه الحاكم (١/ ٤١ - ٤٢ ، ٣٦٧) من طريق محمد بن خالد الوهبي عن إسماعيل بن أبي خالد به، وقال الحاكم: وقد أسنده هشيم عن إسماعيل بن أبي خالد. اهـ.
ورواه الطبراني في المعجم الكبير (١٠/ ١٨٦ رقم ١٠٤٠٣) والحاكم (١/ ٤٢) من طريق موسى ابن محمد بن حيان عن ابن مهدي، عن هشيم به.
وقال الحاكم: فقد أسند هذا الحديث ثلاثة من الثقات عن إسماعيل ووقفه عنه سفيان بن عيينة، فنحن على ما شرطنا في إخراج الزيادة من الثقة في الوصل والسند . اهـ.
وسأل ابن أبي حاتم أباه عن هذا الحديث من طريق محمد بن خالد الوهبي، فقال أبو حاتم: الكوفيون لا يرفعونه. قال ابن أبي حاتم: هذا الحديث معروف بعمر بن علي بن مقدم، تفرد به عن إسماعيل بن أبي خالد، وتابعه على روايته محمد بن خالد الوهبي. علل الحديث (١/ ٣٦٢ رقم ١٠٧٣).
ولما سُئل الدارقطني عن هذا الحديث قال في العلل (٥/ ٢٣٨ - ٢٣٩ رقم ٨٤٨): يرويه إسماعيل بن أبي خالد، فرفعه عنه عمرو بن علي المقدمي ومحمد بن خالد الوهبي وهشيم - من رواية موسى بن حيان عن ابن مهدي عنه - وغيره يرويه عن هشيم ولا يرفعه.
وكذلك رواه ابن عيينة ويحيى القطان وغيرهما موقوفًا، وهو الصواب . اهـ.
وله شاهد عن أبي عزة مرفوعًا: «إن اللَّه - تبارك وتعالى - إذا أراد قبض روح عبدٍ بأرضٍ جعل له فيها - أو قال: بها - حاجة».
رواه الإمام أحمد (٣/ ٤٢٩) - واللفظ له - والبخاري في الأدب المفرد (رقم ٧٨٠) والترمذي (٤/ ٣٩٤ رقم ٢١٤٧) وابن حبان (١٤/ ١٩ رقم ٦١٥١) والحاكم (١/ ٤٢) وقال الترمذي: هذا حديث صحيح. =

لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَلَئِن قُلْتَ إِنَّكُم مَّبْعُوثُونَ مِن بَعْدِ الْمَوْتِ لَيَقُولَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَٰذَا إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿٧﴾﴾

﴿ليبلوكم﴾ ليختبركم بالأمر والنهي ﴿أيكم أحسن عملًا﴾ فيما ابتلاكم به من الأمر والنهي.

قال محمد: المعنى: يختبركم الاختبار الذي يجازيكم عليه؛ وهو قد علم قبل ذلك أيهم أحسن عملًا.

﴿وَلَئِنْ أَخَّرْنَا عَنْهُمُ الْعَذَابَ إِلَىٰ أُمَّةٍ مَّعْدُودَةٍ لَّيَقُولُنَّ مَا يَحْبِسُهُ ۗ أَلَا يَوْمَ يَأْتِيهِمْ لَيْسَ مَصْرُوفًا عَنْهُمْ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ﴿٨﴾ وَلَئِنْ أَذَقْنَا الْإِنسَانَ مِنَّا رَحْمَةً ثُمَّ نَزَعْنَاهَا مِنْهُ إِنَّهُ لَيَئُوسٌ كَفُورٌ ﴿٩﴾ وَلَئِنْ أَذَقْنَاهُ نَعْمَاءَ بَعْدَ ضَرَّاءَ مَسَّتْهُ لَيَقُولَنَّ ذَهَبَ السَّيِّئَاتُ عَنِّي ۚ إِنَّهُ لَفَرِحٌ فَخُورٌ ﴿١٠﴾ إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَٰئِكَ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ ﴿١١﴾ فَلَعَلَّكَ تَارِكٌ بَعْضَ مَا يُوحَىٰ إِلَيْكَ وَضَائِقٌ بِهِ صَدْرُكَ أَن يَقُولُوا لَوْلَا أُنزِلَ عَلَيْهِ كَنزٌ أَوْ جَاءَ مَعَهُ مَلَكٌ ۚ إِنَّمَا أَنتَ نَذِيرٌ ۚ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٢﴾﴾

﴿ولئن أخَّرنا عنهم العذاب إلى أمةٍ معدودةٍ﴾ أي: إلى حينٍ معدود.

= وقال الحاكم: هذا حديث صحيح ورواته عن آخرهم ثقات.
وألزم الدارقطني الشيخين إخراجه في الإلزامات (ص٨٦).
وله شاهد ثاني عن مطر بن عكامس رواه الترمذي (٤/ ٣٩٤ رقم ٢١٤٦) وعبد الله بن أحمد في زوائد المسند (٥/ ٢٢٧) والحاكم (١/ ٤٢، ٣٦٧) وقال الترمذي: هذا حديث حسن غريب. وقال الحاكم: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين.
وله شاهد ثالث عن جندب بن سفيان، رواه الحاكم (١/ ٣٦٧).
ورابع عن عروة بن مضرس، رواه الحاكم (١/ ٣٦٧ - ٣٦٨).

قال محمدٌ: يقال: إنما سمى الحين أُمَّة؛ لأنّ الأمة من الناس تنقرض في حين[1].

﴿ليقولون ما يحبسهُ﴾ قال اللَّه - عز وجل -: ﴿ألا يوم يأتيهم ليس مصروفًا عنهم﴾ أي: ليس يستطيع أحدٌ أن يصرفه عنهم ﴿وحاق بهم﴾ أحاط بهم ﴿ما كانوا به يستهزئون﴾ يعني: عذاب الآخرة؛ في تفسير الكلبي.

﴿ولئن أذقنا الإنسان﴾ يعني: المشرك ﴿منا رحمة﴾ يعني: صحة وسعة في الرزق ﴿ثم نزعناها منه إنه ليئوس﴾ من رحمة اللَّه (ل١٤٤) أن تصل إليه فيصيبه رخاءٌ بعد شدة ﴿كفورٌ﴾ لنعمة اللَّه تعالى.

﴿ولئن أذقناه نعماء بعد ضراء مسَّته﴾ أي: عافيناه من تلك الضَّراء التي نزلت به ﴿ليقولن ذهب السيئات عني﴾ ذهب الضر عني ﴿إنه لفرحٌ﴾ بالدنيا ﴿فخورٌ﴾ يقول: ليست له حِسْبةٌ[2] عند ضراء، ولا شكر عند سراء ﴿إلا الذين صبروا وعملوا الصالحات﴾ استثنى اللَّه - عز وجل - أهل الإيمان؛ أي: أنهم لا يفعلون الذي بَيَّنَ من فعل المشركين.

﴿فلعلك تارك بعضَ ما يوحى إليك﴾ خاطب بهذا النبي ؛ فلا تبلغ عني مخافة قومك ﴿وضائق به صدرك أن يقولوا﴾ بأن يقولوا ﴿لولا أنزل عليه كنز﴾ هلا أنزل عليه مالٌ؛ فإنه فقير ﴿أو جاء معه ملك﴾ فيخبرنَا أنه رسولٌ ﴿إنما أنت نذيرٌ واللَّه على كل شيءٍ وكيل﴾ حفيظٌ لأعمالهم؛ حتى يجازيهم بها.

---

(١) ومنه أيضًا قولُ اللَّه - تعالى -: ﴿وادَّكر بعد أُمَّة﴾. لسان العرب، مختار الصحاح (أمم).

(٢) أي: احتساب الأجْر وادِّخاره عند اللَّه، والصبر عليه. ينظر: لسان العرب القاموس المحيط (حسب).

﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِ مُفْتَرَيَاتٍ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ (١٣) فَإِلَّمْ يَسْتَجِيبُوا لَكُمْ فَاعْلَمُوا أَنَّمَا أُنزِلَ بِعِلْمِ اللَّهِ وَأَن لَّا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَهَلْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ (١٤)﴾

﴿أم يقولون افتراه﴾ افترى محمد القرآن: اختلقه؛ أي: قد قالوا ذلك.

﴿قل فأتوا بعشر سور مثله مفتريات وادعوا من استطعتم من دون اللَّه﴾ أي: استعينوا من أطاعكم من دون اللَّه .

﴿فإن لم يستجيبوا لكُمْ﴾ فيأتوا بعشر سورٍ مثله، ولن يفعلوا ﴿فاعلموا أنما أنزل بعلم اللَّه﴾ أي: من عند اللَّه.

﴿مَن كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَالَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ (١٥) أُولَٰئِكَ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ إِلَّا النَّارُ وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا فِيهَا وَبَاطِلٌ مَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ (١٦)﴾

﴿من كان يريد الحياة الدنيا وزينتها﴾ يعني: المشرك لا يؤمن بالآخرة ﴿نوف إليهم أعمالهم فيها﴾ يعني: جزاء حسناتهم ﴿وهم فيها لا يبخسون﴾ لا يُنقَصون حسناتهم التي عملوا .

﴿وحبط ما صنعوا فيها﴾ بطل ما عملوا في الدنيا من حسناتٍ في الآخرة؛ لأنهم جُوزُوا بها في الدنيا .

﴿أَفَمَن كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّهِ وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِّنْهُ وَمِن قَبْلِهِ كِتَابُ مُوسَىٰ إِمَامًا وَرَحْمَةً أُولَٰئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَمَن يَكْفُرْ بِهِ مِنَ الْأَحْزَابِ فَالنَّارُ مَوْعِدُهُ فَلَا تَكُ فِي مِرْيَةٍ مِّنْهُ إِنَّهُ الْحَقُّ مِن رَّبِّكَ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ (١٧)﴾

﴿أفمن كان على بينة من ربه﴾ أي: بيان ويقين؛ يعني: محمدًا عليه السلام ﴿ويتلوه شاهدٌ منه﴾ تفسير الكلبي: جبريل شاهدٌ من اللَّه - عز وجل - ﴿ومن قبله﴾ من قبل القرآن ﴿كتاب موسى إمامًا ورحمة﴾ يعني: لمن آمن به.

يقول: أفمن كان علي بَيِّنة من ربه ويتلوه شاهدٌ منه؛ هل يستوى هو ومن يكفر بالقرآن والتوراة والإنجيل؟! أي: أنهما لا يستويان عند اللَّه عز وجل.

قال محمدٌ: يجوز النصب في قوله: ﴿إمامًا ورحمةً﴾ على الحال[1].

﴿أولئك يؤمنون به﴾ يعني: المؤمنين يؤمنون بالقرآن ﴿ومن يكفر به من الأحزاب﴾ قال قتادة: يعني: اليهود والنصارى ﴿فالنارُ موعِدُه﴾ ﴿فلا تك في مريةٍ منه﴾ في شكٌ أنَّ من كفر به؛ فالنارُ موعده.

﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًاۚ أُوْلَٰٓئِكَ يُعْرَضُونَ عَلَىٰ رَبِّهِمْ وَيَقُولُ ٱلْأَشْهَٰدُ هَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ كَذَبُواْ عَلَىٰ رَبِّهِمْۚ أَلَا لَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٨﴾ ٱلَّذِينَ يَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا وَهُم بِٱلْأٓخِرَةِ هُمْ كَٰفِرُونَ ﴿١٩﴾﴾

﴿ومن أظلم ممّن افترى على اللَّه كذبًا﴾ أي: لا أحد أظلم منه؛ وافتراؤهم على اللَّه - تعالى - أن قالوا إن اللَّه - عز وجل - أمرهم بما هم عليه من عبادة الأوثان، وتكذيبهم بمحمدٍ. ﴿أولئك يعرضون على ربهم ويقول الأشهاد﴾ الأنبياء ﴿هؤلاء الذين كذبوا على ربهم...﴾ الآية.

﴿أُوْلَٰٓئِكَ لَمْ يَكُونُواْ مُعْجِزِينَ فِي ٱلْأَرْضِ وَمَا كَانَ لَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِنْ أَوْلِيَآءَۘ يُضَٰعَفُ لَهُمُ ٱلْعَذَابُۚ مَا كَانُواْ يَسْتَطِيعُونَ ٱلسَّمْعَ وَمَا كَانُواْ يُبْصِرُونَ ﴿٢٠﴾ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمْ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُواْ يَفْتَرُونَ ﴿٢١﴾ لَا جَرَمَ أَنَّهُمْ فِي ٱلْأٓخِرَةِ هُمُ ٱلْأَخْسَرُونَ ﴿٢٢﴾﴾

---

(١) ينظر: الدر المصون (٤/ ٨٦).

﴿أولئك لم يكونوا معجزين في الأرض﴾ يسبقونا حتى لا نبعثهم، ثم نعذبهم. ﴿وما كان لهم من دون اللَّه من أولياء﴾ يمنعونهم من عذاب اللَّه.

﴿يضاعف لهم العذاب﴾ في النار ﴿ما كانوا يستطيعون السمع﴾ سمع الهدى؛ يعني: سمع قبول إذ كانوا في الدنيا ﴿وما كانوا يبصرون﴾ الهدى.

﴿وضل عنهم ما كانوا يفترون﴾ يعني: أوثانهم ضلت عنهم؛ فلم تغن عنهم شيئًا ﴿لا جرم أنهم في الآخرة هم الأخسرون﴾ (لا جرم) كلمة وعيد.

قال محمدٌ: جاء عن ابن عباس؛ أنه كان يقول: معناها: حقًّا. وذكر الزجاج عن سيبويه أنه قال: (جرم) معناها: حقّ، ودخلت لا للنفي، كأن المعنى: لا ينفعهم ذلك حقّ أن لهم النار(١).

وأنشد [. . .](٢)

ولقد طَعَنْتَ أبا عُيَيْنَةَ طَعْنَةً جرَمتْ فزارة بعدها أن يغضبوا(٣)

يقول: [أحقَّت الطَّعنةُ فَزارةَ](٤) الغضبَ.

قال محمدٌ: وأنشد قطرب(٥): جرمت (فزارةُ بعدها أن يغضبوا)(٦).

---

(١) قال الفراء: هي كلمة كانت في الأصل بمنزلة لابدَّ ولا محالة، فجرت على ذلك، وكثرت حتى تحوَّلت إلى معنى القسم، وصارت بمنزلة (حقًّا) فلذلك يجاب عنها باللام، كما يجاب بها عن القسم. لسان العرب، مختار الصحاح (جرم).

(٢) قطع في الأصل.

(٣) البيت من بحر الكامل. ويُنسب لأبي أسماء بن الضريبة، وقيل: هو لعطية بن عفيف. ينظر: اللسان (جرم)، الكتاب (١/ ٤٦٩)، المقتضب (٢/ ٣٥١).

(٤) طمس في الأصل، والمثبت من لسان العرب (جرم).

(٥) هو محمد بن المستنير أبو علي النحوي، أخذ عن سيبويه، وجماعة من البصريين (ت٢٠٦هـ). ترجمته ومصادرها في إنباه الرواة (٣/ ٢١٩).

(٦) طمس بالأصل. والرواية برفع (فزارة) ينظر: لسان العرب (جرم)، الكتاب (١/ ٤٦٩).

(ل١٤٥) حق لهم الغضب .

﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَأَخْبَتُوا إِلَى رَبِّهِمْ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ ۖ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ (٢٣) مَثَلُ الْفَرِيقَيْنِ كَالْأَعْمَىٰ وَالْأَصَمِّ وَالْبَصِيرِ وَالسَّمِيعِ ۚ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا ۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ (٢٤)﴾

﴿وأخبتوا إلى ربهم﴾ أي: أنابوا مخلصين. ﴿مثل الفريقين كالأعمى والأصم والبصير والسميع هل يستويان مثلًا﴾ أي: لا يستويان مثل الكافر مثل الأعمى والأصم؛ لأنه أعمى أصم عن الهدى، والبصير والسميع مثل المؤمن؛ لأنه أبصر الهدى وسمعه؛ يقول: فكما لا يستوي عندكم الأعمى والأصم والبصير والسميع في الدنيا؛ فكذلك لا يستويان عند اللَّه في الدين.

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُبِينٌ (٢٥) أَنْ لَا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ ۖ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ أَلِيمٍ (٢٦) فَقَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ مَا نَرَاكَ إِلَّا بَشَرًا مِثْلَنَا وَمَا نَرَاكَ اتَّبَعَكَ إِلَّا الَّذِينَ هُمْ أَرَاذِلُنَا بَادِيَ الرَّأْيِ وَمَا نَرَىٰ لَكُمْ عَلَيْنَا مِنْ فَضْلٍ بَلْ نَظُنُّكُمْ كَاذِبِينَ (٢٧) قَالَ يَا قَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّي وَآتَانِي رَحْمَةً مِنْ عِنْدِهِ فَعُمِّيَتْ عَلَيْكُمْ أَنُلْزِمُكُمُوهَا وَأَنْتُمْ لَهَا كَارِهُونَ (٢٨)﴾

﴿وما نراك اتبعك إلا الذين هم أراذلنا﴾ سفلتنا ﴿بادي الرأي﴾ أي: فيما يظهر لنا ﴿وما نرى لكم علينا من فضلٍ﴾ في الدين ﴿بل نظنكم كاذبين﴾ يعنون: نوحًا ومن آمن معه .

﴿قال يا قوم أرأيتم إن كنت على بينة من ربي﴾ على بيان ﴿وآتاني رحمةً من عنده﴾ يعني بالرحمة: النبوة ﴿فعميت عليكم﴾ أن تبصروها بقلوبكم

وتقبلوها ﴿أنلزمكموها وأنتم لها كارهون﴾.

﴿وَيَٰقَوْمِ لَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مَالًاۖ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِۚ وَمَآ أَنَا۠ بِطَارِدِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْۚ إِنَّهُم مُّلَٰقُواْ رَبِّهِمْ وَلَٰكِنِّيٓ أَرَىٰكُمْ قَوْمًا تَجْهَلُونَ ﴿٢٩﴾ وَيَٰقَوْمِ مَن يَنصُرُنِي مِنَ ٱللَّهِ إِن طَرَدتُّهُمْۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٣٠﴾ وَلَآ أَقُولُ لَكُمْ عِندِي خَزَآئِنُ ٱللَّهِ وَلَآ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ وَلَآ أَقُولُ إِنِّي مَلَكٌ وَلَآ أَقُولُ لِلَّذِينَ تَزْدَرِيٓ أَعْيُنُكُمْ لَن يُؤْتِيَهُمُ ٱللَّهُ خَيْرًاۖ ٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا فِيٓ أَنفُسِهِمْۖ إِنِّيٓ إِذًا لَّمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٣١﴾﴾

﴿ويا قوم لا أسألكم عليه﴾ يعني: على ما أدعوكم إليه من الهدى ﴿مالًا﴾ فإنما يحملكم على ترك الهدى المال الذي أسألكموه.

﴿إنْ أجري﴾ ثوابي ﴿إلا على اللَّه وما أنا بطارد الذين آمنوا إنهم ملاقو ربهم﴾ فيحاسبهم بأعمالهم.

﴿ولا أقول لكم عندي خزائن اللَّه﴾ أي: خزائن علم اللَّه ﴿ولا أقول للذين تزدرِي أعينكم﴾.

قال محمدٌ: (تزدري) أي: تستقلُّ وتستخسُّ[1].

﴿لن يؤتيهم اللَّه خيرًا﴾ في العاقبة؛ أي: أنَّه سيؤتيهم بذلك خيرًا؛ إن كانت قلوبهم صادقةً.

﴿قَالُواْ يَٰنُوحُ قَدْ جَٰدَلْتَنَا فَأَكْثَرْتَ جِدَٰلَنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٣٢﴾ قَالَ إِنَّمَا يَأْتِيكُم بِهِ ٱللَّهُ إِن شَآءَ وَمَآ أَنتُم بِمُعْجِزِينَ ﴿٣٣﴾ وَلَا يَنفَعُكُمْ نُصْحِيٓ إِنْ أَرَدتُّ أَنْ أَنصَحَ لَكُمْ إِن كَانَ ٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يُغْوِيَكُمْۚ هُوَ رَبُّكُمْ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٣٤﴾ أَمْ يَقُولُونَ

(١) ويقال فيه: زَرَى عليه، وأَزْرى به، وازدراه. لسان العرب (زرى).

ٱفۡتَرَىٰهُۖ قُلۡ إِنِ ٱفۡتَرَيۡتُهُۥ فَعَلَيَّ إِجۡرَامِي وَأَنَا۠ بَرِيٓءٞ مِّمَّا تُجۡرِمُونَ ﴿٣٥﴾ وَأُوحِيَ إِلَىٰ نُوحٍ أَنَّهُۥ لَن يُؤۡمِنَ مِن قَوۡمِكَ إِلَّا مَن قَدۡ ءَامَنَ فَلَا تَبۡتَئِسۡ بِمَا كَانُواْ يَفۡعَلُونَ ﴿٣٦﴾ وَٱصۡنَعِ ٱلۡفُلۡكَ بِأَعۡيُنِنَا وَوَحۡيِنَا وَلَا تُخَٰطِبۡنِي فِي ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ إِنَّهُم مُّغۡرَقُونَ ﴿٣٧﴾﴾

﴿قالوا يا نوح قد جادلتنا﴾ مَارَيْتنا ﴿فأكثرت جدالنا﴾.

﴿إن كان الله يريد أن يغويَكُمْ﴾ يضلكم.

قال محمدٌ (يغويكم): أصله يهلككم؛ تقول العرب: أغويتُ فلانًا؛ أي: أهلكته، ومنه قولهم: غوى الفصيل؛ إذا فقد اللبن، فمات(١).

﴿أم يقولون افتراه﴾ إن محمدًا افترى القرآن ﴿قل إن افتريته فعليَّ إجرامي وأنا بريءٌ مما تجرمون﴾ يقول: فعليَّ عملي، وأنا بريءٌ مما تعملون.

قال محمدٌ: الإجرام: الإقدام على الذنب؛ وهو مصدر أجرمت(٢).

﴿وأوحي إلى نوحٍ أنه لن يؤمن من قومك إلا من قد آمن﴾ قال قتادة: ذلك حين دعا عليهم؛ فقال: ﴿رب لا تذر على الأرض من الكافرين ديارًا﴾(٣).

﴿فلا تبتئس﴾ أي: لا تحزن لهم ﴿بما كانوا يفعلون﴾.

﴿واصنع الفلك بأعيننا ووحْينا﴾ كما نأمرك بعملها ﴿ولا تخاطبْني﴾ تراجعني ﴿في الذين ظلموا﴾ أنفسهم بشركهم .

﴿وَيَصۡنَعُ ٱلۡفُلۡكَ وَكُلَّمَا مَرَّ عَلَيۡهِ مَلَأٞ مِّن قَوۡمِهِۦ سَخِرُواْ مِنۡهُۚ قَالَ إِن تَسۡخَرُواْ مِنَّا فَإِنَّا نَسۡخَرُ مِنكُمۡ كَمَا تَسۡخَرُونَ ﴿٣٨﴾ فَسَوۡفَ تَعۡلَمُونَ مَن يَأۡتِيهِ عَذَابٞ يُخۡزِيهِ وَيَحِلُّ عَلَيۡهِ عَذَابٞ

(١) لسان العرب (غوى).
(٢) ويقال منه: جَرَم، وأَجْرَم، واجْتَرم. لسان العرب (جرم).
(٣) نوح: ٢٦ .

مُّقِيمٌ ﴿٣٩﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَمْرُنَا وَفَارَ ٱلتَّنُّورُ قُلْنَا ٱحْمِلْ فِيهَا مِن كُلٍّ زَوْجَيْنِ ٱثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيْهِ ٱلْقَوْلُ وَمَنْ ءَامَنَ وَمَآ ءَامَنَ مَعَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلٌ ﴿٤٠﴾﴾

﴿ويصنع الفلك﴾ السفينة ﴿وكلما مرَّ عليه ملأٌ من قومه سخروا منه﴾ عمل نوحٌ الفلك بيده، فكان يمر عليه الملأ من قومه فيقولون له استهزاءً به: يا نوحُ، بينما أنت تزعم أنك رسولُ ربِّ العالمين إذ صرْت نجارًا.

﴿قال إن تسخروا منا فإنا نسخر منكم كما تسخرون﴾ قال محمدٌ: المعنى: نستجهلكم كما تستجهلون.

قال يحيى: وكان الرجل من قومه يأخذ بيد ابنه، فيذهبُ به إلى نوح فيقول: أيْ بُنَيَّ ، لا تطعْ هذا؛ فإنَّ أبي قدْ ذهب بي إليه وأنا مثلك فقال: أيْ بُنَيَّ لا تطعْ هذا.

﴿فسوف تعلمون من يأتيه عذابٌ يخزيه﴾ يعني: عذاب الدنيا ﴿ويحل عليه عذابٌ مقيمٌ﴾ دائمٌ .

﴿حتى إذا جاء أمْرُنا﴾ يعني: عذابنا ﴿وفار التنور﴾ (التنور) في تفسير الحسن: الباب الذي يجتمع فيه ماءُ السفينة، ففار منه الماء والسفينة على الأرض، فكان ذلك علامة لإهلاك القوم.

وقال بعضهم: التنور عين ماء كانت بالجزيرة، يقال لها: التنور، وبعضهم يقول: كان التنور في أقصى داره.

سعيدٌ: عن قتادة قال: كان التنورُ أعلى الأرض(١).

---

(١) وقال مجاهد والشعبي: كان هذا التنور بالكوفة. وعن ابن عباس: عين بالهند. وعن قتادة: عين بالجزيرة: يقال لها: عين الوردة. تفسير ابن كثير (٤/ ٢٥٤).

﴿قلنا احمل فيها من كلٍّ زوجين اثنين﴾ أي: احمل زوجين اثنين من (ل١٤٦) كل صنف، الواحدُ: زوجٌ، والاثنان: زوجان[١]، فحمل فيها من جميع ما خلق اللَّه - عز وجل - من البهائم والهوام والسباع ودواب البر والطير والشجر، وشكوْا إلى نوحٍ في السفينة الزِبْلَ[٢]؛ فأوحى اللَّه - عز وجل - إلى نوحٍ أن يمسح بيده على ذَنَبِ الفيل، ففعل فخرج منه خنزيران، فكانا يأكلان الزِبْلَ، وشكوا إلى اللَّه الفأرة فأوحى اللَّه - عز وجل - إلى الأسد - ألقى في قلبه - فعطس الأسدُ فخرج من منخريه سنوْران[٣]، فكانا يأكلان الفأرة، وشكوا إلى نوح عَرَامة[٤] الأسد، فدعا عليه نوحٌ فسلط اللَّه - عز وجل - عليه الحُمَّى.

قال الحسن: وكان طول السفينة فيما بلغنا ألف ذراع ومائتي ذراع، وعَرْضها ستمائة ذراع.

يحيى: قال بعضهم: وكان رأسها مثل رأس الحمامة، وذنبها كذنب الديك مطبقة تسير ما بين الماءين: ماء السماء، وماء الأرض.

قال يحيى: وبلغني أنه كان في السفينة ثلاثة أبواب: بابٌ للسباع والطيْر، وبابٌ للبهائم، وبابٌ للناس، وفصل بين الرجال والنساء: بجسد آدم حمله نوحٌ معه.

---

(١) ويقال للاثنين أيضًا: هما زوج؛ كما يقال: هما سِيَّان، وهما سَوَاء. لسان العرب، مختار الصحاح (زوج).

(٢) الزبل هو السِّرْجين. لسان العرب (زبل).

(٣) السِّنَّوْر: حيوان أليف، من رُتْبة اللواحم، من خير مأكله الفأر، ومنه أهلي وبري. والجمع: سنانير. ينظر المعجم الوسيط (سنر).

(٤) عَرُم يَعْرُم عَرَامةً وعُرامًا: شرس واشتد. ولعل ذلك هو المراد في النص، واللَّه أعلم. لسان العرب (عرم).

قوله عز وجل: ﴿وأهلك إلا من سبق عليه القولُ﴾ الغضب؛ يعني: ابْنه ﴿ومن آمن﴾ أي: واحملْ من آمن، قال اللَّه - عز وجل -: ﴿وما آمن معه إلا قليل﴾ قال السُّدي: يعني: ثمانين نفسًا؛ أربعون رجلًا، وأربعون امرأةً.

قال قتادة: لمْ ينجُ في السفينة إلا نوحٌ وامرأتُه وثلاثة بنين له: سامٌ وحامٌ ويافث، ونساؤهم؛ فجميعهم ثمانيةٌ.

﴿وَقَالَ ارْكَبُوا فِيهَا بِسْمِ اللَّهِ مَجْرِيهَا وَمُرْسَاهَا إِنَّ رَبِّي لَغَفُورٌ رَحِيمٌ (٤١) وَهِيَ تَجْرِي بِهِمْ فِي مَوْجٍ كَالْجِبَالِ وَنَادَى نُوحٌ ابْنَهُ وَكَانَ فِي مَعْزِلٍ يَا بُنَيَّ ارْكَبْ مَعَنَا وَلَا تَكُنْ مَعَ الْكَافِرِينَ (٤٢) قَالَ سَآوِي إِلَى جَبَلٍ يَعْصِمُنِي مِنَ الْمَاءِ قَالَ لَا عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِلَّا مَنْ رَحِمَ وَحَالَ بَيْنَهُمَا الْمَوْجُ فَكَانَ مِنَ الْمُغْرَقِينَ (٤٣) وَقِيلَ يَا أَرْضُ ابْلَعِي مَاءَكِ وَيَا سَمَاءُ أَقْلِعِي وَغِيضَ الْمَاءُ وَقُضِيَ الْأَمْرُ وَاسْتَوَتْ عَلَى الْجُودِيِّ وَقِيلَ بُعْدًا لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ (٤٤) وَنَادَى نُوحٌ رَبَّهُ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ابْنِي مِنْ أَهْلِي وَإِنَّ وَعْدَكَ الْحَقُّ وَأَنْتَ أَحْكَمُ الْحَاكِمِينَ (٤٥)﴾

﴿وقال اركبوا فيها بسم اللَّه مجراها ومُرْساها﴾ قال قتادة: قد بيَّن اللَّه - عز وجل - كل ما تقولون؛ إذا ركبْتُم في البر، وإذا ركبْتم في البحر؛ إذا ركبتم في البر قلتم: ﴿سبحان الذي سخَّر لنا هذا وما كنا له مقرنين﴾[1] وإذا ركبتم في البحر قلتم: ﴿بسم اللَّه مجراها ومُرْساها﴾.

قال محمد: من قرأ: ﴿باسم اللَّه مُجْراهَا ومُرْساها﴾ بضم الميمَيْن جميعًا[2] فمعنى ذلك: باللَّه إجراؤُها، وباللَّه إرْساؤها؛ يقال: جرت السفينة

---

(١) الزخرف: ١٣.

(٢) قرأ الأخوان وحفص (مَجْراها) بفتح الميم، والباقون بضمها، وقرأ الجمهور بضم ميم (مُرْساها)، وقرأ الثقفي وزيد بن علي والأعمش (مَرْساها) بفتح الميم، وقرأ ابن وثاب والكلبي والجحدري وغيرهم (مُجْريها ومُرْساها). ينظر: السبعة (٣٣٣)، النشر (٢/ ٢٨٩)، الحجة (١٨٧).

وأجريْتُها أنا مَجْرًى وإجْراءً في معنًى واحدٍ[١]، ورسَتْ وأرْسَيْتُها مَرْسًى وإرساءً[٢].

﴿قال لا عاصِمَ اليوم من أمر اللَّه إلا مَنْ رَحم﴾ يعني: الذين كانوا في السفينة.

قال محمدٌ: ﴿لا عاصِمَ﴾ في معنى: لا معصوم[٣]؛ كما قالوا: ماءٌ [دافق][٤] بمعنى مدفوق.

﴿وغيض الماء﴾ أي: نقص.

قال محمدٌ: يقال: غاض الماءُ يغيض إذا غاب في الأرض[٥].

وقرأ بعضهم (غيض الماء) بإشمام الضم في الغيْن، ومن قرأ بهذا أراد الأصْلَ فُعِل[٦]، ومن كسر فللياء التي بعد فاء الفعل[٧].

﴿وقضي الأمر﴾ فُرِغَ منه؛ يعني: هلاك قوم نوح.

﴿واستوت على الجودي﴾ جبل بالجزيرة.

قال قتادة: وبلغني أنّ السفينة لمّا أرادتْ أن تقف، تطاولت لها الجبال كلُّ جبلٍ منها يحب أن تقف عليه، وتواضع الجودى[٨]، فجاءت حتى وقفَت عليه، وأبقاها اللَّه - عز وجل - عبرةً وآية حتى نظر إليها أوائل هذه الأمة،

---

(١) جرت السفينةُ جَرْيًا وجَرَيانًا ومَجْرًى، وأجريتُها مُجْرًى وإجْراءًا لسان العرب (جرى).
(٢) رَسَتْ السفينة رُسُوًّا ومَرْسًى، وأَرْسيتُها مُرْسًى وإرْساءً. ينظر: لسان العرب (رسو).
(٣) أي: التعبير باسم الفاعل وإرادة اسم المفعول، وهذا كثير في الكلام.
(٤) سقط من «الأصل» وأثبته تبعًا لسياق الكلام، ويدل له ما بعده.
(٥) وإذا قلَّ ونضب. لسان العرب (غيض).
(٦) وهي قراءة الكسائي من السَّبْعة. ينظر: التيسير (٧٢)، النشر (٢/ ٢٠٨).
(٧) وهي قراءة السبعة إلا الكسائي. ينظر: التيسير (٧٢)، النشر (٢/ ٢٠٨).
(٨) هو جَبَلٌ بأرض الجزيرة استوت عليه سفينة نوح عليه السلام. مختار الصحاح (جود).

وبلغني أنها استقلَّتْ بهم في عشر خَلَوْنَ من رجب، وكانت في الماء خمسين ومائة يومًا، واستقرَّتْ بهم على الجودي شهرًا، وأُهْبِطُوا إلى الأرض في عشر خَلَوْن من المحرَّم.

قال قتادة: وذُكِرَ لنا أنَّ نوحًا عليه السلام بعثَ الغراب لينظر إلى الماء؛ فوجد جيفةً فوقع عليها، فبعث إليه [الحمامة](١) فأتته بورق زيتون، فأُعْطِيت الطوق الذي في عنقها وخضاب رجليْها.

﴿قَالَ يَٰنُوحُ إِنَّهُۥ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ ۖ إِنَّهُۥ عَمَلٌ غَيْرُ صَٰلِحٍ ۖ فَلَا تَسْـَٔلْنِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۖ إِنِّىٓ أَعِظُكَ أَن تَكُونَ مِنَ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿٤٦﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّىٓ أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَسْـَٔلَكَ مَا لَيْسَ لِى بِهِۦ عِلْمٌ ۖ وَإِلَّا تَغْفِرْ لِى وَتَرْحَمْنِىٓ أَكُن مِّنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٤٧﴾ قِيلَ يَٰنُوحُ ٱهْبِطْ بِسَلَٰمٍ مِّنَّا وَبَرَكَٰتٍ عَلَيْكَ وَعَلَىٰٓ أُمَمٍ مِّمَّن مَّعَكَ ۚ وَأُمَمٌ سَنُمَتِّعُهُمْ ثُمَّ يَمَسُّهُم مِّنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٤٨﴾﴾

﴿قال يا نوح إنه ليس من أهلك﴾ الذين وعدتك أن أنجيهم، وكان (ابنه)(٢) يظهر الإيمان ويُسرُّ الشرك، ونوحٌ لا يعلم؛ في تفسير الحسن. قال الحسن: ولولا ذلك لمْ ينادِه؛ وهو يعلم أن اللَّه - عز وجل - مغرق الكفار، وأنه قضى أنه إذا نزل العذاب على قومٍ كذَّبوا رسولَهُمْ ثم آمنوا، لم يقبل منهم.

﴿إنه عمل غير صالح﴾ يقول: إن سؤالك إياي ما ليس لك به علمٌ عملٌ غير صالح (ل١٤٧) ﴿فلا تسألنِ ما ليس لك به علم﴾ قال الحسن أي: أنك لمْ تكن تعلم ما يُسِرُّ من النفاق.

---

(١) طمس بالأصل. والمثبت من تفسير ابن كثير (٤/ ٢٥٧).

(٢) طمس بالأصل والمثبت مفهوم من سياق الكلام. وانظر أقوال العلماء في تفسيرهم لقوله تعالى: ﴿إنه ليس من أهلك﴾ تفسير ابن كثير (٤/ ٢٥٩).

يحيى: عن حماد، عن ثابت البُناني، عن شهْر بن حَوْشبٍ، عن أسماء بنت يزيد الأنصارية قالت: «سمعتُ رسول اللَّه ﷺ يقرأ هذا الحرف: ﴿إنه عَمِلَ غَيْرَ صالح﴾»(١).

---

(١) رواه الإمام أحمد (٦/ ٤٥٤ ، ٤٥٩ ، ٤٦٠) والطيالسي (٢٢٦ - ٢٢٧ رقم ١٦٣١) وأبو داود (٤/ ٣٧١ - ٣٧٢ رقم ٣٩٧٨) وأبو عمر الدوري في قراءات النبي (٦٠ ، ٦١ ، ٩٨) من طريق حماد - وهو ابن سلمة - به.
ورواه الإمام أحمد (٦/ ٢٩٤ ، ٣٢٢) وأبو داود (٤/ ٣٧٢ رقم ٣٩٧٩) والترمذي (٤/ ١٧٢ رقم ٢٩٣١ ، ٢٩٣٢) والطيالسي (٢٢٣ رقم ١٥٩٤) ومسدد وابن أبي شيبة في مسنديهما - كما في إتحاف الخيرة (٦/ ٢٢٠ رقم ٥٧٣٠) - وأبو يعلى (١٢/ ٤٤٩ - ٤٥٠ رقم ٧٠٢٠) وأبو عمر الدوري (٦٣) والطبراني في الكبير (٢٣/ ٣٣٥ رقم ٧٧٤٤ - ٧٧٨، ٢٣/ ٣٣٨ رقم ٧٨٤) وأبو نعيم (٨/ ٣٠١) وغيرهم من طرق عن ثابت البناني عن شهر بن حوشب عن أم سلمة.
جعلوه من مسند أم سلمة ﵂.
قال الترمذي: هذا حديث قد رواه غير واحد عن ثابت البناني نحو هذا، وهو حديث ثابت البناني، ورُوي هذا الحديث أيضًا عن شهر بن حوشب عن أسماء بنت يزيد. قال: وسمعت عبد بن حميد يقول: أسماء بنت يزيد هي أم سلمة الأنصاري.
قال الترمذي: كلا الحديثين عندي واحد، وقد روى شهر بن حوشب غير حديث عن أم سلمة الأنصارية، وهي أسماء بنت يزيد، وقد روي عن عائشة عن النبي ﷺ نحو هذا.
وقال صالح بن محمد الحافظ عن شهر بن حوشب: كان رجلاً يتنسك إلا أنه روى أحاديث يتفرد بها لم يشركه فيها أحد مثل حديث ثابت البناني عن شهر بن حوشب عن أم سلمة «أن النبي ﷺ قرأ: ﴿إنه عَمِلَ غَيْرَ صالح﴾... فشهر يروي عن النبي ﷺ أحاديث في القراءات لا يأتي بها غيره. اهـ تهذيب الكمال (١٢/ ٥٨٥ - ٥٨٦).
وقال الطبري في تفسيره (١٢/ ٥٣) معلقًا على هذه القراءة: ولا نعلم هذه القراءة قرأ بها أحد من قراء الأمصار إلا بعض المتأخرين، واعتل في ذلك بخبر رُوي عن رسول اللَّه ﷺ أنه قرأ كذلك غير صحيح السند، وذلك حديث رُوي عن شهر بن حوشب، فمرة يقول «عن أم سلمة» ومرة يقول «عن أسماء بنت يزيد» ولا نعلم أبنت يزيد [يريد]، ولا نعلم لشهر سماعًا يصح من أم سلمة اهـ.
ووقع في رواية ابن أبي شيبة - في إتحاف الخيرة (٦/ ٢٢٠ رقم ٥٧٣٠/ ٣) - عن وكيع عن هارون عن ثابت عن شهر بن حوشب مرسلاً. =

﴿قيل يا نوح اهبط بسلامٍ منا﴾ يعني: سلامةً من الغرق.

﴿وبركاتٍ عليك وعلى أممٍ ممّن معك﴾ يعني: نسول[1] من كان معه في السفينة ﴿وأممٌ سنمتعهم﴾ في الدنيا يعني: أممًا من نسول من كان معه في السفينة.

﴿تِلْكَ مِنْ أَنبَآءِ ٱلْغَيْبِ نُوحِيهَآ إِلَيْكَ ۖ مَا كُنتَ تَعْلَمُهَآ أَنتَ وَلَا قَوْمُكَ مِن قَبْلِ هَٰذَا ۖ فَٱصْبِرْ ۖ إِنَّ ٱلْعَٰقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٤٩﴾ وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا ۚ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ ۖ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا مُفْتَرُونَ ﴿٥٠﴾ يَٰقَوْمِ لَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا ۖ إِنْ أَجْرِىَ إِلَّا عَلَى ٱلَّذِى فَطَرَنِىٓ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٥١﴾ وَيَٰقَوْمِ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوٓا۟ إِلَيْهِ يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَىٰ قُوَّتِكُمْ وَلَا تَتَوَلَّوْا۟ مُجْرِمِينَ ﴿٥٢﴾﴾

﴿تلك من أنباء الغيب نوحيها إليك﴾ يقول للنبي عليه السلام حين انقضتْ قصة نوحٍ: تلك من أخبار الغيب، يعني: ما قصَّ عليه ﴿ما كنت تعلمها أنت ولا قومُك﴾ يعني: قريشًا ﴿من قبل﴾ هذا القرآن ﴿فاصبر﴾ على قولهم: إنك مجنونٌ؛ وغير ذلك مما كانوا يقولونه له.

﴿وإلى عادٍ أخاهم هودًا﴾ يقول: وأرسلنا إلى عادٍ أخاهم هودًا، أخوهم في النَّسب، وليس بأخيهم في الدين.

= وقد رواه الإمام أحمد (٦/ ٢٩٤ ، ٣٢٢) عن وكيع به مسندًا، وكذا رواه الترمذي (٤/ ١٧٢ رقم ٢٩٣) من طريق وكيع مسندًا، والله أعلم.

ورواه البخاري في تاريخه (١/ ٢٨٦ - ٢٨٧) والحاكم في المستدرك (٢/ ٢٤١) من طريق إبراهيم بن الزبرقان، عن أبي روق، عن محمد بن جحادة، عن أبيه، عن عائشة رضي الله عنها.

قال الذهبي: قلت: إسناده مظلم.

(١) واحدها: نَسْل؛ والمراد به: الولد، ينظر: لسان العرب (نسل).

﴿فقال يا قوم اعبدوا اللَّه﴾ وَحِّدُوا اللَّه ﴿ما لكم من إله غيره إن أنتم إلا مفترون﴾ كل من عبد غيْر اللَّه - سبحانه - فقد افترى الكذب على اللَّه - تعالى - لأنَّ اللَّه - عز وجل - أمر العبادَ أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئًا.

قال محمدٌ: (غيرُه) مرفوعٌ على معنى: ما لكم إله غيرُه[1].

﴿يرسل السماء عليكم مدرارًا﴾ أي: يُوَسِّعُ لكم من الرزق، وإنما أرزاق العباد من المطر.

قال محمدٌ: معنى (مدرارًا) المبالغة[2]، ونصبه على الحال[3]؛ كأنه قال: يرسل السماء عليكم دارَّةً.

وذكر بعض المفسرين: أنه كان أصابَهُمْ جَدْبٌ.

﴿ويزدكم قوةً إلى قُوّتكم﴾ قال مجاهد: يعني: شدة إلى شِدَّتكُمْ أي: في أبدانكم .

﴿قَالُوا۟ يَـٰهُودُ مَا جِئْتَنَا بِبَيِّنَةٍ وَمَا نَحْنُ بِتَارِكِىٓ ءَالِهَتِنَا عَن قَوْلِكَ وَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ ﴿٥٣﴾ إِن نَّقُولُ إِلَّا ٱعْتَرَىٰكَ بَعْضُ ءَالِهَتِنَا بِسُوٓءٍ ۗ قَالَ إِنِّىٓ أُشْهِدُ ٱللَّهَ وَٱشْهَدُوٓا۟ أَنِّى بَرِىٓءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ﴿٥٤﴾ مِن دُونِهِۦ ۖ فَكِيدُونِى جَمِيعًا ثُمَّ لَا تُنظِرُونِ ﴿٥٥﴾ إِنِّى تَوَكَّلْتُ عَلَى ٱللَّهِ رَبِّى وَرَبِّكُم ۚ مَّا مِن دَآبَّةٍ إِلَّا هُوَ ءَاخِذٌۢ بِنَاصِيَتِهَآ ۚ إِنَّ رَبِّى عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٥٦﴾ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَقَدْ أَبْلَغْتُكُم مَّآ أُرْسِلْتُ بِهِۦٓ إِلَيْكُمْ ۚ وَيَسْتَخْلِفُ رَبِّى قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلَا تَضُرُّونَهُۥ شَيْـًٔا ۚ إِنَّ رَبِّى عَلَىٰ كُلِّ

---

(١) ينظر: الدر المصون (٤/١٠٦).

(٢) من الفِعْل: دَرَّ؛ بمعنى: كَثُر، (ومِدْرَار) صيغة مُبَالغة قياسية على وزن (مِفْعال). لسان العرب (درر).

(٣) ينظر: الدر المصون (٤/١٠٦ - ١٠٧).

شَيْءٍ حَفِيظٌ ﴿٥٧﴾﴾

﴿إن نقول إلا اعتراك﴾ أصابك ﴿بعض آلهتنا بسوء﴾ أي: بجنون؛ لأنَّك عِبْتَها؛ يعنون: أوثانهم ﴿فكيدوني جميعًا﴾ أنتم وأوثانكم - أي: اجْهَدُوا جُهْدكم ﴿ثم لا تنظرون﴾ طرفة عين؛ إن اللَّه - عز وجل - سيَمْنَعُني منكُمْ؛ قال هذا وقد علم أن الأوثان لا تقدر على أن تكيد، وأنها لا تضر ولا تنفع ﴿ما من دابة إلا هو آخذ بناصيتها﴾ أي: هي في قبضته وقدرته.

﴿وَلَمَّا جَآءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا هُودًا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا وَنَجَّيْنَٰهُم مِّنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ ﴿٥٨﴾ وَتِلْكَ عَادٌ جَحَدُوا۟ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ وَعَصَوْا۟ رُسُلَهُۥ وَٱتَّبَعُوٓا۟ أَمْرَ كُلِّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ ﴿٥٩﴾ وَأُتْبِعُوا۟ فِى هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا لَعْنَةً وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَلَآ إِنَّ عَادًا كَفَرُوا۟ رَبَّهُمْ أَلَا بُعْدًا لِّعَادٍ قَوْمِ هُودٍ ﴿٦٠﴾﴾

﴿واتبعوا أمْرَ كل جبارٍ عنيد﴾ أيْ: واتبع بعضهم بعضًا على الكفر، والعنيدُ: المجتنب للْهُدَى المعاند له.

قال محمدٌ: العنيدُ أصْلُه في اللغة: الجائر، والعنَدُ عند العرب: الجانِبُ، فقيل للجائر: عنيدٌ مِنْ هذا؛ لأنه مُجَانِبٌ للقصْدِ[1].

﴿وأُتبعُوا﴾ أُلحِقُوا ﴿في هذه الدنيا لعنة﴾ يعني: العذاب الذي عذبهم به ﴿ويَوْم القيامة﴾ أي: ولهم يوم القيامة أيضًا لعنة؛ يعني: عذاب جهنم ﴿ألا بعدًا لعادٍ قوم هود﴾.

قال محمد: (بُعدًا) نصبٌ على معنى: أبعدهم اللَّه، فبعدوا بُعْدًا[2]؛ أي: من رحمة اللَّه.

---

(١) لسان العرب، القاموس المحيط (عند).

(٢) أي: نصب على المصدر المؤكد. ينظر البحر الميحط (٥/ ٢٣٩).

﴿هو أنشأكم من الأرض﴾ يريدُ الخلق الأول خلق آدم ﴿واستعمركم فيها﴾ أي: جعلكم عمارَها ﴿إن ربي قريبٌ مجيبٌ﴾ قريبٌ ممن دعاه، مجيب له .

﴿وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَٰلِحًاۚ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥۖ هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ وَٱسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا فَٱسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُوٓا۟ إِلَيْهِۚ إِنَّ رَبِّى قَرِيبٌ مُّجِيبٌ ﴿٦١﴾ قَالُوا۟ يَٰصَٰلِحُ قَدْ كُنتَ فِينَا مَرْجُوًّا قَبْلَ هَٰذَآۖ أَتَنْهَىٰنَآ أَن نَّعْبُدَ مَا يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَا وَإِنَّنَا لَفِى شَكٍّ مِّمَّا تَدْعُونَآ إِلَيْهِ مُرِيبٍ ﴿٦٢﴾ قَالَ يَٰقَوْمِ أَرَءَيْتُمْ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّى وَءَاتَىٰنِى مِنْهُ رَحْمَةً فَمَن يَنصُرُنِى مِنَ ٱللَّهِ إِنْ عَصَيْتُهُۥۖ فَمَا تَزِيدُونَنِى غَيْرَ تَخْسِيرٍ ﴿٦٣﴾ وَيَٰقَوْمِ هَٰذِهِۦ نَاقَةُ ٱللَّهِ لَكُمْ ءَايَةً فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِىٓ أَرْضِ ٱللَّهِ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوٓءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ قَرِيبٌ ﴿٦٤﴾ فَعَقَرُوهَا فَقَالَ تَمَتَّعُوا۟ فِى دَارِكُمْ ثَلَٰثَةَ أَيَّامٍۖ ذَٰلِكَ وَعْدٌ غَيْرُ مَكْذُوبٍ ﴿٦٥﴾ فَلَمَّا جَآءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا صَٰلِحًا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا وَمِنْ خِزْىِ يَوْمِئِذٍۗ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ ٱلْقَوِىُّ ٱلْعَزِيزُ ﴿٦٦﴾ وَأَخَذَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ ٱلصَّيْحَةُ فَأَصْبَحُوا۟ فِى دِيَٰرِهِمْ جَٰثِمِينَ ﴿٦٧﴾ كَأَن لَّمْ يَغْنَوْا۟ فِيهَآۗ أَلَآ إِنَّ ثَمُودَا۟ كَفَرُوا۟ رَبَّهُمْۗ أَلَا بُعْدًا لِّثَمُودَ ﴿٦٨﴾﴾

﴿قالوا يا صالحُ قد كنت فينا مرجوًّا قبل هذا﴾ أي: كُنَّا نرجو أَلَّا تشتم آلهتنا، ولا تعبُدَ غيرها.

﴿وإننا لفي شك مما تدعونا إليه مريب﴾ من الريبة .

﴿فما تزيدونني غير تخسير﴾ نقصان؛ إن أجبْتُكم إلى ما تدعونني إليه .

﴿ويا قوم هذه ناقة اللَّه لكم آية﴾ قال محمد: نصب (آية) على الحال[1]؛

---

(١) ينظر تفصيل الكلام في نصبها من البحر المحيط (٥/ ٢٣٩ - ٢٤٠)، الدر المصون (٤/ ١١٠).

كأنه قال: انتبهوا لها في هذه الحال.

﴿ولا تمسوها بسوء﴾ أي: لا تعقروها ﴿فيأخذكم عذابٌ قريب فعقروها فقال تمتّعوا في داركم ثلاثة أيام ذلك وعدٌ غير مكذوب﴾ فقالوا له: ما آية ذلك حتى نعلم أنك صادق؟ فقال: آية ذلك أن وجوهكم تصبح أول يوم مصفرة، واليوم الثاني محمرة، واليوم الثالث مُسْوَدّةً، فلما كان ذلك عرفوا أنه العذاب، فتحنطوا وتكفنوا، فلما أمْسَوْا بقوا في [...][1] ثم صبحهم العذاب في اليوم الرابع.

قال: ﴿وأخذ الذين ظلموا الصيحةُ﴾ (ل١٤٨) قال السُّدي: يعَني: صيحة جبريل عليه السلام ﴿فأصبحوا في ديارهم جاثمين﴾ أي: قد هلكوا.

﴿كأن لمْ يغنوا فيها﴾ أيْ: لمْ يعيشوا.

قال محمدٌ: وقيل كأن لمْ ينزلوا فيها.

﴿وَلَقَدْ جَآءَتْ رُسُلُنَآ إِبْرَٰهِيمَ بِٱلْبُشْرَىٰ قَالُواْ سَلَٰمًا قَالَ سَلَٰمٌ فَمَا لَبِثَ أَن جَآءَ بِعِجْلٍ حَنِيذٍ ﴿٦٩﴾ فَلَمَّا رَءَآ أَيْدِيَهُمْ لَا تَصِلُ إِلَيْهِ نَكِرَهُمْ وَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً قَالُواْ لَا تَخَفْ إِنَّآ أُرْسِلْنَآ إِلَىٰ قَوْمِ لُوطٍ ﴿٧٠﴾ وَٱمْرَأَتُهُۥ قَآئِمَةٌ فَضَحِكَتْ فَبَشَّرْنَٰهَا بِإِسْحَٰقَ وَمِن وَرَآءِ إِسْحَٰقَ يَعْقُوبَ ﴿٧١﴾ قَالَتْ يَٰوَيْلَتَىٰٓ ءَأَلِدُ وَأَنَا۠ عَجُوزٌ وَهَٰذَا بَعْلِى شَيْخًا إِنَّ هَٰذَا لَشَىْءٌ عَجِيبٌ ﴿٧٢﴾ قَالُوٓاْ أَتَعْجَبِينَ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ رَحْمَتُ ٱللَّهِ وَبَرَكَٰتُهُۥ عَلَيْكُمْ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ إِنَّهُۥ حَمِيدٌ مَّجِيدٌ ﴿٧٣﴾﴾

﴿ولقد جاءتْ رسُلُنا إبراهيم بالبشرى﴾ قال قتادة: بإسحاق ﴿قالوا سلامًا قال سلامٌ﴾.

(١) كلمة غير واضحة في الأصل.

قال محمدٌ: (سلامًا) منصوبٌ على معنى: سلَّمْنا سلامًا[١]، وأما (سلامٌ) فمرفوعٌ على معنى: أمري سلامٌ[٢].

﴿فما لبث أن جاء بعجلٍ حنيذٍ﴾ مشوي ﴿فلما رأى أيديهم لا تصل إليه نكرهم﴾ أنكرهم ﴿وأوجس منهم خيفة﴾ أي: أضمر خوفًا إذْ لم يأكلوا ﴿فقالوا لا تخف إنا أُرسِلْنا إلى قوم لوطٍ﴾ لنهلكَهُمْ ﴿وامرأته قائمة﴾ يعني: سارة امرأة إبراهيم ﴿فضحكتْ﴾ قال الكلبي: لما رأت سارة فَرَق[٣] إبراهيم عجبت من فَرَقِهِ، فضحكت[٤] وهي لا تدري من القوم، فبشروها بإسحاق، وقالوا: نرجع إليك عامًا قابلًا، وقد ولدت لإبراهيم غلامًا اسمه: إسحاق، ويكون من وراء إسحاق يعقوب؛ أي: من بعد إسحاق.

﴿قالت يا ويلتى أألد وأنا عجوزٌ وهذا بعلي شيخًا﴾ وكانت قد قعدت عن الولد ﴿إن هذا لشيءٌ عجيب قالوا أتعجبين من أمر الله رحمة الله وبركاته عليكم أهل البيت إنه حميدٌ مجيد﴾ مستحمدٌ إلى خلقه، مجيدٌ كريمٌ.

قال محمدٌ: من قرأ (يعقوبُ) بالرفع[٥] فعلى معنى: ويعقوبُ يحدث لها من وراء إسحاق، ومن قرأ: (هذا بعلي شيخًا) فعلى الحال[٦]؛ المعنى:

---

(١) أي: منصوب على المصدر (مفعول مطلق). ينظر البحر المحيط (٥/ ٢٤١)، الدر المصون (٤/ ١١١).

(٢) أي: مرفوع على الخبرية، والمبتدأ محذوف. ينظر البحر المحيط (٥/ ٢٤١)، الدر المصون (٤/ ١١١).

(٣) أي: خَوْف. وفعله: فَرِق من باب طرب. ويقال: رجل فروقةٌ وامرأة فروقةٌ. ينظر لسان العرب (فرق).

(٤) قيل: المعنى: حاضت، وقيل: فزعت، وقيل غير ذلك. ينظر الدر المصون (٤/ ١١٤).

(٥) وهي قراءة الجمهور، وقرأ (يعقوبَ) بالفتح ابن عامر، وحمزةوحفص عن عاصم. ينظر: السبعة (٣٣٨)، النشر (٢/ ٢٩٠)، التيسير (١٢٥) الدر المصون (٤/ ١١٤).

(٦) وهي قراءة الجمهور. ينظر: إتحاف الفضلاء (٢٥٩)، المحتسب (١/ ٣٢٤)، البحر (٥/ ٢٤٤).

انتبهوا له في هذه الحال.

﴿فَلَمَّا ذَهَبَ عَنْ إِبْرَاهِيمَ الرَّوْعُ وَجَاءَتْهُ الْبُشْرَىٰ يُجَادِلُنَا فِي قَوْمِ لُوطٍ (٧٤) إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّاهٌ مُّنِيبٌ (٧٥) يَا إِبْرَاهِيمُ أَعْرِضْ عَنْ هَٰذَا ۖ إِنَّهُ قَدْ جَاءَ أَمْرُ رَبِّكَ ۖ وَإِنَّهُمْ آتِيهِمْ عَذَابٌ غَيْرُ مَرْدُودٍ (٧٦)﴾

﴿فلما ذهب عن إبراهيم الرَّوْعُ﴾ الفَرَقُ ﴿وجاءته البشرى﴾ بإسحاق ﴿يجادلنا في قومِ لوطٍ﴾ قال قتادة: وذُكر لنا أن مجادلته إياهم أنه قال لهم: أرأيتم إن كان فيهم خمسون من المؤمنين، أمعذبُوهم أنتم؟ قالوا: لا. حتى صار ذلك إلى عشرة، قال: أرأيتم إن كان فيهم عشرةٌ من المؤمنين، أمعذبوهم أنتم؟ قالوا: لا.

﴿إن إبراهيم لحليمٌ أواهٌ منيب﴾ المنيب: المخلص، وقد ذكرنا الأوَّاه قبل هذا[1].

﴿يا إبراهيمُ أعرض عن هذا﴾ قال الكلبي: سألَ إبراهيمُ ربَّه ألّا يهلك لوطًا وأهله، وأن يعفُوَ عن قوم لوطٍ، فقيل: يا إبراهيم، أعرض عن هذا ﴿إنه قد جاء أمر ربك وإنهم آتيهم عذابٌ غير مردود﴾ .

﴿وَلَمَّا جَاءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِيءَ بِهِمْ وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا وَقَالَ هَٰذَا يَوْمٌ عَصِيبٌ (٧٧) وَجَاءَهُ قَوْمُهُ يُهْرَعُونَ إِلَيْهِ وَمِن قَبْلُ كَانُوا يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ ۚ قَالَ يَا قَوْمِ هَٰؤُلَاءِ بَنَاتِي هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ ۖ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَلَا تُخْزُونِ فِي ضَيْفِي ۖ أَلَيْسَ مِنكُمْ رَجُلٌ رَّشِيدٌ (٧٨) قَالُوا لَقَدْ عَلِمْتَ مَا لَنَا فِي بَنَاتِكَ مِنْ حَقٍّ وَإِنَّكَ لَتَعْلَمُ مَا نُرِيدُ (٧٩) قَالَ لَوْ أَنَّ لِي بِكُمْ قُوَّةً أَوْ آوِي إِلَىٰ رُكْنٍ

---

(١) عند تفسير الأية: ١١٤ من سورة التوبة.

شَدِيدٍ ﴿٨٠﴾ قَالُوا۟ يَٰلُوطُ إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ لَن يَصِلُوٓا۟ إِلَيْكَ ۖ فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِّنَ ٱلَّيْلِ وَلَا يَلْتَفِتْ مِنكُمْ أَحَدٌ إِلَّا ٱمْرَأَتَكَ ۖ إِنَّهُۥ مُصِيبُهَا مَآ أَصَابَهُمْ ۚ إِنَّ مَوْعِدَهُمُ ٱلصُّبْحُ ۚ أَلَيْسَ ٱلصُّبْحُ بِقَرِيبٍ ﴿٨١﴾ فَلَمَّا جَآءَ أَمْرُنَا جَعَلْنَا عَٰلِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ مَّنضُودٍ ﴿٨٢﴾ مُّسَوَّمَةً عِندَ رَبِّكَ ۖ وَمَا هِىَ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ بِبَعِيدٍ ﴿٨٣﴾﴾

﴿ولما جاءت رُسُلُنا لوطًا سيء بهم﴾ قال الحسن: ساءه دخولُهم؛ لما تخوَّف عليهم من قَوْمه ﴿وضاق بهم ذَرْعًا﴾ قال الكلبي: لَمْ يَدْرِ أين ينزلهم. قال: وكان قوم لوطٍ لا يؤون ضيفًا بليلٍ، وكانوا يعترضون من مرَّ بالطريق نهارًا للفاحشة، فلما جاءت الملائكة لوطًا حين أمْسَوْا، كرهَهُمْ ولم يستطعْ دفعَهم، فقال: ﴿هذا يومٌ عصيبٌ﴾ شديدٌ.

﴿وجاءه قومُهُ يهرعون إليه﴾ أي: يُسْرعون.

قال محمدٌ: يقال: أُهْرِعَ الرجلُ؛ أي: أَسْرَع؛ على لفظ ما لم يسم فاعله[1]. ﴿ومن قبل كانوا يعملون السيئات﴾ يعني: يأتون الرجال في أدبارهم؛ وكان لا يفعل ذلك بعضهم ببعض، إنما كانوا يفعلونه بالغرباء ﴿قال يا قوم هؤلاء بناتي هن أطهر لكم﴾ أحلُّ لكم من الرجال، قال قتادة: أمرهم أن يتزوجوا النساء.

قال محمدٌ: وذكر أبو عبيد عن مجاهد أنه قال: كل نبي أبو أمته، وإنما عنى ببناته: نساء أمته.

قال أبو عبيد: وهذا شبيهٌ بما يروى عن قراءة أبي بن كعب: «النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم وأزواجه أمهاتهم وهو أبٌ لهم»[2].

---

(١) أي: مبني للمجهول. ومصدره: الإهراع. لسان العرب (هرع).

(٢) وتنظر هذه القراءة من تفسير القرطبي الجامع لأحكام القرآن (١٤/ ١٢٣).

﴿فاتقوا اللَّه ولا تخزون في ضيفي﴾ الضيف: يقال للواحد وللاثنين، ولأكثر من ذلك[١] ﴿أليس منكم رجُلٌ رشيد﴾.

﴿قالوا لقد علمت ما لنا في بناتك من حق﴾ من حاجة ﴿وإنك لتعلم ما نريد﴾ أي: إنا نريد أضيافك دون بناتك ﴿قال لو أن لي بكم قوة أو آوي إلى ركن شديد﴾ قال قتادة: يعني: إلى عشيرة قوية (ل١٤٩) فدافعوه الباب، وقالت الملائكة: ﴿يا لوط إنَّا رسل ربك لن يصلوا إليك فأسر بأهلك بقطع من الليل﴾ أي: سِرْ بهمْ في ظلمة من الليل ﴿ولا يلتفت منكم أحدٌ إلا امرأتك إنه مصيبها ما أصابهم﴾ فقال: لا؛ بل أَهْلِكوهم الساعة! فقالوا: ﴿إن موعدَهم الصبحُ أليس الصبحُ بقريب﴾ فطمس جبريل عليه السلام أعْيُنَهم بأحد جناحيْه، فبقوا ليلتهم لا يبصرون ﴿فلما جاء أمْرُنا جعلنا عاليها سافلها﴾ قال: فلما كان في السَّحَر، خرج لوطٌ وأهله، ورفع جبريل عليه السلام أرضهم بجناحه الآخر، حتى بلغ بها السماء الدنيا؛ حتى سمعت الملائكة نُبَاحَ كلابهمْ وأصوات دجاجهم، فقلبها عليهم، وكان قدْ عُهِدَ إلى لوطٍ ألَّا يلتفت منكم أحدٌ إلا امرأتك؛ فلما سمعت العجوز - عجوز السوْء - الهدَّة التفتت، فأصابها ما أصاب قومها، ثم اتبعت الحجارة من كان خارجًا من مدائنهم، قال قتادة: كانت ثلاثًا.

قال الحسن: فلم يبعث اللَّه - سبحانه - بعد لوط نبيًّا إلا في عزٍّ من قومه، وكانت امرأة لوطٍ منافقةً؛ تظهر الإسلام، وقلبها على الكفر . .

﴿وأمطرنا عليها حجارة من سجيل﴾ قال قتادة: من طين ﴿منضود﴾ أي:

---

(١) وقد يُجمع على: أَضياف، وضُيُوف، وضِيفَان. ويقال للمرأة: ضَيْف وضَيْفة. لسان العرب، مختار الصحاح (ضيف).

بغضُه على بعضٍ ﴿مسوَّمة عند ربك﴾ قال الحسن: عليها سيما[١]؛ أنها ليست من حجارة الدنيا، وأنها من حجارة العذاب.

قال: وتلك السيما على الحجر منها مثل الخاتم ﴿وما هي من الظالمين ببعيد﴾ يقول: وما هي من ظالمي أمتك يا محمدُ ببعيد أن يحصبهم بها[٢].

يحيى: عن همام بن يحيى، عن القاسم بن عبد الواحد، عن عبد اللَّه بن محمد بن عقيل، عن جابر بن عبد اللَّه قال: قال رسولُ اللَّه ﷺ: «إن أكثر ما أتخوف على أمتي عمل قوم لوط»[٣].

---

(١) أي: علامة وسمة. لسان العرب، المعجم الوسيط (سوم).
(٢) بعدها لحق غير واضح في الأصل.
(٣) رواه الإمام أحمد (٣/ ٢٨٢) والترمذي (٤/٤٨ رقم ١٤٥٧) والحاكم في المستدرك (٤/ ٣٥٧) والآجري في ذم اللواط (٤٦ رقم ١٣) من طريق همام به.
ورواه ابن ماجه (٢/ ٨٥٦ رقم ٢٥٦٣) وأبو يعلى (٤/ ٩٧ رقم ٢١٢٨) وابن حبان في المجروحين (٢/ ٤) والآجري في ذم اللواط (٤٥ رقم ١٢) وابن الجوزي في ذم الهوى (ص١٦٩) والمزي في تهذيب الكمال (٢٣/ ٣٩٤) من طريق القاسم بن عبد الواحد.
وقال الترمذي: هذا حديث حسن غريب، إنما نعرفه من هذا الوجه عن عبد اللَّه بن محمد بن عقيل بن أبي طالب عن جابر.
وقال الحاكم: صحيح الإسناد.
ورواه إبراهيم بن رستم عن همام عن القاسم بن عبد الواحد عن عبد اللَّه بن محمد بن عقيل عن عروة عن عائشة بنحوه.
قال الدارقطني في العلل (٥/ ٤٩ - أ): ووهم فيه، والصواب عن همام عن القاسم بن عبد الواحد، عن عبد اللَّه بن محمد بن عقيل عن جابر.
وقال أبو الشيخ في فوائد الأصبهانيين: أخطأ فيه إبراهيم بن رستم. لسان الميزان (١/ ١٤٤).
وقال ابن حجر في اللسان أيضًا: وقد أخطأ إبراهيم في سنده ومتنه جميعًا.
ورواه إبراهيم بن محمد - وهو متروك - عن عبد اللَّه بن محمد بن عقيل عن عروة بن الزبير عن عائشة بنحوه. خرجه عبد الرزاق في المصنف (٧/ ٣٦٥ رقم ١٣٤٩٣) عن إبراهيم به.

﴿وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا ۚ قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ ۖ وَلَا تَنقُصُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ ۚ إِنِّي أَرَاكُم بِخَيْرٍ وَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ مُّحِيطٍ ﴿٨٤﴾ وَيَا قَوْمِ أَوْفُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ ۖ وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿٨٥﴾ بَقِيَّتُ اللَّهِ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ۚ وَمَا أَنَا عَلَيْكُم بِحَفِيظٍ ﴿٨٦﴾﴾

﴿وإلى مدين﴾ أي: وأرسلنا إلى أهل مدين ﴿أخاهم شعيبًا﴾ أخوهم في النسب، وليس بأخيهم في الدين.

﴿إني أراكم بخير﴾ أي: بخير من اللَّه؛ يعني: السعة والرزق، وكانوا أصحاب تطفيف في الكَيْلِ، ونقصان من الميزان.

﴿ولا تبخسوا الناس أشياءهم﴾ أي: لا تظلموا ﴿ولا تعثوا في الأرض مفسدين﴾ قد مضى تفسير ﴿ولا تعثوا﴾ في سورة البقرة(1).

﴿بقية اللَّه خيرٌ لكم﴾ قال مجاهد: يعني: طاعة اللَّه ﴿وما أنا عليكم بحفيظ﴾ أحفظ عليكم أعمالكم حتى أجازيكم بها.

﴿قَالُوا يَا شُعَيْبُ أَصَلَاتُكَ تَأْمُرُكَ أَن نَّتْرُكَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا أَوْ أَن نَّفْعَلَ فِي أَمْوَالِنَا مَا نَشَاءُ ۖ إِنَّكَ لَأَنتَ الْحَلِيمُ الرَّشِيدُ ﴿٨٧﴾ قَالَ يَا قَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّي وَرَزَقَنِي مِنْهُ رِزْقًا حَسَنًا ۚ وَمَا أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَىٰ مَا أَنْهَاكُمْ عَنْهُ ۚ إِنْ أُرِيدُ إِلَّا الْإِصْلَاحَ مَا اسْتَطَعْتُ ۚ وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ ۚ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ﴿٨٨﴾ وَيَا قَوْمِ لَا يَجْرِمَنَّكُمْ شِقَاقِي أَن

---

(1) عند قوله تعالى: ﴿كلوا واشربوا من رزق اللَّه ولا تعثوا في الأرض مفسدين﴾ [البقرة: ٦٠].

يُصِيبَكُم مِّثْلُ مَآ أَصَابَ قَوْمَ نُوحٍ أَوْ قَوْمَ هُودٍ أَوْ قَوْمَ صَٰلِحٍۚ وَمَا قَوْمُ لُوطٍ مِّنكُم بِبَعِيدٍ ﴿٨٩﴾ وَٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوٓا۟ إِلَيْهِۚ إِنَّ رَبِّى رَحِيمٌ وَدُودٌ ﴿٩٠﴾﴾

﴿قالوا يا شعيبُ أصلاتك تأمرك أن نترك ما يعبد آباؤنا﴾ يعنون: أوثانهم.

قال الحسن: لم يبعث الله - عز وجل - نبيًا إلا فرض عليه الصلاة والزكاة.

قال محمدٌ: المعنى: أدينك يأمرك؛ وهو معنى ما ذهب إليه الحسن.

﴿أو أن نفعل في أموالنا ما نشاء﴾ أي: أو أن نترك أن نفعل.

﴿إنك لأنت الحليم الرشيد﴾ أي: أنك لست بالحليم الرشيد.

﴿ورزقني منه رزقًا حسنًا﴾ يعني: النبوة .

﴿وما أريد أن أخالفكم إلى ما أنهاكم عنه﴾ فأفعله ﴿ويا قوم لا يجرمنكم شقاقي﴾ أي: لا تحملنكم عَدَاوتي ﴿أن يصيبكم﴾ بكفركم بي من عذاب الله - عز وجل - ﴿مثل ما أصاب قوم نوح ...﴾ الآية .

قال محمد: (يجرمنكم) أصْلُه: يكسبنكم؛ تقول: جرمتُ كذا؛ بمعنى كسبت[(١)]، وأنشد بعضهم:

طريدُ عشيرةٍ ورهينُ ذَنْبٍ   بما جَرمَتْ يدي وجنَى لسَاني[(٢)]

قوله عز وجل: ﴿وما قوم لوطٍ منكم ببعيد﴾ يقول: العظة بقوم لوطٍ قريبة

---

(١) ويقال: معنى قوله: ﴿ولا يجرمنكم﴾: أي: لا يحملنكم. لسان العرب مختار الصحاح (جرم).

(٢) ويروى: .... ورهين جُرْمٍ ... إلخ. وهو من بحر الوافر. ويُنسب للْهَيْردان السعدي أحد لصوص بني سعد. ينظر لسان العرب (جرم) تفسير القرطبي (٩/ ٢٩).

منكم؛ لأن إهلاك قوم لوطٍ كان أقرب الإهلاكات التي عرفوها.

﴿إنّ ربي رحيمٌ﴾ لمن استغفره، وتاب إليه ﴿ودودٌ﴾ محبٌ لأهل طاعته.

﴿قَالُوا يَٰشُعَيْبُ مَا نَفْقَهُ كَثِيرًا مِّمَّا تَقُولُ وَإِنَّا لَنَرَىٰكَ فِينَا ضَعِيفًا ۖ وَلَوْلَا رَهْطُكَ لَرَجَمْنَٰكَ ۖ وَمَا أَنتَ عَلَيْنَا بِعَزِيزٍ ﴿٩١﴾ قَالَ يَٰقَوْمِ أَرَهْطِىٓ أَعَزُّ عَلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَٱتَّخَذْتُمُوهُ وَرَآءَكُمْ ظِهْرِيًّا ۖ إِنَّ رَبِّى بِمَا تَعْمَلُونَ مُحِيطٌ ﴿٩٢﴾ وَيَٰقَوْمِ ٱعْمَلُوا عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ إِنِّى عَٰمِلٌ ۖ سَوْفَ تَعْلَمُونَ مَن يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَمَنْ هُوَ كَٰذِبٌ ۖ وَٱرْتَقِبُوٓا إِنِّى مَعَكُمْ رَقِيبٌ ﴿٩٣﴾ وَلَمَّا جَآءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا شُعَيْبًا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُۥ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا وَأَخَذَتِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا ٱلصَّيْحَةُ فَأَصْبَحُوا فِى دِيَٰرِهِمْ جَٰثِمِينَ ﴿٩٤﴾ كَأَن لَّمْ يَغْنَوْا فِيهَآ ۗ أَلَا بُعْدًا لِّمَدْيَنَ كَمَا بَعِدَتْ ثَمُودُ ﴿٩٥﴾﴾

﴿قالوا يا شعيبُ ما نفقه كثيرًا مما تقول﴾ أي: إنا لا نقبل، وقد فهموه وقامت عليهم به الحجة ﴿وإنا لنراك فينا ضعيفًا﴾ قال سفيان: كان أعمى ﴿ولولا رهطك لرجمناك﴾ (ل١٥٠) بالحجارة ﴿وما أنت علينا بعزيز﴾ بعظيم، وكان من أشرافهم.

﴿قال يا قوم أرهطي أعز عليكم من اللَّه واتخذتموه وراءكم ظهريًا﴾ قال قتادة: يقول: أعززتم قومكم، وأظهرتم بربكم

قال يحيى: أراه يعني: جعلتموه منكم بظهر.

قال محمدٌ: يقال: ظهرت بحاجة فلانٍ؛ إذا نبذتها ولم تعبأ بها[1]، ومنه قول الفرزْدق[2]:

---

(١) لسان العرب، مختار الصحاح (ظهر).

(٢) هو همام بن غالب بن صعصعة التميمي، شاعر من الطبقة الأولى من الإسلاميين، وصاحب النقائض مع جرير والأخطل (ت١١٠هـ). الأعلام (٨/ ٩٣).

تميمَ بن زيد لا تكوننّ حاجتي   بِظَهْرٍ فلا يَعْيَى عليّ جَوَابُهَا[١]

قوله عز وجل: ﴿إنَّ ربي بما تعملون محيطٌ﴾ خبير ﴿ويا قَوْم اعملوا على مكانتكم﴾ أي: على دينكم ﴿إني عاملٌ﴾ على ديني ﴿سوف تعلمون من يأتيه عذابٌ يخزيه ومن هو كاذبٌ وارتقبوا إني معكم رقيب﴾ كقوله عز وجل: ﴿فانتظروا إني معكم من المنتظرين﴾[٢] يخوفهم أنهم إن ثبتوا على دينهم، جاءهم العذاب ﴿ألا بُعْدًا لمدين كما بعدت ثمود﴾.

قال محمد: المعنى: أنهم قد بعدوا من رحمة الله - تعالى - ونصب (بُعْدًا) على المصْدَر[٣]؛ يقال: بَعِدَ - بكسر العين - يَبْعَدُ؛ إذا كان بُعْدَ هَلَكةٍ، وبَعُدَ بضم العيْن يَبْعُد بُعْدًا؛ إذا نأى[٤].

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَا وَسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ ﴿٩٦﴾ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِۦ فَٱتَّبَعُوٓاْ أَمْرَ فِرْعَوْنَ ۖ وَمَآ أَمْرُ فِرْعَوْنَ بِرَشِيدٍ ﴿٩٧﴾ يَقْدُمُ قَوْمَهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فَأَوْرَدَهُمُ ٱلنَّارَ ۖ وَبِئْسَ ٱلْوِرْدُ ٱلْمَوْرُودُ ﴿٩٨﴾ وَأُتْبِعُواْ فِى هَٰذِهِۦ لَعْنَةً وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ بِئْسَ ٱلرِّفْدُ ٱلْمَرْفُودُ ﴿٩٩﴾ ذَٰلِكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلْقُرَىٰ نَقُصُّهُۥ عَلَيْكَ ۖ مِنْهَا قَآئِمٌ وَحَصِيدٌ ﴿١٠٠﴾﴾

﴿ولقد أرسلنا موسى بآياتنا﴾ أي: بعلاماتنا التي تدل على صحة نبوته ﴿وسلطانٍ مبين﴾ حجّة بينة.

---

(١) ديوان الفرزدق (٨٦). وهو من بحر الطويل. ورواية الديوان هي:

تميم بن زيد لا تهونن حاجتي   لديك ولا يعيي عليّ جوابُها

(٢) الأعراف: ٧١ .

(٣) أي: المؤكّد للفعل. ينظر: البحر المحيط (٥/ ٢٥٨).

(٤) حيث أرادت العرب أن تفرق بين المعنيين بتغيير البناء، فقالوا: بُعْد ضد القرب، وبَعِد ضد السلامة. ينظر: الدر المصون (٤/ ١٢٧).

قال محمدٌ: والسلطان إنما سُمِّيَ سُلْطانًا؛ لأنه حُجّة اللَّه - عز وجل - في أرضه .

﴿وما أمر فرعون برشيد يقدمُ قومه يوم القيامة﴾ أي: يقودهم إلى النار؛ حتى يدخلها هو وقومه .

﴿وأتبعُوا في هذه﴾ يعني: الدنيا ﴿لعنة﴾ يعني: العذاب الذي عذَّبهم به من الغرق ﴿ويوم القيامة﴾ أي: وأُتبعُوا يوم القيامة لعنة ﴿بئس الرفد المرفود﴾ قال عطاء: ترادفت عليهم من اللَّه - عز وجل - لعنتان: لعنة بعد لعنة؛ لعنة الدنيا، ولعنة الآخرة.

قال محمدٌ: وقيل: المعنى: بئس العطاءُ المعطى.

﴿ذلك من أنباء القرى نقصه عليك منها قائم﴾ تراه قد هلك أهله، ومنها ﴿حصيد﴾ لا ترى له أثرًا.

﴿وَمَا ظَلَمْنَٰهُمْ وَلَٰكِن ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْۖ فَمَآ أَغْنَتْ عَنْهُمْ ءَالِهَتُهُمُ ٱلَّتِى يَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مِن شَىْءٍ لَّمَّا جَآءَ أَمْرُ رَبِّكَۖ وَمَا زَادُوهُمْ غَيْرَ تَتْبِيبٍ (١٠١) وَكَذَٰلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَآ أَخَذَ ٱلْقُرَىٰ وَهِىَ ظَٰلِمَةٌۚ إِنَّ أَخْذَهُۥٓ أَلِيمٌ شَدِيدٌ (١٠٢) إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّمَنْ خَافَ عَذَابَ ٱلْءَاخِرَةِۚ ذَٰلِكَ يَوْمٌ مَّجْمُوعٌ لَّهُ ٱلنَّاسُ وَذَٰلِكَ يَوْمٌ مَّشْهُودٌ (١٠٣) وَمَا نُؤَخِّرُهُۥٓ إِلَّا لِأَجَلٍ مَّعْدُودٍ (١٠٤) يَوْمَ يَأْتِ لَا تَكَلَّمُ نَفْسٌ إِلَّا بِإِذْنِهِۦۚ فَمِنْهُمْ شَقِىٌّ وَسَعِيدٌ (١٠٥) فَأَمَّا ٱلَّذِينَ شَقُواْ فَفِى ٱلنَّارِ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ (١٠٦) خَٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَۚ إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ (١٠٧)﴾

﴿وما زادوهم غير تتبيب﴾ غير تخسير ﴿وذلك يومٌ مشهودٌ﴾ يشهده أهل

السماء وأهل الأرض ﴿فمنهم شقي وسعيد﴾ .

يحيى: عن فطر، عن أبي الطفيل قال: سمعت عبد اللَّه بن مسعود يقول: قال رسول اللَّه ﷺ: «إنَّ خلق أحدكُمْ يُجْمَعُ في بطن أمه أربعين يومًا نطفة، ثم يكون أربعين يومًا علقةً، ثم يكون أربعين يومًا مضغة، ثم يبعَثُ الملك فيؤمر أن يكتب أربعًا: رزقه وعمله وأجله وأثره، وشقيًا أو سعيدًا. والذي لا إله غيره؛ إن العبد ليعمل بعمل أهل الجنة حتى لا يكون بينه وبين الجنة إلا ذراعٌ؛ فيسبق عليه الكتابُ فيعمل بعمل أهل النار حتى يدخلها، وإن العبد ليعمل بعمل أهل النار حتى لا يكون بينه وبين النار إلا ذراعٌ؛ فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل الجنة فيدخلها»[١] .

قوله عز وجل: ﴿فأما الذين شقوا ففي النار لهم فيها زفيرٌ وشهيق﴾ قال قتادة: هذا حين يقول اللَّه - عز وجل - لهم: ﴿اخسئوا فيها ولا تكلمون﴾[٢] فينقطع كلامهم؛ فما يتكلمون بعدها بكلمة إلا هواء الزفير والشهيق؛ فشبه أصواتهم بأصوات الحمير؛ أولها زفير، وآخرها شهيق.

قال محمدٌ: اختلف القول في الزفير والشهيق: ذُكِرَ عن الخليل[٣]؛ أنه قال: الشهيق ردُّ النَّفَس، والزفير إخراج النفس. وقيل: الزفير صوت المكروب بالأنين، والشهيق أشد منه ارتفاعًا[٤] .

---

(١) لم أجده من طريق أبي الطفيل، ورواه البخاري (٦/ ٣٥٠ رقم ٣٢٠٨) ومسلم (٤/ ٣٤٠ رقم ٢٦٤٣) وغيرهم من طريق زيد بن وهب عن ابن مسعود.

(٢) المؤمنون: ١٠٨ .

(٣) هو الخليل بن أحمد الفراهيدي، أستاذ سيبويه، وأشهر علماء العرب على الإطلاق (توفي نحو ١٧٥هـ) ترجمته ومصادرها في إنباه الرواة (١/ ٣٤١).

(٤) ينظر ذلك بأكثر منه استطرادًا في لسان العرب (زفر)، (شهق).

﴿خالدين فيها ما دامت السموات والأرض﴾ الجنة في السماء، والنار في الأرض؛ وذلك ما لا ينقطع أبدًا ﴿إلا ما شاء ربك﴾ يعني: ما سبقهم به الذين دخلوا قبلهم؛ قال: ﴿وسيق الذين كفروا إلى جهنم زمرًا﴾[١] قال: زمرة تدخل بعد الزمرة.

وفي تفسير السُّدي: إلا ما شاء ربك لأهل التوحيد. الذين (ل١٥١) يدخلون النار؛ فلا يدومون فيها يُخْرَجُون منها إلى الجنة.

﴿وَأَمَّا ٱلَّذِينَ سُعِدُواْ فَفِى ٱلْجَنَّةِ خَٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ عَطَآءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ ﴿١٠٨﴾ فَلَا تَكُ فِى مِرْيَةٍ مِّمَّا يَعْبُدُ هَٰٓؤُلَآءِ مَا يَعْبُدُونَ إِلَّا كَمَا يَعْبُدُ ءَابَآؤُهُم مِّن قَبْلُ وَإِنَّا لَمُوَفُّوهُمْ نَصِيبَهُمْ غَيْرَ مَنقُوصٍ ﴿١٠٩﴾ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ فَٱخْتُلِفَ فِيهِ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ لَقُضِىَ بَيْنَهُمْ وَإِنَّهُمْ لَفِى شَكٍّ مِّنْهُ مُرِيبٍ ﴿١١٠﴾ وَإِنَّ كُلًّا لَّمَّا لَيُوَفِّيَنَّهُمْ رَبُّكَ أَعْمَٰلَهُمْ إِنَّهُۥ بِمَا يَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿١١١﴾﴾

﴿وأما الذين سعدوا...﴾ إلى قوله عز وجل: ﴿إلا ما شاء ربك﴾ يعني: ما سبقهم به الذين دخلوا قبلهم؛ قال: ﴿وسيق الذين اتقوا ربهم إلى الجنة زمرًا﴾[٢] قال: زمرة تدخل بعد الزمرة.

وفي تفسير السُّدي: ﴿إلا ما شاء ربك﴾ يعني: ما نقص لأهل التوحيد الذين أخرجوا من النار.

﴿عطاء غير مجذوذ﴾ أي: غير مقطوع.

﴿فلا تكُ في مِرْيَةٍ﴾ في شك ﴿مما يعبد هؤلاء﴾ يعني: مشركي العرب.

---

(١) الزمر: ٧١ .
(٢) الزمر: ٧٣ .

﴿ما يعبدون إلا كما يعبد آباؤهم﴾ أي: إلا ما كان يَعْبُد آباؤهم من قبل؛ أي: كانوا يعبدون الأوثان ﴿وإنا لموفوهم نصيبهم﴾ من العذاب ﴿غير منقوص﴾ .

﴿ولقد آتينا موسى الكتاب فاخْتُلِف فيه﴾ أي: آمن به قومٌ وكفر به قومٌ ﴿ولولا كلمة سبقت من ربك﴾ ألَّا يعذب بعذاب الآخرة في الدنيا.

﴿لقضي بينهم﴾ أي: لقضى اللّه بينهم في الدنيا؛ فأدخل أهل الجنة الجنة، وأهل النار النارَ، ولكن أخَّر ذلك إلى يوم القيامة.

﴿وإن كلًّا لما ليوفينهم ربك أعمالهم﴾ يعني: الأولين والآخرين.

قال محمدٌ: ومن قرأ (وإنْ كلًّا لَمَا) بتخفيف (إنْ ولَمَا)[1] فالمعنى: إنّ كلًّا ليوفينهم وتكون (ما) صلةً، ونصب (كلًّا) بإن؛ لأنّ من النحويين من يقول في (إن) الخفيفة: أصلها (إنَّ) المشدَّدة، فإذا أدخل عليها التخفيف نُصِبَ بها على تأويل الأصل[2].

﴿فَٱسْتَقِمْ كَمَآ أُمِرْتَ وَمَن تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطْغَوْاْ إِنَّهُۥ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿١١٢﴾ وَلَا تَرْكَنُوٓاْ إِلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ فَتَمَسَّكُمُ ٱلنَّارُ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِنْ أَوْلِيَآءَ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ ﴿١١٣﴾ وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ طَرَفَيِ ٱلنَّهَارِ وَزُلَفًا مِّنَ ٱلَّيْلِ إِنَّ ٱلْحَسَنَٰتِ يُذْهِبْنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ذَٰلِكَ ذِكْرَىٰ لِلذَّٰكِرِينَ ﴿١١٤﴾ وَٱصْبِرْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١١٥﴾ فَلَوْلَا كَانَ مِنَ ٱلْقُرُونِ مِن قَبْلِكُمْ أُوْلُواْ بَقِيَّةٍ يَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْفَسَادِ فِى ٱلْأَرْضِ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّنْ أَنجَيْنَا مِنْهُمْ وَٱتَّبَعَ

---

(١) وهي قراءة نافع، وابن كثير، وفي هذه الآية قراءات كثيرة. ينظر: السبعة (٣٣٩)، النشر (٢/ ٢٩٠ - ٢٩١)، الحجة (١٩٠)، البحر (٥/ ٢٦٦).

(٢) وفي هذا الآية كلام كثير للنحاة لخَّصها السَّمين الحلبي في الدر المصون (٤/ ١٣٥ - ١٣٦).

﴿ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مَآ أُتْرِفُوا۟ فِيهِ وَكَانُوا۟ مُجْرِمِينَ ﴿١١٦﴾﴾

﴿فاستقم كما أمرت﴾ على الإسلام ﴿ومن تاب معك﴾ يعني: المؤمنين الذين تابوا من الشرك ﴿ولا تطغوا﴾ فترجعوا عن الإسلام.

﴿ولا تركنوا إلى الذين ظلموا﴾ قال قتادة: يقول: لا تلحقوا بالشرك، فتمسكم النار؛ أي: تدخلوها .

﴿وأقم الصلاة طرفي النهار وزلفًا من الليل﴾ يعني: الصلوات الخمس؛ أن تقام على وضوئها ومواقيتها وركوعها وسجودها. وطرفا النهار؛ في الطرف الأول صلاة الصبح، وفي الطرف الآخر الظهر والعصر ﴿وزلفًا من الليل﴾ يعني: صلاة المغرب وصلاة العشاء الآخر، وزُلَف الليل: أدانيه - يعني: أوائله.

قال محمدٌ: واحدُ الزُّلف: زلفةٌ؛ يقال: أزْلَفني عندك كذا؛ أي: أدناني[1]، ونصب ﴿طرفي النهار وزلفًا من الليل﴾ على الظرف؛ كما تقول: جئت طرفي النهار وأوائل الليل[2].

﴿إن الحسنات﴾ يعني: الصلوات الخمس ﴿يذهبن السيئات﴾ يعني: ما دون الكبائر.

يحيى: عن الربيع بن صبيح، عن الحسن قال: قال رسولُ اللَّه ﷺ: «ألا إن الصلوات الخمس، والجمعة إلى الجمعة كفَّاراتٌ لما بينهن؛ ما اجْتُنبت الكبائر»[3].

---

(١) وقرّبني. لسان العرب (زلف).

(٢) أي: ظرف الزمان. والزُّلْفة: أول ساعات الليل، قاله ثعلب. وقال الأخفش وابن قتيبة: الزُّلَف ساعات الليل وآناؤه، وكل ساعة منه زُلْفة. فلم يُخَصِّصا بأول الليل. ينظر: الدر المصون (٤/ ١٤٥ - ١٤٦) لسان العرب (زلف).

(٣) رواه الحارث بن أبي أسامة في مسنده - كما في زوائده (٤٩ رقم ١٠٥) - من طريق =

﴿فلولا﴾ فهلا ﴿كان من القرون من قبلكم أولو بقية﴾ يعني: طاعة.

﴿ينهون عن الفساد في الأرض إلّا قليلًا ممن أنجينا منهم﴾ يقول: لم يكن ذلك إلا قليلًا ممن أنجينا من المؤمنين.

﴿واتبع الذين ظلموا ما أُترفوا فيه﴾ يعني: المشركين اتَّبعُوا الدنيا، وما وسَّع اللَّه - عز وجل - عليهم فيها.

قال محمدٌ: أصل الترفُّهِ: السَّعَة في العيش، والإسراف في التنعيم. المعنى: اتبعوا ما أعطوا من الأموال وأَثْرَوْه[1]؛ ففتنوا به.

﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ ٱلْقُرَىٰ بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ ﴿١١٧﴾ وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ ٱلنَّاسَ أُمَّةً وَٰحِدَةً ۖ وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ﴿١١٨﴾ إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ ۚ وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمْ ۗ وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴿١١٩﴾ وَكُلًّا نَّقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِۦ فُؤَادَكَ ۚ وَجَآءَكَ فِى هَٰذِهِ ٱلْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٢٠﴾﴾

﴿ولو شاء ربك لجعل الناس أمة واحدة﴾ على الإيمان ﴿ولا يزالون مختلفين﴾ يعني: الكفار ﴿إلا منْ رحم ربك﴾ وهم المؤمنون؛ لا يختلفون في البعث كما اختلف الكفار فيه ﴿ولذلك خلقهم﴾ أي: ولذلك خلق أهل الرحمة ألا يختلفوا.

= أبي الأشهب عن الحسن به.

ورواه الإمام أحمد (٢/ ٤١٤) والطيالسي في مسنده (٣٢٤ رقم ٢٤٧٠) وابن عبد البر في التمهيد (٤/ ٤٩ - ٥٠) من طرق عدة عن الحسن عن أبي هريرة متصلاً.

ورواه مسلم في صحيحه (١/ ٢٠٩ رقم ٢٣٣) من طريق عبد الرحمن بن يعقوب مولى الحرقة ومحمد بن سيرين وإسحاق مولى زائدة عن أبي هريرة به.

(١) مأخوذ من الثَّراء؛ وهو كثرة المال. لسان العرب (ثرو).

﴿وتمت كلمة ربك﴾ أي: سبقت ﴿لأملأنَّ جهنم من الجنة والناس أجمعين﴾ يعني: أهل النار من الجن والإنس .

﴿وكلًّا نقصُّ عليك من أنباء الرسل﴾ من أخبار الرسل ﴿ما نثبت به فؤادك﴾ [. . .](١) أن الأنبياء قد لقيت من الأذى ما لقيت.

قال محمدٌ: (كلًّا) منصوبٌ بـ (نَقُصُّ)(٢) المعنى: كل ما تحتاج إليه من أنباء الرسل نقصه عليك، ومعنى تثبيت الفؤاد: تسكينُ القلب (ل١٥٢) من السكون، ولكن كلما كان الدلالة عليه والبرهان أكبر كان القلب أثبت أبدًا؛ كما قال إبراهيم عليه السلام: ﴿ولكن ليطمئن قلبي﴾(٣).

﴿وجاءك في هذه الحق﴾ قال الحسن: وجاءك في هذه الدنيا.

﴿وَقُل لِّلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ اعْمَلُوا عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ إِنَّا عَامِلُونَ ﴿١٢١﴾ وَانتَظِرُوا إِنَّا مُنتَظِرُونَ ﴿١٢٢﴾ وَلِلَّهِ غَيْبُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ الْأَمْرُ كُلُّهُ فَاعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ ۚ وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿١٢٣﴾﴾

﴿وقل للذين لا يؤمنون اعملوا على مكانتكم﴾ أي: على كفركم؛ يخوفهم العذاب؛ إن ثبتوا على كفرهم ﴿إنا عاملون وانتظروا﴾ ما ينزل من عذاب الله - عز وجل - ﴿إنا منتظرون﴾.

﴿ولله غيب السمٰوات والأرض﴾ أي: لا يعلمه إلا هو ﴿وإليه يُرْجَعُ الأمرُ كلُّه﴾ يوم القيامة.

﴿فاعبده وتوكَّلْ عليه وما ربك بغافل عما تعملون﴾.

---

(١) طمس في الأصل.

(٢) وفيه أوجه نحوية أخرى ينظر: البحر المحيط (٥/ ٢٧٤) الدر المصون (٤/ ١٤٨).

(٣) البقرة: ٢٦٠ .

تفسير سورة يوسف وهي مكيّة كُلّها

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿الٓر تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُبِينِ ۝١ إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ۝٢ نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ ٱلْقَصَصِ بِمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ وَإِن كُنتَ مِن قَبْلِهِۦ لَمِنَ ٱلْغَٰفِلِينَ ۝٣﴾

قوله: ﴿الٓر تلك آيات الكتاب﴾ يعني: هذه آيات القرآن ﴿المبين﴾ البين ﴿إنا أنزلناه قرآنا عربيًّا﴾ أي: بلسانٍ عربي ﴿لعلكم تعقلون﴾ لكي تعقلوا ما فيه فتؤمنوا ﴿نحن نقص عليك أحسنَ القصص﴾ قال قتادة: من الكتب الماضية، وأمور اللَّه السَّالفة في الأمم ﴿بما أوحينا إليك هذا القرآن﴾ أي: بوحينا إليك هذا القرآن ﴿وإن كنت من قبله﴾ أي: من قبل أن ينزل عليك القرآن ﴿لمن الغافلين﴾ كقوله: ﴿وكذلك أوحينا إليك روحًا من أمرنا ما كنت تدري ما الكتاب ولا الإيمان﴾[1].

﴿إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَٰٓأَبَتِ إِنِّى رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِى سَٰجِدِينَ ۝٤ قَالَ يَٰبُنَىَّ لَا تَقْصُصْ رُءْيَاكَ عَلَىٰٓ إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا۟ لَكَ كَيْدًا ۖ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لِلْإِنسَٰنِ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ۝٥ وَكَذَٰلِكَ يَجْتَبِيكَ رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ وَيُتِمُّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكَ وَعَلَىٰٓ ءَالِ يَعْقُوبَ كَمَآ أَتَمَّهَا عَلَىٰٓ أَبَوَيْكَ مِن قَبْلُ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْحَٰقَ ۚ إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ۝٦﴾

---

(١) الشورى: ٥٢.

﴿إذ قال يوسف لأبيه يا أبت إني رأيت أحد عشر كوكبًا...﴾ الآية، فتأولها يعقوب أنَّ اخوة يوسف - وكانوا أحد عشر رجلًا - وأبويه سيسجدون له.

﴿فيكيدوا لك كيدًا﴾ أي: يحسدونك ﴿وكذلك يجتبيك ربك﴾ أي: يختارك للنبوة ﴿ويعلمك من تأويل الأحاديث﴾ قال مجاهد: يعني: تَعْبير الرؤيا.

وقال الحسن: يعني: عواقب الأمور التي لا تُعْلَمُ إلا بوحي نبوة ﴿ويتم نعمته عليك وعلى آل يعقوبَ﴾ وكان اللَّه أعْلَمَهُ أنه سيُعْطي ولدَ يعقوب كلّهم النبوة.

﴿لَّقَدْ كَانَ فِي يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِۦٓ ءَايَٰتٌ لِّلسَّآئِلِينَ ﴿٧﴾ إِذْ قَالُواْ لَيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَىٰٓ أَبِينَا مِنَّا وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّ أَبَانَا لَفِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٍ ﴿٨﴾ ٱقْتُلُواْ يُوسُفَ أَوِ ٱطْرَحُوهُ أَرْضٗا يَخْلُ لَكُمْ وَجْهُ أَبِيكُمْ وَتَكُونُواْ مِنۢ بَعْدِهِۦ قَوْمٗا صَٰلِحِينَ ﴿٩﴾ قَالَ قَآئِلٞ مِّنْهُمْ لَا تَقْتُلُواْ يُوسُفَ وَأَلْقُوهُ فِي غَيَٰبَتِ ٱلْجُبِّ يَلْتَقِطْهُ بَعْضُ ٱلسَّيَّارَةِ إِن كُنتُمْ فَٰعِلِينَ ﴿١٠﴾ قَالُواْ يَٰٓأَبَانَا مَا لَكَ لَا تَأْمَ۫نَّا عَلَىٰ يُوسُفَ وَإِنَّا لَهُۥ لَنَٰصِحُونَ ﴿١١﴾ أَرْسِلْهُ مَعَنَا غَدٗا يَرْتَعْ وَيَلْعَبْ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴿١٢﴾ قَالَ إِنِّي لَيَحْزُنُنِيٓ أَن تَذْهَبُواْ بِهِۦ وَأَخَافُ أَن يَأْكُلَهُ ٱلذِّئْبُ وَأَنتُمْ عَنْهُ غَٰفِلُونَ ﴿١٣﴾ قَالُواْ لَئِنْ أَكَلَهُ ٱلذِّئْبُ وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّآ إِذٗا لَّخَٰسِرُونَ ﴿١٤﴾ فَلَمَّا ذَهَبُواْ بِهِۦ وَأَجْمَعُوٓاْ أَن يَجْعَلُوهُ فِي غَيَٰبَتِ ٱلْجُبِّ وَأَوْحَيْنَآ إِلَيْهِ لَتُنَبِّئَنَّهُم بِأَمْرِهِمْ هَٰذَا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿١٥﴾ وَجَآءُوٓ أَبَاهُمْ عِشَآءٗ يَبْكُونَ ﴿١٦﴾ قَالُواْ يَٰٓأَبَانَآ إِنَّا ذَهَبْنَا نَسْتَبِقُ وَتَرَكْنَا يُوسُفَ عِندَ مَتَٰعِنَا فَأَكَلَهُ ٱلذِّئْبُ وَمَآ أَنتَ بِمُؤْمِنٖ لَّنَا وَلَوْ كُنَّا صَٰدِقِينَ ﴿١٧﴾﴾

﴿لقد كان في يوسف وإخوته آياتٌ للسائلين﴾ أي: عبرة لمن كان سائلًا عن حديثهم ﴿إذ قالوا ليوسف وأخوه أحبُّ إلى أبينا منا ونحن عصبةٌ﴾ جماعة ﴿إن أبانا لفي ضلالٍ مبين﴾ أي: من الرأي، ليس يعنون: ضلالة في الدين ﴿مبين﴾ بيِّن ﴿اقتلوا يوسف أو اطرحوه أرضًا يخل لكم وجه أبيكم﴾ ولم يكونوا يومَ قالوا هذه المقالة أنبياء ﴿وتكونوا من بعده قومًا صالحين﴾ يعنون: تصلح منزلتكم عند أبيكم؛ في تفسير الحسن.

وقال غيره: يعنون: تتوبون من بعد قتله ﴿قال قائل منهم﴾ هو روبيل؛ في تفسير قتادة ﴿لا تقتلوا يوسف وألقوه في غيابات الجب﴾ أي: بعض نواحيها.

قال محمدٌ: كل شيْءٍ غيَّب عنك شيئًا فهو غيابةٌ[1]، وكذلك قرأ يحيى (غيابة الجُبِّ)[2].

﴿يلتقطه بعض السيارة﴾ أي: بعض من يمر في الطريق.

﴿أرسلْه معنا غدًا يرتع ويلعب﴾ قال محمدٌ: قرأه أهْلُ المدينة ﴿يرتع﴾ بالياء وكسْر العيْن، ﴿ويلعَبْ﴾ بالياء أيضًا[3]؛ المعنى: كأنهم قالوا: يرعَى ماشيته ويلعب في جمع السَّعة والسرور.

﴿قالوا لئن أكله الذئب ونحن عصبةٌ إنا إذًا لخاسرون﴾ قال محمدٌ: يقال: العُصْبة من العشرة إلى الأربعين.

﴿فلما ذهبوا به وأجمعوا أن يجعلوه في غيابات الجب﴾ أي: اتفقوا وألقوه

---

(١) لسان العرب (غيب).

(٢) وهي قراءة السَّبْعة إلا نافعًا؛ فقد قرأ (غيابات) جمعًا. ينظر: السبعة (٣٤٥)، النشر (٢/ ٢٩٢)، الحجة (١٣٣).

(٣) وهي قراءة نافع وفي هذه الآية قراءات كثيرة. ينظر: إتحاف الفضلاء (٢٦٢)، التيسير (١٢٨)، السبعة (٣٤٥)، البحر (٥/ ٢٨٥).

في الجب ﴿وأوحينا إليه لتنبئنهم بأمرهم هذا﴾ قال قتادة: أتاه وحيُ اللَّه وهو في البئر بما يريدون أن يفعلوا به ﴿وهم لا يشعرون﴾ بما أطلع اللَّه عليه يوسف من أمرهم.

﴿وجاءوا أباهم عشاءً يبكون﴾ قال محمدٌ: (عشاءً) منصوب على الظرف(١).

﴿وما أنت بمؤمن لنا﴾ بمصدق لنا ﴿ولو كنا صادقين﴾ أي: ولو صدقناك.

قال محمدٌ: قيل: المعنى: (ل١٥٣) ولو كنا عندك من أهل الثقة والصدق لاتّهمتنا في يوسف؛ لمحبتك فيه، وظننت أنا قد كذبْناك.

﴿وَجَآءُو عَلَىٰ قَمِيصِهِۦ بِدَمٍ كَذِبٍۚ قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْرًاۖ فَصَبْرٌ جَمِيلٌۖ وَٱللَّهُ ٱلْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ ﴿١٨﴾ وَجَآءَتْ سَيَّارَةٌ فَأَرْسَلُواْ وَارِدَهُمْ فَأَدْلَىٰ دَلْوَهُۥۖ قَالَ يَٰبُشْرَىٰ هَٰذَا غُلَٰمٌۚ وَأَسَرُّوهُ بِضَٰعَةًۚ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِمَا يَعْمَلُونَ ﴿١٩﴾ وَشَرَوْهُ بِثَمَنٍۭ بَخْسٍ دَرَٰهِمَ مَعْدُودَةٍ وَكَانُواْ فِيهِ مِنَ ٱلزَّٰهِدِينَ ﴿٢٠﴾ وَقَالَ ٱلَّذِى ٱشْتَرَىٰهُ مِن مِّصْرَ لِٱمْرَأَتِهِۦٓ أَكْرِمِى مَثْوَىٰهُ عَسَىٰٓ أَن يَنفَعَنَآ أَوْ نَتَّخِذَهُۥ وَلَدًاۚ وَكَذَٰلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِى ٱلْأَرْضِ وَلِنُعَلِّمَهُۥ مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِۚ وَٱللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰٓ أَمْرِهِۦ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢١﴾﴾

﴿وجاءوا على قميصه بدم كذب﴾ لطخوا قميصَهُ بدم سخْلةٍ.

قال محمدٌ: المعنى: دَمٌ مكذوبٌ فيه.

﴿قال بل سولت لكم أنفسكم أمرًا﴾ أي: زينت ﴿أمرًا فصبرٌ جميل﴾ أي: ليس فيه جزعٌ.

---

(١) أي: ظرف الزمان. وقيل: نصب على الحال باعتبار أن (عشاء) جمع (عاشٍ)، مثل (قيام) جمع (قائم) ينظر الدر المصون (٤/ ١٦٢).

قال الحسن: وكان يعقوب قد علم بما أعلمه اللَّه أن يوسف حيٌّ، ولكنه لم يعلم أين هو؟

قال محمدٌ: (صبرٌ جميل) مرفوعٌ على معنى: فالذي أعتقده: صبرٌ جميل، ويجوز أن يكون على معنى: (فصبري صبرٌ جميل)[1].

﴿وجاءت سيارة فأرسلوا واردهم﴾ الوارد: الذي يرد الماء؛ ليستقي للقوم ﴿فأدلى دلوه﴾ في الجب؛ وهي بئر بيت المقدس.

قال محمدٌ: يقال: أدليتُ الدّلْوَ؛ إذا أرسلتها لتملأها، ودلوتها؛ إذا أخرجتها[2].

قال قتادة: فلما أدلى دلوه تشبَّث بها يوسف، فقال الذي أدْلى دلوه: (يا بشرايَ)[3] يقول لصاحبه: ما البشرى؟ قال لهُ صاحبه: ما وراءك؟ أو ما عندك؟ قال: ﴿هذا غلامٌ﴾ فأَخْرَجُوه ﴿وأسروه بضاعةً﴾ قال مجاهدٌ: صاحبُ الدّلو ومن كان معه قالوا لأصحابهم: إنما اسْتُبْضِعْناه خيفة أن يشركوهُمْ فيه.

﴿وشروه﴾ أي: باعوه ﴿بثمنٍ بخسٍ﴾ أي: حرام لم يكن يحل بيْعُه.

﴿دراهِمَ معدودَةٍ﴾ قال مجاهد: باعوه باثنين وعشرين درهمًا.

﴿وكانوا فيه من الزاهدين﴾ يعني: الذين التقطوه، وزهادتهم فيه أنهم لم يكونوا يعرفون منزلته من اللَّه؛ فباعوه من ملك مِصْرَ.

﴿وقال الذي اشتراه من مصر لامرأته أكرمي مثواه﴾ أي: منزلته ﴿عسى أن

---

(١) ينظر: الدر المصون (٤/ ١٦٤).

(٢) لسان العرب (دلو).

(٣) وهي قراءة أبي عمرو، ونافع، وابن كثير، وابن عامر. وفيها قراءات كثيرة غير ذلك. ينظر: السبعة (٣٤٧)، النشر (٢/ ٢٩٣)، الحجة (١٩٤)، البحر (٥/ ٢٩٠).

ينفعنا أو نتخذه ولدًا﴾ أي: نتبنَّاه . قال اللَّه: ﴿وكذلك مكنا ليوسف في الأرض﴾ يعني: أرضَ مصر، وما أعطاه اللَّه .

﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُۥٓ ءَاتَيْنَٰهُ حُكْمًا وَعِلْمًا ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٢٢﴾ وَرَٰوَدَتْهُ ٱلَّتِى هُوَ فِى بَيْتِهَا عَن نَّفْسِهِۦ وَغَلَّقَتِ ٱلْأَبْوَٰبَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ ۚ قَالَ مَعَاذَ ٱللَّهِ ۖ إِنَّهُۥ رَبِّىٓ أَحْسَنَ مَثْوَاىَ ۖ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٢٣﴾ وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِۦ ۖ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَآ أَن رَّءَا بُرْهَٰنَ رَبِّهِۦ ۚ كَذَٰلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ ٱلسُّوٓءَ وَٱلْفَحْشَآءَ ۚ إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿٢٤﴾ وَٱسْتَبَقَا ٱلْبَابَ وَقَدَّتْ قَمِيصَهُۥ مِن دُبُرٍ وَأَلْفَيَا سَيِّدَهَا لَدَا ٱلْبَابِ ۚ قَالَتْ مَا جَزَآءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوٓءًا إِلَّآ أَن يُسْجَنَ أَوْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢٥﴾ قَالَ هِىَ رَٰوَدَتْنِى عَن نَّفْسِى ۚ وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ أَهْلِهَآ إِن كَانَ قَمِيصُهُۥ قُدَّ مِن قُبُلٍ فَصَدَقَتْ وَهُوَ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٢٦﴾ وَإِن كَانَ قَمِيصُهُۥ قُدَّ مِن دُبُرٍ فَكَذَبَتْ وَهُوَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٢٧﴾ فَلَمَّا رَءَا قَمِيصَهُۥ قُدَّ مِن دُبُرٍ قَالَ إِنَّهُۥ مِن كَيْدِكُنَّ ۖ إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ ﴿٢٨﴾ يُوسُفُ أَعْرِضْ عَنْ هَٰذَا ۚ وَٱسْتَغْفِرِى لِذَنۢبِكِ ۖ إِنَّكِ كُنتِ مِنَ ٱلْخَاطِـِٔينَ ﴿٢٩﴾﴾

﴿ولما بلغ أشده﴾ يقال: بلغ عشرين سنة ﴿آتيناه حكمًا وعلمًا﴾ يعني: الرسالة.

﴿وقالَتْ هِيْتَ لك﴾ أي: هلُمَّ لك.

وتقرأ: (هَيْتَ لك) بفتح الهاء وتسكين الياء[1].

---

(١) وهي لأبي عمرو، وعاصم، وحمزة، والكسائي، وفيها قراءات كثيرة أخرى. ينظر: السبعة (٣٤٧)، النشر (٢/ ٢٩٣)، البحر (٥/ ٢٩٤)، المحتسب (١/ ٣٣٧ - ٣٣٨).

قال محمدٌ: يقال: هَيْتَ فلانٌ بفلان؛ إذا صاح به[١].

قال الشاعر:

قد رابني أنّ الكَرِيَّ أسْكتا   لو كان مَعْنِيًّا بها لَهَيَّتَا[٢]

قوله: ﴿قال معاذ اللَّه إنه ربي﴾ أي: سيدي - يعني: العزيز ﴿أحسن مثواي﴾ أي: أكرم منزلتي.

قال أبو عبد اللَّه الشامي: أول ما قالت له: يا يوسفُ ما أحسن شعرك! قال: أمَا إنّه أول شيءٍ يَبْلَى مني.

﴿ولقد همتْ به﴾ يعني: ما أرادته حين اضْطجعتْ له ﴿وهمَّ بها﴾ يعني: حلَّ سراويلَه[٣] ﴿لولا أن رأى برهان ربه﴾ قال مجاهد: مُثِّل له يعقوبُ فاستحيى منه، فصرف اللَّه عنه وأذهب كلَّ شهوةٍ كانتْ في مفاصِله[٤].

---

(١) لسان العرب (هيت).

(٢) البيت من الرجز، وقائله مجهول. ينظر لسان العرب (هيت)، تفسير القرطبي (٩/ ١٦٥).

(٣) قال شيخ الإسلام ابن تيمية في مجموع الفتاوى (١٥/١٤٨ - ١٤٩) في كلامه على نبي اللَّه يوسف عليه السلام: وقد اتفق الناس على أنه لم تقع منه الفاحشة، ولكن بعض الناس يذكر أنه وقع منه بعض مقدماتها، مثل ما يذكرون أنه حل السراويل، وقعد منها مقعد الخاتن، ونحو هذا، وما ينقلونه في ذلك ليس هو عن النبي ﷺ، ولا مستند لهم فيه إلا النقل عن بعض أهل الكتاب، وقد عُرف كلام اليهود في الأنبياء وغضهم منهم، كما قالوا في سليمان ما قالوا، وفي داود ما قالوا، فلو لم يكن معنا ما يرد نقلهم لم نصدقهم فيما لم نعلم صدقهم فيهُ، فكيف نصدقهم فيما قد دل القرآن على خلافه؟! والقرآن قد أخبر عن يوسف من الاستعصام والتقوى والصبر في هذه القضية ما لم يذكر عن أحد نظيره.
راجع: مجموع الفتاوى (١٥/ ١٣٨ - ١٥٠)، وتفسير القرطبي (٩/ ١٦٥ - ١٦٩) وأضواء البيان (٣/ ٤٩ - ٦٠) وغيرها.

(٤) قال ابن كثير بعد أن ذكر أقوال المفسرين في تفسير ذلك البرهان (٢/ ٥٧٤): قال ابن جرير: والصواب أن يقال أنه رأى آية من أيات اللَّه تزجره عما كان هم به، وجائز أن يكون صورة يعقوب، وجائز أن يكون صورة الملك، وجائز أن يكون ما رآه مكتوبًا من الزجر عن ذلك، =

قال اللَّه: ﴿كذلك لنصرف عنه السوءَ والفحشاء...﴾ الآية، فولَّى هاربًا واتبعتْه ﴿واستبقا الباب﴾ فسبقها إليه ليخرجَ ﴿وقدت قميصه من دبر﴾ أي: شقَّته من خلفه. ﴿وألفيا سيدها﴾ أي: زوجها ﴿لدى الباب﴾ عند الباب.

﴿وشهد شاهِدٌ من أهلها﴾ قال قتادة: رجل حكيم كان من أهلها؛ قال: القميص يقضي بينهما؛ إن كان قُدَّ من قُبُلٍ فصدقتْ وهو من الكاذبين وإن كان قميصه قُدَّ من دُبُرٍ فكذبت وهو من الصادقين.

﴿فلما رأى قميصه قُدَّ من دُبُرٍ قال إنه من كيدكن إن كيدكن عظيم﴾ ثم قال ليوسف: ﴿يوسف أعرض عن هذا﴾ أي: لا تذكره: احبسه، وقال لها: ﴿استغفري لذنبك﴾[1] من زوجك، واستعْفيه ألا يعاقبك ﴿إنك كنت من الخاطئين﴾ يعني: الخطيئة.

قال محمدٌ: يقال: خَطِئ الرجلُ يخطأ خِطئًا؛ إذا تعمَّد الذنب فهو خاطِئ، والخطيئة منه[2]: أخطأ يُخْطِئ؛ إذا لمْ يتعمّدْ، والاسْمُ منه: الخطأ[3].

﴿وَقَالَ نِسْوَةٌ فِي ٱلْمَدِينَةِ ٱمْرَأَتُ ٱلْعَزِيزِ تُرَٰوِدُ فَتَىٰهَا عَن نَّفْسِهِۦ قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا إِنَّا لَنَرَىٰهَا فِي ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٣٠﴾ فَلَمَّا سَمِعَتْ بِمَكْرِهِنَّ أَرْسَلَتْ إِلَيْهِنَّ وَأَعْتَدَتْ لَهُنَّ مُتَّكَـًٔا وَءَاتَتْ كُلَّ وَٰحِدَةٍ مِّنْهُنَّ سِكِّينًا وَقَالَتِ ٱخْرُجْ عَلَيْهِنَّ فَلَمَّا رَأَيْنَهُۥٓ أَكْبَرْنَهُۥ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ وَقُلْنَ حَٰشَ لِلَّهِ مَا هَٰذَا

= ولا حجة قاطعة على تعيين شيء من ذلك، والصواب أن يطلق كما قال اللَّه تعالى. اهـ وانظر تفسير ابن جرير الطبري (١٣/ ١٩١).

(١) هناك لحق على حاشية الأصل غير واضح.

(٢) أي: الاسم منه: الخطيئة.

(٣) قال الأموي: المخطئ من أراد الصواب، فصار إلى غيره، والخاطئ: من تعمد مالا ينبغي. وقال أبو عبيدة: خطئ وأخطأ بمعنًى. لسان العرب، مختار الصحاح (خطئ).

بَشَرًا إِنْ هَٰذَآ إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ ﴿٣١﴾ قَالَتْ فَذَٰلِكُنَّ ٱلَّذِى لُمْتُنَّنِى فِيهِ وَلَقَدْ رَٰوَدتُّهُۥ عَن نَّفْسِهِۦ فَٱسْتَعْصَمَ وَلَئِن لَّمْ يَفْعَلْ مَآ ءَامُرُهُۥ لَيُسْجَنَنَّ وَلَيَكُونًا مِّنَ ٱلصَّٰغِرِينَ ﴿٣٢﴾﴾

(ل١٥٤) ﴿وقال نسوةٌ في المدينة امرأة العزيز﴾ يعني: عز الملك ﴿تراود فتاها عن نفسه قد شغفها حبًّا﴾ قال مجاهد: أي: دخل حبه في شغافها. قال الكلبي: الشغاف: حجاب القلب ﴿إنا لنراها في ضلال مبين﴾ قال السُّدي: يعني: في خسرانٍ بين من حُبِّ يوسف.

﴿فلما سمعت بمكرهن﴾ أي: بغيبَتِهِنَّ ﴿أرسلت إليهن﴾ وأرادت أن توقعهن فيما وقعت فيه ﴿وأعتدت﴾ أي: أعدَّتْ ﴿لهن متكئًا﴾ قال مجاهد: يعني: مجلسًا وتكأة.

قال يحيى: وهي تقرأ (مُتْكًا) قال بعضهم: هو الأترج[1].

قال محمدٌ: (المتَّكأ) بالتثقيل: هو ما اتكأت لحديثٍ، أو طعام، أو شراب[2].

﴿وآتت كل واحدةٍ منهن سكينًا﴾ ليقطعن ويأكلن، وقالت ليوسف: ﴿اخرج عليهن فلما رأينه أكبرنه﴾ أي: أعظمنه أن يكون من البشر. ﴿وقطعن أيديهن﴾ أي: حززْن لا يعقلن ما يصْنَعْن ﴿وقلن حاش لله﴾ قال مجاهد: يعني: معاذ الله ﴿ما هذا بشرًا إن هذا إلا ملك﴾ من ملائكة الله ﴿كريمٌ﴾ على اللهِ.

---

(١) قال الفراء: واحدة المُتْك: مُتكة مثل بُسْر وبُسْرة؛ وهو الأُترج. وقال مثل ذلك ابن سيده، وحكاه الأخفش. ينظر لسان العرب (متك) وتُنسب هذه القراءة إلى ابن عباس وابن عمر ومجاهد وقتادة، وغيرهم. ونسبها صاحب اللسان إلى أبي رجاء العطاردي. ينظر: البحر (٥/ ٣٠٢)، المحتسب (١/ ٣٣٩)، معاني القرآن للفراء (٢/ ٤٢).

(٢) لسان العرب (وكأ).

قال محمدٌ: يقال: حاشَ للَّه، وحاشى للَّه - بياء وبغير ياء -، وأصْله في اللغة: البراءة[١]؛ أي قد برأه اللَّه من ذلك، وانتصب (بشرًا) بخبر (ما) لأن (ما) في لغة أهل الحجاز معناه معنى (ليس) في النفي[٢].

﴿ولقد راودته عن نفسه فاستعصم﴾ أي: امتنع.

﴿وليكونًا من الصاغرين﴾ أي: من الأذلاء.

﴿قَالَ رَبِّ ٱلسِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِيٓ إِلَيْهِ ۖ وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُن مِّنَ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿٣٣﴾ فَٱسْتَجَابَ لَهُۥ رَبُّهُۥ فَصَرَفَ عَنْهُ كَيْدَهُنَّ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٣٤﴾ ثُمَّ بَدَا لَهُم مِّنۢ بَعْدِ مَا رَأَوُا۟ ٱلْءَايَٰتِ لَيَسْجُنُنَّهُۥ حَتَّىٰ حِينٍ ﴿٣٥﴾﴾

﴿وإلا تصرف عني كيدهن﴾ قال الحسن: قد كان من النسوة عَوْنُ لها عليه ﴿أصبُ إليهن﴾ أي: أُتابعُهنّ.

قال محمدٌ: المعنى: أمِلْ إليهِنَّ ميْلَ جهلٍ وصبًا؛ يقال: صبا فلانٌ إلى اللَّهْوِ يصْبُو صبًا؛ إذا مالَ إليه[٣]. قال دريدُ بن الصِّمَّةِ[٤]:

صَبَا ما صَبَا حتى علا الشيبُ رَأْسَه ... فلما علاهُ قال للباطل ابعدِ[٥]

---

(١) ولا يقال: حاش لك قياسًا عليه، وإنما يقال: حاشاك، وحاشى لك. وعدّها النحويون من الأدوات المترددة بين الحرفية والفعلية فإن جرت فهى حرف، وإن نصبت فهى فعل وهي من أدوات الاستثناء لسان العرب، مختار الصحاح (حوش) الدر المصون (٤/ ١٧٥).

(٢) أي: ترفع الاسم وتنصب الخبر. ينظر: الدر المصون (٤/ ١٧٩).

(٣) وورد في لسان العرب: صبا يصبو صَبْوةً وصُبُوًا. لسان العرب (صبو).

(٤) قتل يوم حنين مشركًا، في العام الثامن للهجرة، واختلف المؤرخون في مبلغ سنه. ينظر المعمرون (٢٧ - ٢٨)، تاريخ الطبري (٣/ ٧٠ - ٧٩).

(٥) البيت من بحر الطويل. ينظر: ديوانه (٦٩)، جمهرة اللغة (١/ ٢٤٥)، المثل السائر لابن الأثير (٢/ ٢٠٧).

﴿ثم بدا لهم من بعد ما رأوا الآيات﴾ قال مجاهد: يعني: قدّ القميص من دُبُرٍ.

﴿ليسجننه حتى حين﴾ قال الكلبي: بَلغنا أنها قالتْ لزَوْجها: صدقته وكذّبْتني، وفضحتني في المدينة، فأنا غير ساعية في رضاك إن لم تسجُنْ يوسف، وتُسمع به وتعْذرني؛ فأمر بيوسف يحمل على حمار، ثم ضُرِب بالطبل: هذا يوسفُ العبراني، أراد سيدته على نفسها فطوف به أسواق مصر كلها، ثم أُدخل السجن.

﴿وَدَخَلَ مَعَهُ ٱلسِّجْنَ فَتَيَانِۖ قَالَ أَحَدُهُمَآ إِنِّيٓ أَرَىٰنِيٓ أَعْصِرُ خَمْرًاۖ وَقَالَ ٱلْـَٔاخَرُ إِنِّيٓ أَرَىٰنِيٓ أَحْمِلُ فَوْقَ رَأْسِي خُبْزًا تَأْكُلُ ٱلطَّيْرُ مِنْهُۖ نَبِّئْنَا بِتَأْوِيلِهِۦٓۖ إِنَّا نَرَىٰكَ مِنَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٣٦﴾ قَالَ لَا يَأْتِيكُمَا طَعَامٌ تُرْزَقَانِهِۦٓ إِلَّا نَبَّأْتُكُمَا بِتَأْوِيلِهِۦ قَبْلَ أَن يَأْتِيَكُمَاۚ ذَٰلِكُمَا مِمَّا عَلَّمَنِي رَبِّيٓۚ إِنِّي تَرَكْتُ مِلَّةَ قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَهُم بِٱلْـَٔاخِرَةِ هُمْ كَٰفِرُونَ ﴿٣٧﴾ وَٱتَّبَعْتُ مِلَّةَ ءَابَآءِيٓ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَۚ مَا كَانَ لَنَآ أَن نُّشْرِكَ بِٱللَّهِ مِن شَيْءٍۚ ذَٰلِكَ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ عَلَيْنَا وَعَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٣٨﴾ يَٰصَٰحِبَيِ ٱلسِّجْنِ ءَأَرْبَابٌ مُّتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ ٱللَّهُ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّارُ ﴿٣٩﴾ مَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِهِۦٓ إِلَّآ أَسْمَآءً سَمَّيْتُمُوهَآ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَٰنٍۚ إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِۚ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٤٠﴾ يَٰصَٰحِبَيِ ٱلسِّجْنِ أَمَّآ أَحَدُكُمَا فَيَسْقِي رَبَّهُۥ خَمْرًاۖ وَأَمَّا ٱلْـَٔاخَرُ فَيُصْلَبُ فَتَأْكُلُ ٱلطَّيْرُ مِن رَّأْسِهِۦۚ قُضِيَ ٱلْأَمْرُ ٱلَّذِي فِيهِ تَسْتَفْتِيَانِ ﴿٤١﴾ وَقَالَ لِلَّذِي ظَنَّ أَنَّهُۥ نَاجٍ مِّنْهُمَا ٱذْكُرْنِي عِندَ رَبِّكَ فَأَنسَىٰهُ ٱلشَّيْطَٰنُ ذِكْرَ رَبِّهِۦ فَلَبِثَ فِي ٱلسِّجْنِ بِضْعَ سِنِينَ ﴿٤٢﴾﴾

﴿ودخل معه السجن فتيان قال أحدهما إني أراني أعصر خمرًا﴾ وهي في قراءة ابن مسعود (أَعْصِرُ عنبًا)(١).

﴿وقال الآخر إني أراني أحمل فوق رأسي خبزًا﴾ وهي في قراءة ابن مسعود (ثريدًا) أي: قصْعةً من ثريد(٢).

﴿إنا نراك من المحسنين﴾ قال قتادة: كان إحسانه - فيما بلغنا - أنه كان يداوي جرْحاهم، ويعزي حزينهم، ورأوا منه إحسانًا فأحبوه على فعله، وكان الذي قال: إني أراني أعصر خمرًا ساقي الملك على شرابه، وكان الذي قال: إني أراني أحمل فوق رأس خبزًا خباز الملك على طعامه.

﴿قال لا يأتيكما طعامٌ ترزقانه إلا نبأتكما بتأويله﴾ أي: بمجيئه ﴿قبل أن يأتيكما﴾ أي: من قبل أن يأتيكما ﴿ذلكما مما علمني ربي﴾ أي: بما يطلعني اللَّه عليه ﴿ذلك من فضل اللَّه علينا﴾ يعني: النبوة التي أعطاهم ﴿وعلى الناس﴾ أي: وفضله على الناس؛ يعني: الإسلام ﴿ولكن أكثر الناس لا يشكرون﴾ لا يؤمنون ﴿يا صاحبي السجن﴾ يعني: الفتيَيْن اللذيْن سُجِنوا معه ﴿أأربابٌ متفرقون﴾ يعني: الأوثان التي تعبدون من دون اللَّه من صغيرٍ وكبير ووسَطٍ ﴿خيرٌ أم اللَّه﴾ أي: أنَّ اللَّه خيرٌ منهم ﴿ما أنزل اللَّه بها من سلطانٍ﴾ من حُجَّة ﴿يا صاحبي السجن أما أحدكما فيسقي ربه خمرًا وأما الآخر (ل١٥٥) فيُصْلَب فتأكل الطيرُ من رأسه﴾ قال لساقي الملك: أما أنت فترد على عملك. وقال للخبار: وأما أنت فتُصْلب فتأكل الطيرُ من رأسك.

قال الكلبي: لما عبَّر لهما الرؤيا قال الخباز: يا يوسف، لم أر شيئًا! قال:

---

(١) وهي قراءة أبي بن كعب أيضًا. ينظر: البحر (٥/ ٣٠٨)، المحتسب (١/ ٣٤٣).
(٢) ينظر: البحر (٥/ ٣٠٨).

﴿قضي الأمر الذي فيه تستفتيان﴾ أي: كالذي (قلته)[١] كذلك (يُقضى)[٢] لكما.

﴿وقال للذي ظنَّ أنه ناجٍ منهما اذكُرني عند ربك﴾ أي: اذكر أمري عند سيدك - يعني: الملك ﴿فأنساه الشيطان ذكر ربه﴾ يعني: يوسف حين رغب إلى الساقي أن يذكُرَه عند الملك، وذلك بعْد ما لبث في السجن خمْس سنين يتضرَّع إلى الله ويدعوه ﴿فلبث في السجن بضْعَ سنين﴾ قال قتادة: لبث في السجن بعد قوله: ﴿اذكرني عند ربك﴾ سبع سنين عُقُوبةً لقوْلِهِ ذلك[٣].

﴿وَقَالَ ٱلْمَلِكُ إِنِّىٓ أَرَىٰ سَبْعَ بَقَرَٰتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعَ سُنۢبُلَٰتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَٰتٍ ۖ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَأُ أَفْتُونِى فِى رُءْيَٰىَ إِن كُنتُمْ لِلرُّءْيَا تَعْبُرُونَ ﴿٤٣﴾ قَالُوٓاْ أَضْغَٰثُ أَحْلَٰمٍ ۖ وَمَا نَحْنُ بِتَأْوِيلِ ٱلْأَحْلَٰمِ بِعَٰلِمِينَ ﴿٤٤﴾ وَقَالَ ٱلَّذِى نَجَا مِنْهُمَا وَٱدَّكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ أَنَا۠ أُنَبِّئُكُم بِتَأْوِيلِهِۦ فَأَرْسِلُونِ ﴿٤٥﴾ يُوسُفُ أَيُّهَا ٱلصِّدِّيقُ أَفْتِنَا فِى سَبْعِ بَقَرَٰتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعِ سُنۢبُلَٰتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَٰتٍ لَّعَلِّىٓ أَرْجِعُ إِلَى ٱلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٤٦﴾ قَالَ تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَأَبًا فَمَا حَصَدتُّمْ فَذَرُوهُ فِى سُنۢبُلِهِۦٓ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّا تَأْكُلُونَ ﴿٤٧﴾ ثُمَّ يَأْتِى مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ سَبْعٌ شِدَادٌ يَأْكُلْنَ مَا قَدَّمْتُمْ لَهُنَّ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّا تُحْصِنُونَ ﴿٤٨﴾ ثُمَّ يَأْتِى

---

(١) في الأصل قلتها.
(٢) في الأصل نقص.
(٣) هذا قول في تفسير الآية، والقول الثاني أن الضمير في قوله: ﴿فأنساه الشيطان ذكر ربه﴾ عائد على الناجي، قاله مجاهد ومحمد بن إسحاق وغير واحد، قال ابن كثير في تفسيره (٢/ ٤٧٩): هذا هو الصواب. اهـ.
ونصر هذا القول وأيده بالبراهين الساطعة شيخ الإسلام ابن تيمية في مجموع الفتاوى (١٥/ ١١٢ - ١١٨) فراجعه فإنه نفيس.

مِنۢ بَعۡدِ ذَٰلِكَ عَامٌ فِيهِ يُغَاثُ ٱلنَّاسُ وَفِيهِ يَعۡصِرُونَ ﴿٤٩﴾﴾

﴿وقال الملك إني أرى سبع بقرات سمانٍ يأكلهن سبع عجاف﴾ يعني: سبع بقرات عجاف ﴿وسبع سنبلاتٍ خضرٍ﴾ أي: ورأيت سبع سنبلات خضر ﴿وأخرى يابسات﴾ أي: وسبعًا يابسات ﴿قالوا أضغاث أحلام﴾ أي: أخلاط أحلام.

قال محمدٌ: الأضغاثُ واحدها: ضِغْثٌ؛ وهي الحزمة من النبات يجمعها الرجل فيكون فيها ضروبٌ مختلفة(١)؛ المعنى: رؤياك أخلاطٌ ليست برؤيا بيّنة، وليس للرؤيا المختلطة عندنا تأويل.

﴿وقال الذي نجا منهما﴾ أي: من السجن ﴿وادَّكَر بعد أُمة﴾ يقول: ذكر يوسف بعد حين، وكان ابن عباس يقرؤها: (وادَّكر بعد أَمَهٍ)(٢) قال قتادة: يعني: بعد نسيان: ﴿أنا أنبئكم بتأويله فأرسلون﴾ وفيه إضمار، فأرسله الملك فأتى يوسف في السجن فقال: ﴿يوسف أيها الصديق﴾ يعني: الصادق ﴿أفتنا في سبع بقراتٍ﴾ أي: أخبرنا عن سبع بقرات سمان، الآية؛ فأجابه يوسف فقال: أما السبعُ البقرات السمانُ، والسبعُ السنبلات الخضر فهي سبع سنين تُخْصِب، وأما السبعُ البقراتُ العجاف والسنابل اليابسات فهي سبع سنين مجدبةٌ ﴿قال تزرعون سبع سنين دأبًا فما حصدتم فذروه في سنبله﴾ أراد: أنّه إذا كان في السُّنْبُل كان أبقى له.

قال محمدٌ: الدأبُ: الملازمة للشيءِ والعادة؛ يقال منه: دأبتُ أدأبُ دأبًا(٣).

---

(١) لسان العرب (ضغث).

(٢) وكذلك الحسن والضحاك، وقتادة وأبو رجاء وغيرهم. ينظر: البحر (٥/ ٣١٤) المحتسب (١/ ٣٤٤)، إتحاف الفضلاء (٣٦٥).

(٣) دأبت أَدْأَبُ دَأْبًا ودُءوبًا. لسان العرب (دأب).

﴿ثم يأتي من بعد ذلك سبعٌ شدادٌ﴾ يعني: سبع سنين مُجْدبةٍ ﴿يأكلن ما قدمتم لهن﴾ في السنين المخصبات ﴿إلا قليلًا مما تحصنون﴾ أي: تدخرون.

﴿ثم يأتي من بعد ذلك عامٌ فيه يغاث الناس وفيه يعصرون﴾ قال قتادة: يعني: يعصرون العنب والزيتون.

قال محمدٌ: قوله: ﴿فيه يغاث الناس﴾ من جعله من الغَيْثِ فهوَ من قولك: غاث اللَّه البلاد يَغِيثها[1]، ومن جعله من التلاقي والتدارك فهو من أغثت فلانًا أغيثه إغاثةً[2].

وقيل أن (يعصرون) معناه: ينجون، العُصْرةُ في اللغة: النجاة[3]. قال: فلما أُخْبِرَ الملك أن يوسف هو الذي عبَّر الرؤيا قال ائتوني به.

﴿وَقَالَ ٱلْمَلِكُ ٱئْتُونِى بِهِۦ ۖ فَلَمَّا جَآءَهُ ٱلرَّسُولُ قَالَ ٱرْجِعْ إِلَىٰ رَبِّكَ فَسْـَٔلْهُ مَا بَالُ ٱلنِّسْوَةِ ٱلَّٰتِى قَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ ۚ إِنَّ رَبِّى بِكَيْدِهِنَّ عَلِيمٌ ﴿٥٠﴾ قَالَ مَا خَطْبُكُنَّ إِذْ رَٰوَدتُّنَّ يُوسُفَ عَن نَّفْسِهِۦ ۚ قُلْنَ حَٰشَ لِلَّهِ مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ مِن سُوٓءٍ ۚ قَالَتِ ٱمْرَأَتُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْـَٰٔنَ حَصْحَصَ ٱلْحَقُّ أَنَا۠ رَٰوَدتُّهُۥ عَن نَّفْسِهِۦ وَإِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٥١﴾ ذَٰلِكَ لِيَعْلَمَ أَنِّى لَمْ أَخُنْهُ بِٱلْغَيْبِ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى كَيْدَ ٱلْخَآئِنِينَ ﴿٥٢﴾ وَمَآ أُبَرِّئُ نَفْسِىٓ ۚ إِنَّ ٱلنَّفْسَ لَأَمَّارَةٌۢ بِٱلسُّوٓءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّىٓ ۚ إِنَّ رَبِّى غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٥٣﴾﴾

﴿فلما جاءه الرسول﴾ قال له يوسف: ﴿ارجع إلى ربك﴾ أي: سيدك؛ هذا كان كلامهم يومئذٍ ﴿فاسأله ما بال النسوة الَّلاتي قطَّعن أيديهن ...﴾ الآية، قال قتادة: أراد ألا يخرجَ حتى يكون له عذرٌ. فأرسل إليهن الملك

---

(١) والاسم منه: الغَيْث. لسان العرب (غيث).

(٢) والاسم منه: الغَوْثُ والغِيَاث. لسان العرب (غوث).

(٣) لسان العرب (عصر).

فدعاهُنَّ ﴿قال ما خطبكن﴾ ما حُجَّتُكُنَّ؟ ﴿ إذ راودتن يوسف عن نفسه قلن حَاشَ للَّه ما علمنا عليه من سوء﴾ قال السُّدي: أي: من زنا ﴿قالت امرأةُ العزيز الآن حصحص الحق﴾ تبيَّن ذلك ﴿ليعلم أني لمْ أخُنْه بالغيب﴾ لما بلغ يوسف ذلك قال: ﴿ذلك ليعلم﴾ العزيز ﴿أني لم أخُنْهُ بالغيب﴾ وكان الملك فوق العزيز ﴿وأنَّ اللَّهَ لا يهدي كيد الخائنين﴾ قال السدي: يعني: لا يصلح عمل الزناة، فلما قال هذا يوسف، قال له جبريل - فيما ذكر من (همهم)[1] يا يوسف، فما فعلت السراويل؟ فقال يوسف: ﴿وما (ل١٥٦) أبرئ نفسي. . .﴾ الآية[2].

---

(١) كذا في الأصل ولعل المراد (همّه).

(٢) هذا على أن قائل ﴿ذلك ليعلم أني لم أخنه بالغيب. . .﴾ هو يوسف عليه السلام، وفي الآية قول آخر، أن ذلك من قول امرأة العزيز، قال الإمام ابن كثير في تفسيره (٢/ ٤٨١ - ٤٨٢): ﴿قالت امرأة العزيز الآن حصحص الحق﴾ قال ابن عباس ومجاهد وغير واحد: تقول: الآن تبين الحق وظهر وبرز ﴿أنا راودته عن نفسه وإنه لمن الصادقين﴾ أي: في قوله: ﴿هي راودتني عن نفسي﴾ ﴿ذلك ليعلم أني لم أخنه بالغيب﴾ تقول: إنما اعترفتُ بهذا على نفسي؛ ليعلم زوجي أني لم أخنه بالغيب في نفس الأمر ولا وقع المحذور الأكبر، وإنما راودت هذا الشاب مراودة فامتنع؛ فلهذا اعترفتُ ليعلم زوجي أني بريئة ﴿وأن اللَّه لا يهدي كيد الخائنين وما أبرئ نفسي﴾ تقول المرأة: ولست أبرئ نفسي، فإن النفس تتحدث وتتمنى، ولهذا راودته؛ لأن ﴿النفس لأمارة بالسوء إلا ما رحم ربي﴾ أي: إلا من عصمه اللَّه - تعالى - ﴿إن ربي غفور رحيم﴾ وهذا القول هو الأشهر والأليق والأنسب بسياق القصة ومعاني الكلام، وقد حكاه الماوردي في تفسيره، وانتدب لنصره الإمام أبو العباس بن تيمية رحمه الله فأفرده بتصنيف على حدة، وقد قيل: إن ذلك من كلام يوسف عليه السلام يقول ﴿ذلك ليعلم أني لم أخنه﴾ في زوجته ﴿بالغيب. . .﴾ الآيتين - أي: إنما رددت الرسول ليعلم الملك براءتي وليعلم العزيز ﴿أني لم أخنه﴾ في زوجته ﴿بالغيب وأن اللَّه لا يهدي كيد الخائنين. . .﴾ الآية، وهذا القول هو الذي لم يحك ابن جرير ولا ابن أبي حاتم سواه. اهـ. ثم ساقه من تفسير الطبري بإسناده عن ابن عباس، وقال: وهكذا قال مجاهد وسعيد بن جبير وعكرمة وابن أبي هذيل والضحاك والحسن وقتادة والسدي، والقول الأول أقوى وأظهر؛ لأن سياق الكلام كله من كلام امرأة العزيز بحضرة الملك؛ ولم يكن يوسف عليه السلام عندهم، بل بعد ذلك أحضره الملك اهـ.

﴿وَقَالَ ٱلْمَلِكُ ٱئْتُونِي بِهِۦٓ أَسْتَخْلِصْهُ لِنَفْسِى ۖ فَلَمَّا كَلَّمَهُۥ قَالَ إِنَّكَ ٱلْيَوْمَ لَدَيْنَا مَكِينٌ أَمِينٌ ﴿٥٤﴾ قَالَ ٱجْعَلْنِى عَلَىٰ خَزَآئِنِ ٱلْأَرْضِ ۖ إِنِّى حَفِيظٌ عَلِيمٌ ﴿٥٥﴾ وَكَذَٰلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِى ٱلْأَرْضِ يَتَبَوَّأُ مِنْهَا حَيْثُ يَشَآءُ ۚ نُصِيبُ بِرَحْمَتِنَا مَن نَّشَآءُ ۖ وَلَا نُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٥٦﴾ وَلَأَجْرُ ٱلْـَٔاخِرَةِ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ ﴿٥٧﴾﴾

﴿إنك اليوم لدينا﴾ عندنا ﴿مكينٌ﴾ في المنزلة ﴿أمينٌ﴾ من الأمانة، فولاه الملكُ، وعزل العزيزَ ﴿قال﴾ يوسف: ﴿اجعلني على خزائن الأرض﴾ يعني: أقوات أرض مصر ﴿إني حفيظٌ﴾ لِمَا وليت ﴿عليمٌ﴾ بما يصلحهم من ميرتهم ﴿وكذلك مكنا ليوسف في الأرض﴾ يعني: أرض مِصْرَ ﴿يتبوأ منها حيث يشاء﴾ أي: ينزل. قال السدي: باع منهم قوتهم عامًا بكل ذَهبٍ عندهم، ثم باعهم عامًا بكل فِضَّةٍ عندهم، ثم باعهم عامًا بكل نحاسٍ عندهم، ثم باعهم عامًا بكل رصاصٍ عندهم، ثم باعهم عامًا بكل حديدٍ عندهم، ثم باعهم عامًا برقاب أنفسهم؛ فصارت رقابهم وأموالهم كلها له ﴿ولأجر الآخرة خير للذين آمنوا وكانوا يتقون﴾ يقول: ما يُعْطي الله في الآخرة أولياءه خيرٌ من الدنيا.

﴿وَجَآءَ إِخْوَةُ يُوسُفَ فَدَخَلُوا۟ عَلَيْهِ فَعَرَفَهُمْ وَهُمْ لَهُۥ مُنكِرُونَ ﴿٥٨﴾ وَلَمَّا جَهَّزَهُم بِجَهَازِهِمْ قَالَ ٱئْتُونِى بِأَخٍ لَّكُم مِّنْ أَبِيكُمْ ۚ أَلَا تَرَوْنَ أَنِّىٓ أُوفِى ٱلْكَيْلَ وَأَنَا۠ خَيْرُ ٱلْمُنزِلِينَ ﴿٥٩﴾ فَإِن لَّمْ تَأْتُونِى بِهِۦ فَلَا كَيْلَ لَكُمْ عِندِى وَلَا تَقْرَبُونِ ﴿٦٠﴾ قَالُوا۟ سَنُرَٰوِدُ عَنْهُ أَبَاهُ وَإِنَّا لَفَٰعِلُونَ ﴿٦١﴾ وَقَالَ لِفِتْيَٰنِهِ ٱجْعَلُوا۟ بِضَٰعَتَهُمْ فِى رِحَالِهِمْ لَعَلَّهُمْ يَعْرِفُونَهَآ إِذَا ٱنقَلَبُوٓا۟ إِلَىٰٓ أَهْلِهِمْ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٦٢﴾ فَلَمَّا رَجَعُوٓا۟ إِلَىٰٓ أَبِيهِمْ قَالُوا۟ يَٰٓأَبَانَا مُنِعَ مِنَّا ٱلْكَيْلُ فَأَرْسِلْ مَعَنَآ أَخَانَا نَكْتَلْ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴿٦٣﴾ قَالَ هَلْ ءَامَنُكُمْ عَلَيْهِ إِلَّا كَمَآ أَمِنتُكُمْ عَلَىٰٓ أَخِيهِ مِن

قَبْلُ فَٱللَّهُ خَيْرٌ حَٰفِظًا وَهُوَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿٦٤﴾ وَلَمَّا فَتَحُوا۟ مَتَٰعَهُمْ وَجَدُوا۟ بِضَٰعَتَهُمْ رُدَّتْ إِلَيْهِمْ قَالُوا۟ يَٰٓأَبَانَا مَا نَبْغِى هَٰذِهِۦ بِضَٰعَتُنَا رُدَّتْ إِلَيْنَا وَنَمِيرُ أَهْلَنَا وَنَحْفَظُ أَخَانَا وَنَزْدَادُ كَيْلَ بَعِيرٍ ذَٰلِكَ كَيْلٌ يَسِيرٌ ﴿٦٥﴾﴾

﴿وجاء إخوة يوسف فدخلوا عليه فعرفهم وهُمْ له منكرون﴾ فأنزلهم وأكرمهم ﴿فلما جهزهم بجهازهم﴾ من الميرة[1] ﴿قال ائتوني بأخٍ لكم من أبيكم﴾ قال قتادة: هو بنيَامِين أخو يوسف من أبيه وأمه ﴿وقال لفتيانه﴾ يعني: غلمانه ﴿اجعلوا بضاعتهم في رحالهم﴾ أي: دراهمهم في متاعهم ﴿لعلهم يرجعون﴾ يقول: إذا رُدَّتْ إليهم بضاعتهم، كان أحرى أن يرجعوا إليَّ ﴿قالوا يا أبانا مُنِعَ منا الكيلُ﴾ فيما نستقبل؛ إن لمْ نأته بأخينا ﴿ونمير أهلنا﴾ إذا أرسلته معنا ﴿ونزدادُ كيلَ بعير﴾ وكان يوسفُ وعدَهُمْ - في تفسير الحسن - إنْ هم جاءوا بأخيهمْ أن يزيدهم حمل بعير بغير ثمن، والبعير - في تفسير مجاهد -: الحمار؛ قال: وهي لغةٌ لبعض العرب ﴿ذلك كيلٌ يسيرٌ﴾ قال السُّدي: يعني: سريعًا لا حبس فيه.

قال الحسن: وقد كان القوم يأتونه للمير، فيحبسون الزمان حتى يُكال لهم.

﴿قَالَ لَنْ أُرْسِلَهُۥ مَعَكُمْ حَتَّىٰ تُؤْتُونِ مَوْثِقًا مِّنَ ٱللَّهِ لَتَأْتُنَّنِى بِهِۦٓ إِلَّآ أَن يُحَاطَ بِكُمْ فَلَمَّآ ءَاتَوْهُ مَوْثِقَهُمْ قَالَ ٱللَّهُ عَلَىٰ مَا نَقُولُ وَكِيلٌ ﴿٦٦﴾ وَقَالَ يَٰبَنِىَّ لَا تَدْخُلُوا۟ مِنۢ بَابٍ وَٰحِدٍ وَٱدْخُلُوا۟ مِنْ أَبْوَٰبٍ مُّتَفَرِّقَةٍ وَمَآ أُغْنِى عَنكُم مِّنَ ٱللَّهِ مِن شَىْءٍ إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَعَلَيْهِ

(١) هو الطعام الذي امتاروه. لسان العرب (مير).

فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُتَوَكِّلُونَ ﴿٦٧﴾ وَلَمَّا دَخَلُوا۟ مِنْ حَيْثُ أَمَرَهُمْ أَبُوهُم مَّا كَانَ يُغْنِى عَنْهُم مِّنَ ٱللَّهِ مِن شَىْءٍ إِلَّا حَاجَةً فِى نَفْسِ يَعْقُوبَ قَضَىٰهَا ۚ وَإِنَّهُۥ لَذُو عِلْمٍ لِّمَا عَلَّمْنَٰهُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٦٨﴾﴾

﴿إلا أن يحاط بكم﴾ أي: تُغْلبُوا عليه .

﴿فلما آتوه موثقهم﴾ عهدَهُمْ ﴿قال اللَّه على ما نقول وكيل﴾ أي: حفيظٌ لهذا العهد.

﴿وقال يا بني لا تدخلوا من بابٍ واحدٍ﴾ قال قتادة: خشي على بنيه العيْن، وكانوا ذَوِي صورةٍ وجمال .

﴿ما كان يغني عنهم من اللَّه من شيءٍ إلا حاجةً في نفس يعقوب قضاها﴾ يعني قوله: ﴿لا تدخلوا من بابٍ واحدٍ وادخلوا من أبوابٍ متفرقةٍ﴾ .

قال محمدٌ: (إلا حاجة) يعني: لكن حاجة[1]؛ يقول: لو قُدر أن تصيبهم العيْن لأصابتهم وهم مفترقون؛ كما تصيبهم مجتمعين، لكن حاجة في نفس يعقوب قضاها.

﴿وإنه لذو علمٍ لما علمناه﴾ قال الحسن: يعني: لما آتيناه من النبوة .

﴿وَلَمَّا دَخَلُوا۟ عَلَىٰ يُوسُفَ ءَاوَىٰٓ إِلَيْهِ أَخَاهُ ۖ قَالَ إِنِّىٓ أَنَا۠ أَخُوكَ فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٦٩﴾ فَلَمَّا جَهَّزَهُم بِجَهَازِهِمْ جَعَلَ ٱلسِّقَايَةَ فِى رَحْلِ أَخِيهِ ثُمَّ أَذَّنَ مُؤَذِّنٌ أَيَّتُهَا ٱلْعِيرُ إِنَّكُمْ لَسَٰرِقُونَ ﴿٧٠﴾ قَالُوا۟ وَأَقْبَلُوا۟ عَلَيْهِم مَّاذَا تَفْقِدُونَ ﴿٧١﴾ قَالُوا۟ نَفْقِدُ صُوَاعَ ٱلْمَلِكِ وَلِمَن جَآءَ بِهِۦ حِمْلُ بَعِيرٍ وَأَنَا۠ بِهِۦ زَعِيمٌ ﴿٧٢﴾ قَالُوا۟ تَٱللَّهِ لَقَدْ

(١) انظر توجيه النصب لكلمة (حاجة) من الدر المصون (٤/ ١٩٧)، البحر المحيط (٥/ ٣٢٥ - ٣٢٦).

عَلِمْتُم مَّا جِئْنَا لِنُفْسِدَ فِي الْأَرْضِ وَمَا كُنَّا سَارِقِينَ ﴿٧٣﴾ قَالُوا فَمَا جَزَاؤُهُ إِن كُنتُمْ كَاذِبِينَ ﴿٧٤﴾ قَالُوا جَزَاؤُهُ مَن وُجِدَ فِي رَحْلِهِ فَهُوَ جَزَاؤُهُ كَذَٰلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ ﴿٧٥﴾ فَبَدَأَ بِأَوْعِيَتِهِمْ قَبْلَ وِعَاءِ أَخِيهِ ثُمَّ اسْتَخْرَجَهَا مِن وِعَاءِ أَخِيهِ كَذَٰلِكَ كِدْنَا لِيُوسُفَ مَا كَانَ لِيَأْخُذَ أَخَاهُ فِي دِينِ الْمَلِكِ إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَّن نَّشَاءُ وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ ﴿٧٦﴾ قَالُوا إِن يَسْرِقْ فَقَدْ سَرَقَ أَخٌ لَّهُ مِن قَبْلُ فَأَسَرَّهَا يُوسُفُ فِي نَفْسِهِ وَلَمْ يُبْدِهَا لَهُمْ قَالَ أَنتُمْ شَرٌّ مَّكَانًا وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَصِفُونَ ﴿٧٧﴾﴾

﴿آوى إليه أخاه﴾ أي: ضمَّهُ ﴿فلا تبتئس بما كانوا يعملون﴾ قال الحسن: يقول: لا تغتم بما كان من أمرك ﴿فلما جهزهم بجهازهم﴾ يعني: الميرة، ووفى لهم الكيل ﴿جعل السقاية في رحل أخيه﴾ والسقاية: إناءُ الملك الذي كان يُسْقَى فيه؛ وهو الصُّواع، وخرج إخوة يوسف وأخوهم معهم وساروا ﴿[ثم أذَّن][1] مؤذنٌ﴾ نادى مُنادٍ.

﴿أيتها العير﴾ يعني: أهل العير ﴿إنكم لسارقون﴾ .

﴿ولمن جاء به حمل بعير﴾ من الطعام ﴿وأنا به زعيمٌ﴾ كفيل .

﴿قالوا جزاؤه من وجد في رَحْله فهو جزاؤه﴾ أي: يؤخذ به عَبْدًا، وكذلك كان الحكم به عندهم؛ أن يؤخذ بسرقته عبدًا يُسْتَخْدَم على قدر سرقته، وكان قضاء أهل مصر أن يغرم السارق ضعفي ما أخذ، ثم يُرْسَل؛ فقضوا على أنفسهم بقضاء أرضهم مما صنع اللّه ليوسف؛ فذاك قوله: ﴿كذلك كدنا ليوسف﴾ أيْ: صنعنا له ﴿ما كان ليأخذ أخاه في دين الملك﴾ أي: على قضاء

---

(١) في الأصل: فأذن.

ملك مصر [. . .][١] القضاء إليه ﴿إلا أن يشاء اللَّه﴾.

قال محمد: قيل: يعني: إلا بعلَّة كادها اللَّه له (ل١٥٧) اعتلَّ بها يوسف.

﴿وفوق كل ذي علمٍ عليم﴾ قال الحسن: أجل واللَّه لفوْق كل ذي علم عليمٌ؛ حتى ينتهي العلمُ إلى الذي جاء به وهو اللَّه، وكل شيء فعله يوسف من أمر أخيه إنما هو شيءٌ قبله عن اللَّه.

﴿قالوا إن يسرقْ فقد سرق أخٌ له من قبل﴾ يعنون: يوسف، وكان جده أبو أمه يعبد الأوثان؛ فقالت له أمه: يا يوسف، اذْهَبْ فخذ القُفَّة التي فيها أوثان أبي ففعل وجاء بها إلى أمه، فتلك سرقته التي أرادوا ﴿فأسرها يوسف في نفسه ولمْ يبدها لهم قال أنتم شرٌّ مكانًا﴾ ممَّن قلتم له هذا، قال قتادة: هذه الكلمة ﴿أنتم شرٌّ مكانًا﴾ هي التي أسرَّ في نفسه ولمْ يبدها لهم وهذا من مقاديم الكلام ﴿واللَّه أعلم بما تصفون﴾ أي: إنه كذبٌ.

﴿قَالُوا۟ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلْعَزِيزُ إِنَّ لَهُۥٓ أَبًا شَيْخًا كَبِيرًا فَخُذْ أَحَدَنَا مَكَانَهُۥٓ ۖ إِنَّا نَرَىٰكَ مِنَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٧٨﴾ قَالَ مَعَاذَ ٱللَّهِ أَن نَّأْخُذَ إِلَّا مَن وَجَدْنَا مَتَـٰعَنَا عِندَهُۥٓ إِنَّآ إِذًا لَّظَـٰلِمُونَ ﴿٧٩﴾ فَلَمَّا ٱسْتَيْـَٔسُوا۟ مِنْهُ خَلَصُوا۟ نَجِيًّا ۖ قَالَ كَبِيرُهُمْ أَلَمْ تَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ أَبَاكُمْ قَدْ أَخَذَ عَلَيْكُم مَّوْثِقًا مِّنَ ٱللَّهِ وَمِن قَبْلُ مَا فَرَّطتُمْ فِى يُوسُفَ ۖ فَلَنْ أَبْرَحَ ٱلْأَرْضَ حَتَّىٰ يَأْذَنَ لِىٓ أَبِىٓ أَوْ يَحْكُمَ ٱللَّهُ لِى ۖ وَهُوَ خَيْرُ ٱلْحَـٰكِمِينَ ﴿٨٠﴾ ٱرْجِعُوٓا۟ إِلَىٰٓ أَبِيكُمْ فَقُولُوا۟ يَـٰٓأَبَانَآ إِنَّ ٱبْنَكَ سَرَقَ وَمَا شَهِدْنَآ إِلَّا بِمَا عَلِمْنَا وَمَا كُنَّا لِلْغَيْبِ حَـٰفِظِينَ ﴿٨١﴾ وَسْـَٔلِ ٱلْقَرْيَةَ ٱلَّتِى كُنَّا فِيهَا وَٱلْعِيرَ ٱلَّتِىٓ أَقْبَلْنَا فِيهَا ۖ وَإِنَّا لَصَـٰدِقُونَ ﴿٨٢﴾ قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْرًا ۖ

---

(١) طمس في الأصل.

فَصَبۡرٞ جَمِيلٌۖ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَأۡتِيَنِي بِهِمۡ جَمِيعًاۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡعَلِيمُ ٱلۡحَكِيمُ ﴿٨٣﴾﴾

﴿قالوا يا أيها العزيز﴾ قال الكلبي: إن يوسُفَ كان العزيز بعد العزيز سيده الذي ملكه.

﴿فخُذْ أحدنا مكانه﴾ قال السُّدي: يعني احبسْ أحدنا مكانه.

﴿فلما استيئسوا منه﴾ يئسوا مَن أن يرد عليهم أخاهم ﴿خلصوا نجيًّا﴾ أي: جعلوا يتناجوْن ويتشاورون فيما بينهم في ذلك.

قال محمدٌ: نجيٌّ لفظٌ واحدٌ في معنى جميع[1]؛ المعنى: اعتزلوا متناجين.

﴿قال كبيرهُمْ﴾ وهو روبيل؛ في تفسير قتادة. وقال السُّدي: يعني: كبيرهم في الرَّأي والعِلْم، ولمْ يكن أكبرهم في السن .

﴿فلن أبرح الأرض﴾ يعني: أرض مصر ﴿حتى يأذن لي أبي﴾ في الرجوع إليه ﴿أو يحكم اللَّه لي﴾ بالموت .

﴿وما كنا للغيْب حافظين﴾ .

قال قتادة: يقول: ما كنا نرى أن يسرق ﴿واسأل القرية﴾ أي أهل القرية ﴿التي كنا فيها ﴾ يعني: أهل مصر ﴿والعير التي أقبلنا فيها﴾ أي: أهل العير .

﴿قال بل سولت لكم أنفسكم﴾ أي: زيَّنت ﴿أمرًا عسى اللَّه أن يأتيني بهم جميعًا﴾ يعني: يوسف وأخاه وروبيل .

---

(١) النجيُّ على فعيل، والجمع: الأنجية. قال الأخفش: وقد يكون النجي جماعة كالصَّديق. وقال الفراء: وقد يكون النجيُّ والنجوى اسمًا ومصدرًا. لسان العرب، مختار الصحاح (نجى).

﴿وَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ وَقَالَ يَٰأَسَفَىٰ عَلَىٰ يُوسُفَ وَٱبْيَضَّتْ عَيْنَاهُ مِنَ ٱلْحُزْنِ فَهُوَ كَظِيمٌ ﴿٨٤﴾ قَالُوا۟ تَٱللَّهِ تَفْتَؤُا۟ تَذْكُرُ يُوسُفَ حَتَّىٰ تَكُونَ حَرَضًا أَوْ تَكُونَ مِنَ ٱلْهَٰلِكِينَ ﴿٨٥﴾ قَالَ إِنَّمَآ أَشْكُوا۟ بَثِّى وَحُزْنِىٓ إِلَى ٱللَّهِ وَأَعْلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٨٦﴾ يَٰبَنِىَّ ٱذْهَبُوا۟ فَتَحَسَّسُوا۟ مِن يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلَا تَا۟يْـَٔسُوا۟ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ ۖ إِنَّهُۥ لَا يَا۟يْـَٔسُ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٨٧﴾﴾

﴿وتولى عنهم﴾ أعرض عنهم ﴿وقال يا أسفى على يوسف﴾ أي: يا حزنًا ﴿وابيضت عيناه﴾ أي: عمي من الحزن، وقد علم بما أعلمه الله بالوحي أن يوسف حيٌّ، وأنه نبي، ولكنَّهُ لم يعلم حيث هو ﴿وهو كظيم﴾ قال الكلبي: أي: كميد.

قال محمدٌ: (كظيم) هو مثل كاظم، والكاظم: المُمْسِكُ على حزنه لا يظهره ولا يشكوه(١).

﴿قالوا تالله﴾ قَسَمٌ ﴿تفتأ تذكر يوسف﴾ قال قتادة: يعني لا تزال تذكر يوسف ﴿حتى تكون حرضًا﴾ أي: تبلى ﴿أو تكون من الهالكين﴾ أي: تموتُ.

قال محمدٌ: يقال: أحرضه الحزن إذا أذقَعَه(٢).

﴿قال إنما أشكو بثِّي﴾ همي ﴿وحزني إلى الله وأعلم من الله ما لا

---

(١) كظيم: فعيل بمعنى فاعل. لسان العرب (كظم).
(٢) أي: أفسده، ويقال: رجل حَرَضٌ. قال أبو عبيدة: هو الذي أذابه الحزن، وهو في معنى (مُحْرَض). والحَرَض واحده وجمعه سواء؛ يقال: رجل حَرَضٌ، ورجال حَرَضٌ لسان العرب، مختار الصحاح (حرض).

تعملون﴾ قال الحسن: يقول: أعلمُ أن يوسف حيٌّ ﴿يا بني اذهبوا فتحسَّسُوا من يوسف وأخيه﴾ قال السدي: يعني تبحثوا عن خبرهما ﴿ولا تَيْئَسُوا من روح اللَّه﴾ يعني: رحمة اللَّه.

﴿فَلَمَّا دَخَلُواْ عَلَيْهِ قَالُواْ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلْعَزِيزُ مَسَّنَا وَأَهْلَنَا ٱلضُّرُّ وَجِئْنَا بِبِضَـٰعَةٍ مُّزْجَىٰةٍ فَأَوْفِ لَنَا ٱلْكَيْلَ وَتَصَدَّقْ عَلَيْنَآ إِنَّ ٱللَّهَ يَجْزِى ٱلْمُتَصَدِّقِينَ (٨٨) قَالَ هَلْ عَلِمْتُم مَّا فَعَلْتُم بِيُوسُفَ وَأَخِيهِ إِذْ أَنتُمْ جَـٰهِلُونَ (٨٩) قَالُوٓاْ أَءِنَّكَ لَأَنتَ يُوسُفُ قَالَ أَنَا۠ يُوسُفُ وَهَـٰذَآ أَخِى قَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْنَآ إِنَّهُۥ مَن يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ (٩٠) قَالُواْ تَٱللَّهِ لَقَدْ ءَاثَرَكَ ٱللَّهُ عَلَيْنَا وَإِن كُنَّا لَخَـٰطِـِٔينَ (٩١) قَالَ لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ ٱلْيَوْمَ يَغْفِرُ ٱللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ (٩٢) ٱذْهَبُواْ بِقَمِيصِى هَـٰذَا فَأَلْقُوهُ عَلَىٰ وَجْهِ أَبِى يَأْتِ بَصِيرًا وَأْتُونِى بِأَهْلِكُمْ أَجْمَعِينَ (٩٣) وَلَمَّا فَصَلَتِ ٱلْعِيرُ قَالَ أَبُوهُمْ إِنِّى لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ لَوْلَآ أَن تُفَنِّدُونِ (٩٤) قَالُواْ تَٱللَّهِ إِنَّكَ لَفِى ضَلَـٰلِكَ ٱلْقَدِيمِ (٩٥)﴾

﴿فلما دخلوا عليه﴾ يعني: رجعوا إلى مِصْرَ، فدخلوا على يوسف وهم لا يعرفونه ﴿قالوا يا أيها العزيز مسَّنا وأهلنا الضُّرُّ﴾ يعني: الحاجة ﴿وجئنا ببضاعةٍ مزجاةٍ﴾ أي: قليلة ﴿فأوفِ لنا الكيل﴾ ببضاعتنا ﴿وتصدق علينا﴾ قال قتادة: يعني: تصدق علينا بأخينا.

قوله: ﴿إذ أنتم جاهلون﴾ أي: أنَّ ذلك كان منكم بجهالة، ولم يكونوا حين ألقوه في الجبِّ أنبياء ﴿قالوا أئنك لأنت يوسف﴾ على الاستفهام ﴿قال أنا يوسف﴾ .

﴿قال لا تثريب عليكم اليومَ﴾ قال محمدٌ: لا تَغْيِيرَ، وأصل

التثريب: الإفساد[١].

﴿فألقوه على وجه أبي يأتِ بصيرًا﴾ أي: يرجع.

قال: ولولا أن ذلك علمه من وحي اللَّه، لم يكن له به علم.

﴿ولما فصلت العير﴾ أي: خرجت الرفقة من مصر بالقميص وجد يعقوب ريح يوسف، قال: ﴿إني لأجد ريح يوسف﴾ قال قتادة: وجد ريحهُ حين خرجوا (ل١٥٨) بالقميص من مصر، وهو بأرض كنعان، وبينهما ثمانون فرسخًا ﴿لولا أن تفندون﴾ يقول: لولا أن تقولوا: قد هرم، واختلط عقله؛ فتسفهوني؛ أي: تجهلوني ﴿قالوا تاللَّه إنك لفي ضلالك القديم﴾ يَعْنُون: خسرانك من حبِّ يوسف.

﴿فَلَمَّآ أَن جَآءَ ٱلْبَشِيرُ أَلْقَىٰهُ عَلَىٰ وَجْهِهِۦ فَٱرْتَدَّ بَصِيرًاۖ قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّىٓ أَعْلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٩٦﴾ قَالُوا۟ يَٰٓأَبَانَا ٱسْتَغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَآ إِنَّا كُنَّا خَٰطِـِٔينَ ﴿٩٧﴾ قَالَ سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّىٓۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٩٨﴾ فَلَمَّا دَخَلُوا۟ عَلَىٰ يُوسُفَ ءَاوَىٰٓ إِلَيْهِ أَبَوَيْهِ وَقَالَ ٱدْخُلُوا۟ مِصْرَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ ﴿٩٩﴾ وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى ٱلْعَرْشِ وَخَرُّوا۟ لَهُۥ سُجَّدًاۖ وَقَالَ يَٰٓأَبَتِ هَٰذَا تَأْوِيلُ رُءْيَٰىَ مِن قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّى حَقًّاۖ وَقَدْ أَحْسَنَ بِىٓ إِذْ أَخْرَجَنِى مِنَ ٱلسِّجْنِ وَجَآءَ بِكُم مِّنَ ٱلْبَدْوِ مِنۢ بَعْدِ أَن نَّزَغَ ٱلشَّيْطَٰنُ بَيْنِى وَبَيْنَ إِخْوَتِىٓۚ إِنَّ رَبِّى لَطِيفٌ لِّمَا يَشَآءُۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١٠٠﴾ رَبِّ قَدْ ءَاتَيْتَنِى مِنَ ٱلْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِى مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِۚ فَاطِرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَنتَ وَلِىِّۦ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِۖ تَوَفَّنِى مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِى بِٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٠١﴾ ذَٰلِكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَۖ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ أَجْمَعُوٓا۟

---

(١) لسان العرب (ثرب).

أَمْرَهُمْ وَهُمْ يَمْكُرُونَ ﴿١٠٢﴾ وَمَآ أَكْثَرُ ٱلنَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ ﴿١٠٣﴾﴾

﴿قال ألمْ أقل لكم إني أعلم من اللَّه ما لا تعلمون﴾ قال الحسن: يعني: من فرج اللَّه ونعْمته، وكان اللَّه قد أخبره أنّه حيٌّ.

﴿قال سوف أستغفر لكم ربي﴾ أخَّر ذلك إلى السَّحَر.

﴿فلما دخلوا على يوسف آوى إليه أبَوَيْه﴾ قال الحسن: أبُوه وأمُّه التي ولدته.

قال محمدٌ: تقول: آويْتُ فلانًا؛ إذا ضممتَهُ إليك، وأويْت - بلا مَدٍّ - إلى فلانٍ إذا انضممت إليه[١].

﴿ورفع أبويه على العرش﴾ أي: على سريره؛ في تفسير قتادة ﴿وخروا له سُجَّدًا﴾ قال قتادة: وكان السُّجُود تحيّةَ من كان قبلكم، فأعطى اللَّه هذه الأمة السلام؛ وهو تحيَّةُ أهلِ الجنة.

﴿وجاء بكم من البدو﴾ وكانوا بأرض كنعان .

﴿توفني مسلمًا وألحقني بالصالحين﴾ يعني: أهل الجنة، قال قتادة: لمَّا جمع اللَّهُ شمْله وأقرَّ عينه[٢]، ذكر الآخرة فاشتاق إليها؛ فتمنَّى [الموت][٣] ولمْ يتمنَّه نبي قبله.

﴿ذلك من أنباء الغيب﴾ يعني: ما قصَّ على النبي من قِصَّتِهم من أوَّل السورة إلى هذا الموضع ﴿وما كنت لديهم﴾ عندهم ﴿إذ أجمعوا أمرهم وهم يمكرون﴾ بيوسف.

---

(١) يقال: آوي إيواءً، وأوَى يأْوِي أُوِيًّا وإوَاءً. وعن أبي زيد: أواه وأواه، فعل وأفعل بمعنى واحد. لسان العرب، مختار الصحاح (أوى).

(٢) في الأصل بعينه.

(٣) طمس بالأصل، والسياق يقتضيه.

﴿وَمَا تَسْـَٔلُهُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَالَمِينَ ﴿١٠٤﴾ وَكَأَيِّن مِّنْ ءَايَةٍ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْهَا وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ ﴿١٠٥﴾ وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِٱللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ ﴿١٠٦﴾ أَفَأَمِنُوٓاْ أَن تَأْتِيَهُمْ غَٰشِيَةٌ مِّنْ عَذَابِ ٱللَّهِ أَوْ تَأْتِيَهُمُ ٱلسَّاعَةُ بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿١٠٧﴾﴾

﴿وما تسألهم عليه من أجرٍ﴾ يعني: على القرآنِ من أجرٍ، فيحملهم على تركه الغُرْم ﴿إن هو إلا ذكرٌ للعالمين﴾ يذكرون به الجنة والنار.

﴿وكأين من آية﴾ أي: وكَمْ من علامَةٍ ودليل ﴿في السمٰوات والأرض﴾ أي: في خلق السمٰوات والأرض تدلُّهم على توحيد اللّه ﴿يمرون عليها وهم عنها معرضون﴾ أي: لا يتَّعظون بها.

﴿وما يؤمِنُ أكثرهم باللّهِ إلا وهم مشركون﴾ تفسير قتادة: قال: إيمانهم أنك لا تسأل أحدًا منهم إلّا أنباك أنّ اللّه ربُّه؛ وهو في ذلك مشركٌ في عبادته.

﴿أفأمنوا﴾ يعني: المشركين ﴿أن تأتيهم غاشيةٌ من عذاب اللّه﴾ يقول هذا على الاستفهام؛ أي: بأنهم ليسوا بآمنين ﴿أو تأتيهم الساعةُ بغتةً﴾ فَجْأَةً ﴿وهمْ لا يشعرون﴾ أي: غافلون؛ يعني: الذين تقوم عليهم الساعة بالعذاب.

﴿قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِيٓ أَدْعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِي وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٠٨﴾ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُّوحِيٓ إِلَيْهِم مِّنْ أَهْلِ ٱلْقُرَىٰٓ أَفَلَمْ يَسِيرُواْ فِي ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَدَارُ ٱلْأٓخِرَةِ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ ٱتَّقَوْاْ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٠٩﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا ٱسْتَيْـَٔسَ ٱلرُّسُلُ وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُواْ جَآءَهُمْ نَصْرُنَا فَنُجِّيَ مَن نَّشَآءُ وَلَا يُرَدُّ بَأْسُنَا عَنِ ٱلْقَوْمِ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿١١٠﴾ لَقَدْ كَانَ فِي

قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُوْلِي الْأَلْبَابِ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَى وَلَكِن تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿١١١﴾﴾

﴿قل هذه سبيلي﴾ أي: ملَّتي ﴿أدعو إلى اللَّه على بصيرةٍ﴾ على يقين ﴿وسبحان اللَّهِ﴾ أمره أن ينزِّه اللَّه عما قال المشركون.

﴿وما أرسلنا من قبلك إلا رجالًا نوحي إليهم من أهل القرى﴾ قال الحسن: لمْ يبعث اللَّه نبيًّا من أهل البادية، ولا من النساء، ولا من الجن.

﴿أفلم يسيروا في الأرض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم﴾ يقول: قد ساروا في الأرض، فرأوا آثار الذين أهلكهم اللَّه من الأمم السالفة حين كذَّبوا رسُلهم، كان عاقبتهم أن دمَّر اللَّه عليهم، ثم صيّرهم إلى النار؛ يُحَذرهم أن ينزل بهم ما نزل بالقرون من قبلهم ﴿ولدارُ الآخرة خيرٌ للذين اتقوا﴾ خير لهم.

﴿حتى إذا استيئس الرسل وظنوا أنهم قد كذبوا﴾ كان الحسنُ يقرؤها بالتثقيل (كُذِّبوا)[١] وتفسيرها: حتى إذا استيْئس الرسل؛ أي: يئس الرسل أن يُجيبهم قومهم لشيءٍ قدْ علموه من قبل اللَّه وظنوا؛ أي: علموا؛ يعني: الرسل أنهم قد كذبوا، التكذيب الذي لا يؤمن القوم بعده أبدًا، استفتحُوا على قومهم بالدعاء عليهم؛ فاستجاب لهم فأهلكهم.

وكان ابن عباسٍ يقرؤها (كَذَبوا) خفيفة[٢]، وتفسيرها: حتى إذا استيئس

---

(١) وهي قراءة ابن كثير، وابن عامر، ونافع، وأبي عمرو؛ من السبعة. ينظر السبعة (٣٥١)، النشر (٢/ ٢٩٦)، الحجة (١٩٩).

(٢) خفيفة بالبناء للمعلوم. وتروى أيضًا عن مجاهد، والضحاك، وحميد وقرأ (كُذِبوا) خفيفة بالبناء للمجهول وهي قراءة الكوفيين من السبعة. ينظر: البحر (٥/ ٣٥٥)، المحتسب (١/ ٣٥٠)الدر المصون (٤/ ٢١٨ - ٢١٩).

الرسل من قومهم أن يؤمنوا، وظن قومهم أن الرسل قد كَذَبوا ﴿جاءهم نصرنا﴾ عَذَابُنا.

﴿فنجي من نشاء﴾ يعني: النبي والمؤمنين ﴿ولا يُرَد بأسُنَا﴾ عذابنا ﴿عن القوم المجرمين﴾ المشركين.

﴿لقد كان في قصصهم﴾ يعني: يوسف وإخوته ﴿عبرة﴾ معتبر ﴿لأولي الألباب﴾ العقول وهم المؤمنون.

﴿ما كان حديثًا يفترى﴾ أي: يُخْتَلق ويصنع؛ هذا جواب لقول المشركين: (ل١٥٩) ﴿إن هذا إلا إفك افتراه﴾[١] أي: كذبٌ اختلقه محمد.

﴿ولكن تصديق الذي بين يديه﴾ من التوراة والإنجيل ﴿وتفصيل﴾ أي: تَبْيين ﴿كل شيءٍ﴾ من الحلال والحرام والأحكام.

قال محمدٌ: من قرأ ﴿تصديقَ﴾ بالنصب، فعلى معنى ما كان حديثًا يفترى، ولكن كان تصديق الذي بين يديه[٢].

﴿وهدًى ورحمةً﴾ يعني: القرآن ﴿لقومٍ يؤمنون﴾ يصدقون.

❊ ❊ ❊

---

(١) الفرقان: ٤ .

(٢) وهي قراءة الجمهور، وروي عن حمزة والكسائي القراءة بإشمام الصاد زايًا، مع النصب أيضًا. ينظر: إتحاف الفضلاء (٢٦٨)، البحر (٥/ ٣٥٦).
وتأويل النصب ينظر من البحر الميحط (٥/ ٣٥٦)، الدر المصون (٤/ ٢٢١).

تفسير سورة الرعد

وهي مكية كلها إلا آية واحدة وهي ﴿ولا يزال الذين كفروا...﴾إلى آخرها.

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿الٓمٓرۚ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِۗ وَٱلَّذِىٓ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ٱلْحَقُّ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١﴾ ٱللَّهُ ٱلَّذِى رَفَعَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَاۖ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِۖ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَۖ كُلٌّ يَجْرِى لِأَجَلٍ مُّسَمًّىۚ يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ يُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ لَعَلَّكُم بِلِقَآءِ رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ ﴿٢﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى مَدَّ ٱلْأَرْضَ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَٰسِىَ وَأَنْهَٰرًاۖ وَمِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ جَعَلَ فِيهَا زَوْجَيْنِ ٱثْنَيْنِۖ يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٣﴾﴾

قوله: ﴿الٓمٓرۚ﴾ قد مضى القول في حروف المعجم فيما تقدّم ﴿تلك آيات﴾هذه آيات ﴿الكتاب﴾ القرآن.

﴿اللَّه الذي رفع السمٰوات بغير عمد ترونها﴾ تفسير الحسن: فيها تقديم: رفع السمٰوات ترونها بغير عمدٍ. وتفسير ابن عباس: لها عمدٌ، ولكن لا ترونها ﴿وسخر الشمس والقمر كل يجري لأجلٍ مسمى﴾ يعني: القيامة.

وقال بعضهم: يجري مجرًى لا يعدُوه.

وقال محمد: ومعنى﴿سخَّر الشمس والقمر﴾ أي: ذللهما وقصرهما على ما أراد.

﴿يدبر الأمر﴾ يقضي القضاء في خلقه ﴿يفصل الآيات﴾ يبيِّنها ﴿لعلكم

بلقاء ربكم توقنون﴾ يعني: البعث؛إذا سمعتموها في القرآن.

﴿وهو الذي مدَّ الأرض﴾ أي: بسطها ﴿وجعل فيها رواسي﴾ يعني: الجبال ﴿وأنهارًا ومن كل الثمرات جعل فيها﴾ أي: خلق فيها ﴿زوجين اثنين﴾ أي: صنفَيْن.

قال محمدٌ: قيل: إنه يعني: نوعيْن: حلوًا وحامضًا، والزوج عند أهل اللغة: الواحد الذي له قرين.

﴿يغشي الليل النهار﴾ أي: يلبس الليل النهار فيذهبه﴿إنَّ في ذلك لآيات لقومٍ يتفكرون﴾ وهم المؤمنون .

﴿وَفِي ٱلْأَرْضِ قِطَعٌ مُّتَجَٰوِرَٰتٌ وَجَنَّٰتٌ مِّنْ أَعْنَٰبٍ وَزَرْعٌ وَنَخِيلٌ صِنْوَانٌ وَغَيْرُ صِنْوَانٍ يُسْقَىٰ بِمَآءٍ وَٰحِدٍ وَنُفَضِّلُ بَعْضَهَا عَلَىٰ بَعْضٍ فِى ٱلْأُكُلِ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَأَيَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٤﴾ وَإِن تَعْجَبْ فَعَجَبٌ قَوْلُهُمْ أَءِذَا كُنَّا تُرَٰبًا أَءِنَّا لَفِى خَلْقٍ جَدِيدٍ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِرَبِّهِمْ وَأُوْلَٰٓئِكَ ٱلْأَغْلَٰلُ فِىٓ أَعْنَاقِهِمْ وَأُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٥﴾﴾

﴿وفي الأرض قطعٌ متجاوراتٌ﴾ تفسير مجاهد: هي الأرضُ العذبة الطيبة تكون مجاورةً أرضًا سبخةً مالحة [(١)] ﴿وجناتٌ من أعنابٍ وزرْعٌ ونخيل صنوانٌ وغير صنوان﴾ الصِّنوانُ من النخيل: النخلتان أو الثلاث من النخلات يكون أصلها واحدًا [(٢)] ﴿تسقى بماء واحدٍ﴾ يعني: ماء السماء؛ في تفسير

(١) الأفصح (مِلْحة) قال صاحب مختار الصحاح: ولا يقال: (مالح) إلا في لغةٍ رديئةٍ. مختار الصحاح، لسان العرب (ملح).

(٢) والواحدة: صنو، والاثنان: صِنْوانِ، والجمع: صِنْوَانٌ. لسان العرب (صنو).

مجاهد ﴿ونفضل بعضها على بعضٍ في الأكل﴾ قال مجاهد: يقول: بعضها أطيب من بعض.

قال محمدٌ: الأُكُل: كل ما يؤكل، والأَكْل مصدرُ أكلتُ[١].

﴿إن في ذلك لآياتٍ لقومٍ يعقلون﴾ فيعلمون أن الذي صنع هذا قادرٌ على أن يحيي الموتى.

﴿وإن تعجب فعجبٌ قولهم...﴾ الآية، تفسير الحسن: إن تعْجبْ يا محمد من تكذيبهم إياك، فتكذيبهم بالبعث أعجب، وقولهم: ﴿أئذا كنا ترابًا أئنا لفي خلق جديد﴾ فقولهم ذلك عجبٌ .

﴿وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِٱلسَّيِّئَةِ قَبْلَ ٱلْحَسَنَةِ وَقَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِمُ ٱلْمَثُلَـٰتُ ۗ وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ لِّلنَّاسِ عَلَىٰ ظُلْمِهِمْ ۖ وَإِنَّ رَبَّكَ لَشَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٦﴾ وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ ءَايَةٌ مِّن رَّبِّهِۦٓ ۗ إِنَّمَآ أَنتَ مُنذِرٌ ۖ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ ﴿٧﴾﴾

﴿ويستعجلونك بالسيئة﴾ بالعذاب؛ وذلك منهم تكذيبٌ واستهزاءٌ ﴿قبل الحسنة﴾ يعني: قبل العافية ﴿وقد خلت من قبلهم المثُلات﴾ يعني: وقائع اللَّه في الأمم السالفة ﴿وإن ربك لذو مغفرةٍ للناس على ظلمهم﴾ إذا تابوا إليه ﴿وإنَّ ربك لشديد العقاب﴾ لمن أقام على شركه .

﴿ويقول الذين كفروا لولا﴾ هلَّا ﴿أنزل عليه آيةٌ من ربه﴾ قال اللَّه: ﴿إنما أنت منذر﴾ ولست من أن تأتيهم بآيةٍ في شيءٍ ﴿ولكل قوم هادٍ﴾ أي: داع يدعوهم إلى اللَّه؛ في تفسير قتادة .

﴿ٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنثَىٰ وَمَا تَغِيضُ ٱلْأَرْحَامُ وَمَا تَزْدَادُ ۖ وَكُلُّ شَىْءٍ عِندَهُۥ

---

(١) والمصدر أيضًا: مَأْكَلًا. لسان العرب (أكل).

بِمِقْدَارٍ ﴿٨﴾ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ٱلْكَبِيرُ ٱلْمُتَعَالِ ﴿٩﴾ سَوَآءٌ مِّنكُم مَّنْ أَسَرَّ ٱلْقَوْلَ وَمَن جَهَرَ بِهِۦ وَمَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍۭ بِٱلَّيْلِ وَسَارِبٌۢ بِٱلنَّهَارِ ﴿١٠﴾ لَهُۥ مُعَقِّبَٰتٌ مِّنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِۦ يَحْفَظُونَهُۥ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ ۗ وَإِذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِقَوْمٍ سُوٓءًا فَلَا مَرَدَّ لَهُۥ ۚ وَمَا لَهُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَالٍ ﴿١١﴾﴾

﴿اللَّه يعلم ما تحمل كل أنثى﴾ من ذكر أو أنثى ﴿وما تغيض الأرحام وما تزداد﴾ تفسير الحسن: قال: الغيضوضة أن تلد لأقل من تسعة أشهر ﴿وما تزداد﴾ يعني: أن تلد لأكثر من تسعة أشهر، الغيضوضة: النقصان[١].

﴿وكل شيءٍ عنده بمقدار﴾ أي: بقدر ﴿عالم الغيب﴾ السر ﴿والشهادة﴾ العلانية ﴿الكبير﴾ يعني: العظيم ﴿المتعال﴾ عما قال المشركون ﴿سواءٌ منكم من أسَرَّ القول ومن جهر به﴾ يقول: ذلك عند اللَّه سواءٌ سره وعلانيته ﴿ومن هو مستخف بالليل﴾ أي: يظله الليل ﴿وساربٌ بالنهار﴾ أي: ظاهر، يقول: ذلك (ل ١٦٠) كله عند اللَّه سواء.

قال محمدٌ: قيل: ﴿ساربٌ﴾ معناه: ظاهرٌ[٢] وأنشد بعضهم لشاعرٍ يخاطب امرأةً:

أَنَّى سَرَيْتِ وَكُنْتِ غَيْرَ سَرُوبِ ... وتَقَرُّبُ الأَحْلامِ غَيْرُ قَرِيبِ[٣]

يقول: لم تكوني ممّن يبرُزُ ويظهر للناس، فكيف تخطيت البعد إلينا في

---

(١) لسان العرب (غيض).

(٢) يقال: سَرَبَ يَسْرُبُ سُرُوبًا: ظهر. لسان العرب (سرب).

(٣) البيت من بحر الكامل؛ وهو لقيس بن الخطيم. ينظر: تفسير القرطبي (٩/ ٢٩٠)، اللسان (سرب).

سُراك؟! وقيل: معنى﴿سارب﴾: ذاهب في حوائجه[١]؛ ومن هذا قول القائل:

أَرَى كُلَّ قَوْمٍ قَارَبُوا قَيْدَ فَحْلِهِمْ وَنَحْنُ خَلَعْنَا قَيْدَهُ فَهْوَ سَارِبُ[٢]

أي: ذاهب.

﴿له معقبات﴾ لهذا المستخفي وهذا السارب معقبات: ملائكة ﴿من بين يديه ومن خلفه يحفظونه من أمر الله﴾ أي: بأمر الله، قال الحسن: هم أربعة أملاك: ملكان بالليل، وملكان بالنهار.

قال محمدٌ: معنى﴿معقبات﴾: أن يأتي بعضهم بِعَقِبِ بعض، وشُدِّدت لتكثير الفعل[٣].

﴿إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم﴾ المعنى: أن الله إذا بعث إلى قومٍ رسولًا فكذبوه، أهلكهم الله ﴿وإذا أراد الله بقوم سوءًا﴾ يعني: عذابًا ﴿فلا مردَّ له وما لهم من دونه من والٍ﴾ يمنعهم من عذاب الله.

قال محمدٌ: ﴿والٍ﴾ أي: وليٌّ يتولاهم دون الله.

﴿هُوَ ٱلَّذِى يُرِيكُمُ ٱلْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنشِئُ ٱلسَّحَابَ ٱلثِّقَالَ ﴿١٢﴾ وَيُسَبِّحُ ٱلرَّعْدُ بِحَمْدِهِۦ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ مِنْ خِيفَتِهِۦ وَيُرْسِلُ ٱلصَّوَٰعِقَ فَيُصِيبُ بِهَا مَن يَشَآءُ وَهُمْ يُجَٰدِلُونَ فِى ٱللَّهِ وَهُوَ شَدِيدُ ٱلْمِحَالِ ﴿١٣﴾﴾

﴿يريكم البرق خوفًا وطمعًا﴾ قال قتادة: خوفًا للمسافر يخاف أذاه

---

(١) ويقال: ذاهب على وجهه في الأرض. مختار الصحاح(سرب).

(٢) البيت للأخنس بن شهاب التغلبي ينظر: المفضليات (٢٠٨)، شرح ديوان الحماسة (٢/ ٧٢٨)، اللسان (سرب).

(٣) قال صاحب مختار الصحاح: هم ملائكة الليل والنهار؛ لأنهم يتعاقبون. وإنما أُنث لكثرة ذلك منهم؛ كعلَّامة ونسَّابة. مختار الصحاح (عقب).

ومعرَّته[١]، وطمعًا للمقيم يرجو بركته ويطمع في رزق اللَّه . والبرق ضوءٌ خلقه اللَّه عَلَمًا للمطر؛ في تفسير الحسن ﴿وينشئ السحاب الثقال﴾ قال مجاهد: هي التي فيها الماءُ ﴿ويسبح الرعد بحمده والملائكة من خيفته﴾ أي: والملائكة يسبحون أيضًا بحمده من خيفته.

قال الكلبي: هو ملك اسمُه: الرعْدُ، والصوتُ الذي يُسمعُ تسْبِيحُه؛ يؤلِّف به السَّحابَ بعْضَه إلى بعضٍ، ثم يسوقه حيث أُمِرَ.

قال يحيى: وسمعت بعضهم يقول: البرق لمحة يلمحها إلى الأرض الملك الذي يزجر السحاب.

﴿ويرسلُ الصواعقَ﴾ وهي نارٌ تقع من السحاب؛ في تفسير السُّدي.

قال يحيى: وقال بعضهم: إن الملك يزجر السحاب بسوطٍ من نار، فرُبَّما انقطع السوط؛ فهو الصاعقة.

﴿فيصيب بها من يشاء﴾ قال عبد اللَّه بن أبي زكريا: بلغني أنه من سمع الرعدَ؛ فقال: سبحان ربي وبحمده، لمْ تصِبْه صاعقةٌ.

﴿وهم يجادلون في اللَّه﴾ يعني: المشركين يجادلون نبي اللَّه؛ أي: يخاصمونه في عبادتهم الأوثان دون اللَّه ﴿وهو شديد المحال﴾ قال مجاهد: يعني: القوة.

قال محمدٌ: يقال: ماحَلْتُه مِحَالًا إذا قَاوَيْتَهُ؛ حتى يتبيَّن لك أيكما أشد[٢].

---

(١) المعرَّة: المساءة والمكروه. لسان العرب (عرر).

(٢) ويقال: ماحلته مِحَالًا ومُمَاحلة. لسان العرب (محل).

وقد قيل: المَحَال [1]: الحيلة؛ ومن هذا قول ذي الرُّمَّة [2]:

ولَبَّس بيْن أقْوَام وكلٌّ ... أعدَّ له الشَّغازبَ والمِحَالاَ [3]

يعني: الكيد والمكر.

﴿لَهُۥ دَعْوَةُ ٱلْحَقِّ ۖ وَٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ لَا يَسْتَجِيبُونَ لَهُم بِشَىْءٍ إِلَّا كَبَـٰسِطِ كَفَّيْهِ إِلَى ٱلْمَآءِ لِيَبْلُغَ فَاهُ وَمَا هُوَ بِبَـٰلِغِهِۦ ۚ وَمَا دُعَآءُ ٱلْكَـٰفِرِينَ إِلَّا فِى ضَلَـٰلٍ ﴿١٤﴾ وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَن فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَظِلَـٰلُهُم بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْـَٔاصَالِ ﴿١٥﴾ قُلْ مَن رَّبُّ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ قُلِ ٱللَّهُ ۚ قُلْ أَفَٱتَّخَذْتُم مِّن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ لَا يَمْلِكُونَ لِأَنفُسِهِمْ نَفْعًا وَلَا ضَرًّا ۚ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ أَمْ هَلْ تَسْتَوِى ٱلظُّلُمَـٰتُ وَٱلنُّورُ ۗ أَمْ جَعَلُوا۟ لِلَّهِ شُرَكَآءَ خَلَقُوا۟ كَخَلْقِهِۦ فَتَشَـٰبَهَ ٱلْخَلْقُ عَلَيْهِمْ ۚ قُلِ ٱللَّهُ خَـٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ وَهُوَ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّـٰرُ ﴿١٦﴾﴾

﴿له دعوة الحق﴾ هي لا إله إلا اللَّه ﴿والذين يدعون من دونه﴾ يعني: الأوثان ﴿لا يستجيبون لهم بشيءٍ إلا كباسط كفيه إلى الماء ليبلغ فاه وما هو ببالغه﴾ هذا مثل الذي يعبد الأوثان رجاء الخير في عبادتها هو كالذي يرفع بيده الإناء إلى فيه يرجو به الحياة، فمات قبل أن يصل إلى فيه؛ فكذلك المشركون حيث رجوْا منفعة آلهتهم ضلَّتْ عنهم ﴿وما دُعاءُ الكافرين﴾ آلهتهم ﴿إلا في ضلال﴾.

---

(١) بفتح الميم أي ميم (المَحَال)، والمراد: الحذق وجودة النظر، والقدرة على التصرف في الأمور وفتح ميم (المَحَال) إحدى القراءات. ينظر: لسان العرب (حول).

(٢) وهو غيلان بن عقبة العدوي (ت١٢٤هـ) تنظر ترجمته ومصادرها في الأعلام (٥/ ١٢٤).

(٣) ويروى: ...... فكلٌّ........إلخ. والبيت من بحر الوافر. ينظر ديوان ذي الرمة (٤٤٥). وفي اللسان والصحاح (شغزب): (أقوامي) بدل (أقوام). وينظر: الجمهرة (٣/ ٣١٠) وتاج العروس (شغزب) (٣/ ١٥١).

﴿ولله يسجد من في السموات والأرض...﴾ الآية، تفسير الحسن: قال: ولله يسجد من في السموات، ثم انقطع الكلام، فقال: والأرض - أي: ومن في الأرض ﴿طوعًا وكرهًا﴾ أي: طائعًا وكارهًا، قال الحسن: قال رسول الله ﷺ: «والله، لا يجعل الله من دخل في الإسلام طوعًا كمن دخله كَرْهًا».

قال الحسن: وليس يدخل في الكُرْهِ من وُلِدَ في الإسلام [(١)].

﴿وظلالهم بالغدو والآصال﴾ الآصال: العشيُّ، تفسير السدي: إذا سجد (...)[(٢)] الأشياء سجد ظلُّه معه.

﴿قل (ل ١٦١) من رب السموات والأرض قل الله﴾ فإذا أقروا بذلك فقل: ﴿أفتخذتم من دونه أولياء﴾ يعني: أوثانهم ﴿لا يملكون لأنفسهم نفعًا ولا ضرًا﴾ وهذا استفهام على معرفةٍ؛ أي: قد فعلتم.

﴿قل هل يستوي الأعمى والبصير﴾ وهذا مثل الكافر والمؤمن؛ الكافر أعمى عن الهدى، والمؤمن أبصر الإيمان ﴿أم هل تستوي الظلمات والنور﴾ على الاستفهام؛ أي: أن ذلك لا يستوي.

﴿أم جعلوا لله شركاء خلقوا كخلقه فتشابه الخلق عليهم﴾ تفسير الحسن: يقول: هل يدعون أن تلك الأوثان خلقت مع الله شيئًا؛ فلم يدروا أي الخالِقَيْن يعبدون؛ هل رأوا ذلك؟ وهل يستطيعون أن يحتجوا به على الله يوم القيامة؟ أي: أنهم لا يدعون ذلك، وأنهم يقرون أن الله خلق كل شيءٍ، فكيف عبدوا هذه الأوثان من دون الله؟! ثم قال الله: ﴿قل الله خالق كل شيء وهو الواحد القهار﴾.

---

(١) لم أقف عليه الآن بهذا اللفظ.

(٢) طمس في الأصل.

﴿أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌۢ بِقَدَرِهَا فَٱحْتَمَلَ ٱلسَّيْلُ زَبَدًا رَّابِيًا ۚ وَمِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيْهِ فِى ٱلنَّارِ ٱبْتِغَآءَ حِلْيَةٍ أَوْ مَتَٰعٍ زَبَدٌ مِّثْلُهُۥ ۚ كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْحَقَّ وَٱلْبَٰطِلَ ۚ فَأَمَّا ٱلزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَآءً ۖ وَأَمَّا مَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ فَيَمْكُثُ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَالَ ﴿١٧﴾ لِلَّذِينَ ٱسْتَجَابُوا۟ لِرَبِّهِمُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ وَٱلَّذِينَ لَمْ يَسْتَجِيبُوا۟ لَهُۥ لَوْ أَنَّ لَهُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُۥ مَعَهُۥ لَٱفْتَدَوْا۟ بِهِۦٓ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ سُوٓءُ ٱلْحِسَابِ وَمَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ ﴿١٨﴾﴾

﴿أنزل من السماء ماء فسالت أودية بقدرها﴾ الكبير بقدره، والصغير بقدره ﴿فاحتمل السيل زبدًا رابيًا﴾ يعني: عاليًا فوق الماء، إلى قوله: ﴿كذلك يضرب اللَّه الأمثال﴾ هذه أمثال ضربها اللَّه للمؤمن والكافر، فأما قوله: ﴿ومما توقدون عليه في النار ابتغاء حليةٍ﴾ فإنه يعني: الذهب والفضّة؛ إذا أُذيبا فَعَلا خبثهما؛ وهو الزَّبَدُ، وخلص خالصهما تحت ذلك الزبد ﴿أو متاع﴾ أي: وابتغاء متاع ما يُستمتع به ﴿زبدٌ مثله﴾ أي: مثل زبد الماء، والذي يوقد عليه ابتغاء متاع هو الحديد والنحاس والرصاص إذا صُفِّيَ ذلك أيضًا؛ فخلص خالصُه، وعلا خبثُه؛ وهو زبدُه ﴿فأما الزَّبَدُ﴾ زبدُ الماء، وزبد الحلي، وزبد الحديد والنحاس والرصاص ﴿فيذهب جفاءً﴾ يعني: لا يُنْتَفَع به؛ فهذا مثل عمل الكافر؛ لا ينتفع به في الآخرة ﴿وأما ما ينفع الناس فيمكث في الأرض﴾ فَيُنْتَفَع بالماء ينبُت عليه الزرع والمرعى، وينتفع بذلك الحلي والمتاع؛ فهذا مثل عمل المؤمن يبقى ثوابه في الآخرة.

قال محمدٌ: ﴿الجفاء﴾ في اللغة: هو ما رمى به الوادي إلى جنباته؛ يقال: جفأ الوادي غثاءهُ، وجفأتُ الرجل إذا صَرَعته (١)، وموضع ﴿جفاء﴾ نصب

---

(١) يقال: جفأ يَجْفَأ جَفْئًا. لسان العرب(جفأ).

على الحال [١]، ومعنى ﴿يضرب اللَّه الأمثال﴾ يَصِفُها ويبيِّنها.

قوله تعالى: ﴿للذين استجابوا لربهم﴾ آمنوا ﴿الحسنى﴾ قال قتادة: يعني: الجنة ﴿والذين لم يستجيبوا له﴾ يعني: الكفار ﴿لو أن لهم ما في الأرض جميعًا ومثله معه لافتدوا به أولئك لهم سوء الحساب﴾ شدته ﴿ومأواهم جهنم﴾ منزلهم جهنم ﴿وبئس المهاد﴾ القرار.

﴿أَفَمَن يَعْلَمُ أَنَّمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ٱلْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَىٰٓ ۚ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٩﴾ ٱلَّذِينَ يُوفُونَ بِعَهْدِ ٱللَّهِ وَلَا يَنقُضُونَ ٱلْمِيثَٰقَ ﴿٢٠﴾ وَٱلَّذِينَ يَصِلُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوٓءَ ٱلْحِسَابِ ﴿٢١﴾ وَٱلَّذِينَ صَبَرُوا۟ ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُوا۟ مِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً وَيَدْرَءُونَ بِٱلْحَسَنَةِ ٱلسَّيِّئَةَ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عُقْبَى ٱلدَّارِ ﴿٢٢﴾ جَنَّٰتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا وَمَن صَلَحَ مِنْ ءَابَآئِهِمْ وَأَزْوَٰجِهِمْ وَذُرِّيَّٰتِهِمْ ۖ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِم مِّن كُلِّ بَابٍ ﴿٢٣﴾ سَلَٰمٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبَرْتُمْ ۚ فَنِعْمَ عُقْبَى ٱلدَّارِ ﴿٢٤﴾﴾

﴿أفمن يعلم أنما أنزل إليك من ربك الحق كمن هو أعمى﴾ عنه؛ أي: أنهما لا يستويان؛ يعني: المؤمن والكافر ﴿إنما يتذكر أولو الألباب﴾ العقول؛ وهم المؤمنون ﴿الذين يوفون بعهد اللَّه ولا ينقضون الميثاق﴾ الذي أخذ عليهم في صلب آدم؛ حيث قال: ﴿ألست بربكم﴾ [٢]؛ يقول: أوفوا بذلك الميثاق ﴿والذين يصلون ما أمر اللَّه به أن يوصل﴾ تفسير ابن عباس: الذي أمر اللَّه به أن يوصل: الإيمان بالنبيين كلهم لا نفرق بين أحدٍ منهم ﴿وأقاموا الصلاة﴾ يعني: الصلوات الخمس على وضوئها ومواقيتها وركوعها وسجودها ﴿وأنفقوا مما رزقناهم﴾ يعني: الزكاة المفروضة؛ في تفسير الحسن ﴿سرًّا وعلانية﴾ يُستحَبُ

---

(١) البحر المحيط (٥/ ٣٨٠).

(٢) الأعراف: ١٧٢ .

أن تعطى الزكاة علانية، والتطوع سرًّا ﴿ويدرءون بالحسنة السيئة﴾ يقول: يدفعون بالعفو والصفح القول القبيح والأذى ﴿أولئك لهم عقبى الدار﴾ يعني: دار الآخرة، والعقبى: الثواب؛ وهو الجنة ﴿جنات عدن يدخلونها ومن صلح من آبائهم﴾ أي: من آمن ﴿سلامٌ عليكم﴾ وهذه تحية أهل الجنة.

قال محمدٌ: المعنى: يقولون: سلامٌ عليكم؛ فأضمر القول؛ إذ في الكلام ما يدل عليه.

﴿بما صبرتم﴾ في الدنيا .

﴿وَالَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مِيثَٰقِهِۦ وَيَقْطَعُونَ مَآ أَمَرَ اللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِى الْأَرْضِ ۙ أُولَٰٓئِكَ لَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوٓءُ الدَّارِ ﴿٢٥﴾ اللَّهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ ۚ وَفَرِحُوا۟ بِالْحَيَوٰةِ الدُّنْيَا وَمَا الْحَيَوٰةُ الدُّنْيَا فِى الْءَاخِرَةِ إِلَّا مَتَٰعٌ ﴿٢٦﴾ وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ ءَايَةٌ مِّن رَّبِّهِۦ ۗ قُلْ إِنَّ اللَّهَ يُضِلُّ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِىٓ إِلَيْهِ مَنْ أَنَابَ ﴿٢٧﴾ الَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ اللَّهِ ۗ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ ﴿٢٨﴾﴾

﴿اللَّه يبسط الرزق لمن يشاء﴾ أي: يوسع عليه ﴿ويقدر﴾ أي: يضيق ﴿وفرحوا﴾ أي: رضوا ﴿بالحياة الدنيا﴾ (ل ١٦٢) يعني: المشركين ﴿وما الحياة الدنيا في الآخرة إلا متاعٌ﴾ قال مجاهد: أي: يستمتع به، ثم يذهب ويقول الكافرون: ﴿لولا أنزل عليه آيةٌ من ربه﴾ أي: هلَّا ﴿ويهدي إليه من أناب﴾ من تاب وأخلص ﴿الذين آمنوا وتطمئن قلوبهم بذكر اللَّه﴾ أي: تسكن ﴿ألا بذكر اللَّه تطمئن القلوب﴾.

قال محمدٌ: (ألا) حرف تنبيه وابتداء[1]، والقلوب ها هنا قلوب المؤمنين؛

(١) ينظر- بتوسُّع- في دلالة (ألا) المخفَّفة على التنبيه، مغني اللبيب (١/ ٨٠-٨١).

المعنى: إذا ذُكرَ اللَّه بوحدانيته، آمنوا به غير شاكين .

﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ طُوبَىٰ لَهُمْ وَحُسْنُ مَـَٔابٍ ﴿٢٩﴾ كَذَٰلِكَ أَرْسَلْنَٰكَ فِىٓ أُمَّةٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهَآ أُمَمٌ لِّتَتْلُوَاْ عَلَيْهِمُ ٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِٱلرَّحْمَٰنِ ۚ قُلْ هُوَ رَبِّى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ مَتَابِ ﴿٣٠﴾ وَلَوْ أَنَّ قُرْءَانًا سُيِّرَتْ بِهِ ٱلْجِبَالُ أَوْ قُطِّعَتْ بِهِ ٱلْأَرْضُ أَوْ كُلِّمَ بِهِ ٱلْمَوْتَىٰ ۗ بَل لِّلَّهِ ٱلْأَمْرُ جَمِيعًا ۗ أَفَلَمْ يَاْيْـَٔسِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن لَّوْ يَشَآءُ ٱللَّهُ لَهَدَى ٱلنَّاسَ جَمِيعًا ۗ وَلَا يَزَالُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ تُصِيبُهُم بِمَا صَنَعُواْ قَارِعَةٌ أَوْ تَحُلُّ قَرِيبًا مِّن دَارِهِمْ حَتَّىٰ يَأْتِىَ وَعْدُ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُخْلِفُ ٱلْمِيعَادَ ﴿٣١﴾﴾

﴿طوبى لهم﴾ قال عبد اللَّه بن عبيد بن عُمير: طوبى شجرة في الجنة، أصلها في دار محمد ﷺ، وليس في الجنة دار ولا غرفة إلا وغُصنٌ منها في تلك الدار ﴿وحسن مآب﴾ مرجع، يعني: الجنة .

﴿كذلك أرسلناك في أمة قد خلت من قبلها أممٌ﴾ أي: كما أرسلنا في الأمم التي قد خلت من قبل هذه الأمة ﴿وهم يكفرون بالرحمن﴾ كانوا يقولون: أما اللَّه فنعرفه، وأما الرحمن فلا نعرفه ﴿قل هو ربي لا إله إلا هو عليه توكلت وإليه متاب﴾ يعني: التوبة .

﴿ولو أنّ قرآنًا سُيِّرت به الجبال أو قطعت به الأرض أو كلم به الموتى﴾ تفسير قتادة: ذكر لنا أن قريشًا قالت لنبي اللَّه ﷺ: إن سَرَّك أن نتبعك فَسَيِّر لنا جبال تهامة، وزد لنا في حرمنا؛ حتى نتخذ قطائع نحترف فيها، أو أحْيِ لنا فلانًا وفلانًا - لأناس ماتوا في الجاهلية؛ فأنزل اللَّه هذه الآية، يقول: لو فُعل هذا بقرآن غير قرآنكم فعل بقرآنكم .

قال محمدٌ: اختصر جواب (لو)؛ إذ كان في الكلام ما يدل عليه[1].

﴿أفلم ييأس الذين آمنوا أن لو يشاء الله لهدى الناس جميعًا﴾ أي: ألم يعرف؟

قال محمدٌ: قيل: إنها لغةٌ للنَّخع (ييأس) بمعنى: يعرف[2] قال الشاعر:

أقولُ لهُمْ بالشِّعب إذْ يأسِرُونني ... ألم تيْأَسُوا أنّي ابنُ فَارِسِ زَهْدَمِ[3]

أي: ألم تعلموا.

﴿ولا يزال الذين كفروا تصيبهم بما صنعوا قارعة﴾ هي السرايا سرايا رسول الله ﷺ يصيبهم الله منها بعذاب ﴿أو تحل﴾ أنت يا محمد ﴿قريبًا من دارهم حتى يأتي وعد الله﴾ يعني: فتح مكة؛ في تفسير مجاهد وقتادة.

﴿وَلَقَدِ ٱسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ فَأَمْلَيْتُ لِلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ثُمَّ أَخَذْتُهُمْ فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ ﴿٣٢﴾ أَفَمَنْ هُوَ قَآئِمٌ عَلَىٰ كُلِّ نَفْسٍۭ بِمَا كَسَبَتْ ۗ وَجَعَلُوا۟ لِلَّهِ شُرَكَآءَ قُلْ سَمُّوهُمْ ۚ أَمْ تُنَبِّـُٔونَهُۥ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِى ٱلْأَرْضِ أَم بِظَٰهِرٍ مِّنَ ٱلْقَوْلِ ۗ بَلْ زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مَكْرُهُمْ وَصُدُّوا۟ عَنِ ٱلسَّبِيلِ ۗ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ ﴿٣٣﴾ لَّهُمْ عَذَابٌ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَعَذَابُ ٱلْءَاخِرَةِ أَشَقُّ ۖ وَمَا لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مِن وَاقٍ ﴿٣٤﴾﴾

﴿فأمليت﴾ أطلت ﴿للذين كفروا﴾ أي: لم أعذِّبهم عند استهزائهم

---

(١) الدر المصون (٢/ ٢٤٢-٢٤٣) وفيه استطراد واسع.

(٢) وقال القاسم بن مَعْن - وهو من ثقات الكوفيين-: هي لغة هوازن. وقال ابن الكلبي: هي لغة حيٍّ من النخع. ينظر الدر المصون(٤/ ٢٤٣).

(٣) ويروى: أقول لهم بالشِّعب إذ يَيْسُرُنني: . . . . . . .إلخ. وهو من البحر الطويل، وقائله: سحيم بن وثيل الرياحي، ونُسب لابنه جابر بن سحيم. ينظر: لسان العرب (يسر)، البحر (٥/ ٣٩٢)، والمحتسب (١/ ٣٥٧).

بأنبيائهم، ولكن أَخَّرتهم حتى بلغ الوقت. ﴿ثم أخذتهم فكيف كان عقاب﴾ أي: كان شديدًا ﴿أفمن هو قائم على كل نفسٍ بما كسبت﴾ تفسير قتادة: ذلكم الله.

قال محمدٌ: المعنى: الله هو القائم على كل نفسٍ بما كسبت؛ يأخذها بما جنتْ، ويثيبُها بما أحسنت؛ على ما سبق في علمه .

﴿وجعلوا لله شركاء﴾ يقول: هل يستوي الذي هو قائمٌ على كل نفس وهذه الأوثان التي يعبدونها؟! ﴿قل سموهم﴾ وقال في آية أخرى: ﴿إن هي ألا أسماء سميتموها﴾[1] ﴿أم تنبئونه بما لا يعلم في الأرض﴾ أي: قد فعلتم، ولا يعلم أن فيها إلهًا معه، ويعلم أنه ليس معه إلهٌ في الأرض ولا في السماء.

﴿أم بظاهر من القول﴾ يعني: أم بظن من القول؛ في تفسير مجاهد ﴿بل زين للذين كفروا مكرهم﴾ قولهم﴿وصَدُّوا عن السبيل﴾ عن سبيل الهدى.

﴿لهم عذابٌ في الحياة الدنيا﴾ يعني: مشركي العرب بالسيف يوم بدر، ولآخر كفار هذه الأمة بالنَّفخة الأولى ﴿ولعذاب الآخرة﴾ النار ﴿أشق﴾ من عذاب الدنيا.

﴿مَّثَلُ ٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى وُعِدَ ٱلْمُتَّقُونَ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ أُكُلُهَا دَآئِمٌ وَظِلُّهَا تِلْكَ عُقْبَى ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا وَّعُقْبَى ٱلْكَٰفِرِينَ ٱلنَّارُ ﴿٣٥﴾ وَٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَفْرَحُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمِنَ ٱلْأَحْزَابِ مَن يُنكِرُ بَعْضَهُۥ قُلْ إِنَّمَآ أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ ٱللَّهَ وَلَآ أُشْرِكَ بِهِۦٓ إِلَيْهِ أَدْعُوا وَإِلَيْهِ مَـَٔابِ ﴿٣٦﴾ وَكَذَٰلِكَ أَنزَلْنَٰهُ حُكْمًا عَرَبِيًّا وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم بَعْدَ مَا جَآءَكَ

(١) النجم: ٢٣ .

مِنَ ٱلْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا وَاقٍ ﴿٣٧﴾﴾

﴿مثل الجنة﴾ أي: صفتها ﴿التي وعد المتقون أكلها﴾ ثمرها ﴿دائمٌ﴾ أي: لا ينفد ﴿وظلها﴾ .

قال محمدٌ: (مثل الجنةِ) مرفوعٌ بالابتداء [١] .

﴿تلك عقبى الذين اتقوا﴾ يعني: الجنة ﴿وعقبى الكافرين النار﴾ .

﴿والذين آتيناهم الكتاب يفرحون بما أنزل إليك﴾ تفسير قتادة: هم أصحاب النبي عليه السلام ﴿ومن الأحزاب من ينكر بعضه﴾ الأحزاب ها هنا: اليهود والنصارى؛ ينكرون (ل ١٦٣) بعض القرآن، ويقرون ببعضه بما وافقهم.

﴿وكذلك أنزلناه حكمًا عربيًا﴾ يعني: القرآن.

﴿ولئن اتبعت أهواءهم﴾ يعني: المشركين حتى لا تبلغ عن اللّه الرسالة.

﴿ما لك من اللّه من ولي ولا واق﴾ يغنيك من عذابه؛ إن فعلت، ولست بفاعلٍ.

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ وَجَعَلْنَا لَهُمْ أَزْوَاجًا وَذُرِّيَّةً وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَن يَأْتِيَ بِـَٔايَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ ﴿٣٨﴾ يَمْحُوا ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ وَيُثْبِتُ وَعِندَهُۥٓ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ ﴿٣٩﴾ وَإِن مَّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ ٱلَّذِى نَعِدُهُمْ أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ ٱلْبَلَٰغُ وَعَلَيْنَا ٱلْحِسَابُ ﴿٤٠﴾ أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّا نَأْتِى ٱلْأَرْضَ نَنقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا وَٱللَّهُ يَحْكُمُ لَا مُعَقِّبَ لِحُكْمِهِۦ وَهُوَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴿٤١﴾ وَقَدْ مَكَرَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَلِلَّهِ ٱلْمَكْرُ جَمِيعًا يَعْلَمُ مَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ

---

(١) ينظر البحر المحيط (٥/ ٣٩٥-٣٩٦).

وَسَيَعْلَمُ ٱلْكُفَّٰرُ لِمَنْ عُقْبَى ٱلدَّارِ ﴿٤٢﴾ وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَسْتَ مُرْسَلًا ۚ قُلْ كَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًۢا بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلْكِتَٰبِ ﴿٤٣﴾﴾

﴿ولقد أرسلنا رسلًا من قبلك وجعلنا لهم أزواجًا وذرية﴾ نزلت حين قالت اليهود: لو كان محمدٌ رسولًا، لكان له همٌّ غير النساء والتماس الولد ﴿وما كان لرسولٍ أن يأتي بآية إلا بإذن اللَّه لكل أجل كتابٌ يمحو اللَّه ما يشاء ويثبت وعنده أم الكتاب﴾ تفسير بعضهم: يُكْتَب كل ما يقول؛ فإذا كان كل يوم اثنين وخميس، مُحي عنه ما لم يكن خيرًا أو شرًّا، وأُثبِتَ ما سوى ذلك ﴿وعنده أم الكتاب﴾ يعني: اللوح المحفوظ، وتفسير أم الكتاب جملة الكتاب وأصله.

﴿وإما نرينك بعضَ الذي نعدهم أو نتوفينك﴾ تفسير الحسن: أن اللَّه أخبر محمدًا أن له في أمته نقْمَةً، ولم يخبره، أفي حياته تكون أمْ بعد موته؟ وفيها إضمار ﴿فإنا منهم منتقمون﴾.

﴿فإنما عليك البلاغ﴾ أن تبلغهُمْ، ولست تستطيع أن تكرههم على الإيمان، إنما يؤمن من شاء اللَّه أن يؤمن ﴿وعلينا الحساب﴾ يوم القيامة، ثم أمره بقتالهم.

﴿أو لم يروا أنا نأتي الأرض ننقصها من أطرافها﴾ تفسير الحسن: أفلا يرون أن رسول اللَّه ﷺ كلما بعث إلى أرض ظهر عليها وغلب أهلها؛ يقول: ننقصها بذلك أرضًا فأرضًا.

قال محمدٌ: المعنى: كأنه ينقص المشركين مما في أيديهم.

﴿واللَّه يحكم لا معقب لحكمه﴾ أي: لإرادته.

قال محمدٌ: أصل التعقيب في اللغة: الكَرُّ والرجوع [١]، فكأنه قال:

---

(١) لسان العرب (عقب).

لا راجع يرد حكمه.

﴿وهو سريع الحساب﴾يعني: العذاب؛ إذا أراد أن يعذب قومًا من الذين كذبوا رسلهم كان عذابه إياهم أسرع من الطرف؛ يخوف بهذا المشركين.

﴿وقد مكر الذين من قبلهم﴾ يعني: من قبل مشركي هذه الأمة ﴿فللَّه المكر جميعًا﴾ فمكر بهم، أهلكَهُمْ أحسن ما كانوا في دنياهم فعالًا ﴿يعلم ما تكسب كل نفسٍ﴾ أي: تعمل ﴿وسيعلم (الكفار)[1] لمن عقبى الدار﴾ لمن الجنة ﴿ويقول الذين كفروا لست مرسلًا﴾

قل يا محمد: ﴿كفى باللَّه شهيدًا بيني وبينكم ومن عنده علم الكتاب﴾ قال عبد اللَّه بن سلام: فيَّ نزلت: ﴿ومن عنده علم الكتاب﴾.

قال محمدٌ: ﴿قل كفى باللَّه شهيدًا﴾ المعنى: كفى اللَّه شهيدًا، و(شهيدًا) منصوبٌ على التمييز[2].

❊ ❊ ❊

(١) في الأصل: الكافر.

(٢) ينظر: البحر المحيط (٥/ ٤٠٠-٤٠١).

تفسير سورة إبراهيم

وهي مكية كلها إلا آيتين: قوله: ﴿ألم تر إلى الذين بدَّلوا نعمة اللَّه كفرًا...﴾ إلى قوله: ﴿القرار﴾[1].

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿الٓر كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ ٱلنَّاسَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ ۝١ ٱللَّهِ ٱلَّذِى لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ وَوَيْلٌ لِّلْكَٰفِرِينَ مِنْ عَذَابٍ شَدِيدٍ ۝٢ ٱلَّذِينَ يَسْتَحِبُّونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا عَلَى ٱلْءَاخِرَةِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ فِى ضَلَٰلٍۭ بَعِيدٍ ۝٣﴾

قوله: ﴿الر كتابٌ أنزلناه إليك﴾ أي: هذا كتاب أنزلناه إليك؛ يعني: القرآن ﴿لتخرج الناس﴾ من أراد اللَّه أن يهديه ﴿من الظلمات إلى النور﴾ يعني: من الضلالة إلى الهدى ﴿بإذن ربهم﴾ بأمر ربهم ﴿إلى صراط﴾ إلى طريق ﴿العزيز﴾ في ملكه ونقمته ﴿الحميد﴾ استحمد إلى خلقه، واستوجب عليهم أن يحمدوه .

﴿الذين يستحبون﴾ يختارون ﴿الحياة الدنيا على الآخرة﴾ لا يقرون بالآخرة ﴿ويصدون عن سبيل اللَّه ويبغونها عوجًا﴾ يبتغون السبيل عوجًا؛ يعني: الشرك.

قال محمدٌ: (السبيل) يذكر ويؤنث[2]، وكذلك (الطريق) فأما الزقاق

---

(١) الآيتان: (٢٨، ٢٩).

(٢) ينظر لسان العرب، مختار الصحاح (سبل).

فمذكَّر. ونصب (عوجًا) على الحال[1].

﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِۦ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ ۖ فَيُضِلُّ ٱللَّهُ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٤﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَآ أَنْ أَخْرِجْ قَوْمَكَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ وَذَكِّرْهُم بِأَيَّىٰمِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴿٥﴾ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ أَنجَىٰكُم مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ وَيُذَبِّحُونَ أَبْنَآءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَآءَكُمْ ۚ وَفِى ذَٰلِكُم بَلَآءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ ﴿٦﴾﴾

﴿وما أرسلنا من رسولٍ إلا بلسان قومه﴾ قال قتادة: يعني: بلغة قومه ﴿ليبين لهم فيضل اللَّه من يشاء ويهدي من يشاء﴾ بعد البيان.

﴿وذكرهم بأيام اللَّه﴾ تفسير الكلبي: يذكرهم بنعم اللَّه عليهم، ويذكرهم (ل ١٦٤) كيف أهلك قوم نوحٍ وعادًا وثمود وغيرهم، يقول: ذكرهم هذا وهذا ﴿إنّ في ذلك لآيات لكل صبّار شكور﴾ وهو المؤمن.

﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ ۖ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِى لَشَدِيدٌ ﴿٧﴾ وَقَالَ مُوسَىٰٓ إِن تَكْفُرُوٓا۟ أَنتُمْ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا فَإِنَّ ٱللَّهَ لَغَنِىٌّ حَمِيدٌ ﴿٨﴾ أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَؤُا۟ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ ۛ وَٱلَّذِينَ مِنۢ بَعْدِهِمْ ۛ لَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا ٱللَّهُ ۚ جَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَرَدُّوٓا۟ أَيْدِيَهُمْ فِىٓ أَفْوَٰهِهِمْ وَقَالُوٓا۟ إِنَّا كَفَرْنَا بِمَآ أُرْسِلْتُم بِهِۦ وَإِنَّا لَفِى شَكٍّ مِّمَّا تَدْعُونَنَآ إِلَيْهِ مُرِيبٍ ﴿٩﴾﴾

(١) وفيه أقوال نحوية أخرى: البحر (٥/ ٤٠٤)، الكشّاف (٢/ ٣٦٦).

﴿وإذ تأذنَّ ربكم﴾ أي: أعلمكم ﴿لئن شكرتم﴾ آمنتم ﴿لأزيدنكم﴾ في النعم ﴿ولئن كفرتم إن عذابي لشديد﴾ في الآخرة .

﴿ألم يأتكم نبأ الذين من قبلكم﴾ أي: خبرهم .

﴿لا يعلمهم إلا اللَّه﴾ أي: لا يعلم كيف أهلكهم اللَّه إلا اللَّه .

﴿فردوا أيديهم في أفواههم﴾ أي: عضوا على أناملهم غيظًا على الأنبياء؛ كقوله: ﴿وإذا خلوا عضوا عليكم الأنامل من الغيظ﴾[1] .

﴿قَالَتْ رُسُلُهُمْ أَفِي ٱللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ يَدْعُوكُمْ لِيَغْفِرَ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُؤَخِّرَكُمْ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى قَالُوٓاْ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا تُرِيدُونَ أَن تَصُدُّونَا عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَا فَأْتُونَا بِسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ ﴿١٠﴾ قَالَتْ لَهُمْ رُسُلُهُمْ إِن نَّحْنُ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَمُنُّ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ وَمَا كَانَ لَنَآ أَن نَّأْتِيَكُم بِسُلْطَٰنٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿١١﴾ وَمَا لَنَآ أَلَّا نَتَوَكَّلَ عَلَى ٱللَّهِ وَقَدْ هَدَىٰنَا سُبُلَنَا وَلَنَصْبِرَنَّ عَلَىٰ مَآ ءَاذَيْتُمُونَا وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُتَوَكِّلُونَ ﴿١٢﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لِرُسُلِهِمْ لَنُخْرِجَنَّكُم مِّنْ أَرْضِنَآ أَوْ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَا فَأَوْحَىٰٓ إِلَيْهِمْ رَبُّهُمْ لَنُهْلِكَنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٣﴾ وَلَنُسْكِنَنَّكُمُ ٱلْأَرْضَ مِنۢ بَعْدِهِمْ ذَٰلِكَ لِمَنْ خَافَ مَقَامِي وَخَافَ وَعِيدِ ﴿١٤﴾﴾

﴿قالت رسلهم﴾أي: قالت لهم رسلهم: ﴿أفي اللَّه شكٌّ فاطر السمٰوات والأرض﴾ خالقهما؛ أي: أنه ليس فيه شكٌّ، وأنتم تقرون أنه خالق السّموات والأرض، فكيف تعبدون غيره؟! ﴿يدعوكم ليغفر لكم من ذنوبكم﴾ أي:

---

(١) آل عمران: ١١٩ .

ليغفر لكم ذنوبكم؛ إن آمنتم ﴿ويؤخركم إلى أجلٍ مسمى﴾ يعني: إلى آجالهم بغير عذاب؛ فلا يكون موتهم بالعذاب.

﴿قالوا إن أنتم إلا بشرٌ مثلنا﴾ أي: لا يوحى إليكم.

﴿فأتونا بسلطان مبين﴾ بحجة بيِّنة ﴿ولكن اللَّه يمن على من يشاء من عباده﴾ بالنبوة؛ فيوحي إليه ﴿وقد هدانا سبلنا﴾ يعنون: سبل الهدى ﴿ولنَصْبرنَّ على ما آذيتمونا﴾ يعنون: قولهم للأنبياء: إنكم سحرةٌ، وإنكم كاذبون.

﴿فأوحى إليهم ربهم لنُهلكن الظالمين﴾ وهذا حيث أذن اللَّه للرسل فدعَوْا عليهم؛ فاستجاب لهم ﴿ولنسكننكم الأرض من بعدهم﴾ أي: من بعد إهلاكهم ﴿ذلك لمن خاف مقامي﴾ يعني: المقام بين يدي اللَّه للحساب.

﴿وَٱسْتَفْتَحُواْ وَخَابَ كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ ﴿١٥﴾ مِّن وَرَآئِهِۦ جَهَنَّمُ وَيُسْقَىٰ مِن مَّآءٍ صَدِيدٍ ﴿١٦﴾ يَتَجَرَّعُهُۥ وَلَا يَكَادُ يُسِيغُهُۥ وَيَأْتِيهِ ٱلْمَوْتُ مِن كُلِّ مَكَانٍ وَمَا هُوَ بِمَيِّتٍ ۖ وَمِن وَرَآئِهِۦ عَذَابٌ غَلِيظٌ ﴿١٧﴾ مَّثَلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِرَبِّهِمْ ۖ أَعْمَٰلُهُمْ كَرَمَادٍ ٱشْتَدَّتْ بِهِ ٱلرِّيحُ فِى يَوْمٍ عَاصِفٍ ۖ لَّا يَقْدِرُونَ مِمَّا كَسَبُواْ عَلَىٰ شَىْءٍ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلضَّلَٰلُ ٱلْبَعِيدُ ﴿١٨﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ ۚ إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ ﴿١٩﴾ وَمَا ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ بِعَزِيزٍ ﴿٢٠﴾﴾

﴿واستفتحوا﴾ يعني: الرسل؛ أي: دعوا على قومهم، حين استيقنوا أنهم لا يؤمنون.

قال محمدٌ: معنى (استفتحوا): سألوا اللَّه أن يفتح لهم؛ أي: ينصرهم، وكل نصر هو فتح؛ وهو معنى قول يحيى.

﴿وخاب﴾ أي: خسر ﴿كلُّ جبارٍ عنيد﴾ الجبار: المتكبر، والعنيد: المجانب للقصدِ.

﴿من ورائه جهنم﴾ أي: من بعد هذا العذاب الذي كان في الدنيا ﴿جهنم﴾ أي: عذاب جهنم. وقد قيل: (من ورائه) أي: من أمامه.

﴿ويسقى من ماء صديد﴾ الصديدُ: ما يسيل من جلود أهل النار من القيْح والدَّم ﴿يتجرّعه ولا يكاد يسيغه﴾ من كراهيته له، وهو يسيغه لابُدَّ له منه، فتتقطَّع أمعاؤه.

قال محمدٌ: معنى (يسيغه): يبتلعُه.

﴿ويأتيه الموتُ من كل مكان﴾ وهي النار، ولكن اللَّه قضى عليهم ألّا يموتوا؛ هذا تفسير الحسن .

﴿ومن ورائه عذابٌ غليظ﴾ كقوله: ﴿فذوقوا فلن نزيدكم إلا عذابًا﴾[١].

﴿مثل الذين كفروا بربهم أعمالهم كرمادٍ اشتدّتْ به الرياح[٢] في يوم عاصفٍ﴾ يعني: مما عملوا من حسن على سيىءٍ في الآخرة، قد جوزوا به في الدنيا ﴿ألم تر أن اللَّه خلق السمٰوات والأرض بالحق﴾ أي: يصيرُ الأمر إلى البعث والحساب والجنة والنار ﴿إن يشأ يذهبكم﴾ يستأصلكم بالعذاب ﴿ويأت بخلق جديد﴾أي: آخرين ﴿وما ذلك على اللَّه بعزيز﴾ أي: لا يشقُّ عليه .

﴿وَبَرَزُوا۟ لِلَّهِ جَمِيعًا فَقَالَ ٱلضُّعَفَـٰٓؤُا۟ لِلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوٓا۟ إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا فَهَلْ أَنتُم

---

(١) النبأ: ٣٠ .

(٢) هكذا في الأصل: ﴿الرياح﴾؛ وهي قراءة نافع، وقرأ الباقون ﴿الريح﴾. ينظر: النشر (٢/ ٢٢٣)، التيسير (١٧٨).

مُّغْنُونَ عَنَّا مِنْ عَذَابِ ٱللَّهِ مِن شَيْءٍ قَالُواْ لَوْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ لَهَدَيْنَٰكُمْ سَوَآءٌ عَلَيْنَآ أَجَزِعْنَآ أَمْ صَبَرْنَا مَا لَنَا مِن مَّحِيصٍ ﴿٢١﴾ وَقَالَ ٱلشَّيْطَٰنُ لَمَّا قُضِيَ ٱلْأَمْرُ إِنَّ ٱللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ ٱلْحَقِّ وَوَعَدتُّكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيْكُم مِّن سُلْطَٰنٍ إِلَّآ أَن دَعَوْتُكُمْ فَٱسْتَجَبْتُمْ لِي فَلَا تَلُومُونِي وَلُومُوٓاْ أَنفُسَكُم مَّآ أَنَا۠ بِمُصْرِخِكُمْ وَمَآ أَنتُم بِمُصْرِخِيَّ إِنِّي كَفَرْتُ بِمَآ أَشْرَكْتُمُونِ مِن قَبْلُ إِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢٢﴾ وَأُدْخِلَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ تَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَٰمٌ ﴿٢٣﴾﴾

﴿وبرزوا للَّه جميعًا﴾ يعني: يوم القيامة ﴿فقال الضعفاء﴾ وهم الأتباع ﴿للذين استكبروا﴾ وهم الرؤساء: ﴿إنا كنا لكم تبعًا﴾ لدعائكم إيانا إلى الشرك.

قال محمدٌ: (تبَعًا) جمعُ تابع[1]، وجائز أن يكون مصدرًا سُمِّي به؛ أي: كنا ذوي تبع[2].

﴿سواءٌ علينا أجزعنا أم صبرنا ما لنا من محيصٍ﴾ أي: مهربٍ، ولا معزل عن العذاب.

﴿وقال الشيطان لما قضى الأمرُ﴾ أي: فُصلَ بين العباد؛ فاستبان أهل الجنة من أهل النار ﴿إن اللَّه وعدكم وعد الحق﴾ أي: وعدهم الجنة على التمسك بدينه ﴿ووعدتكم فأخلفتكم وما كان لي عليكم من سلطانٍ﴾ أسترهبكم به ﴿إلا أن دعوتكم﴾ بالوسوسة ﴿فاستجبتم لي﴾ .

﴿ما أنا بمصرخكم﴾ بمغيثكم من عذاب اللَّه (ل١٦٥) ﴿وما أنتم بمصرخيّ

---

(١) ويجمع (تابع) أيضًا على: تُبّع وتُبّاع وتَبَعَة. لسان العرب (تبع).
(٢) ينظر: إعراب القرآن (٢/ ١٨٢)، البحر (٥/ ٤١٦).

إني كفرت بما أشركتمون من قبل﴾ أي: في الدنيا - يكفر بأن يكون شريكًا.

يحيى: عن ابن لهيعة، عن عبد الرحمن بن زياد، عن دُخَيْن الحجري، عن عقبة بن عامر قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «إذا جمع اللَّه الأولين والآخرين، وفرغ من القضاء بينهم قال المؤمنون: قد قضى بيننا ربنا؟ فمن يشفع لنا إلى ربنا؟ قالوا: انطلقوا بنا إلى آدم؛ فإنه أبونا وخلقه اللَّه بيده وكلَّمهُ، فيأتونه فيكلمونه أن يشفع لهم، فيقول آدم: عليكم بنوح؛ فيأتون نوحًا فيدلهم على إبراهيم، ثمّ يأتون إبراهيم فيدلّهم على موسى، ثم يأتون موسى فيدلهم على عيسى، ثم يأتون عيسى فيقول: أدلكم على النبي الأمي؛ فيأتونني فيأذن اللَّه لي أن أقوم إليه؛ فيفور من مجلسي أطيبُ ريح شمَّها أحدٌ حتى آتي ربي؛ فَيُشَفِّعُني ويجعل لي نورًا من شعر رأسي إلى ظفر قدمي، ثم يقول الكافرون: (هذا)[1] وجد المؤمنون من يشفع لهم فمن يشفع لنا؟! ما هو إلا إبليس هو الذي أضلنا فيأتونه؛ فيقولون: قد وجد المؤمنون من يشفع لهم؛ فقُم فاشفع أنت لنا فإنك أنت أضللتنا! فيقوم فيفور من مجلسه أنتن ريح شمَّها أحدٌ، ثم (يُعظَّم لجهنم)[2]، ثم يقول عند ذلك: ﴿إن اللَّه وعدكم وعد الحق ووعدتكم فأخلفتكم. . .﴾ الآية»[3].

(١) هكذا بالأصل، ولعلها محرفة عن (قد) واللَّه أعلم.

(٢) هكذا بالأصل.

(٣) رواه نعيم بن حماد في زيادات الزهد (١١١ رقم ٣٧٤) والطبري في تفسيره (١٣/ ٢٠١) وابن أبي حاتم في تفسيره (٧/ ٢٢٤٠-٢٢٤١ رقم١٢٢٤٥) والدارمي (٢/ ٤٢١-٤٢٢ رقم ٢٨٠٤) والطبراني في الكبير (١٧/ ٣٢٠-٣٢١ رقم٨٨٧) والبغوي في تفسيره (٤/ ٣٤٥-٣٤٦) من طريق عبد الرحمن بن زياد به.
قال الهيثمي في المجمع (١٠/ ٣٧٦): رواه الطبراني، وفيه عبد الرحمن بن زياد بن أنعم، وهو ضعيف.
وزاد السيوطي في الدر المنثور (٤/ ٨٤) عزوه لابن مردويه وابن عساكر، وقال: بسندٍ ضعيف.

﴿تحيتهم فيها سلام﴾ يقول: يسلم أهل الجنة بعضُهم على بعضٍ، وتحييهم الملائكة أيضًا عن اللَّه بالسلام؛ حين تأتيهم من عند اللَّه بالكرامةِ والهديّة.

﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي ٱلسَّمَآءِ ﴿٢٤﴾ تُؤْتِىٓ أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍۭ بِإِذْنِ رَبِّهَا ۗ وَيَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٢٥﴾ وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ ٱجْتُثَّتْ مِن فَوْقِ ٱلْأَرْضِ مَا لَهَا مِن قَرَارٍ ﴿٢٦﴾ يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْـَٔاخِرَةِ ۖ وَيُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلظَّٰلِمِينَ ۚ وَيَفْعَلُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ ﴿٢٧﴾﴾

﴿ألم تر كيف ضرب اللَّه مثلًا كلمة طيبة﴾ هي لا إله إلا اللَّه ﴿كشجرةٍ طيبة﴾ وهي النخلة؛ وهي مثل المؤمن ﴿أصلها ثابت﴾ في الأرض ﴿وفرعها في السماء﴾ أي: رأسُها الذي تكون فيه الثمرة ﴿تؤتي أكلها﴾ ثمرتها ﴿كل حين بإذن ربها﴾ أي: بأمره. تفسير الحسن: يقول: إن المؤمن لا يزال منه كلامٌ طيبٌ وعملٌ صالحٌ؛ كما تؤتي هذه الشجرة أكلها في كل حين.

قال يحيى: (والحينُ) في تفسير بعضهم: السَّنة، وهي تؤكل شتاءً وصيفًا.

قال محمدٌ: (الحين) في اللغة: اسْمُ وقْتٍ من أوقات الزمان يُسْتعملُ فيما طال وقصر[١].

﴿ومثل كلمة خبيثة﴾ الشرك ﴿كشجرةٍ خبيثة﴾ يعني: الحَنْظلة ﴿اجتثت من فوق الأرض﴾ أي: قطعت من أعلى الأرض ﴿ما لها من قرار﴾ أي: ليس لأصلها ثباتٌ في الأرض؛ فذلك مثل عمل الكافر، ليس لعمله الحسن أصلٌ

(١) ويجمع على أحيان وأحايين. لسان العرب (حين).

ثابت يُجزى به في الآخرة.

﴿يثبت اللَّه الذين آمنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة﴾ تفسير ابن عباس: قال: «إنَّ المؤمن إذا وُضِع في قبره، ورجع عنه أصحابه أتاه ملكٌ فأجْلَسَهُ، ثم يقول له: من ربك؟ فيقول: اللَّه، ثم يقول: فما دينك؟ فيقول: الإسلام، ثم يقول: فمن نبيُّك؟ فيقول: محمدٌ، فيقال له: صدقت، ثم يفتح له بابٌ إلى النار، فيقال له: انظرْ هذه النار التي لو أنَّك كنت كذَّبْت صِرت إليها؛ قد أعاذك اللَّه منها، ثم يفتح له بابٌ إلى الجنة فيقال له: انظر هذه الجنة، ويُعْرَضُ عليه منزله فيها ثم يُوسّع له قبرُه، فلا يزال يأتيه من ريح الجنة وبردها حتى تأتيه الساعة. وإن الكافر إذا وضع في قبره، ورجع عنه أصحابه أتاه ملكٌ فأجلسه، فقال له: من ربك؟ فيقول: لا أدري. ثم يقول له: ما دينك؟ فيقول: لا أدري! ثم يقول: من نبيك؟ فيقول له: لا أدري. فيقول له: لا دريْتَ. ثم يفتحُ له بابٌ إلى الجنة فينظر إليها، ثم يقال له: هذه الجنة التي لو كنت آمنت باللَّه ورسوله صرت إليْها، لن تراها أبدًا. ثم يُفْتح له بابٌ إلى النار، فيقال له: هذه النار التي أنت صائر إليها، ثمّ يضيّق عليه قبره، ثم يضربُ ضربة لو أصابت جبلًا (ل١٦٦) (. . .)[1] فيصيح عند ذلك صيحةً يسمعها كل شيءٍ إلا الثقلين. قال: فهو قوله: ﴿يثبت اللَّه الذين آمنوا . . . ﴾ الآية».

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ بَدَّلُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ كُفْرًا وَأَحَلُّوا۟ قَوْمَهُمْ دَارَ ٱلْبَوَارِ ﴿٢٨﴾ جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا ۖ وَبِئْسَ ٱلْقَرَارُ ﴿٢٩﴾ وَجَعَلُوا۟ لِلَّهِ أَندَادًا لِّيُضِلُّوا۟ عَن سَبِيلِهِۦ ۗ قُلْ تَمَتَّعُوا۟ فَإِنَّ

(١) طمس في الأصل

مَصِيرَكُمْ إِلَى ٱلنَّارِ ﴿٣٠﴾ قُل لِّعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يُقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُنفِقُوا۟ مِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِىَ يَوْمٌ لَّا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خِلَٰلٌ ﴿٣١﴾﴾

﴿ألم تر إلى الذين بدّلوا نعمة اللَّه كفرًا وأحلوا قومهم دار البوار جهنم يصلونها﴾ هم المشركون من أهل بدْر، جعلوا مكان نِعَم اللَّه عليهم الكفر، وأخرجوا قومهم إلى قتال النبي ببدر؛ فقتلهم اللَّه فحلوا في النار. والبوارُ: الفساد؛ أي: أن النار تفسد أجسادهم.

قال محمدٌ: نصب (جهنم) بدلًا من قوله: (دار البوار)[1]، والبوار أصله: الهلاك[2].

﴿وجعلوا للَّه أندادًا﴾ يعني: آلهتهم التي عدلوها باللَّه؛ فجعلوها آلهةً ﴿ليضلوا عن سبيله﴾ أي: عن سبيل الهدى .

﴿قل لعبادي الذين آمنوا يقيموا الصلاة﴾ يعني: الصلوات الخمس؛ يحافظون عليها ﴿وينفقوا مما رزقناهم سرًّا وعلانية﴾ يعني: الزكاة الواجبة.

﴿من قبل أن يأتي يومٌ﴾ يعني: يوم القيامة ﴿لا بيعٌ فيه﴾ أي: لا يتبايعون فيه ﴿ولا خلالٌ﴾ أي: تنقطع فيه كل خلَّةٍ إلا خلة المؤمنين.

قال محمدٌ: الخلال مصدرٌ؛ يقال: خاللْتُ فلانًا؛ أي: صادقته خلالًا ومُخَالَّةً، والاسمُ: الخُلَّة[3].

---

(١) وفيه أقوال نحوية أخرى لتوجيه نَصبه. ينظر: البحر (٥/ ٤٢٤)، مجمع البيان (٣/ ٣١٣).

(٢) يقال: بار الشيء يَبُور بَوَارًا وبَوْرًا؛ أي: هلك. لسان العرب (بور).

(٣) ويقال: (خالَّه) بالإدغام و(خالله) بفك الإدغام.

وسميت الصداقة: (خُلَّة) لأنها تخللت القلب، فصارت خلاله؛ أي: في باطنه. ينظر: لسان العرب، المعجم الوسيط (خلل).

﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزْقًا لَّكُمْ ۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلْفُلْكَ لِتَجْرِىَ فِى ٱلْبَحْرِ بِأَمْرِهِۦ ۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلْأَنْهَٰرَ ﴿٣٢﴾ وَسَخَّر لَكُمُ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ دَآئِبَيْنِ ۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ﴿٣٣﴾ وَءَاتَىٰكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ ۚ وَإِن تَعُدُّوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ ۗ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ ﴿٣٤﴾﴾

﴿وسخر لكم الشمس والقمر دائِبَيْن﴾ أي: يجريان إلى يوم القيامة ﴿وسخر لكم الليل والنهار﴾ يختلفان عليكم ﴿وآتاكم﴾ أعطاكم ﴿من كل ما سألتموه﴾ أي: وما لم تسألوه؛ هذا تفسير الحسن يقول: كل ما أعطاكم هو منه مما سألتم، ومما لم تسألوا ﴿وإن تعدوا نعمة اللَّه لا تحصوها﴾.

يحيى: عن الحسن بن دينار، عن الحسن، عن[1] أبي الدّرداء قال: «من لم ير نعمة اللَّه عليه إلا في مطعمه ومشربه، فقد قل علمه وحضر عذابه»[2] من حديث يحيى بن محمد.

﴿إن الإنسان﴾ يعني: الكافر ﴿لظلوم﴾ لنفسه ﴿كفارٌ﴾ بنعم ربه حين أشرك، وقد أجرى عليه هذه النعم.

﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ رَبِّ ٱجْعَلْ هَٰذَا ٱلْبَلَدَ ءَامِنًا وَٱجْنُبْنِى وَبَنِىَّ أَن نَّعْبُدَ ٱلْأَصْنَامَ ﴿٣٥﴾ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ ۖ فَمَن تَبِعَنِى فَإِنَّهُۥ مِنِّى ۖ وَمَنْ عَصَانِى فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ

---

(١) زاد بعدها في الأصل: ابن. وهي زيادة مقحمة، وأبو الدرداء هو عويمر بن زيد بن قيس، حكيم هذه الأمة، ترجمته في السير (٢/ ٣٣٥-٣٥٣).

(٢) رواه الإمام أحمد في الزهد (ص ١٦٦) والبيهقي في الشعب (٤/ ١١٣رقم٤٤٦٧) من طريق الحسن عن أبي الدرداء به.
ورواه ابن المبارك في الزهد (١٣٤رقم٣٩٧) - ومن طريق الطبري في تفسيره (١٩/ ٣٤، ٢٢/ ١٣٨) - عن معمر عن يحيى بن المختار عن الحسن قوله.

﴿٣٦﴾ رَبَّنَآ إِنِّيٓ أَسۡكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيۡرِ ذِي زَرۡعٍ عِندَ بَيۡتِكَ ٱلۡمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ فَٱجۡعَلۡ أَفۡـِٔدَةٗ مِّنَ ٱلنَّاسِ تَهۡوِيٓ إِلَيۡهِمۡ وَٱرۡزُقۡهُم مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ لَعَلَّهُمۡ يَشۡكُرُونَ ﴿٣٧﴾ رَبَّنَآ إِنَّكَ تَعۡلَمُ مَا نُخۡفِي وَمَا نُعۡلِنُۗ وَمَا يَخۡفَىٰ عَلَى ٱللَّهِ مِن شَيۡءٖ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا فِي ٱلسَّمَآءِ ﴿٣٨﴾ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي وَهَبَ لِي عَلَى ٱلۡكِبَرِ إِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَۚ إِنَّ رَبِّي لَسَمِيعُ ٱلدُّعَآءِ ﴿٣٩﴾ رَبِّ ٱجۡعَلۡنِي مُقِيمَ ٱلصَّلَوٰةِ وَمِن ذُرِّيَّتِيۚ رَبَّنَا وَتَقَبَّلۡ دُعَآءِ ﴿٤٠﴾ رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لِي وَلِوَٰلِدَيَّ وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ يَوۡمَ يَقُومُ ٱلۡحِسَابُ ﴿٤١﴾﴾

﴿وإذ قال إبراهيم رب اجعل هذا البلد آمنًا﴾ يعني: مكة ﴿واجنبني وبنيّ أن نعبد الأصنام﴾.

قال محمدٌ: أهل الحجاز يقولون: جنَّبني فلانٌ شرّه، وأهل نجد يقولون: أجنبني وجنبني؛ أي: جعلني جانبًا منه[1].

﴿رب إنهن أضللن كثيرًا من الناس﴾ يعني: الأصنام أضللن كثيرًا من الناس؛ يقول: ضلَّ المشركون بعبادتها؛ من غير أن تكون دعتْ هي إلى عبادة أنفسها ﴿فمن تبعني فإنه مني ومن عصاني﴾ فعبد الأوْثان، ثم تاب إليك بعد ذلك ﴿فإنك غفورٌ رحيم﴾.

﴿ربنا إني أسكنتُ من ذُريتي﴾ يعني: إسماعيل ﴿بوادٍ غير ذي زرعٍ عند بيتك المحرم ربنا ليقيموا الصلاة﴾ أي: إنما أسكنتُهُم مكة، ليعبدوك ﴿فاجعل أفئدة﴾ أي: قلوبًا ﴿من الناس تهوي إليهم﴾ تنزع إلى الحج، في تفسير الحسن. قال ابنُ عباس: «ولو كان قال: فاجعل أفئدة الناس تهوي إليهم، لحجَّه اليهود والنصارى وكل أحدٍ».

---

(١) ينظر: لسان العرب، مختار الصحاح (جنب).

﴿ربنا إنك تعلم ما نخفي وما نعلن﴾ تفسير ابن عباس: «إن إبراهيم جاء بهاجر وإسماعيل؛ فوضعهما بمكة عند زمزم، فلما قَفَا[١] نادتْهُ هاجر: يا إبراهيم؛ فالتفت إليها فقالت: من أمرك أن تضعني وابني بأرض ليس بها ضرْعٌ ولا زرعٌ ولا أنيسٌ؟! قال: ربي. قالت: إذن لن يضيعنا. فلما قفا إبراهيم، قال: ﴿ربنا إنك تعلم ما نخفي وما نعلن...﴾ أي: من الحزن، الآية.

﴿رب اجعلني مقيم الصّلاة ومن ذريتي﴾ أي: واجعل من ذريتي من يقيم الصلاة .

﴿ربنا اغفر لي ولوالديّ﴾ تفسير الحسن: دعا لأبيه أن يحوله الله من الكفر إلى الإيمان، ولم يغفر له؛ فلمَّا مات كافرًا تبرأ منه، وعرف أنه قد هلك.

﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱللَّهَ غَـٰفِلًا عَمَّا يَعْمَلُ ٱلظَّـٰلِمُونَ ۚ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ ٱلْأَبْصَـٰرُ ﴿٤٢﴾ مُهْطِعِينَ مُقْنِعِى رُءُوسِهِمْ لَا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ ۖ وَأَفْـِٔدَتُهُمْ هَوَآءٌ ﴿٤٣﴾﴾

﴿ولا تحسبن الله غافلًا عما يعمل الظالمون﴾ يعني: المشركين.

﴿إنما يؤخرهم ليوم تشخص فيه الأبصار﴾ إلى إجابة (الداعي)[٢] حين يدعوهم من قبورهم ﴿مهطعين﴾ أي: مسرعين إلى (نحو)[٣] الدعوة (ل١٦٧) حين يدعوهم إلى بيت المقدس.

قال محمدٌ: (مهطعين) منصوبٌ على الحال[٤].

---

(١) أي: رجع ذاهبًا. لسان العرب (قفو).

(٢) في الأصل (الداع) بحذف الياء.

(٣) مشتبهة في الأصل.

(٤) ينظر: البحر (٥/ ٤٣٥-٤٣٦)، الدر المصون (٤/ ٢٧٧).

و﴿مقنعي رءوسهم﴾ أي: رافعيها ﴿لا يرتد إليهم طرفهم وأفئدتهم﴾ أي: يديمون النظر.

قال محمدٌ: (طرفهم) يعني: نظرهم، وأصل الكلمة من قولهم: طرفَ الرّجلُ يَطْرِفُ طَرْفًا؛ إذا أطبق أحد جفنيه على الآخر؛ فسمي النظر طرْفًا؛ لأنه به يكون[1]. ومنه قول الشاعر يذكر سهيلًا - النجم في السماء، وشَبَّه اضطرابه بطرف العين.

أراقبُ لمحًا من سُهَيْلٍ كأنه ... إذا ما بدا في دجنةِ الليل يطرفُ[2]

قوله عز وجل: ﴿وأفئدتهم هواء﴾ بين الصَّدر والحلق؛ فلا تخرج من الحلق، ولا ترجع إلى الصدر؛ يعني: قلوب الكفار؛ هذا تفسير السُّدي.

قال محمدٌ: وجاء عن ابن عباس: (هواءً) أي: خالية من كل خير، وقال أبو عبيدة: وكذلك كل شيءٍ أجوف خاوٍ، فهو عند العرب هواء[3].

وأنشد غيره:

كأنَّ الرَّحل منها فوق صَعلٍ ... من الظُّلْمَان جُؤْجُؤه هَوَاءُ[4]

يقول: ليس لعظمه مخٌّ.

﴿وَأَنذِرِ ٱلنَّاسَ يَوْمَ يَأْتِيهِمُ ٱلْعَذَابُ فَيَقُولُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ رَبَّنَآ أَخِّرْنَآ إِلَىٰٓ أَجَلٍ قَرِيبٍ

---

(١) ويطلق الطَّرف على الواحد وغيره، وقد يثنَّى ويجمع. لسان العرب (طرف).

(٢) البيت من بحر الطويل، وهو لجِران العود. ينظر: البيان والتبيين (١/ ٥٧٨)، أدب الكاتب (١/ ٧٣).

(٣) ويقال: قلب هواء؛ أي: فارغ؛ للواحد والجمع. لسان العرب (هوى).

(٤) البيت لزهير بن أبي سلمى؛ وهو من بحر الوافر. ينظر: البحر المحيط (٥/ ٤٣٠)، روح المعاني (١٣/ ٢٤٦).

نُّجِبْ دَعْوَتَكَ وَنَتَّبِعِ ٱلرُّسُلَ أَوَلَمْ تَكُونُوٓاْ أَقْسَمْتُم مِّن قَبْلُ مَا لَكُم مِّن زَوَالٍ ﴿٤٤﴾ وَسَكَنتُمْ فِى مَسَٰكِنِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ وَتَبَيَّنَ لَكُمْ كَيْفَ فَعَلْنَا بِهِمْ وَضَرَبْنَا لَكُمُ ٱلْأَمْثَالَ ﴿٤٥﴾ وَقَدْ مَكَرُواْ مَكْرَهُمْ وَعِندَ ٱللَّهِ مَكْرُهُمْ وَإِن كَانَ مَكْرُهُمْ لِتَزُولَ مِنْهُ ٱلْجِبَالُ ﴿٤٦﴾﴾

قوله: ﴿وأنذر الناس يوم يأتيهم العذاب﴾ أي: أنذرهم ذلك اليوم.

﴿ربنا أخرنا إلى أجل قريب نجب دعوتك﴾ سألوا الرجعة إلى الدنيا؛ حتى يؤمنوا.

قال الله: ﴿أو لم تكونوا أقسمتم من قبل﴾ أي: في الدنيا ﴿ما لكم من زوال﴾ من الدنيا إلى الآخرة. ثم انقطع الكلام، ثم قال للذين بعث فيهم محمدٌ: ﴿وسكنتم في مساكن الذين ظلموا أنفسهم﴾ بشركهم؛ يعني: من أهلك من الأمم السابقة ﴿وتبين لكم كيف فعلنا بهم﴾ كيف أهلكناهم؛ يخوفهم بذلك ﴿وضربنا لكم الأمثال﴾ يعني: وصفنا لكم عذاب الأمم الخالية؛ يخوف كفار مكّة.

﴿وقد مكروا مكرهم وعند الله مكرهم﴾ أي: محفوظٌ لهم؛ حتى يجازيهم به ﴿وإن كان مكرهم لتزول منه الجبال﴾ وهي في مصحف ابن مسعود: (وما كان مكرهم لتزول منه الجبالُ)[1] تفسير الكلبي: قال: «إن نمرُوذ الذي بنى الصَّرْحَ ببابل، أراد أن يعلم علم السماء؛ فعمد إلى تابوتٍ فجعل فيه غلامًا، ثم عمد إلى نسورٍ أربعةٍ فأجاعها، ثم ربط كل نسرٍ بقائمة من قوائم التابوت،

---

(١) ينظر البحر (٥/ ٤٣٨)، الكشاف (٢/ ٣٨٣)، ووردت القراءة في الأصل: (وإن كاد)، وهي ليست قراءة ابن مسعود؛ إنما تنسب لعمر وعليّ وأبَيٍّ وغيرهم. وقرأ عليٌّ وأبَيٌّ وعمر أيضًا (وأن كان) بفتح همزة (أن). ينظر: الفخر الرازي (١٩/ ١٤٥) المحتسب (١/ ٣٦٥).

ثم رفع لهما لحمًا في أعلى التابوت، فجعل الغلام يفتح الباب الأعلى، فينظر إلى السماء فيراها كهيئتها، ثم يفتح الباب الأسفل فينظر إلى الأرض فيراها مثل اللُّجة، فلم يزل كذلك حتى جعل ينظر فلا يرى الأرض وإنما هو الهواء، وينظر فوق فيرى السماء كهيئتها، فلما رأى ذلك صوَّبَ اللحم فتصوبت النسور، فيقال - والله أعلم-: إنه مرَّ بجبل فخاف الجبل أن يكون أمرًا من الله، فكاد يزول من مكانه؛ فذلك قوله: ﴿وإن كان مكرهم لتزول منه الجبال﴾»(١).

﴿فَلَا تَحْسَبَنَّ ٱللَّهَ مُخْلِفَ وَعْدِهِۦ رُسُلَهُۥٓ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ ذُو ٱنتِقَامٍ ﴿٤٧﴾ يَوْمَ تُبَدَّلُ ٱلْأَرْضُ غَيْرَ ٱلْأَرْضِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ ۖ وَبَرَزُوا۟ لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ ﴿٤٨﴾ وَتَرَى ٱلْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ مُّقَرَّنِينَ فِى ٱلْأَصْفَادِ ﴿٤٩﴾ سَرَابِيلُهُم مِّن قَطِرَانٍ وَتَغْشَىٰ وُجُوهَهُمُ ٱلنَّارُ ﴿٥٠﴾ لِيَجْزِىَ ٱللَّهُ كُلَّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴿٥١﴾ هَٰذَا بَلَٰغٌ لِّلنَّاسِ وَلِيُنذَرُوا۟ بِهِۦ وَلِيَعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ وَلِيَذَّكَّرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٥٢﴾﴾

﴿فلا تحسبن الله مخلف وعده رسله﴾ ما وعدهم من النصر في الدنيا. ﴿إنّ الله عزيزٌ﴾ في نقمته ﴿ذو انتقام﴾ من أعدائه بعذابه .

﴿يوم تُبدّل الأرض غير الأرض والسمٰوات﴾ قال محمدٌ: أي: وتبدل السمٰواتُ ﴿وبرزوا لله﴾ حفاةً عراةً ﴿الواحد القهار﴾ قهر عباده بالموت وبما شاء.

قال محمدٌ: ومعنى تبديل السَّموات: تكوير شمسها، وخسوف قمرها، وانتثار كواكبها، وانفطارها، وانشقاقها.

---

(١) رواه عبد الرزاق في تفسيره (١/ ٣٤٤) عن معمر عن الكلبي.

يحيى: عن يونس بن[١] أبي إسحاق، عن عمرو بن ميمون، عن عبد اللَّه بن مسعود، قال: «تبدل الأرضُ بأرض بيضاء؛ كأنها فضة لم يعمل فيها خطيئة، ولم يسفك فيها محجمةً دمٍ حرامٍ»[٢].

﴿وترى المجرمين﴾ المشركين ﴿يومئذٍ مقرنين في الأصفاد﴾ يعني:

---

(١) كذا في الأصل، ولعل الصواب «عن يونس عن أبي إسحاق» فإن الحديث معروف من رواية «أبي إسحاق السبيعي عن عمرو بن ميمون عن ابن مسعود» كما سيأتي بيانه، واللَّه أعلم.

(٢) رواه عبد الرزاق في تفسيره (٢/ ٣٤٤) والطبري في تفسيره (١٣/ ٢٤٩-٢٥٠) والطبراني في الكبير (٩/ ٢٠٥رقم٩٠٠١) وأبو الشيخ في العظمة (٣/ ١٠٩٩-١١٠٠رقم٥٩٨) والحاكم في المستدرك (٤/ ٥٧٠) وغيرهم من عدة طرق عن أبي إسحاق عن عمرو بن ميمون عن عبد اللَّه قوله.
قال الهيثمي في المجمع (٧/ ٤٥): وإسناده جيد.
وقال ابن حجر في الفتح (١١/ ٣٨٣): ورجاله رجال الصحيح، وهو موقوف.
ورواه الحاكم (٤/ ٥٧٠) من طريق هبيرة بن يريم عن ابن مسعود.
وقال الحاكم: هذا حديث صحيح الإسنادين جميعًا على شرط الشيخين، ولم يخرجاه.
ورواه ابن المبارك في الزهد (١١٥رقم٣٨٨) والطبري في تفسيره (١٣/ ٢٥٠) من طريق عاصم عن زر بن حبيش عن ابن مسعود موقوفًا.
قال بن حجر في الفتح (١١/ ٣٨٣): ورجاله موثقون أيضًا.
ورواه البزار (٥/ ٢٤٦-٢٤٧رقم ١٨٥٩) والطبراني في الكبير (١٠/ ١٦١ رقم ١٠٣٢٣) والأوسط (٧/ ١٦٤ رقم٧١٦٧) وابن عدي في الكامل (٢/ ٣٤٢-٣٤٣) وأبو نعيم في الحلية (٤/ ١٥٣، ٣٤٨) من طريق جرير بن أيوب البجلي عن أبي إسحاق عن عمرو بن ميمون عن ابن مسعود مرفوعًا.
قال البزار: وهذا الحديث لا نعلم رواه عن أبي إسحاق عن عمرو عن عبد اللَّه مرفوعًا إلا جرير ابن أيوب، وجرير ليس بالقوي.
وقال الطبراني: لم يرفع هذا الحديث عن أبي إسحاق إلا جرير بن أيوب، تفرد به أبو عتاب.
وقال أبو نعيم: لم يروه عن أبي إسحاق مرفوعًا إلا جرير، ورواه أبو الأحوص وإسرائيل وزكرياء بن أبي زائدة موقوفًا على عبد اللَّه.
وقال الهيثمي في المجمع (٧/ ٤٥): رواه الطبراني في الأوسط والكبير، وفيه جرير بن أيوب البجلي، وهو متروك.

السلاسل (يقرن كل إنسان (ل١٦٨) وشيطانه الذي كان قرينه في الدنيا في سلسلة واحدة.

قال محمدٌ: واحد الأصفاد: صفدٌ[(١)] يقال: صَفَدتُ الرجل؛ إذا جعلته في صفدٍ، وأَصْفَدتُه إذا أعطيته عطاءً[(٢)] .

﴿سرابيلهم من قطران﴾ أي: قُمصهم، والقطرانُ: هو الذي يُطلى به الإبلُ، وقال مجاهد: (سرابيلهم من قطران) أي: من صُفرٍ[(٣)] حار قد انتهى حره ﴿وتغشى وجوههم النار﴾ هو كقوله: ﴿أفمن يتقي بوجهه سوء العذاب﴾[(٤)] أي: يجرُّ على وجهه في النار ﴿ ليجزي اللّه كل نفسٍ ما كسبت﴾ ما عملت ﴿إن اللّه سريع الحساب﴾.

يحيى: سمعت بعض الكوفيين يقول: يقضَى بين الخلق يوم القيامة في قدر نصف يوم من أيام الدنيا.

﴿هذا بلاغٌ للناس﴾ للمؤمنين؛ يعني: القرآن يبلغهم إلى الجنة ﴿وليُنْذَروا به وليعلموا أنما هو إلهٌ واحدٌ﴾ ليس له شريك ﴿وليذكر أولو الألباب﴾ وهم المؤمنون.

* * *

(١) تكرر في الأصل.
(٢) لسان العرب (صفد).
(٣) أي: نحاس أصفر. لسان العرب (صفر).
(٤) الزمر: ٢٤ .

تفسير سورة الحجر وهي مكية كلها

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿الٓر تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ وَقُرْءَانٍ مُّبِينٍ ۝١ رُّبَمَا يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَوْ كَانُوا۟ مُسْلِمِينَ ۝٢ ذَرْهُمْ يَأْكُلُوا۟ وَيَتَمَتَّعُوا۟ وَيُلْهِهِمُ ٱلْأَمَلُ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ۝٣ وَمَآ أَهْلَكْنَا مِن قَرْيَةٍ إِلَّا وَلَهَا كِتَابٌ مَّعْلُومٌ ۝٤ مَّا تَسْبِقُ مِنْ أُمَّةٍ أَجَلَهَا وَمَا يَسْتَـْٔخِرُونَ ۝٥ وَقَالُوا۟ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِى نُزِّلَ عَلَيْهِ ٱلذِّكْرُ إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ ۝٦ لَّوْ مَا تَأْتِينَا بِٱلْمَلَٰٓئِكَةِ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ۝٧ مَا نُنَزِّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَمَا كَانُوٓا۟ إِذًا مُّنظَرِينَ ۝٨﴾

قوله: ﴿الر تلك آيات الكتاب وقرآن مبين﴾ بيِّن ﴿ربما يود الذين كفروا لو كانوا مسلمين﴾.

يحيى: عن عثمان، عن حمّاد، عن إبراهيم، عن علقمة، عن عبد اللَّه بن مسعود قال: «يقول أهْلُ النار لمن دخلها من أهل التوحيد: قد كان هؤلاء مسلمين، فما أغنى عنهم؟! قال: فيغضب لهم ربهم فيدخلهم الجنة، فعند ذلك يود الذين كفروا لو كانوا مسلمين»[1].

﴿ذرهم يأكلوا﴾ يعني: المشركين، يأكلوا ﴿ويتمتعوا﴾ في الدنيا ﴿ويُلْهِهِمُ الأمَلُ﴾ الذي يأملون من الدنيا ﴿فسوف يعلمون﴾ يوم القيامة؛ وهذا وعيدٌ، وكان هذا قبل أن يؤمر بقتالهم، ثم أمر بقتالهم، ولا يذرهم حتى يُسْلموا أو يُقتلوا؛ يعني: مشركي العرب.

---

(١) رُوي عن عدة من الصحابة موقوفًا ومرفوعًا، انظر: تفسير الطبري (١٤/ ٢-٥) والدر المنثور (٤/ ١٠٤-١٠٥).

﴿وما أهلكنا من قرية إلا ولها كتابٌ معلومٌ﴾ يعني: الوقت الذي يهلكون فيه؛ يعني: من أهلك من الأمم السالفة بتكذيبهم رُسلَهم ﴿ما تسبق من أمة أجلها﴾ يعني: الأمم الخالية أجلها وقت العذاب ﴿وما يستأخرون﴾ عنه.

﴿وقالوا يا أيها الذي نزل عليه الذكر﴾ يعني: القرآن؛ فيما تدَّعي ﴿إنك لمجنون﴾ يعنون: محمدًا ﴿لو ما﴾ أي: لولا ﴿تأتينا بالملائكة﴾ حتى تشهد أنك رسول اللَّه ﴿إن كنت من الصادقين﴾ فنصدقك. قال اللَّه: ﴿ما ننزل الملائكة﴾ حتى تعاينونهم[1] ﴿إلا بالحق﴾ يعني: بعذابهم واستئصالهم ﴿وما كانوا إذن منظرين﴾ طرفة عيْن بعد نزول الملائكة.

﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴿٩﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ فِى شِيَعِ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٠﴾ وَمَا يَأْتِيهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿١١﴾ كَذَٰلِكَ نَسْلُكُهُۥ فِى قُلُوبِ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿١٢﴾ لَا يُؤْمِنُونَ بِهِۦ ۖ وَقَدْ خَلَتْ سُنَّةُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٣﴾ وَلَوْ فَتَحْنَا عَلَيْهِم بَابًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ فَظَلُّوا۟ فِيهِ يَعْرُجُونَ ﴿١٤﴾ لَقَالُوٓا۟ إِنَّمَا سُكِّرَتْ أَبْصَٰرُنَا بَلْ نَحْنُ قَوْمٌ مَّسْحُورُونَ ﴿١٥﴾﴾

﴿إنا نحن نزّلنا الذكر﴾ يعني: القرآن ﴿وإنا له لحافظون﴾ حفظه اللَّه من إبليس أن يزيد فيه شيئًا، أو ينقص منه.

﴿ولقد أرسلنا من قبلك في شيع الأولين﴾ أي: في قرنٍ؛ يعني: قوم نوحٍ وسائر الأمم ﴿وما يأتيهم من رسولٍ إلا كانوا به يستهزئون كذلك نسلكه﴾ نسلك التكذيب ﴿في قلوب المجرمين﴾ يعني: المشركين.

قال محمدٌ: تقول: سلكتُ فلانًا في الطريق وأسلكته بمعنى واحدٍ[2].

---

(١) هكذا في الأصل، وهو خلاف الجادة، والصواب: حتى تعاينوهم.
(٢) وأيضًا سَلَكْته. لسان العرب (سلك).

﴿لا يؤمنون به﴾ يعني: القرآن ﴿وقد خلت سنةُ الأوَّلين﴾ يعني: وقائع اللَّه في الأمم الخالية التي أهلكهم بها - يخوف المشركين بذلك.

﴿ولو فتحنا عليهم بابًا من السماء فظلوا﴾ أي: ساروا ﴿فيه يعرجُون﴾ أي: يختلفون بين السماء والأرض، يعني: الملائكة[1] ﴿لقالوا إنما سكرت أبصارنا﴾ أي: سُدَّت ﴿بل نحن قومٌ مسحورون﴾ كقوله: ﴿وإن يروا آية يعرضوا ويقولوا سحرٌ مستمر﴾[2].

قال محمدٌ: من قرأ (سُكِّرت) بالتثقيل، فهو من سَكَّرتُ البصر إذا سددته، ويقال للسَّدِّ: السِّكْرُ. ومن قرأ (سُكِرَتْ) مخفَّفة[3]، فالمعنى: تحيَّرت أبْصَارنا وسكنتْ عن النظر؛ تقول العرب: سُكِرَتِ الريحُ تَسْكَرُ إذا سكنت[4] (. . .)[5]

﴿وَلَقَدْ جَعَلْنَا فِى ٱلسَّمَآءِ بُرُوجًا وَزَيَّنَّـٰهَا لِلنَّـٰظِرِينَ ﴿١٦﴾ وَحَفِظْنَـٰهَا مِن كُلِّ شَيْطَـٰنٍ رَّجِيمٍ ﴿١٧﴾ إِلَّا مَنِ ٱسْتَرَقَ ٱلسَّمْعَ فَأَتْبَعَهُۥ شِهَابٌ مُّبِينٌ ﴿١٨﴾ وَٱلْأَرْضَ مَدَدْنَـٰهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَٰسِىَ وَأَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ شَىْءٍ مَّوْزُونٍ ﴿١٩﴾ وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَـٰيِشَ وَمَن لَّسْتُمْ لَهُۥ بِرَٰزِقِينَ ﴿٢٠﴾ وَإِن مِّن شَىْءٍ إِلَّا عِندَنَا خَزَآئِنُهُۥ وَمَا نُنَزِّلُهُۥٓ إِلَّا بِقَدَرٍ مَّعْلُومٍ ﴿٢١﴾ وَأَرْسَلْنَا ٱلرِّيَـٰحَ لَوَٰقِحَ فَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَسْقَيْنَـٰكُمُوهُ وَمَآ أَنتُمْ لَهُۥ بِخَـٰزِنِينَ ﴿٢٢﴾ وَإِنَّا لَنَحْنُ نُحْىِۦ

---

(١) كذا في الأصل.
(٢) القمر: ٢ .
(٣) قرأ بالتثقيل مبنيًا للمفعول السَّبعةُ إلا ابن كثير؛ فقد قرأ بالتخفيف. ينظر: السبعة (٣٦٦)، النشر (٢/ ٣٠١)، التيسير (١٣٥).
(٤) ينظر لسان العرب (سكر).
(٥) طمس في الأصل.

وَنُمِيتُ وَنَحْنُ ٱلْوَٰرِثُونَ ﴿٢٣﴾ وَلَقَدْ عَلِمْنَا ٱلْمُسْتَقْدِمِينَ مِنكُمْ وَلَقَدْ عَلِمْنَا ٱلْمُسْتَـْٔخِرِينَ ﴿٢٤﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ هُوَ يَحْشُرُهُمْ إِنَّهُۥ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿٢٥﴾﴾

(ل١٦٩) ﴿ولقد جعلنا في السماء بروجًا﴾ يعني: نجومًا؛ في تفسير ابن عباس وقتادة ﴿وزيناها﴾ زينا السماء بالنجوم ﴿للناظرين وحفظناها من كل شيطان رجيم﴾ ملعون رجمه الله باللعنة؛ في تفسير الحسن ﴿إلا من استرق السَّمْعَ﴾ فإنها لم تُحفظ منه إن تسمع الخبر من أخبار السماء، ولا تسمع من الوحي شيئًا. ﴿فأتبعه شهاب مبين﴾ مضيءٌ.

﴿والأرض مددناها﴾ يعني: بسطناها ﴿وألقينا﴾ أي: جعلنا ﴿فيها رواسي﴾ وهي الجبال ﴿وأنبتنا فيها من كل شيءٍ موزون﴾ أي: مقدور بقدر؛ في تفسير مجاهد.

قال محمدٌ: معنى قول مجاهد: أي: جرى على وزنٍ من قدر الله لا يجاوز ما قدَّره الله عليه.

﴿وجعلنا لكم فيها﴾ في الأرض ﴿معايش﴾ يعني: ما أخرج الله لهم فيها، وممَّا عمل بنو آدم ﴿ومن لستم له برازقين﴾ أي: جعلنا لكم، ولمن لستُمْ له برازقين فيها معايش؛ يعني: البهائم وغيرها من الخلق ممن لا يمونه بنو آدم.

﴿وإن من شيءٍ إلا عندنا خزائنه﴾ يعني: المطر؛ وهذه الأشياء كلها إنما تعيش بالمطر.

﴿وأرسلنا الرياح لواقح﴾ يعني: للسَّحاب؛ في تفسير قتادة.

قال محمدٌ: المعنى: أنها تضرب السحاب حتى تمطر، وواحدة اللواقح

من الرياح: لاقحٌ؛ بمعنى: أنها ذات لقح[١]، كقوله: ﴿في عيشة راضية﴾[٢] أي: ذات رضًا.

﴿وما أنتم له بخازنين﴾ أي: بحافظين ﴿وإنا لنحن نحيي﴾ أي: نخلق ﴿ونميت ونحن الوارثون﴾ يموت الخلق، والله الوارث الباقي بعد خلقه.

﴿ولقد علمنا المستقدمين منكم﴾ تفسير قتادة: يعني: آدم، ومن مضى من ذريته ﴿ولقد علمنا المستأخرين﴾ من بقى في أصْلِبة الرجال.

﴿وإن ربك هو يحشرهم﴾ يحشر الخلق يوم القيامة ﴿إنه حكيم﴾ في أمره ﴿عليم﴾ بخلقه.

﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن صَلْصَٰلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ ﴿٢٦﴾ وَٱلْجَآنَّ خَلَقْنَٰهُ مِن قَبْلُ مِن نَّارِ ٱلسَّمُومِ ﴿٢٧﴾ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّى خَٰلِقٌۢ بَشَرًا مِّن صَلْصَٰلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ ﴿٢٨﴾ فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِى فَقَعُوا۟ لَهُۥ سَٰجِدِينَ ﴿٢٩﴾ فَسَجَدَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ ﴿٣٠﴾ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰٓ أَن يَكُونَ مَعَ ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿٣١﴾﴾

﴿ولقد خلقنا الإنسان من صلصالٍ﴾ قال قتادة: يعني: التراب اليابس الذي يسمع له صلْصَلةٌ ﴿من حمإٍ مسنون﴾ يعني: المتغير الرائحة.

قال محمدٌ: الحَمأُ جمع: حمأة[٣]، ويقال لليابس من الطين الذي لم تُصِبه نارٌ: صلصالٌ[٤]؛ فإذا مسَّته النار فهو فخَّار[٥].

---

(١) لسان العرب (لقح).
(٢) الحاقة: ٢١، والقارعة: ٧ .
(٣) والحَمَأُ والحَمْأَةُ بمعنى. لسان العرب (حمأ).
(٤) لسان العرب (صلصل).
(٥) لسان العرب (فخر).

﴿والجان﴾ يعني: إبليس؛ في تفسير قتادة ﴿خلقناه من قبلُ﴾ أي: من قبل آدم ﴿من نار السموم﴾ يعني: سموم جهنم.

قال محمدٌ: والسَّمومُ من صفات جهنَّم وهو شدة حرها، والجان منصوب بفعل مضمرٍ[(١)]؛ المعنى: وخلقنا الجان خلقْناهُ.

قوله عز وجل: ﴿فسجد الملائكة كلهم أجمعون إلا إبليس أبى أن يكون مع الساجدين﴾ تفسير ابن عباسٍ: «لو لم يكن إبليس من الملائكة، لم يؤمر بالسجود».

قال الحسن: أمره باللَّه بالسجود كما أمر الملائكة؛ فأبى أن يسجد معهم، وكان خلق إبليس من نارٍ، وخلق الملائكة من نورٍ.

قال محمدٌ: (إلا إبليس) منصوبٌ باستثناء ليس من الأول[(٢)]؛ كما قال عز وجل: ﴿فإنهم عدوٌّ لي إلا ربَّ العالمين﴾[(٣)] المعنى: لكن إبليس أبى أن يكون هذا على مذهب من قال: إن إبليس لم يكن من الملائكة.

وقيل: إنّ إبليس كان اسمُه: عزازيل، وإنّ اللَّه لما لعنه وغضب عليه أبلس من رحمته؛ أي: يئس؛ فسماه: إبليس.

﴿قَالَ يَـٰٓإِبۡلِيسُ مَا لَكَ أَلَّا تَكُونَ مَعَ ٱلسَّـٰجِدِينَ ﴿٣٢﴾ قَالَ لَمۡ أَكُن لِّأَسۡجُدَ لِبَشَرٍ خَلَقۡتَهُۥ مِن صَلۡصَـٰلٍ مِّنۡ حَمَإٍ مَّسۡنُونٍ ﴿٣٣﴾ قَالَ فَٱخۡرُجۡ مِنۡهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ ﴿٣٤﴾ وَإِنَّ عَلَيۡكَ ٱللَّعۡنَةَ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلدِّينِ ﴿٣٥﴾ قَالَ رَبِّ فَأَنظِرۡنِيٓ إِلَىٰ يَوۡمِ يُبۡعَثُونَ ﴿٣٦﴾ قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ ٱلۡمُنظَرِينَ ﴿٣٧﴾ إِلَىٰ يَوۡمِ

(١) أي: منصوب على الاشتغال. ينظر البحر: (٥/ ٤٥٣)، الدر المصون (٤/ ٢٩٦).
(٢) البحر(٥/ ٤٥٣).
(٣) الشعراء: ٧٧ .

ٱلْوَقْتِ ٱلْمَعْلُومِ ﴿٣٨﴾ قَالَ رَبِّ بِمَآ أَغْوَيْتَنِى لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٣٩﴾ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿٤٠﴾ قَالَ هَٰذَا صِرَٰطٌ عَلَىَّ مُسْتَقِيمٌ ﴿٤١﴾ إِنَّ عِبَادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنٌ إِلَّا مَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْغَاوِينَ ﴿٤٢﴾ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمَوْعِدُهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٤٣﴾ لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَٰبٍ لِّكُلِّ بَابٍ مِّنْهُمْ جُزْءٌ مَّقْسُومٌ ﴿٤٤﴾﴾

﴿وإن عليك اللعنة إلى يوم الدين﴾ الحساب؛ يعني: يوم القيامة، وعليه اللعنة أيضًا يوم القيامة أبدًا.

﴿قال فإنك من المنظرين﴾ المؤخَّرين ﴿إلى يوم الوقت المعلوم﴾ يعني: النفخة الأولى التي يموت بها كل حي، وأراد عدو اللَّه أن يؤخره إلى النفخة الآخرة التي يُبعث بها الخلق.

﴿قال رب بما أغويتني لأزينن لهم في الأرض﴾ يزين لهم الدنيا في أمرهم بها، ويخبرهم أنه لا بعث ولا حساب ولا جنة ولا نار؛ يوسوِس ذلك إليهم ﴿ولأغوينهم﴾ لأُضلنَّهم ﴿أجمعين إلا عبادك منهم المخلصين﴾ الموحِّدين.

﴿قال هذا صراطٌ عليَّ مستقيم﴾ (ل١٧٠) تفسير مجاهد: يعني: أن اللَّه هو الهادي لمن يشاء إلى صراط مستقيم ﴿إن عبادي ليس لك عليهم سلطان﴾ أي: لا تستطيع أن تضل من هدى اللَّه ﴿إلا من اتبعك من الغاوين وإن جهنم لموعدهم أجمعين﴾ يعني: الغاوين ﴿لها سبعة أبواب﴾ بعضها تحت بعضٍ مطبقة؛ الباب الأعلى جهنم، ثمَّ سقر، ثم لظى، ثم الحُطمةُ، ثم السعير، ثم الجحيم، ثم الهاوية، وجهنم والنار يقدُمان الأسماء[1] ﴿لكل باب منهم جزءٌ مقسوم﴾.

---

(١) وقال ابن جُريج: سبعة أبواب: أولها جهنم، ثم لظى، ثم الحطمة، ثم سعير، ثم سقر، ثم الجحيم، ثم الهاوية.
قال ابن رجب في التخويف من النار (ص٥٩): خرجه ابن أبي الدنيا وغيره.

﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ۝٤٥ ٱدْخُلُوهَا بِسَلَٰمٍ ءَامِنِينَ ۝٤٦ وَنَزَعْنَا مَا فِى صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ إِخْوَٰنًا عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَٰبِلِينَ ۝٤٧ لَا يَمَسُّهُمْ فِيهَا نَصَبٌ وَمَا هُم مِّنْهَا بِمُخْرَجِينَ ۝٤٨﴾

﴿إن المتقين في جناتٍ وعيون﴾ العيون: الأنهار ﴿ادخلوها بسلام آمنين﴾ وذلك حين تلقاهم الملائكة؛ تقول لهم: ﴿سلامٌ عليكم طبتم فادخلوها خالدين﴾[١] آمنين من الموت .

﴿ونزعنا ما في صدورهم من غلٍّ﴾ يعني: ما كان بينهم في الدنيا من الحسد والضغائن ﴿إخوانًا على سُررٍ متقابلين﴾ قال بعضهم: هذا إذا زار بعضهم بعضًا.

قال محمدٌ: (إخوانًا) منصوبٌ على الحال[٢].

﴿نَبِّئْ عِبَادِىٓ أَنِّىٓ أَنَا ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ۝٤٩ وَأَنَّ عَذَابِى هُوَ ٱلْعَذَابُ ٱلْأَلِيمُ ۝٥٠ وَنَبِّئْهُمْ عَن ضَيْفِ إِبْرَٰهِيمَ ۝٥١ إِذْ دَخَلُوا۟ عَلَيْهِ فَقَالُوا۟ سَلَٰمًا قَالَ إِنَّا مِنكُمْ وَجِلُونَ ۝٥٢ قَالُوا۟ لَا تَوْجَلْ إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَٰمٍ عَلِيمٍ ۝٥٣ قَالَ أَبَشَّرْتُمُونِى عَلَىٰٓ أَن مَّسَّنِىَ ٱلْكِبَرُ فَبِمَ تُبَشِّرُونَ ۝٥٤ قَالُوا۟ بَشَّرْنَٰكَ بِٱلْحَقِّ فَلَا تَكُن مِّنَ ٱلْقَٰنِطِينَ ۝٥٥ قَالَ وَمَن يَقْنَطُ مِن رَّحْمَةِ رَبِّهِۦٓ إِلَّا ٱلضَّآلُّونَ ۝٥٦ قَالَ فَمَا خَطْبُكُمْ أَيُّهَا ٱلْمُرْسَلُونَ ۝٥٧ قَالُوٓا۟ إِنَّآ أُرْسِلْنَآ إِلَىٰ قَوْمٍ مُّجْرِمِينَ ۝٥٨ إِلَّآ ءَالَ لُوطٍ إِنَّا لَمُنَجُّوهُمْ أَجْمَعِينَ ۝٥٩ إِلَّا ٱمْرَأَتَهُۥ قَدَّرْنَآ ۙ إِنَّهَا لَمِنَ ٱلْغَٰبِرِينَ ۝٦٠﴾

﴿نبئ عبادي أني أنا الغفور الرحيم﴾ لا أغفرَ منه ولا أرحَمَ؛ يغفر للمؤمنين

---

(١) الزمر: ٧٣ .

(٢) ينظر: إعراب القرآن (٢/ ١٩٦)، والبحر (٥/ ٤٥٧).

ويرحمهم ويدخلهم الجنة ﴿وأن عذابي﴾ يعني: النار ﴿هو العذاب الأليم﴾ الموجع.

﴿ونبئهم عن ضيف إبراهيم إذ دخلوا عليه فقالوا سلامًا قال إنا منكم وجلون﴾ أي: خائفون.

قال محمدٌ: (سلامًا) منصوبٌ على المصدر؛ كأنه قال: فسلموا سلامًا[١].

﴿قال أبشرتموني على أن مسني الكبر﴾ عَجِبَ من كبره وكبر امرأته ﴿فبم تبشرون﴾.

قال محمدٌ: الأصل في (تبشرون): تبشرونني؛ فحُذفت أحد النونين؛ لاستثقال جمعهما[٢] هذا فيمن قرأها بكسر النون[٣].

﴿قالوا بشرناك بالحق فلا تكن من القانتين﴾ الآيسين ﴿قال فما خطبكم﴾ ما أمركم؟.

﴿إلا آل لوطٍ﴾ يعني: أهله المؤمنين ﴿إلا امرأته قدرنا إنها لمن الغابرين﴾ يعني: الباقين في عذاب الله.

﴿فَلَمَّا جَآءَ ءَالَ لُوطٍ ٱلْمُرْسَلُونَ ﴿٦١﴾ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ مُّنكَرُونَ ﴿٦٢﴾ قَالُواْ بَلْ جِئْنَٰكَ بِمَا كَانُواْ فِيهِ يَمْتَرُونَ ﴿٦٣﴾ وَأَتَيْنَٰكَ بِٱلْحَقِّ وَإِنَّا لَصَٰدِقُونَ ﴿٦٤﴾ فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِّنَ ٱلَّيْلِ وَٱتَّبِعْ أَدْبَٰرَهُمْ وَلَا يَلْتَفِتْ مِنكُمْ أَحَدٌ وَٱمْضُواْ حَيْثُ تُؤْمَرُونَ ﴿٦٥﴾ وَقَضَيْنَآ إِلَيْهِ ذَٰلِكَ

---

(١) أي: منصوب على المفعول المطلق. إعراب القرآن (٢/ ١٩٧)، البحر (٥/ ٤٥٨).

(٢) وقيل: الأصل: (تبشروني) فحذف الياء، واجتزأ بالكسرة، وحذف نون الرفع؛ لاجتماع النونين. كشف المشكلات (٢/ ٦٦٧).

(٣) وهي قراءة نافع، وقرأ الباقون بالفتح، وشدد النون: ابن كثير، وخففها الباقون. السبعة (٣٦٧)، التيسير (١٣٦)، النشر (٢/ ٣٠٢).

ٱلْأَمْرَ أَنَّ دَابِرَ هَٰٓؤُلَآءِ مَقْطُوعٌ مُّصْبِحِينَ ﴿٦٦﴾ وَجَآءَ أَهْلُ ٱلْمَدِينَةِ يَسْتَبْشِرُونَ ﴿٦٧﴾ قَالَ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ ضَيْفِى فَلَا تَفْضَحُونِ ﴿٦٨﴾ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَلَا تُخْزُونِ ﴿٦٩﴾ قَالُوٓا۟ أَوَلَمْ نَنْهَكَ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٧٠﴾ قَالَ هَٰٓؤُلَآءِ بَنَاتِىٓ إِن كُنتُمْ فَٰعِلِينَ ﴿٧١﴾ لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِى سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿٧٢﴾ فَأَخَذَتْهُمُ ٱلصَّيْحَةُ مُشْرِقِينَ ﴿٧٣﴾ فَجَعَلْنَا عَٰلِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ ﴿٧٤﴾ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّلْمُتَوَسِّمِينَ ﴿٧٥﴾ وَإِنَّهَا لَبِسَبِيلٍ مُّقِيمٍ ﴿٧٦﴾ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٧٧﴾﴾

﴿فلما جاء آل لوط المرسلون﴾ يعني: الملائكة ﴿قال﴾ لوط ﴿إنكم قوم منكرون﴾ نكرهُم ﴿قالوا بل جئناك بما كانوا فيه يمترون﴾ يشكون، من العذاب؛ كانوا يقولون: لا نُعذب؛ حين كان يخوفهم بالعذاب إن لم يؤمنوا ﴿وأتيناك بالحق﴾ يعني: بعذابهم.

﴿فأسر بأهلك بقطعٍ من الليل﴾ أي: في طائفةٍ من الليل؛ والسُّرَى لا يكون إلا ليلًا.

قال محمدٌ: ويقال منه: أَسْرَى وسَرَى[1].

﴿واتبع أدبارهم﴾ أي: كن آخرهم ﴿ولا يلتفت منكم أحدٌ﴾ لا ينظر وراءه إلى المدينة.

﴿وقضينا إليه ذلك الأمر﴾ أي: أعلمناه ﴿أنَّ دابر هؤلاء﴾ أصلهم ﴿مقطوع مصبحين﴾.

قال محمدٌ: (مصبحين) نصبٌ على الحال[2].

﴿وجاء أهل المدينة يستبشرون﴾ بأضياف لوطٍ؛ لما يريدون من عمل

---

(١) ومنه أيضًا: سَارَى واسْتَرَى بمعنىً. لسان العرب (سرى).
(٢) إعراب القرآن (٢/ ٢٠١)، البحر (٥/ ٤٦١).

السوء ﴿قال إن هؤلاء ضيفي فلا تفضحون﴾ ﴿ قالوا أو لم ننهك عن العالمين﴾ أي: أن تضيف أحدًا ولا تنزله ﴿قال هؤلاء بناتي﴾ أمرهم بتزويج النساء ﴿إن كنتم فاعلين﴾ متزوِّجين.

﴿لعمرُك﴾ قسمٌ ﴿إنهم لفي سكرتهم﴾ يعني: ضلالتهم ﴿يعمهون﴾ يتحيرون.

قال محمدٌ: العَمْرُ والعُمْرُ عند أهل اللغة بمعنى واحدٍ؛ فإذا استعمل في القسم فتح أوّلهُ؛ لكثرة استعمالهم له؛ لأنَّ الفتح أخفُّ[١].

﴿فأخذتهم الصيحة﴾ قال السُّدي: صيحة جبريل ﴿مشرقين﴾ حين أشرقت الشمسُ ﴿فجعلنا عاليها سافلها﴾ قد مضى تفسيرُه.

﴿إن في ذلك لآياتٍ للمتوسمين﴾ قال سفيان: يعني: للمتفرسين.

قال محمدٌ: معنى التفرس: الاستدلال بصحة النظر؛ يقال: توسمت في فلان الخير، وتفرَّسته؛ أي: تبيَّنته[٢].

﴿وإنها لبسبيل مقيم﴾ يعني: قرية قوم لوط؛ أي: هي طريق واضح.

﴿وَإِن كَانَ أَصْحَٰبُ ٱلْأَيْكَةِ لَظَٰلِمِينَ ﴿٧٨﴾ فَٱنتَقَمْنَا مِنْهُمْ وَإِنَّهُمَا لَبِإِمَامٍ مُّبِينٍ ﴿٧٩﴾ وَلَقَدْ كَذَّبَ أَصْحَٰبُ ٱلْحِجْرِ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٨٠﴾ وَءَاتَيْنَٰهُمْ ءَايَٰتِنَا فَكَانُوا۟ عَنْهَا مُعْرِضِينَ ﴿٨١﴾ وَكَانُوا۟ يَنْحِتُونَ مِنَ ٱلْجِبَالِ بُيُوتًا ءَامِنِينَ ﴿٨٢﴾ فَأَخَذَتْهُمُ ٱلصَّيْحَةُ مُصْبِحِينَ ﴿٨٣﴾ فَمَآ أَغْنَىٰ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿٨٤﴾﴾

﴿وإن كان أصحاب الأيكة لظالمين﴾ يعني: الذين بعث إليهم شعيب (...)[٣] والأيكة (...)[١] كانوا أصحاب (...)[١] كان عامَّة ثمرهم

---

(١) لسان العرب (عمر).
(٢) لسان العرب (فرس)، (وسم).
(٣) طمس في الأصل.

(ل١٧١) المُقْلُ؛ وهو الدَّومُ، فسلط الله عليهم الحرّ سبعة أيام فكان لا يأتيهم منه شيءٌ، فبعث الله عليهم سحابة فلجأوا تحتها يلتمسون الرَّوْحَ، فجعلها الله نارًا فاضطرمت عليهم.

قال محمدٌ: قرأ نافعٌ: (الأيكة)[١] وكذلك قرأ التي في «قاف»[٢] وقرأ التي في «الشعراء»[٣] وفي «ص»[٤]: (لَيْكة) بغير ألف ولام ولم يصرفهما[٥] فيما ذكره أبو عُبيد، وقال: وجدنا في بعض التفاسير: أن (لَيْكَةَ) اسْمُ القرية التي كانوا فيها، و(الأيكةُ)[٦]: البلادُ كلها.

﴿وإنهما لبإمام مبين﴾ يقول: وإن منزل قوْم لوط وأصحاب الأيكة لبطريق واضحٍ.

قال محمدٌ: قيل للطريق: إمام؛ لأنه يؤتم به؛ أي: يهتدى به[٧].

﴿ولقد كذب أصحاب الحجر المرسلين﴾ يعني: ثمود قوم صالح ﴿وكانوا ينحتون من الجبال بيوتًا آمنين﴾.

قال محمدٌ: الحجرُ اسمُ وادٍ، وأصلُ النحْتِ: القطع والنجر[٨].

---

(١) أي: أن نافعًا قرأ (الأيكة): (ليكة)؛ فالتي في الحجر قرأها نافع وحده، والتي في الشعراء وص وقاف قرأها نافع وابن كثير وابن عامر. ينظر السبعة (٣٦٨، ٤٧٣).

(٢) ق: ١٤ .

(٣) الشعراء: ١٧٦ .

(٤) ص: ١٣ .

(٥) للعلمية والتأنيث. الدر المصون (٤/٣٠٦) والمراد (ليكة) كما في «الشعراء» و«ص».

(٦) قال صاحب مختار الصحاح: فمن قرأ: (أصحاب الأيكة) فهي الغيضة، ومن قرأ: (أصحاب ليكة) فهي اسم القرية. وقيل: هما مثل بكّة ومكة.
ينظر مختار الصحاح (أيك).

(٧) وجمعه: أئمة. لسان العرب (أمم).

(٨) لسان العرب (نحت).

﴿وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِلَّا بِٱلْحَقِّ ۗ وَإِنَّ ٱلسَّاعَةَ لَآتِيَةٌ ۖ فَٱصْفَحِ ٱلصَّفْحَ ٱلْجَمِيلَ ﴿٨٥﴾ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ ٱلْخَلَّٰقُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٨٦﴾ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَٰكَ سَبْعًا مِّنَ ٱلْمَثَانِى وَٱلْقُرْءَانَ ٱلْعَظِيمَ ﴿٨٧﴾ لَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّنْهُمْ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَٱخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿٨٨﴾ وَقُلْ إِنِّىٓ أَنَا ٱلنَّذِيرُ ٱلْمُبِينُ ﴿٨٩﴾ كَمَآ أَنزَلْنَا عَلَى ٱلْمُقْتَسِمِينَ ﴿٩٠﴾ ٱلَّذِينَ جَعَلُوا۟ ٱلْقُرْءَانَ عِضِينَ ﴿٩١﴾ فَوَرَبِّكَ لَنَسْـَٔلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٩٢﴾ عَمَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٩٣﴾ فَٱصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٩٤﴾﴾

﴿وما خلقنا السمٰوات والأرض وما بينهما إلا بالحق﴾ أي: للبعث ﴿فاصفح الصفح الجميل﴾ وهذا منسوخٌ بالقتال.

﴿ولقد آتيناك سبعًا من المثاني﴾ تفسير قتادة: هي فاتحة الكتاب؛ وهي سبع آياتٍ؛ وإنما سميت المثاني؛ لأنهن يثنين في كل ركعة.

قال محمدٌ: قيل: المعنى -والله أعلم-: ولقد آتيناك سبْعًا مثاني، وتكون (من) صلةً؛ كما قال الله - عز وجل -: ﴿فاجتنبوا الرجس من الأوثان﴾[1] المعنى: اجتنبوا الأوثان، لا أنَّ بعضها رجسٌ.

﴿والقرآن العظيم﴾ أي: وآتيناك القرآن العظيم.

﴿لا تمدنَّ عينيك إلى ما متعنا به أزواجًا منهم﴾ أصنافًا؛ يعني: الأغنياء؛ في تفسير مجاهد ﴿ولا تحزن عليهم﴾ يعني: المشركين إن لم يؤمنوا ﴿واخفض جناحك للمؤمنين﴾ أي: ألِنه لمن آمن بك ﴿وقل إني أنا النذير المبين﴾ أي: أنذر الناس النار ﴿كما أنزلنا على المقتسمين الذين جعلوا القرآن

---

(١) الحج: ٣٠.

عضين﴾ قال الحسن: يقول: أنزلنا عليك القرآن كما أنزلنا على المقتسمين، يعني: أهل الكتابين الذي اقتسموه، فجعلوه كتبًا بعد إذ كان كتابًا، وحرّفوه فجعلوه كالأعضاء.

قال محمدٌ: المعنى: آمنوا ببعضه، وكفروا ببعضه، وتقول العرب: عضّيت الشيء؛ إذا وزعته، وعضّيت الذبيحة؛ إذا قطعتها أعضاء، والعِضة: القطعة منها، والجميع: عضون في حال الرّفع، وعِضِين في حال النصب والخفض(١). قال رؤبة(٢):-

وليس دين الله بالمعضّى(٣)

قوله: ﴿فوربك لنسألنهم أجمعين عما كانوا يعملون فاصدع بما تؤمر﴾ قال الكلبي: يعني: أظهر ما أُمرت به.

﴿إِنَّا كَفَيْنَٰكَ ٱلْمُسْتَهْزِءِينَ ﴿٩٥﴾ ٱلَّذِينَ يَجْعَلُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿٩٦﴾ وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ ﴿٩٧﴾ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُن مِّنَ ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿٩٨﴾ وَٱعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ ٱلْيَقِينُ ﴿٩٩﴾﴾

﴿إنا كفيناك المستهزئين﴾ قال الكلبي: هُمْ خمسة: الوليد بن المغيرة، والعاص بن وائل، وعدي بن قيس، والأسود بن المطلب، والأسود بن عبد يغوث.

﴿ولقد نعلم أنك يضيق صدرك بما يقولون﴾ يعني بقولهم أنك ساحرٌ،

---

(١) وذلك لأنه مُلحق بجمع المذكّر السالم. لسان العرب (عضو).

(٢) هو رؤبة بن العجاج راجز مشهور مات سنة ١٤٥ . ينظر ترجمته من الشعر والشعراء (٢/ ٥٩١)، الأغاني (٢٠/ ٣١٢).

(٣) البيت من الرجز. ينظر: ديوان رؤبة (٨١)، مجاز القرآن (١/ ٣٥٥)، اللسان (عضو).

وأنك شاعرٌ، وأنك كاهنٌ، وأنك مجنون، وأنك كاذبٌ ﴿فسبح بحمد ربك وكن من الساجدين واعبد ربك حتى يأتيك اليقين﴾ يعني: الموت.

* * *

تفسير سورة النحل

وهي من أولها إلى صدر هذه الآية: ﴿والذين هاجروا في الله . . .﴾[١] مكِّي، وسائرها مدني

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿أَتَىٰ أَمْرُ اللَّهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ ۚ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ (١) يُنَزِّلُ الْمَلَائِكَةَ بِالرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِ عَلَىٰ مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ أَنْ أَنذِرُوا أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا أَنَا فَاتَّقُونِ (٢) خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ ۚ تَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ (٣) خَلَقَ الْإِنسَانَ مِن نُّطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ (٤) وَالْأَنْعَامَ خَلَقَهَا ۗ لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنَافِعُ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ (٥) وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ (٦) وَتَحْمِلُ أَثْقَالَكُمْ إِلَىٰ بَلَدٍ لَّمْ تَكُونُوا بَالِغِيهِ إِلَّا بِشِقِّ الْأَنفُسِ ۚ إِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ (٧) وَالْخَيْلَ وَالْبِغَالَ وَالْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً ۚ وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ (٨)﴾

قوله: ﴿أتى أمر الله فلا تستعجلوه﴾ تفسير الحسن: هذا جوابٌ من الله لقول المشركين للنبي ﷺ: ﴿ائتنا بعذاب الله﴾[٢]، ولقولهم: ﴿عجل لنا قطنا﴾[٣] وأشباه ذلك؛ فقال الله: ﴿أتى أمر الله فلا تستعجلوه﴾ أي: أن العذاب آتٍ قريب ﴿سبحانه﴾ ينزه نفسه ﴿وتعالى﴾ ارتفع عما يقول المشركون

---

(١) النحل: ٤١ .
(٢) العنكبوت: ٢٩ .
(٣) ص: ١٦ .

من الإشراك به ﴿ينزل الملائكة بالروح﴾ (في تفسير السدي)[١] ﴿من أمره﴾ أي: بأمره.

قال محمدٌ: (سمى (ل١٧٢) الوحي روحًا لأن به)[٢] حياة من الجهل.

﴿على من يشاء من عباده أن أنذروا﴾ بأن أنذروا ﴿أنه لا إله إلا أنا فاتقون﴾ أن تعبدوا معي إلهًا .

﴿خلق السمٰوات والأرض بالحق﴾ للبعث والحساب، والجنة والنار ﴿خلق الإنسان من نطفةٍ﴾ يعني: المشرك؛ في تفسير الحسن ﴿فإذا هو خصيم مبين﴾ بيِّن الخصومة .

﴿والأنعام خلقها لكم﴾ يعني: الإبل والبقر والغنم.

قال محمدٌ: نصب (الأنعام) على فعل مضمر[٣]؛ المعنى: وخلق الأنعام لكم.

﴿فيها دفءٌ﴾ يعني: ما يصنع من الكسوة من أصوافها وأوبارها وأشعارها ومنافع في ظهورها؛ هذه الإبل والبقر وألبانها في جماعتها .

﴿ومنها تأكلون ولكم فيها جمال حين تريحون﴾ أي: حين تروح عليكم راجعة من الرّعي ﴿وحين تسرحون﴾ بها إلى الرعي؛ هذا تفسير الحسن.

قال محمدٌ: راحت الماشية وأرَحْتُها، وسَرَحَتْ وسرَحْتُهَا؛ الرواح: بالعشي[٤]، والسُّروح: بالغُدُوّ[٥]. ومعنى (لكم فيها جمال)[٦] أي: إذا قيل:

---

(١) هكذا بالأصل. ولعل هناك كلامًا ساقطًا.
(٢) مشتبهة في الأصل ولعلها كما أثبته، والله أعلم.
(٣) أي: نصب على الاشتغال. الدر المصون (٤/ ٣١٢).
(٤) أي: من زوال الشمس إلى الليل. لسان العرب (روح).
(٥) أي: ما بين الفجر إلى طلوع الشمس. لسان العرب (سرح) و(غدو).
(٦) سقطت من الأصل، ويقتضيها سياق الآية.

هذا مال فلان.

﴿وتحمل أثقالكم﴾ يعني: الإبل والبقر ﴿إلى بلدٍ لم تكونوا بالغيه إلا بشق الأنفس﴾ يقول: لولا أنها تحمل أثقالكم إلى البلد الذي تريدونه، لم تكونوا بالغي ذلك البلد إلا بمشقة على أنفسكم ﴿إن ربكم لرءوف رحيم﴾ يقول: فبرأفة اللَّه ورحمته سخَّر لكم هذه الأنعام، وهي للكافر رحمة الدنيا ليرزقه فيها من النعم.

﴿والخيل﴾ يقول: وخلق الخيل ﴿والبغال والحمير لتركبوها وزينةً﴾ في ركوبها؛ تفسير قتادة: خلقها اللَّه للركوب وللزينة ﴿ويخلق ما لا تعلمون﴾ من الأشياء كلها مما لم يُذكَر لكم.

﴿وَعَلَى ٱللَّهِ قَصْدُ ٱلسَّبِيلِ وَمِنْهَا جَآئِرٌ ۚ وَلَوْ شَآءَ لَهَدَىٰكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٩﴾ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً ۖ لَّكُم مِّنْهُ شَرَابٌ وَمِنْهُ شَجَرٌ فِيهِ تُسِيمُونَ ﴿١٠﴾ يُنۢبِتُ لَكُم بِهِ ٱلزَّرْعَ وَٱلزَّيْتُونَ وَٱلنَّخِيلَ وَٱلْأَعْنَٰبَ وَمِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١١﴾ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ ۖ وَٱلنُّجُومُ مُسَخَّرَٰتٌۢ بِأَمْرِهِۦٓ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿١٢﴾ وَمَا ذَرَأَ لَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مُخْتَلِفًا أَلْوَٰنُهُۥٓ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ ﴿١٣﴾﴾

﴿وعلى اللَّه قصد السبيل﴾ يعني: طريق الهدى؛ كقوله: ﴿إن علينا للهدى﴾(١) ﴿ومنها﴾ أي: وعنها؛ يعني: السبيل ﴿جائرٌ﴾ وهو الكافر جار عن سبيل الهدى ﴿ومنه شجرٌ فيه تسيمون﴾ أي: ترعون أنعامكم.

---

(١) الليل: ١٢.

قال محمدٌ: تقول: أسَمْتُ ماشيتي فسامت؛ أي: رعيتها فرعتْ[1].

﴿ينبت لكم به﴾ أي: بذلك الماء ﴿الزرع والزيتون...﴾ الآية، يقول: فالذي يُنبِتُ من ذلك الماء الواحد هذه الألوان المختلفة قادرٌ على أن يحيي الأموات.

﴿وما ذرأ لكم﴾ خلق ﴿في الأرض مختلفًا ألوانه﴾ تفسير قتادة: يعني: من الدواب والشجر والثمار.

﴿وَهُوَ ٱلَّذِى سَخَّرَ ٱلْبَحْرَ لِتَأْكُلُوا۟ مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُوا۟ مِنْهُ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى ٱلْفُلْكَ مَوَاخِرَ فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٤﴾ وَأَلْقَىٰ فِى ٱلْأَرْضِ رَوَٰسِىَ أَن تَمِيدَ بِكُمْ وَأَنْهَٰرًا وَسُبُلًا لَّعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٥﴾ وَعَلَٰمَٰتٍ ۚ وَبِٱلنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ ﴿١٦﴾ أَفَمَن يَخْلُقُ كَمَن لَّا يَخْلُقُ ۗ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿١٧﴾ وَإِن تَعُدُّوا۟ نِعْمَةَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٨﴾ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُسِرُّونَ وَمَا تُعْلِنُونَ ﴿١٩﴾ وَٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَا يَخْلُقُونَ شَيْـًٔا وَهُمْ يُخْلَقُونَ ﴿٢٠﴾﴾

﴿وهو الذي سخر البحر﴾ أي: خلق ﴿لتأكلوا منه لحمًا طريًا﴾ يعني: الحيتان ﴿وتستخرجوا منه حلية تلبسونها﴾ يعني: اللؤلؤ ﴿وترى الفلك﴾ السفن ﴿مواخر فيه﴾ يعني: شقها الماء في وقت جريها.

قال محمدٌ: يقال: مخرت السفينة الماء؛ إذا شقَّته[2].

﴿ولتبتغوا من فضله﴾ يعني: طلب التجارة في السفن.

﴿وألقى في الأرض رواسي﴾ يعني: الجبال ﴿أن تميد بكم﴾ لئلا تميد؛

---

(١) لسان العرب (سوم).

(٢) مخرت السفينة الماء مَخْرًا ومُخرًا. لسان العرب (مخر).

أي: تتحرك ﴿وأنهارًا﴾ أي: وجعل فيها أنهارًا ﴿وسبلًا﴾ طرقًا ﴿لعلكم تهتدون﴾ لكي تهتدوا الطرق ﴿وعلامات﴾ جعلها في الطرق تعرفونها بها ﴿وبالنجم هم يهتدون﴾ يعني: جماعة النجوم التي يهتدى بها .

﴿أفمن يخلق﴾ يعني: نفسه ﴿كمن لا يخلق﴾ يعني: الأوثان هل يستويان؟ أي: لا يستوي اللّه والأوثان ﴿أفلا تذكرون﴾ يقوله للمشركين .

﴿والذين تدعون[١] من دون اللّه﴾ يعني: الأوثان ﴿لا يخلقون شيئًا وهم يُخلقون﴾ أي: يصنعون بالأيدي .

﴿أَمْوَٰتٌ غَيْرُ أَحْيَآءٍ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ ﴿٢١﴾ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ فَٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْـَٔاخِرَةِ قُلُوبُهُم مُّنكِرَةٌ وَهُم مُّسْتَكْبِرُونَ ﴿٢٢﴾ لَا جَرَمَ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْتَكْبِرِينَ ﴿٢٣﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُم مَّاذَآ أَنزَلَ رَبُّكُمْ قَالُوٓا۟ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٢٤﴾ لِيَحْمِلُوٓا۟ أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَمِنْ أَوْزَارِ ٱلَّذِينَ يُضِلُّونَهُم بِغَيْرِ عِلْمٍ أَلَا سَآءَ مَا يَزِرُونَ ﴿٢٥﴾﴾

﴿أموات غير أحياء وما يشعرون أيَّان يبعثون﴾ متى يبعثون.

قال قتادة: تحشر الأوثان بأعيانها؛ فتخاصم عابديها عند اللّه؛ أنها لم تدعهم إلى عبادتها، وإنما كان دعاهم إلى ذلك الشياطين .

﴿وإذا قيل لهم﴾ إذا قال المؤمنون للمشركين: ﴿ماذا أنزل ربكم قالوا أساطير الأولين﴾ أي: كذبُ الأوَّلين وباطلُهم؛ وارتفعت[٢] لأنها حكاية على

---

(١) قرأ العامة: ﴿تدعون﴾ بالخطاب، وقرأ عاصم ﴿يدعون﴾ بالغيب. النشر (٢/ ٣٠٣) وإتحاف الفضلاء (٣٥٠).

(٢) أي: الأساطير.

معنى قالوا: إنه أساطير الأولين[١] ﴿ليحملوا أوزارهم﴾ أي: آثامهم ﴿كاملة يوم القيامة﴾ يعني الذين قالوا: أساطير الأولين (ل١٧٣) ﴿ومن أوزار الذين يضلونهم بغير علمٍ ألا ساء ما يزرون﴾ أي: بئس ما يحملون.

يحيى: عن أبي الأشهب، عن الحسن قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «أيما داعٍ دعا إلى هدى فاتُّبع عليه، فله مثل أجر من اتبعه، ولا ينقص ذلك من أجورهم شيئًا، وأيُّما داعٍ دعا إلى ضلالةٍ فاتُّبع عليها فعليه مثل وزر من اتبعه، لا ينقص ذلك من أوزارهم شيئًا»[٢].

﴿قَدْ مَكَرَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَأَتَى ٱللَّهُ بُنْيَـٰنَهُم مِّنَ ٱلْقَوَاعِدِ فَخَرَّ عَلَيْهِمُ ٱلسَّقْفُ مِن فَوْقِهِمْ وَأَتَىٰهُمُ ٱلْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٢٦﴾ ثُمَّ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ يُخْزِيهِمْ وَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَآءِىَ ٱلَّذِينَ كُنتُمْ تُشَـٰٓقُّونَ فِيهِمْ ۚ قَالَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ إِنَّ ٱلْخِزْىَ ٱلْيَوْمَ وَٱلسُّوٓءَ عَلَى ٱلْكَـٰفِرِينَ ﴿٢٧﴾ ٱلَّذِينَ تَتَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ ظَالِمِىٓ أَنفُسِهِمْ ۖ فَأَلْقَوُا۟ ٱلسَّلَمَ مَا كُنَّا نَعْمَلُ مِن سُوٓءٍ ۚ بَلَىٰٓ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٢٨﴾ فَٱدْخُلُوٓا۟ أَبْوَٰبَ جَهَنَّمَ خَـٰلِدِينَ فِيهَا ۖ فَلَبِئْسَ مَثْوَى ٱلْمُتَكَبِّرِينَ ﴿٢٩﴾﴾

﴿قد مكر الذين من قبلهم فأتى اللَّه بنيانهم من القواعد﴾ يعني: الذين أهلك بالرجفة من الأمم السالفة رجفت بهم الأرض ﴿فخر عليهم السقف من فوقهم﴾ سقطت سقوف منازلهم عليهم.

---

(١) أي: ارتفعت على الخبرية، وحذف المبتدإ. ينظر: إعراب القرآن (٢/ ٢٠٨) البحر (٥/ ٤٨٤).

(٢) رواه الطبري في تفسيره (١٤/ ٩٦) وابن أبي حاتم في تفسيره (٧/ ٢٢٨١-٢٢٨٢رقم١٢٥٠٧) عن الربيع بن أنس مرسلًا.
وروى مسلم (٤/ ٣٦٤رقم٢٦٧٤) عن أبي هريرة نحوه.

﴿ويقول أين شركائي الذين كنتم تشاقون فيهم﴾ أي: تعادون فيهم، وعداوتهم لله: عبادتهم الأوثان من دونه، ومعنى (شركائي) أي: الذين زعمتم أنهم شركائي.

﴿قال الذين أوتوا العلم﴾ وهم المؤمنون ﴿إن الخزي اليوم والسوء﴾ يعني: العذاب على الكافرين؛ وهذا الكلام يوم القيامة.

﴿الذين تتوفاهم الملائكة ظالمي أنفسهم﴾ تفسير الحسن: وفاةٌ إلى النار؛ أي: حَشْرٌ ﴿فألقوا السلم﴾ قال الحسن: يعني: أعطوا الإسلام واستسلموا؛ فلم يقبل منهم ﴿ما كنا نعمل من سوء﴾ قال الحسن: إن في القيامة مواطن، فمنها موطن يقرون فيه بأعمالهم الخبيثة، ومنها موطن ينكرون فيه، ومنها موطن يختم على أفواههم، وتتكلم أيديهم، وتشهد أرجلهم بما كانوا يعملون.

﴿وَقِيلَ لِلَّذِينَ ٱتَّقَوْاْ مَاذَآ أَنزَلَ رَبُّكُمْۚ قَالُواْ خَيْرًاۗ لِّلَّذِينَ أَحْسَنُواْ فِي هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا حَسَنَةٌۚ وَلَدَارُ ٱلْأٓخِرَةِ خَيْرٌۚ وَلَنِعْمَ دَارُ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٣٠﴾ جَنَّٰتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُۖ لَهُمْ فِيهَا مَا يَشَآءُونَۚ كَذَٰلِكَ يَجْزِي ٱللَّهُ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٣١﴾ ٱلَّذِينَ تَتَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ طَيِّبِينَۙ يَقُولُونَ سَلَٰمٌ عَلَيْكُمُ ٱدْخُلُواْ ٱلْجَنَّةَ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٣٢﴾﴾

﴿وقيل للذين اتقوا ماذا أنزل ربكم قالوا خيرًا﴾ أي أنزل خيرًا. ثم انقطع الكلام، ثم قال: ﴿للذين أحسنوا﴾ آمنوا ﴿في هذه الدنيا حسنة﴾ الجنة ﴿ولدار الآخرة خيرٌ﴾ من الدنيا ﴿ولنعم دار المتقين جنات عُدنٍ يدخلونها﴾.

قال محمدٌ: (جناتُ عدنٍ) مرفوعةٌ بإضمار (هي)[1].

---

(١) أي: على الخبرية، مع حذف المبتدإ. وفي ذلك تفصيل نحوي واسع. ينظر الدر المصون (٤/ ٣٢٤).

﴿الذين تتوفاهم الملائكة﴾ تقبض أرواحهم ﴿طيبين﴾ يعني: أحياءً وأمواتًا ﴿يقولون سلام عليكم ادخلوا الجنة بما كنتم تعملون﴾.

يحيى: عن حيوة بن شريح قال: إن الملائكة تأتي وليَّ اللَّه عند الموت فتقول: السلام عليك يا وليَّ اللَّه، اللَّهُ يقرأ عليك السلام. وتبشره بالجنة.

﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن تَأْتِيَهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ أَمْرُ رَبِّكَ ۚ كَذَٰلِكَ فَعَلَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ وَمَا ظَلَمَهُمُ ٱللَّهُ وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٣٣﴾ فَأَصَابَهُمْ سَيِّـَٔاتُ مَا عَمِلُوا۟ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٣٤﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟ لَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا عَبَدْنَا مِن دُونِهِۦ مِن شَىْءٍ نَّحْنُ وَلَآ ءَابَآؤُنَا وَلَا حَرَّمْنَا مِن دُونِهِۦ مِن شَىْءٍ ۚ كَذَٰلِكَ فَعَلَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ فَهَلْ عَلَى ٱلرُّسُلِ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ ﴿٣٥﴾ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ ۖ فَمِنْهُم مَّنْ هَدَى ٱللَّهُ وَمِنْهُم مَّنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ ٱلضَّلَٰلَةُ ۚ فَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُكَذِّبِينَ ﴿٣٦﴾ إِن تَحْرِصْ عَلَىٰ هُدَىٰهُمْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى مَن يُضِلُّ ۖ وَمَا لَهُم مِّن نَّٰصِرِينَ ﴿٣٧﴾﴾

﴿هل ينظرون إلا أن تأتيهم الملائكة أو يأتي أمر ربك﴾ تفسير الحسن: يقول: هل ينتظرون إلا أن تأتيهم الملائكة بعذابهم؛ يعني: مشركي العرب، أو يأتي أمر ربك؛ يعني: النفخة الأولى التي يهلك بها آخر كفار هذه الأمة الدَّائنين بدين أبي جهل وأصحابه قبل عذاب الآخرة. قال: ﴿كذلك فعل الذين من قبلهم﴾ أي: كذلك كذب الذين من قبل مشركي العرب ﴿أو يأتي أمر ربك﴾ يعني: النفخة الأولى؛ كما كذّب مشركو العرب، فأهلكناهم بالعذاب. . . الآية .

﴿فأصابهم سيئات ما عملوا﴾ ثواب ما عملوا ﴿وحاق بهم ما كانوا به يستهزئون﴾ أي: ثواب ما كانوا به يستهزئون بآيات اللَّه وبالرسل.

﴿ولا حرمنا من دونه من شيء﴾ وهو ما حَّرموا على أنفسهم من البحيرة والسائبة وغير ذلك؛ فقال اللَّه جوابًا لقولهم: ﴿كذلك فعل الذين من قبلهم فهل على الرسل إلا البلاغ المبين﴾.

﴿ولقد بعثنا في كل أمةٍ رسولًا﴾ يعني: ممن أهلك بالعذاب ﴿أن اعبدوا اللَّه واجتنبوا الطاغوت﴾ والطاغوت: الشيطان؛ هو دعاهم إلى عبادة الأوثان ﴿فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين﴾ كان عاقبتهم أن دمَّر اللَّه عليهم، ثم صيَّرهم إلى النار.

﴿إن تحرص على هداهم فإن اللَّه لا يهدي من يضل﴾ كقوله: ﴿من يضلل اللَّه فلا هادي له﴾[1].

﴿وَأَقْسَمُوا۟ بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَٰنِهِمْ ۙ لَا يَبْعَثُ ٱللَّهُ مَن يَمُوتُ ۚ بَلَىٰ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٨﴾ لِيُبَيِّنَ لَهُمُ ٱلَّذِى يَخْتَلِفُونَ فِيهِ وَلِيَعْلَمَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَنَّهُمْ كَانُوا۟ كَٰذِبِينَ ﴿٣٩﴾ إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَىْءٍ إِذَآ أَرَدْنَٰهُ أَن نَّقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٤٠﴾ وَٱلَّذِينَ هَاجَرُوا۟ فِى ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مَا ظُلِمُوا۟ لَنُبَوِّئَنَّهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً ۖ وَلَأَجْرُ ٱلْءَاخِرَةِ أَكْبَرُ ۚ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ﴿٤١﴾ ٱلَّذِينَ صَبَرُوا۟ وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٤٢﴾﴾

﴿وأقسموا باللَّه جهد أيمانهم لا يبعث اللَّه من يموت﴾ قال: ﴿بلى وعدًا عليه حقًّا﴾ ليبعثهم.

---

(١) الأعراف: ١٨٦ .

قال محمدٌ: (وعدًا) مصدرٌ[١]؛ والمعنى: وعد بالبعث وعدًا.

﴿ليبين لهم الذي يختلفون فيه﴾ أي: ما كانوا يختلفون في الدنيا؛ يعني: المؤمنين والكافرين ﴿وليعلم الذين كفروا أنهم كانوا كاذبين﴾ في قولهم في الدنيا: ﴿لا يبعث الله من يموت﴾[٢].

﴿إنما قولنا لشيء إذا أردناه أن نقول له﴾ قبل أن يكون (ل١٧٤) ﴿كن فيكون﴾.

قال محمدٌ: (فيكون) بالرفع على معنى: فهو يكون[٣].

﴿والذين هاجروا في الله﴾ إلى المدينة ﴿من بعد ما ظلموا﴾ من بعد ما ظلمهم المشركون ﴿وأخرجوا ديارهم﴾ من مكة ﴿لنبوئنهم في الدنيا حسنة﴾ يعني: المدينة؛ في تفسير قتادة ﴿ولأجر الآخرة﴾ الجنة ﴿أكبر﴾ من الدنيا ﴿لو كانوا يعلمون﴾ لعلموا أن الجنة خيرٌ من الدنيا. ﴿الذين صبروا وعلى ربهم يتوكلون﴾ قال الحسن: وهم الذين هاجروا في الله من بعد ما ظلموا.

﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُّوحِىٓ إِلَيْهِمْ ۚ فَسْـَٔلُوٓا۟ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٤٣﴾ بِٱلْبَيِّنَـٰتِ وَٱلزُّبُرِ ۗ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٤٤﴾ أَفَأَمِنَ ٱلَّذِينَ مَكَرُوا۟ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن يَخْسِفَ ٱللَّهُ بِهِمُ ٱلْأَرْضَ أَوْ يَأْتِيَهُمُ ٱلْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٤٥﴾ أَوْ يَأْخُذَهُمْ فِى تَقَلُّبِهِمْ فَمَا هُم بِمُعْجِزِينَ ﴿٤٦﴾ أَوْ يَأْخُذَهُمْ عَلَىٰ تَخَوُّفٍ فَإِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿٤٧﴾ أَوَلَمْ يَرَوْا۟ إِلَىٰ مَا خَلَقَ ٱللَّهُ مِن شَىْءٍ يَتَفَيَّؤُا۟ ظِلَـٰلُهُۥ عَنِ ٱلْيَمِينِ وَٱلشَّمَآئِلِ سُجَّدًا لِّلَّهِ وَهُمْ دَٰخِرُونَ ﴿٤٨﴾ وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَا فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ مِن دَآبَّةٍ

---

(١) أي: مصدر مؤكد. الدر المصون (٤/ ٣٢٦).

(٢) النحل: ٣٨.

(٣) تقدم الكلام عليه في سورة (البقرة الآية: ١١٧).

وَالْمَلَٰٓئِكَةُ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٤٩﴾ يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴿٥٠﴾﴾

﴿وما أرسلنا من قبلك إلا رجالًا نوحي إليهم فاسألوا أهل الذكر﴾ يقوله للمشركين ﴿إن كنتم لا تعلمون﴾ وأهل الذكر: عبد اللَّه بن سلام، وأصحابه الذين أسلموا؛ في تفسير السدي.

﴿بالبينات والزبر﴾ يعني: الكتب.

قال يحيى: فيها تقديمٌ: وما أرسلنا من قبلك بالبينات والزبر إلا رجالًا نوحي(١) إليهم.

﴿وأنزلنا إليك الذكر﴾ القرآن.

﴿أفأمن الذين مكروا السيئات﴾ يعني: الشرك ﴿أن يخسف اللَّه بهم الأرض أو يأتيهم العذاب من حيث لا يشعرون أو يأخذهم في تقلبهم﴾ أي: في أسفارهم في غير قرار ﴿فما هم بمعجزين﴾ بسابقين ﴿أو يأخذهم على تخوف﴾ تفسير الكلبي: يعني: على تنقُّص؛ أي: يبتليهم بالجهد حتى يرقوا ويقل عددهم.

قال محمدٌ: يقال: تخوَّفته الدُّهور؛ أي: تنقَّصته(٢).

قال بعض الشعراء - يصف ناقةً - وأن السير نقص سنامها بعد تمكُّنه واكتنازه:

تخوف السير منها تامكًا قَرِدًا كما تخوَّفَ عُودَ النَّبْعَةِ السَّفَنُ(٣)

---

(١) في الأصل: يوحى. وهو تصحيف.

(٢) و(تخوَّف) مطاوع (خَوَّف). لسان العرب (خوف).

(٣) ويروى: (تخوف الرجل. .إلخ). والبيت من بحر البسيط. وهو لأبي كبير الهذلي. ينظر البحر المحيط (٥/ ٤٩٥) ونسبه صاحب لسان العرب لابن عقيل (خوف)، ولذي الرمة (سفن). وانظر روح المعاني (١٤/ ١٥٢).

النَّبْعُ: العُودُ الذي يُعمل منه السهام والقِسيُّ.

قوله: ﴿فإن ربكم لرءوف رحيم﴾ أي: إن تابوا وأصلحوا.

﴿أو لم يروا إلى ما خلق اللَّه من شيء يتفيؤ﴾ أي: يرجع ﴿ظلالُه﴾ يعني: ظل كل شيء ﴿عن اليمين والشمائل﴾ تفسير الحسن: ربما كان الفيء عن اليمين، وربما كان عن الشمال ﴿سجَّدًا للَّه وهم داخرون﴾ صاغرون.

قال محمدٌ: يقال: دخر للَّه؛ أي: خضع[1]، و(سجَّدًا) منصوبٌ على الحال[2].

﴿وللَّه يسجد ما في السمٰوات﴾ يعني: الملائكة ﴿وما في الأرض من دابة والملائكة وهم لا يستكبرون﴾ عن عبادة اللَّه؛ يعني: الملائكة. قال محمدٌ: قيل في قوله: (والملائكة) أي: تسجد ملائكة الأرض.

﴿وَقَالَ ٱللَّهُ لَا تَتَّخِذُوٓاْ إِلَٰهَيۡنِ ٱثۡنَيۡنِۖ إِنَّمَا هُوَ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞ فَإِيَّٰيَ فَٱرۡهَبُونِ ﴿٥١﴾ وَلَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَلَهُ ٱلدِّينُ وَاصِبًاۚ أَفَغَيۡرَ ٱللَّهِ تَتَّقُونَ ﴿٥٢﴾ وَمَا بِكُم مِّن نِّعۡمَةٖ فَمِنَ ٱللَّهِۖ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فَإِلَيۡهِ تَجۡـَٔرُونَ ﴿٥٣﴾ ثُمَّ إِذَا كَشَفَ ٱلضُّرَّ عَنكُمۡ إِذَا فَرِيقٞ مِّنكُم بِرَبِّهِمۡ يُشۡرِكُونَ ﴿٥٤﴾ لِيَكۡفُرُواْ بِمَآ ءَاتَيۡنَٰهُمۡۚ فَتَمَتَّعُواْۖ فَسَوۡفَ تَعۡلَمُونَ ﴿٥٥﴾ وَيَجۡعَلُونَ لِمَا لَا يَعۡلَمُونَ نَصِيبٗا مِّمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡۗ تَٱللَّهِ لَتُسۡـَٔلُنَّ عَمَّا كُنتُمۡ تَفۡتَرُونَ ﴿٥٦﴾﴾

﴿وقال اللَّه لا تتخذوا إلهين اثنين﴾ أي: لا تعبدوا مع اللَّه غيره ﴿إنما هو إلهٌ واحدٌ فإياي فارهبون﴾ فخافون[3].

---

(١) لسان العرب (دخر).

(٢) حال من قوله تعالى: (ظلاله)، وهو جمع (ساجد) ينظر الدر المصون (٤/ ٣٣٢).

(٣) وحذف ياء (فخافون) والأصل: (فخافوني) على سبيل المشاكلة، أي: لقوله تعالى: ﴿فارهبون﴾.

﴿وله الدين واصبًا﴾ أي: دائمًا ﴿أفغير اللَّه تتقون﴾ تعبدون؛ يقول هذا للمشركين على الاستفهام؛ أي: قد فعلتم، فعبدتم الأوثان من دونه.

﴿وما بكم من نعمة فمن اللَّه ثم إذا مسَّكم الضر﴾ المرض والشدائد ﴿فإليه تجأرون﴾ تصرخون؛ أي: تدعونه ولا تدعوا الأوثان.

﴿ثم إذا كشف الضر عنكم إذا فريقٌ منكم بربهم يشركون ليكفروا بما آتيناهم فتمتَّعوا﴾ في الدنيا ﴿فسوف تعلمون﴾ هذا وعيدٌ.

﴿ويجعلون لما لا يعلمون نصيبًا﴾ يعني: آلهتهم؛ أي: يجعلون لما لا يعلمون أنه خلق مع اللَّه شيئًا، ولا أمات ولا أحْيا ولا رزق معه شيئًا ﴿نصيبًا مما رزقناهم﴾ يعني: قوله: ﴿وجعلوا للَّه مما ذرأ من الحرث والأنعام نصيبًا فقالوا هذا للَّه بزعمهم وهذا لشركائنا﴾[1] قال اللَّه - عز وجل -: ﴿تاللَّه﴾ قسمٌ يقسم بنفسه ﴿لتسئلن عما كنتم تفترون﴾.

قال محمدٌ: المعنى: تسألون عن ذلك - سؤال توبيخ - حتى تعترفوا به على أنفسكم، وتلزموا أنفسكم الحجة .

﴿وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ ٱلْبَنَٰتِ سُبْحَٰنَهُۥ وَلَهُم مَّا يَشْتَهُونَ ﴿٥٧﴾ وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِٱلْأُنثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُۥ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ ﴿٥٨﴾ يَتَوَٰرَىٰ مِنَ ٱلْقَوْمِ مِن سُوٓءِ مَا بُشِّرَ بِهِۦٓ أَيُمْسِكُهُۥ عَلَىٰ هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُۥ فِى ٱلتُّرَابِ أَلَا سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴿٥٩﴾ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ مَثَلُ ٱلسَّوْءِ وَلِلَّهِ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٦٠﴾ وَلَوْ يُؤَاخِذُ ٱللَّهُ ٱلنَّاسَ بِظُلْمِهِم مَّا تَرَكَ عَلَيْهَا مِن دَآبَّةٍ وَلَٰكِن يُؤَخِّرُهُمْ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَـْٔخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ ﴿٦١﴾﴾

﴿ويجعلون للَّه البنات﴾ كان مشركو العرب يقولون: إن الملائكة بنات

(١) الأنعام: ١٣٦ .

الله. قال الله: ﴿سبحانه﴾ ينزه نفسه عما قالوا ﴿ولهم ما يشتهون﴾ أي: ويجعلون لأنفسهم ما يشتهون؛ يعني: الغِلمان ﴿وإذا بُشِّر أحدهم بالأنثى ظل وجهه مسودًّا﴾ أي: متغيرًا ﴿وهو كظيم﴾ أي: كظِيمٌ على الغيظ والحزن.

(ل١٧٥) قال محمدٌ: وأصل الكظم: الحبسُ[1].

﴿يتوارى من القوم من سوء ما بشر به أيمسكه على هون أم يدسه في التراب﴾ يقول: يتفكر كيف يصنع بما بشِّر به؛ أيمسكه على هوانٍ -يعني: الابنة- أم يدفنها حيَّةً حتى تموت مخافة الفاقة ﴿ألا ساء﴾ بئس ﴿ما يحكمون﴾ وهذا مثلٌ ضربه الله لهم في قولهم: الملائكة بنات الله.

ثم قال: ﴿للذين لا يؤمنون بالآخرة مثل السوء ولله المثل الأعلى﴾ يقول: ولله الإخلاص والتوحيد؛ في تفسير قتادة.

﴿ولو يؤاخذ الله الناس بظلمهم ما ترك عليها من دابةٍ﴾ أي: لحبس المطر؛ فأهلك حيوان الأرض ﴿ولكن يؤخرهم﴾ يؤخر المشركين ﴿إلى أجل مسمى﴾ إلى الساعة؛ لأن كفار آخر هذه الأمة أخر عذابها بالاستئصال إلى النفخة الأولى ﴿فإذا جاء أجلهم﴾ بعذاب الله ﴿لا يستأخرون...﴾ عنه عن العذاب، الآية

﴿وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ مَا يَكْرَهُونَ وَتَصِفُ أَلْسِنَتُهُمُ ٱلْكَذِبَ أَنَّ لَهُمُ ٱلْحُسْنَىٰ لَا جَرَمَ أَنَّ لَهُمُ ٱلنَّارَ وَأَنَّهُم مُّفْرَطُونَ ﴿٦٢﴾ تَٱللَّهِ لَقَدْ أَرْسَلْنَآ إِلَىٰٓ أُمَمٍ مِّن قَبْلِكَ فَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ فَهُوَ وَلِيُّهُمُ ٱلْيَوْمَ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦٣﴾ وَمَآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ ٱلَّذِى ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٦٤﴾ وَٱللَّهُ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَحْيَا بِهِ

---

(١) يقال منه: كَظَمَ يكْظِم كَظْمًا فهو كاظم وكظيم. لسان العرب (كظم).

ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَآ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ ﴿٦٥﴾ وَإِنَّ لَكُمْ فِى ٱلْأَنْعَٰمِ لَعِبْرَةً ۖ نُّسْقِيكُم مِّمَّا فِى بُطُونِهِۦ مِنۢ بَيْنِ فَرْثٍ وَدَمٍ لَّبَنًا خَالِصًا سَآئِغًا لِّلشَّٰرِبِينَ ﴿٦٦﴾ وَمِن ثَمَرَٰتِ ٱلنَّخِيلِ وَٱلْأَعْنَٰبِ تَتَّخِذُونَ مِنْهُ سَكَرًا وَرِزْقًا حَسَنًا ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٦٧﴾﴾

﴿ويجعلون للَّه ما يكرهون﴾ يجعلون له البنات، ويكرهونها لأنفسهم ﴿وتصف ألسنتهم الكذب أن لهم الحسنى﴾ يعني: البنين؛ في تفسير السدي ﴿لا جرم﴾ كلمةُ وعيد؛ وقد مضى تفسيرها ﴿أن لهم النار وأنهم مفرطون﴾ قرأها الحسن بتسكين الفاء وفتح الراء[1] - وكأن تفسيرها: مُعْجَلون إلى النار[2]، وقرأ بعضهم (مُفَرّطون) بفتح الفاء وتشديد الراء[3]؛ وصفهم بالتفريط.

قال محمدٌ: وقراءة نافع ﴿مُفرِطُون﴾ بتسكين الفاء وكسر الراء[4]؛ وهو من الإفراط في معصية اللَّه.

﴿وما أنزلنا عليك الكتاب إلا لتبين لهم الذي اختلفوا فيه وهدى ورحمة﴾ يقول: فيه هدى ورحمة ﴿لقوم يؤمنون﴾.

قال محمدٌ: من قرأ (ورحمةً) بالنصب، فالمعنى: ما أنزلناه عليك إلا للبيان والهداية والرحمة[5].

﴿واللَّه أنزل من السماء ماءً فأحيا به الأرض بعد موتها﴾ يعني: الأرض

---

(١) وهي قراءة السَّبعة إلا نافعًا. ينظر: السبعة (٣٧٤)، التيسير (١٣٨)، الدر المصون (٤/ ٣٣٩).

(٢) وهو قول قتادة أيضًا، واختاره الزجاج وابن قتيبة وغيرهما. ينظر: تفسير ابن كثير (٤/ ٤٩٨) البحر (٥/ ٥٠٦)، مجمع التفاسير (٣/ ٦١٤).

(٣) بكسر الراء المشدّدة وفتحها وهي قراءة أبي جعفر، ينظر: البحر (٥/ ٥٠٦)، الإعراب للنحاس (٢/ ٢١٥).

(٤) ينظر: السبعة (٣٧٤)، التيسير (١٣٨)، الدر المصون (٤/ ٣٣٩).

(٥) أي: انتصب مفعولًا لأجله. ينظر الدر المصون (٤/ ٣٤٠).

التي ليس فيها نبات؛ فيحييها بالمطر؛ فتنبت بعد إذ لم يكن فيها نباتٌ ﴿إن في ذلك لآيةً لقوم يسمعون﴾ فيعلمون أن الذي أحيا هذه الأرض الميتة حتى أنبتت -قادرٌ على أن يحيي الموتى.

﴿وإن لكم في الأنعام لعبرةً نسقيكم مما في بطونه من بين فرثٍ ودمٍ لبنًا خالصًا سائغًا للشاربين﴾ يقول: في هذا اللبن الذي أخرجه اللَّه من بين فرث ودم آية لقومٍ يعقلون؛ فيعلمون أن الذي أخرجه قادرٌ على أن يحيي الموتى.

قال محمدٌ: يقال: سقيته وأَسْقَيْته بمعنى واحدٍ(١). و(الأنعام) لفظه لفظُ جميع، وهو اسمُ الجنسِ يذكر ويؤنث(٢)، والفرث: ما في الكرش(٣)، والسائغ: السَّهْلُ في الشرب(٤).

﴿ومن ثمرات النخيل والأعناب تتخذون منه سكرًا ورزقًا حسنًا﴾ أي: وجعل لكم من ثمرات النخيل والأعناب ما تتخذون منه سكرًا ورزقًا حسنًا.

تفسير مجاهد: السَّكرُ: الخمرُ قبل تحريمها، والرزق الحسن: الطعام .

﴿وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى ٱلنَّحْلِ أَنِ ٱتَّخِذِى مِنَ ٱلْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ ٱلشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ ﴿٦٨﴾ ثُمَّ كُلِى مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ فَٱسْلُكِى سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلًا ۚ يَخْرُجُ مِنۢ بُطُونِهَا شَرَابٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهُۥ فِيهِ شِفَآءٌ لِّلنَّاسِ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٦٩﴾ وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ ثُمَّ يَتَوَفَّىٰكُمْ ۚ وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰٓ أَرْذَلِ ٱلْعُمُرِ لِكَىْ لَا يَعْلَمَ بَعْدَ عِلْمٍ شَيْـًٔا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ قَدِيرٌ ﴿٧٠﴾ وَٱللَّهُ فَضَّلَ بَعْضَكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ فِى ٱلرِّزْقِ ۚ فَمَا ٱلَّذِينَ فُضِّلُوا۟ بِرَآدِّى رِزْقِهِمْ عَلَىٰ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُمْ فَهُمْ فِيهِ سَوَآءٌ ۚ أَفَبِنِعْمَةِ ٱللَّهِ

(١) وأيضًا: (سَاقَيْتُهُ) بنفس المعنى. لسان العرب (سقى).
(٢) ويقال: واحده: (النَّعَم)، ويجمع أيضًا على (أناعيم). لسان العرب (نعم).
(٣) ويُسمى أيضًا: (الفُراثة)، ويجمع على: (فُرُوث). لسان العرب (فرث).
(٤) ويقال: ماء سائغ، وسَيِّغ. لسان العرب (سيغ).

يَجْحَدُونَ ﴿٧١﴾ وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا وَجَعَلَ لَكُم مِّنْ أَزْوَٰجِكُم بَنِينَ وَحَفَدَةً وَرَزَقَكُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ ۚ أَفَبِٱلْبَٰطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَتِ ٱللَّهِ هُمْ يَكْفُرُونَ ﴿٧٢﴾ وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَهُمْ رِزْقًا مِّنَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ شَيْـًٔا وَلَا يَسْتَطِيعُونَ ﴿٧٣﴾ فَلَا تَضْرِبُوا۟ لِلَّهِ ٱلْأَمْثَالَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٧٤﴾﴾

﴿وأوحى ربك إلى النحل﴾ أي: ألهمها ﴿ومما يعرشون﴾ أي: يبنون ﴿فاسلكي سُبُل ربك﴾ يعني: طرق ربك التي جعل لك ﴿ذللا﴾ قال مجاهدٌ: يعني: ذللت لها السبل لا يتوعَّرُ عليها مكان ﴿يخرج من بطونها شراب﴾ يعني: العسل ﴿مختلف ألوانه فيه شفاء للناس﴾ أي: دواءٌ.

﴿ومنكم من يرد إلى أرذل العمر لكيلا يعلم بعد علم شيئًا﴾ يقول: يصير بمنزلة الطفل الذي لا يعقل شيئًا.

﴿والله فضل بعضكم على بعض...﴾ الآية، يقول: هل منكم من أحد يكون هو ومملوكه وأهله وماله شركاء سواء؛ أي: أنكم لا تفعلون ذلك بمملوكيكم؛ فالله أحق ألا يشرك به أحدٌ من خلقه.

﴿أفبنعمة الله يجحدون﴾ على الاستفهام؛ أي: قد فعلوا ذلك.

﴿والله جعل لكم من أنفسكم أزواجًا﴾ يعني: نساءً ﴿وجعل لكم من أزواجكم بنين وحفدةً﴾ تفسير الحسن: الحفدة: الخدمُ؛ يعني: بذلك ولده وولد ولده؛ يقال: إنهم بنون وخدم.

قال محمدٌ: وأصل الحفد(١): الخدمة والعمل، ومنه يقال في القنوت: (ل١٧٦) «وإليك نسعى ونحفد»(٢) أي: نعمل بطاعتك.

---

(١) حَفَد يَحْفِدُ حَفَدانًا: أسرع في العمل. لسان العرب (حفد).
(٢) هو في قنوت عمر بن الخطاب ﷺ، انظر مسند الفاروق (١/ ١٦٨ - ١٦٩).

﴿أفبالباطل يؤمنون﴾ على الاستفهام؛ أي: قد آمنوا بالباطل، والباطل: إبليس ﴿وبنعمة اللَّه هم يكفرون﴾ هو كقوله: ﴿ألم تر إلى الذين بدلوا نعمة اللَّه كفرا﴾[1].

﴿ويعبدون من دون اللَّه ما لا يملك لهم رزقًا من السمٰوات والأرض شيئًا ولا يستطيعون﴾ يعني: الأوثان التي يعبدون؛ هو كقوله: ﴿ولا يملكون لأنفسهم﴾ يعني: الأوثان ﴿ضرًا ولا نفعًا ولا يملكون موتًا ولا حياة ولا نشورًا﴾[2].

﴿فلا تضربوا للَّه الأمثال﴾ فتشبهوا هذه الأوثان الميتة التي لا تحيي ولا تميت ولا ترزق باللَّه الذي يحيي ويميت ويرزق، ويفعل ما يريد.

﴿ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا عَبْدًا مَّمْلُوكًا لَّا يَقْدِرُ عَلَىٰ شَيْءٍ وَمَن رَّزَقْنَٰهُ مِنَّا رِزْقًا حَسَنًا فَهُوَ يُنفِقُ مِنْهُ سِرًّا وَجَهْرًا هَلْ يَسْتَوُۥنَ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٧٥﴾ وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا رَّجُلَيْنِ أَحَدُهُمَآ أَبْكَمُ لَا يَقْدِرُ عَلَىٰ شَيْءٍ وَهُوَ كَلٌّ عَلَىٰ مَوْلَىٰهُ أَيْنَمَا يُوَجِّههُّ لَا يَأْتِ بِخَيْرٍ هَلْ يَسْتَوِى هُوَ وَمَن يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَهُوَ عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٧٦﴾﴾

﴿ضرب اللَّه مثلًا عبدًا مملوكًا لا يقدر على شيء﴾ تفسير قتادة: هذا مثل ضربه اللَّه للكافر؛ رزقه اللَّه مالًا فلم يقدم منه خيرًا، ولم يعمل فيه بطاعة ﴿ومن رزقناه منا رزقًا حسنًا فهو ينفق منه﴾ وهذا مثل المؤمن أعطاه اللَّه رزقًا حلالًا طيبًا، فعمل فيه بطاعته وأخذه بشكرٍ ﴿هل يستويان مثلًا﴾ أي: أنهما لا يستويان ﴿الحمد للَّه بل أكثرهم لا يعلمون﴾ وهم المشركون.

---

(١) إبراهيم: ٢٨ .

(٢) الفرقان: ٣ .

﴿وضرب اللّه مثلًا رجلين أحدهما أبكم﴾أي: لا يتكلم؛ يعني: الوثن ﴿لا يقدر على شيء وهو كلٌّ على مولاه﴾ على وليه الذي يتولاه ويعبده؛ أي: أنه عمله بيده وينفق عليه كسبَهُ ﴿ أينما يوجهه﴾ هذا العابد له؛ يعني: دعاءه إياه ﴿لا يأت بخير هل يستوي﴾ هذا الوثن ﴿ومن يأمر بالعدل﴾ وهو اللّه ﴿ وهو على صراط مستقيم﴾ هو مثل قوله: ﴿إن ربي على صراط مستقيم﴾[1].

﴿وَلِلَّهِ غَيْبُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَمَآ أَمْرُ ٱلسَّاعَةِ إِلَّا كَلَمْحِ ٱلْبَصَرِ أَوْ هُوَ أَقْرَبُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٧٧﴾ وَٱللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّنۢ بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْـًٔا وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ ۙ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٧٨﴾ أَلَمْ يَرَوْا۟ إِلَى ٱلطَّيْرِ مُسَخَّرَٰتٍ فِى جَوِّ ٱلسَّمَآءِ مَا يُمْسِكُهُنَّ إِلَّا ٱللَّهُ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٧٩﴾ وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنۢ بُيُوتِكُمْ سَكَنًا وَجَعَلَ لَكُم مِّن جُلُودِ ٱلْأَنْعَٰمِ بُيُوتًا تَسْتَخِفُّونَهَا يَوْمَ ظَعْنِكُمْ وَيَوْمَ إِقَامَتِكُمْ ۙ وَمِنْ أَصْوَافِهَا وَأَوْبَارِهَا وَأَشْعَارِهَآ أَثَٰثًا وَمَتَٰعًا إِلَىٰ حِينٍ ﴿٨٠﴾﴾

﴿وللّه غيب السمٰوات والأرض﴾ أي: يعلم غيب السمٰوات وغيب الأرض ﴿وما أمر الساعة إلا كلمح البصر أو هو أقرب﴾ بل هو أقرب من لمح البصر، ولمح البصر أنه يلمح السماء؛ وهي على مسيرة خمسمائة عام.

قال محمدٌ: قيل: إن الساعة اسمٌ لإماتة الخلق وإحيائهم؛ فأعلم جلَّ وعزَّ أنّ البعث والإحياء في سرعة القدرة على الإتيان بهما كلمح البصر أو هو أقرب؛ ليس يريد أن الساعة تأتي في أقرب من لمح البصر، واللّه أعلم.

﴿ألم يروا إلى الطير مسخرات في جو السماء﴾ كبد السماء ﴿ما يمسكهن

---

(١) هود: ٥٦ .

إلا الله﴾ يبين قدرته للمشركين؛ يقول: هل تصنع آلهتكم شيئًا؟!

﴿والله جعل لكم من بيوتكم سكنًا﴾ تسكنون فيه ﴿وجعل لكم من جلود الأنعام﴾ يعني: من الشعر والصوف ﴿بيوتًا تستخفونها يوم ظعنكم﴾ يعني: في سفركم ﴿ويوم إقامتكم﴾ يعني: قراركُم في غير سفر ﴿ومن أصوافها وأوبارها وأشعارها أثاثًا﴾ قال الأعمش: الأثاث: المالُ يستمتع به ﴿إلى حين﴾ إلى الموت.

قال محمدٌ: وواحد الأثاث: أثاثةٌ[1]؛ يقال: قد أثَّ الرجُلُ يئِثُّ أثًّا؛ إذا صار ذا أثاثٍ، والأثاثُ: متاع البيت؛ عند أهل اللغة[2].

﴿وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّمَّا خَلَقَ ظِلَٰلًا وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلْجِبَالِ أَكْنَٰنًا وَجَعَلَ لَكُمْ سَرَٰبِيلَ تَقِيكُمُ ٱلْحَرَّ وَسَرَٰبِيلَ تَقِيكُم بَأْسَكُمْ كَذَٰلِكَ يُتِمُّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تُسْلِمُونَ ﴿٨١﴾ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ ﴿٨٢﴾ يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ ٱللَّهِ ثُمَّ يُنكِرُونَهَا وَأَكْثَرُهُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٨٣﴾ وَيَوْمَ نَبْعَثُ مِن كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا ثُمَّ لَا يُؤْذَنُ لِلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ ﴿٨٤﴾ وَإِذَا رَءَا ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ ٱلْعَذَابَ فَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ ﴿٨٥﴾﴾

﴿والله جعل لكم مما خلق ظلالًا﴾ قال قتادة: يعني: من الشجر وغيرها ﴿وجعل لكم من الجبال أكنانًا﴾ يعني: الغيران التي تكون في الجبال تكِنُّ من الحر والبرد ﴿وجعل لكم سرابيل تقيكم الحر﴾ يعني: من القطن والكتان

---

(١) ويجمع الأثاث على: الأُثث.

(٢) يقال: أثَّ يَئِثُّ أثًّا وأُثوثًا وأثاثًا وأثاثةً، فهو أثٌّ وأثيثٌ، والجمع: إثاث. لسان العرب (أثث).

والصوف ﴿وسرابيل تقيكم بأسكم﴾ يعني: دروع الحديد تقي القتال.

﴿كذلك يتم نعمته عليكم لعلكم تسلمون﴾ لكي تسلموا؛ يقول: إن أسلمتم تمَّت عليكم النعمة بالجنة، وإن لم تسلموا لم تتم عليكم النعمة ﴿فإن تولوا فإنما عليك البلاغ المبين﴾ أي: ليس عليك أن تهديهم، وكان هذا قبل أن يؤمر بقتالهم.

﴿يعرفون نعمة الله ثم ينكرونها﴾ يقول: يعرفون ويقرون أن الله خلقهم، وخلق السموات والأرض، وأنه هو الرزاق، ثم ينكرون ذلك بتكذيبهم ﴿وأكثرهم الكافرون﴾ يعني: جماعتهم.

﴿ويوم نبعث من كل أمة شهيدًا﴾ يعني: نبيًا يشهد عليهم (ل١٧٧) أنه قد بلغهم ﴿ثم لا يؤذن للذين كفروا ولا هم يستعتبون﴾ هي مواطن: لا يؤذن لهم في موطن في الكلام، ويؤذن لهم في موطن.

﴿وإذا رأى الذين ظلموا العذاب﴾ أي: دخلوا فيه؛ يعني: المشركين ﴿فلا يخفف عنهم﴾ العذاب ﴿ولا هم ينظرون﴾ سألوا الله أن يؤخرهم، فيردهم إلى الدنيا حتى يتوبوا؛ فلم يؤخرهم.

﴿وَإِذَا رَءَا ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟ شُرَكَآءَهُمْ قَالُوا۟ رَبَّنَا هَٰٓؤُلَآءِ شُرَكَآؤُنَا ٱلَّذِينَ كُنَّا نَدْعُوا۟ مِن دُونِكَ فَأَلْقَوْا۟ إِلَيْهِمُ ٱلْقَوْلَ إِنَّكُمْ لَكَٰذِبُونَ ﴿٨٦﴾ وَأَلْقَوْا۟ إِلَى ٱللَّهِ يَوْمَئِذٍ ٱلسَّلَمَ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ ﴿٨٧﴾ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَصَدُّوا۟ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ زِدْنَٰهُمْ عَذَابًا فَوْقَ ٱلْعَذَابِ بِمَا كَانُوا۟ يُفْسِدُونَ ﴿٨٨﴾ وَيَوْمَ نَبْعَثُ فِى كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا عَلَيْهِم مِّنْ أَنفُسِهِمْ وَجِئْنَا بِكَ شَهِيدًا عَلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴿٨٩﴾﴾

﴿وإذا رأى الذين أشركوا شركاءهم﴾ يعني: شياطينهم الذين كانوا يضلونهم في الدنيا ﴿قالوا ربنا هؤلاء شركاؤنا الذين كنا ندعو من دونك﴾ قالوا هذا؛ لأنهم هم الذين دعوهم إلى عبادة الأوثان ﴿فألقوا إليهم القول﴾ ألقى بنو آدم إلى شياطينهم القول؛ أي: حدثوهم؛ فقالوا لهم: ﴿إنكم لكاذبون﴾ أي: أنكم كذبتمونا في الدنيا وغررتمونا ﴿وألقوا إلي اللَّه يومئذ السلم﴾ أي: استسلموا وآمنوا باللَّه، وكفروا بالشياطين والأوثان ﴿وضل عنهم ما كانوا يفترون﴾.

﴿الذين كفروا وصدوا عن سبيل اللَّه زدناهم عذابا فوق العذاب﴾ تفسير ابن مسعود: حيات وعقارب لها أنياب مثل النخل الطوال.

﴿ويوم نبعث في كل أمة شهيدًا عليهم من أنفسهم﴾ يعني: نبيهم؛ هو شاهد عليهم ﴿وجئنا بك﴾ يا محمدُ ﴿شهيدًا على هؤلاء﴾ يعني: أمته ﴿ونزلنا عليك الكتاب تبيانًا لكل شيء﴾ يعني: ما بيّن فيه من الحلال والحرام، وكل ما أنزل اللَّه فيه.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَٱلْبَغْىِ ۚ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٩٠﴾ وَأَوْفُوا۟ بِعَهْدِ ٱللَّهِ إِذَا عَٰهَدتُّمْ وَلَا تَنقُضُوا۟ ٱلْأَيْمَٰنَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ ٱللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ ﴿٩١﴾ وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّتِى نَقَضَتْ غَزْلَهَا مِنۢ بَعْدِ قُوَّةٍ أَنكَٰثًا تَتَّخِذُونَ أَيْمَٰنَكُمْ دَخَلًۢا بَيْنَكُمْ أَن تَكُونَ أُمَّةٌ هِىَ أَرْبَىٰ مِنْ أُمَّةٍ ۚ إِنَّمَا يَبْلُوكُمُ ٱللَّهُ بِهِۦ ۚ وَلَيُبَيِّنَنَّ لَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ مَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿٩٢﴾﴾

﴿إن اللَّه يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذي القربى﴾ يعني: حق القرابة.

قال الحسن: حق الرَّحِم ألا تحرمها ولا تهجرها ﴿وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغي﴾ أي: يبغي بعضهم على بعض.

يحيى: عن خداش، عن عُيينة بن عبد الرحمن، عن أبيه، عن أبي بكرة قال: قال رسول الله ﷺ: «ما من ذنبٍ أجْدَر أن يُعَجّل لصاحبه العقوبة في الدنيا مع ما يُدَّخَرُ له في الآخرة من البغي وقطيعة الرحم»[١].

﴿ولا تنقضوا الأيمان بعد توكيدها﴾ يعني: تشديدها وتغليظها ﴿ولا تكونوا كالتي نقضت غزلها من بعد قوة أنكاثًا﴾ ينهاهم عن نكث العهد؛ يقول: فيكون مثلكم إن نكثتم العهد مثل التي نقضت غزلها من بعد ما أبرمته، والمرأة التي ضرِبَت مثلًا كانت تغزل الشَّعرَ؛ فإذا غزلته نقضته، ثم عادت فغزلته.

قال محمدٌ: (أَنكَاثًا) منصوبٌ؛ لأنه في معنى المصدر[٢]، وواحد الأنكاث: نكثٌ[٣].

---

(١) رواه الإمام أحمد (٥/ ٣٦، ٣٨) وابن المبارك في المسند (٩رقم١٥) والطيالسي (١١٨رقم٨٨٠) ووكيع في الزهد (٢٤٣، ٤٢٩) وهناد في الزهد (١٣٩٨) والبخاري في الأدب المفرد (٢٣رقم٢٩، ٣٦رقم٦٧) وأبو داود (٥/ ٣١٤رقم٤٨٦٦) والترمذي (٤/ ٥٧٣رقم٢٥١١) وابن ماجة (٢/ ١٤٠٨رقم٢٤١١) والبزار في مسنده (٩/ ١٢٨رقم٣٦٧٨) وابن حبان (٢/ ٢٠٠-٢٠١رقم٤٥٥، ٤٥٦) والحاكم (٢/ ٣٥٦، ٤/ ١٦٣) وغيرهم من طريق عيينة بن عبد الرحمن به.
وقال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح.
وقال الحاكم: صحيح الإسناد، ولم يخرجاه.
وقال البزار: وهذا الحديث لا نعلم أحدًا يرويه عن النبي ﷺ إلا أبو بكرة، وله عن أبي بكرة طرق، وعيينة حدَّث عنه شعبة وغيره، بصري معروف.

(٢) إعراب القرآن (٢/ ٢٢٢)، البحر (٥/ ٥٣٠-٥٣١).

(٣) يقال: حَبْلٌ نِكْثٌ وأَنْكَاثٌ؛ أي: منكوث. لسان العرب (نكث).

﴿دخلًا بينكم﴾ أي: خيانة وغدرًا ﴿أن تكون أمة هي أربى من أمة﴾ أي: أكثر؛ يقول: فتنقضوا عهد اللَّه لقومٍ هم أكثر من قومٍ.

قال مجاهد: كانوا يحالفون قومًا فيجدون أكثر منهم وأعزَّ، فينقضوا حلف هؤلاء ويحالفون الذين هم أعز، فنهوا عن ذلك.

﴿ إنما يبلوكم اللَّه به﴾ أي. يختبركم ﴿وليُبيننَّ لكم﴾ يوم القيامة ﴿ما كنتم فيه تختلفون﴾ من الكفر والإيمان.

﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَلَٰكِن يُضِلُّ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ وَلَتُسْـَٔلُنَّ عَمَّا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٩٣﴾ وَلَا تَتَّخِذُوٓا۟ أَيْمَٰنَكُمْ دَخَلًۢا بَيْنَكُمْ فَتَزِلَّ قَدَمٌۢ بَعْدَ ثُبُوتِهَا وَتَذُوقُوا۟ ٱلسُّوٓءَ بِمَا صَدَدتُّمْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَكُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٩٤﴾ وَلَا تَشْتَرُوا۟ بِعَهْدِ ٱللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا إِنَّمَا عِندَ ٱللَّهِ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٩٥﴾ مَا عِندَكُمْ يَنفَدُ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ بَاقٍ وَلَنَجْزِيَنَّ ٱلَّذِينَ صَبَرُوٓا۟ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٩٦﴾ مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٩٧﴾ فَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ﴿٩٨﴾ إِنَّهُۥ لَيْسَ لَهُۥ سُلْطَٰنٌ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٩٩﴾ إِنَّمَا سُلْطَٰنُهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُۥ وَٱلَّذِينَ هُم بِهِۦ مُشْرِكُونَ ﴿١٠٠﴾﴾

﴿ولو شاء اللَّه لجعلكم أمة واحدة﴾ يعني: على ملة الإسلام.

﴿ولا تتخذوا أيمانكم دخلًا بينكم﴾ تفسير الحسن: يقول: لا تصنعوا كما صنع المنافقون، فتظهروا الإيمان وتسروا الشرك ﴿فتزل قدم بعد ثبوتها﴾ تزل إلى الكفر بعد ما كانت على الإيمان ﴿ولا تشتروا بعهد اللَّه ﴾ يعني اليمين

الكاذبة ﴿ثمنًا قليلًا﴾ من الدنيا.

﴿فلنحيينه حياة طيبة﴾ تفسير وهب بن منبه: يعني: القناعة.

﴿فإذا قرأت القرآن...﴾ الآية، قال الحسن: نزلت في الصلاة، ثم صارت سُنّة في غير الصلاة؛ إذا أراد أن يقرأ.

﴿إنه ليس له سلطان على الذين آمنوا﴾ هو كقوله: ﴿ومن يهد اللَّه فما له من مضل﴾[1].

﴿إنما سلطانه على الذين يتولونه﴾ أي: يطيعونه من غير أن يستطيع أن يكرههم ﴿والذين هم به مشركون﴾ أي. باللَّه مشركون.

قال محمد(ل ١٧٨)قيل: المعنى: الذين هم من أجله مشركون باللَّه.

﴿وَإِذَا بَدَّلْنَآ ءَايَةً مَّكَانَ ءَايَةٍ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُنَزِّلُ قَالُوٓاْ إِنَّمَآ أَنتَ مُفْتَرٍۭ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٠١﴾ قُلْ نَزَّلَهُۥ رُوحُ ٱلْقُدُسِ مِن رَّبِّكَ بِٱلْحَقِّ لِيُثَبِّتَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَهُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴿١٠٢﴾ وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُۥ بَشَرٌ لِّسَانُ ٱلَّذِى يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِىٌّ وَهَٰذَا لِسَانٌ عَرَبِىٌّ مُّبِينٌ ﴿١٠٣﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ لَا يَهْدِيهِمُ ٱللَّهُ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٠٤﴾ إِنَّمَا يَفْتَرِى ٱلْكَذِبَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰذِبُونَ ﴿١٠٥﴾﴾

﴿وإذا بدلنا آية مكان آية واللَّه أعلم بما ينزل قالوا إنما أنت مفتر﴾ تفسير الحسن: كانت الآية إذا نزلت؛ فعمل بها وفيها شدة، ثم نزلت بعدها آية فيها لين قالوا: إنما يأمر محمدٌ أصحابه بالأمر؛ فإذا اشتد عليهم صرفه إلى غيره، ولو كان هذا الأمر من عند اللَّه لكان أمرًا واحدًا، وما اختلف ولكنه من قِبَلِ

---

(١) الزمر: ٣٧، ووردت في الأصل: ومن يهد اللَّه فلا مضل له

محمدٍ قال اللَّه: ﴿قل﴾ يا محمد: ﴿نزله روح القدس من ربك بالحق﴾ فأخبر أنه نزل به جبريل من عند اللَّه، وأن محمدًا لم يفتر منه شيئًا.

﴿ولقد نعلم أنهم يقولون﴾ يعني: مشركي العرب ﴿إنما يعلمه بشر﴾ يعنون: عبدًا لابن الحضرمي، وكان روميًا صاحب كتاب - في تفسير قتادة - اسْمُه: حَبْرٌ.

وقال بعضهم: هو عداسُ غلام عتبة بن ربيعة.

قال اللَّه: ﴿لسان الذي يلحدون إليه﴾أي: يميلون إليه ﴿أعجمي وهذا لسان عربي مبين﴾فأكذبهم.

﴿إن الذين لا يؤمنون بآيات اللَّه لا يهديهم اللَّه﴾ هؤلاء الذين لا يريد اللَّه أن يهديهم يلقونه بكفرهم .

﴿مَن كَفَرَ بِٱللَّهِ مِنۢ بَعۡدِ إِيمَٰنِهِۦٓ إِلَّا مَنۡ أُكۡرِهَ وَقَلۡبُهُۥ مُطۡمَئِنُّۢ بِٱلۡإِيمَٰنِ وَلَٰكِن مَّن شَرَحَ بِٱلۡكُفۡرِ صَدۡرٗا فَعَلَيۡهِمۡ غَضَبٞ مِّنَ ٱللَّهِ وَلَهُمۡ عَذَابٌ عَظِيمٞ ﴿١٠٦﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمُ ٱسۡتَحَبُّواْ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا عَلَى ٱلۡأٓخِرَةِ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴿١٠٧﴾ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ وَسَمۡعِهِمۡ وَأَبۡصَٰرِهِمۡۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡغَٰفِلُونَ ﴿١٠٨﴾ لَا جَرَمَ أَنَّهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ هُمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ ﴿١٠٩﴾ ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ هَاجَرُواْ مِنۢ بَعۡدِ مَا فُتِنُواْ ثُمَّ جَٰهَدُواْ وَصَبَرُوٓاْ إِنَّ رَبَّكَ مِنۢ بَعۡدِهَا لَغَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴿١١٠﴾﴾

﴿من كفر باللَّه من بعد إيمانه إلا من أكره وقلبه مطمئن بالإيمان﴾أي: راضٍ به؛ نزلت في عمّار بن ياسر وأصحابه؛ أخذهم المشركون، ووقفوهم على الكفر باللَّه ورسوله، فخافوا منهم؛ فأعطوهم ذلك بأفواههم .

﴿وأن اللَّه لا يهدي القوم الكافرين ﴾ يعني: الذين يلقون اللَّه بكفرهم.

﴿ثم إن ربك للذين هاجروا من بعد ما فتنوا﴾تفسير الحسن: هم قومٌ كانوا بمكة، فعرضت لهم فتنةٌ؛ فارتدوا عن الإسلام وشكوا في نبي اللَّه، ثم إنهم أسلموا وهاجروا إلى رسول اللَّه بالمدينة، ثم جاهدوا معه وصبروا.

﴿ولكن من شرح بالكفر صدرًا﴾ قال محمدٌ: يعني: فتح له بالقبول صدره.

﴿يَوْمَ تَأْتِي كُلُّ نَفْسٍ تُجَٰدِلُ عَن نَّفْسِهَا وَتُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿١١١﴾ وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ ءَامِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّن كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ ٱللَّهِ فَأَذَٰقَهَا ٱللَّهُ لِبَاسَ ٱلْجُوعِ وَٱلْخَوْفِ بِمَا كَانُوا۟ يَصْنَعُونَ ﴿١١٢﴾ وَلَقَدْ جَآءَهُمْ رَسُولٌ مِّنْهُمْ فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمُ ٱلْعَذَابُ وَهُمْ ظَٰلِمُونَ ﴿١١٣﴾ فَكُلُوا۟ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ حَلَٰلًا طَيِّبًا وَٱشْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴿١١٤﴾ إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةَ وَٱلدَّمَ وَلَحْمَ ٱلْخِنزِيرِ وَمَآ أُهِلَّ لِغَيْرِ ٱللَّهِ بِهِۦ فَمَنِ ٱضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١١٥﴾﴾

﴿يوم تأتي كل نفس تجادل عن نفسها﴾ تفسير الحسن: إن كل نفسٍ توقف بين يدي اللَّه للحساب، ليس يسألها عن عملها إلا اللَّه ﴿ثم توفى كل نفس ما عملت﴾ أما الكافر فليس له من حسناته في الآخرة شيء قد استوفاها في الدنيا، وأما سيئاته فيُوَفَّاها في الآخرة يُجازى بها النار، وأما المؤمن فهو الذي يوفى الحسنات في الآخرة، وأما سيئاته فإن منهم من لم يخرج من الدنيا حتى ذهبت سيئاته بالبلاء والعقوبة، ومنهم من يبقى عليه من سيئاته، فيفعل اللَّه فيه ما يشاء.

﴿وضرب الله مثلًا قرية كانت آمنة مطمئنة...﴾ إلى قوله: ﴿وهم ظالمون﴾ القرية: مكة، والرسول: محمدٌ؛ كفروا بأنعم الله؛ فكذبوا رسوله ولم يشكروا. وقوله: ﴿فأذاقها الله لباس الجوع والخوف﴾ يعني: الجوع الذي عُذبوا به بمكة قبل عذابهم يوم بدر، ثم عذبهم الله بالسيف يوم بدر، وأما الخوف: فبعد ما خرج النبي ﷺ عنهم.

﴿فكلوا مما رزقكم الله حلالًا طيبًا﴾ يعني: ما أحل من الرزق.

﴿وما أهل لغير الله به﴾ يعني: ذبائح المشركين، ثم أحل ذبائح أهل الكتاب ﴿فمن اضطر غير باغ ولا عاد﴾ قد مضى تفسيره.

﴿وَلَا تَقُولُوا۟ لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ ٱلْكَذِبَ هَٰذَا حَلَٰلٌ وَهَٰذَا حَرَامٌ لِّتَفْتَرُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ ﴿١١٦﴾ مَتَٰعٌ قَلِيلٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١١٧﴾ وَعَلَى ٱلَّذِينَ هَادُوا۟ حَرَّمْنَا مَا قَصَصْنَا عَلَيْكَ مِن قَبْلُ ۖ وَمَا ظَلَمْنَٰهُمْ وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿١١٨﴾﴾

﴿ولا تقولوا لما تصف ألسنتكم الكذب هذا حلال وهذا حرام﴾.

قال محمدٌ: المعنى: ولا تقولوا لوصف ألسنتكم الكذب: هذا حلال وهذا حرام؛ يعني: ما حرموا من الأنعام والحرث، وما استحلوا من أكل الميتة.

﴿متاع قليل﴾ أي: أن الذي هم فيه من الدنيا ذاهبٌ ﴿ولهم عذابٌ أليم﴾ في الآخرة ﴿وعلى الذين هادوا حرمنا عليهم﴾ بكفرهم ﴿ما قصصنا عليك من قبل﴾ يعني: ما قص في سورة الأنعام ما حرّم عليهم بقوله: ﴿وعلى الذين هادوا حرّمنا كلّ ذي ظفر...﴾[1] الآية.

---

(١) الأنعام:١٤٦.

﴿ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ عَمِلُوا السُّوءَ بِجَهَالَةٍ ثُمَّ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَأَصْلَحُوا إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَحِيمٌ (١١٩) إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ (١٢٠) شَاكِرًا لِأَنْعُمِهِ اجْتَبَاهُ وَهَدَاهُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ (١٢١) وَآتَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ (١٢٢) ثُمَّ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ أَنِ اتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ (١٢٣)﴾

قوله تعالى: ﴿ثم إن ربك للذين عملوا السوء بجهالة ثم تابوا من بعد ذلك وأصلحوا إن ربك من بعدها﴾ (ل١٧٩) من بعد تلك الجهالة؛ إذا تابوا منها ﴿لغفور رحيم﴾ فكلُّ ذنبٍ عمله العبد فهو منه جهلٌ .

﴿إن إبراهيم كان أمة﴾ والأُمَّة: السيد في الخير الذي يُعلِّم الخير ﴿قانتًا﴾ مطيعًا ﴿حنيفًا﴾ أي: مخلصًا .

﴿اجتباه﴾ اختاره ﴿وهداه إلى صراط مستقيم﴾.

﴿وآتيناه في الدنيا حسنة﴾ كقوله: ﴿وآتيناه أجره في الدنيا﴾[1] فليس من أهل دين إلا وهم يتولَّوْنهُ ويرضونه .

﴿إِنَّمَا جُعِلَ السَّبْتُ عَلَى الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ وَإِنَّ رَبَّكَ لَيَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ (١٢٤) ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ (١٢٥) وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُمْ بِهِ وَلَئِنْ صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِلصَّابِرِينَ (١٢٦) وَاصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللَّهِ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُ فِي ضَيْقٍ مِمَّا يَمْكُرُونَ (١٢٧)

---

(١) العنكبوت: ٢٧ .

إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا۟ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ ﴿١٢٨﴾﴾

﴿إنما جعل السبت على الذين اختلفوا فيه﴾ تفسير قتادة: استحله بعضهم، وحرَّمه بعضهم ﴿وإن ربك ليحكم بينهم يوم القيامة﴾ وحكمه فيهم أن يدخل المؤمنين منهم الجنة، ويدخل الكافرين النار.

﴿ادع إلى سبيل ربك﴾ دين ربك ﴿بالحكمة والموعظة الحسنة﴾ يعني: القرآن ﴿وجادلهم بالتي هي أحسن﴾ يأمرهم بما أمرهم اللَّه به، وينهاهم عما نهاهم اللَّه عنه.

﴿وإن عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به﴾ تفسير ابن عباس: قال: «لما كان يوم أحد مثَّل المشركون بحمزة، وقطعوا مذاكره، فلما رآه النبي عليه السلام جزع عليه جزعًا شديدًا، فأمر به فغطي ببردة كانت عليه، فمدها على وجهه ورأسه، وجعل على رجليه إذخِرًا[1]، ثم قال: لأمثلن بثلاثين من قريش. فأنزل اللَّه: ﴿وإن عاقبتم...﴾ إلى قوله: ﴿وما صبرك إلا باللَّه﴾ فصبر رسول اللَّه ﷺ ونهى عن المُثْلَةِ»[2].

---

(١) هو حشيشة طيبة الرائحة تسقَّف بها البيوت فوق الخشب، وهمزتها زائدة. ينظر النهاية في غريب الحديث والأثر (١/ ٣٣).

(٢) رواه العقيلي في الضعفاء (١/ ٢٤٠ - ٢٤١) والدارقطني في سننه (٤/ ١١٨ رقم ٤٧) والواحدي في أسباب النزول (ص٢١٠) من طريق إسماعيل بن عياش، عن عبد الملك بن أبي غنية أو غيره، عن الحكم بن عتيبة، عن مجاهد، عن ابن عباس رضي الله عنهما.

قال العقيلي: قال أبو عبد الرحمن - يعني: عبد اللَّه بن الإمام أحمد - فحدثت أبي، فقال: هذا من حديث الحسن بن عمارة، ليس من حديث ابن أبي غنية، هو اتقى للَّه من أن يحدث مثل هذا. اهـ.

وقال الدارقطني: لم يروه غير إسماعيل بن عياش، وهو مضطرب الحديث عن غير الشاميين. اهـ.

ورواه الإمام أبو قرة موسى بن طارق الزبيدي في سننه عن الحسن بن عمارة، عن الحكم بن

﴿ولا تحزن عليهم﴾ إن لم يؤمنوا؛ يعني: المشركين ﴿ولا تك في ضيق مما يمكرون﴾ أي: لا يضيق صدرك بمكرهم وكذبهم عليك؛ فإن اللَّه معك و﴿مع الذين اتقوا والذين هم محسنون﴾.

* * *

= عتيبة مثله سواء. التعليق المغني على سنن الدارقطني (٤/ ١١٨).
ورواه الطبراني في الكبير (١١/ ٦٢ - ٦٣ رقم ١١٠٥١) من طريق أحمد بن أيوب بن راشد، عن عبد الأعلى، عن محمد بن إسحاق، عن محمد بن كعب القرظي والحكم بن عتيبة، عن مقسم ومجاهد، عن ابن عباس.
قال الهيثمي في المجمع (٦/ ١٢٠): وفيه أحمد بن أيوب بن راشد، وهو ضعيف.
ورواه الدارقطني (٤/ ١١٦ رقم ٤٢) من طريق عبد العزيز بن عمران، عن أفلح بن سعيد، عن محمد بن كعب، عن ابن عباس. وقال الدارقطني: عبد العزيز بن عمران ضعيف. اهـ
ورواه الطحاوي في شرح المعاني (٣/ ١٨٣) والبيهقي في الدلائل (٣/ ٢٨٨) والواحدي في أسباب النزول (ص٢١١) من طريق يحيى الحماني، عن قيس، عن ابن أبي ليلى وعن الحكم، عن مقسم عن ابن عباس ﷺ.
وله شاهد عن أبي هريرة، أشرت إلى من خرجه في تخريج تفسير أبي المظفر السمعاني (٣/ ٢١١).

فهرس الموضوعات